شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار

المجلد الثالث

العلاّمة المجلسي (ره)

المقدّمة

قبل أن نبدأ بالمقدّمة يجب أن نسلّم نفوسنا إلى بيانات الامام أميرالمؤمنين عليه السّلام لإرواء النفوس المستعدّة من الحكمة الإلهيّة ، و من ثمّ نبدأ بالمقدّمة .

انتفعوا ببيان اللّه و اتّعظوا بمواعظ اللّه و اقبلوا نصيحة اللّه ، فإنّ اللّه قد أعذر إليكم بالجليّة و اتّخذ عليكم الحجّة و بيّن لكم محابّه من الأعمال و مكارهه منها ، لتتّبعوا هذه و تجتنبوا هذه ، فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يقول : « إنّ الجنّة حفّت بالمكاره و إنّ النّار حفّت بالشّهوات » .

و اعلموا أنّه ما من طاعة اللّه شيء إلاّ يأتي في كره و ما من معصية اللّه شيء إلاّ يأتي في شهوة . فرحم اللّه أمرأ نزع عن شهوته و قمع هوى نفسه ، فإنّ هذه النّفس أبعد شيء منزعا و إنّها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى .

و اعلموا عباد اللّه أنّ المومن لا يصبح و لا يمسي إلاّ و نفسه ظنون عنده ، فلا يزال زاريا عليها و مستزيدا لها . فكونوا كالسّابقين قبلكم و الماضين أمامكم . قوّضوا من الدّنيا تقويض الرّاحل و طووها طيّ المنازل . 1 .

و أمّا المقدّمة فتشتمل على مسائل و هي :

----

(1) نهج البلاغه ، الخطبه رقم 176 .

1 شروح نهج البلاغة :

مضت عشرة قرون لحدّ الآن على ظهور نهج البلاغة في عالم المعارف . و منذ ميلاد هذا الكتاب العظيم ألّف كبار المفكّرين في العالمين الاسلامي و غير الاسلامي كتبا كثيرة حوله . و قد ألفّت هذه الكتب كما يلي :

الشروح الكاملة لنهج البلاغة في أبعاده المختلفة كالتاريخيّة و الأدبيّة و الفلسفيّة و الكلاميّة و الأخلاقيّة و غيرها .

شروح الخطب و الرسائل و الحكم .

الدراسات و التحقيقات الخاصّة بمصادر نهج البلاغة .

الدفاع عن صحّة تأليف نهج البلاغة من قبل الشريف الرضي .

تبويب نهج البلاغة .

تأليف معجم مفهرس لنهج البلاغة .

ترجمة نهج البلاغة إلى اللغات العالميّة الحيّة و غيرها من اللغات . 2 و قد نشر لحدّ الآن نحو خمسمائة كتاب حول نهج البلاغة في الدول الاسلاميّة . و لا شكّ في أنّ كتبا كثيرة أخرى سوف تنشر أيضا .

إنّ الّذي يجب أن نشير إليه هو كتاب « شرح نهج البلاغة » للعلاّمة المجلسي .

و لعلّ هذا الاسم و هذا الموضوع غريبان و جديدان على المحقّقين . و ذلك لأنّنا جميعا نعرف أنّ العلاّمة المجلسي لم يؤلّف كتابا بهذا الاسم ، على الرغم من أنّ

----

(2) . و من أجل الاطّلاع على الكتب المؤلّفة حول نهج البلاغة خصوصا شروحه فراجع :

أ الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، تأليف العلاّمة الشيخ آقا بزرگ الطهراني ، ج 4 ، ص 144 و ج 6 ، ص 228 و ج 7 ، ص 187 و ج 14 ، ص 111 161 و ج 24 ، ص 412 .

ب الغدير في الكتاب و السنّة و الأدب ، تأليف العلاّمة عبد الحسين أحمد الأميني النجفي ، ج 4 ،

ص 186 198 .

ج أعيان الشيعة للامام السيّد محسن الأمين ، تحقيق و إخراج حسن الأمين ، المجلّد الأوّل ، ص 544 545 ،

دار التعارف بيروت ، سنة 1403 ه 1983 م .

د مصادر نهج البلاغة و أسانيده ، تأليف السيّد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، ج 1 ، ص 202 273 ،

ط بيروت .

ه شروح نهج البلاغة (210 شروح) ، للشيخ حسين جمعة العاملي ، مطبعة الفكر بيروت ، سنة 1403 ه 1983 م .

و كتاب نهج البلاغة ، تأليف السيّد رضا الاستادي ، طباعة مؤسّسة نهج البلاغة ، طهران ايران .

ز تحقيق حول نهج البلاغة ، تأليف السيّد محمّد الجعفري ، طباعة منشورات قلم ، طهران ايران .

المرحوم العلاّمة المجلسي قد ترجم بعض الخطب و الرسائل من نهج البلاغة ، لكنّه لم يكتب أيّ شرح لنهج البلاغة مختصرا كان أم مطوّلا بصورة مستقلّة . غير أنّ الّذي يعرض الآن أمام المحقّقين و المفكّرين ليس سوى تحقيق موسّع في كتاب « بحار الأنوار » و استخراج لشروح مبعثرة كتبها العلاّمة المجلسي ، و قد رتّبت على غرار نهج البلاغة .

و قبل أن نبدأ ، لابدّ أن نعرّف كتاب « بحار الأنوار » تعريفا مختصرا لنتمكّن من تبيان ما نقصده من « شرح نهج البلاغة » للعلاّمة المجلسي و كيف ظهر هذا الشرح على مسرح الفكر الاسلامي . و بعد تعريف « بحار الأنوار » لابدّ أن نبحث باختصار شديد في طريقة تدوين « بحار الأنوار » و من ثمّ نستنتج ميلاد « شرح نهج البلاغة » للعلاّمة المجلسي .

2 تعريف مختصر ببحار الأنوار

إنّ « بحار الأنوار » من حيث الكيفيّة و الكمّيّة ، أي من حيث احتوائه على أعظم النصوص الاسلاميّة و أنفسها في الأبعاد المختلفة ، من أصغر التعليمات إلى أعظم القوانين ، و هكذا من حيث احتوائه على أكثر الأحاديث الشريفة و أقوال قادة الاسلام ، فهو أعظم جامع للأحاديث الشريفة طبع لحدّ الآن عند الفرق الاسلاميّة . و إنّ شرح هذه المطالب يحتاج إلى كتاب مفصّل ، و لا يخفى هذا على كلّ محقّق مطّلع على كتب الحديث عند الفرق الاسلاميّة .

و هذه نظرة مختصرة في « بحار الأنوار » لنتعرّف على مسائل و هي :

أ . مصادر بحار الأنوار

يحتوي « بحار الأنوار » على خمسمائة و اثنين و ثلاثين مصدرا من مصادر الدرجة الأولى في المعارف الاسلاميّة العظيمة . و أكثر هذه المصادر لا توجد اليوم بصورة مستقلّة بين أيدي المسلمين ، بل يمكن العثور عليها في سطور « بحار الأنوار » فقط .

و لمّا كان كتاب « بحار الأنوار » سفرا يضمّ شتّى العلوم الاسلاميّة ، فقد اختيرت مصادره بحيث إنّه استفيد من كلّ منها في موضعه المناسب .

و تقسّم هذه المصادر عموما إلى قسمين :

1) المصادر الكثيرة المراجعة 2) المصادر القليلة المراجعة

إنّ القسم الأوّل هي الكتب الّتي اعتمدها العلاّمة المجلسي في تأليف « بحار الأنوار » بصورة واسعة ، و السبب في ذلك ظاهر جدّا ، فأكثر هذه الكتب يحتوي على مواضيع إسلاميّة جامعة . و على هذا فإنّ العلاّمة المجلسي قد استفاد منها في جميع المواضيع الاسلاميّة ، و هي من أهمّ مصادره ، و عددها أربعة و ثمانون كتابا .

و قد اختار العلاّمة المجلسي حرفا يرمز إلى كلّ واحد من هذه الكتب و يشير العلاّمة إلى ذلك الحرف قبل نقل المادّة من ذلك الكتاب . و إنّ فهرس هذه الكتب الأربعة و الثمانين قد طبع في آخر كلّ مجلّد من مجلّدات « بحار الأنوار » .

و القسم الثاني المصادر القليلة المراجعة الّتي قد استفيد منها بأقلّ من الأولى ،

و ذلك لأنّها كتب تبحث في مواضيع محدّدة أو في موضوع واحد . لذلك فإنّ العلاّمة المجلسي يشير إلى اسم الكتاب الكامل قبل أن ينقل منه ما يريد نقله .

و قد وردت أسماء هذه الكتب و هي خمسمائة و اثنان و ثلاثون كتابا في المجلّد الأوّل من « بحار الأنوار » في المقدّمة .

و هنا لابدّ من القول بأنّ « نهج البلاغة » كان من بين المصادر الكثيرة المراجعة الّتي نقل عنها العلاّمة المجلسي ، أي أنّه من بين الأربعة و الثمانين مصدرا الّتي اعتمدها العلاّمة المجلسي اعتمادا واسعا في أكثر أبواب « بحار الأنوار » و في نقل الأحاديث عنه .

و الموضوع التالي و الّذي يجب أن نبيّنه هو كيفيّة تأليف « بحار الأنوار » .

ب . كيفيّة تأليف « بحار الأنوار »

و نكرّر القول هنا أيضا من أنّ بيان كيفيّة تأليف « بحار الأنوار » يحتاج إلى كتاب مستقلّ . و لكن من أجل توضيح الموضوع الأصلي ، أي كيفيّة تحقّق وجود شرح نهج البلاغة للعلاّمة المجلسي ، نرى لزوم التعرّض لهذا الموضوع باختصار .

1 قسّم العلاّمة المجلسي بحار الأنوار إلى مواضيع رئيسيّة ، عددها تسعة من جهة و خمسة و أربعون موضوعا إسلاميّا من جهة أخرى .

2 يتألّف كلّ موضوع من فصول ، و كلّ فصل ينقسم إلى أبواب . و مجموع أبواب « بحار الأنوار » ألفان و ثمانمائة و ثمانية و أربعون بابا .

3 يأتي العلاّمة المجلسي بآيات من القرآن الكريم بابتكار جديد يرتبط بموضوع ذلك الباب ، أو يحتوي على ذلك الموضوع ، و ذلك قبل أن يشرح المطالب بترتيب سور القرآن المجيد .

[13]

4 إنّ العلاّمة المجلسي يفسّر أكثر الآيات المرتبطة بموضوع كلّ باب . [3] 5 و من ثمّ ينقل العلاّمة المجلسي الروايات المرتبطة بذلك الباب بعد ذكر الآيات و تفسيرها .

6 و إذا كانت الرواية المنقولة بحاجة إلى توضيح لغوي أو شرح ، أو كانت تحتوي على مواضيع مبهمة ، فإنّه يتناولها بالدرس و التمحيص .

7 في آخر كلّ فصل أو باب مباحث مفصّلة مرتبطة بموضوع أو عدّة مواضيع . و في نظري يمكن اعتبار هذه المباحث مجموعة تفاسير للآيات و الروايات و شروحها و أقوال علماء المسلمين فيها .

و في الحقيقة إنّ ما يكشف عن نبوغ العلاّمة المجلسي هو هذا الفيض من المعرفة في آخر كلّ فصل و باب .

و الآن بعد هاتين المقدّمتين في التعرّف على « بحار الأنوار » و مصادره و أسلوب تأليفه ، يجب أن نضيف أنّه لمّا كانت نصوص « نهج البلاغة » من أصعب النصوص الروائيّة و الأدبيّة في عالم الاسلام ، فسنجد للعلاّمة المجلسي شروحا كثيرة لها .

و إنّي خلال مطالعاتي المتكرّرة لبحار الأنوار توصّلنا إلى تلك النصوص و عملت على استخراجها جميعا ، و بعد التدقيق و التحقيق ، ظهر لي أمران :

أحدهما أنّ العلاّمة المجلسي قد استفاد من « نهج البلاغه » بصورة موسّعة في أكثر مواضيع « بحار الأنوار » و فصوله و أبوابه .

ثانيهما أنّه قد كتب شرحا لأكثر الأحاديث المستفاة من « نهج البلاغة » .

و بناء عليه ، فإنّ المرحلة الأولى من العمل هي استخراج جميع النصوص الّتي ،

شرحها العلاّمة المجلسي من « نهج البلاغة » . و هذا ما تمّ إنجازه فعلا .

و الجدير بالذكر هنا هو أنّ « بحار الأنوار » في طبعته الجديدة يقع في مائة و عشرة أجزاء و لكنّ المؤلّف كان قد نظّمها في الأصل في خمسة و عشرين مجلّدا ضخما .

و للكتاب في ايران طبعتان : الأولى معروفة بطبعة « أمين الضرب » المشهورة

----
(3) إنّ الأبواب الّتي ذكرت في أوّلها آيات من القرآن الكريم تبلغ نحو ثمانمائة باب . و إنّي قد جمعتها كلّها بصورة ممتّعة تحت عنوان « التفسير الموضوعي للقرآن الكريم » و قد أعددتها للطبع في عشرين مجلّدا . و إذا ما طبع هذا التفسير فسيكون أوّل تفسير موضوعي و أكمله .

[14]

باسم « بحار طبع كمپانى » و الأخرى طبعة تبريز .

و ممّا يجدر أن نعرفه هو أنّ المجلّد الثامن من الطبعة القديمة و المجلّدات من التاسع و العشرين حتّى الخامس و الثلاثين من الطبعة الجديدة ذات المائة و العشرة مجلّدات لم تنشر لحدّ الآن .

و للتعريف بالمجلّد الثامن من « بحار الأنوار » و المعنون ب « الفتن و المحن » نقول : إنّه يتناول العالم الاسلامي بعد وفاة الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى استشهاد أمير المؤمنين عليه السّلام .

و منهم من يقول : إنّه تاريخ حياة أمير المؤمنين عليه السّلام .

و قد احتوى كتاب « الفتن و المحن » على قسمين :

1 من خلافة الخليفة الأوّل أبي بكر حتّى مقتل عثمان .

2 من البيعة لأمير المؤمنين عليه السّلام حتّى استشهاده .

و لذا فإنّ المجلّد الثامن وثيق الصلة ب « نهج البلاغة » و قد استند إليه بصورة موسّعة جدّا . و قد استغرق استخراج المواضيع المطلوبة زمنا طويلا بلغ نحو ثلاث سنوات .

ثمّ إنّ « بحار الأنوار » ، كما نعلم ، قد رتّب بحسب الموضوعات الاسلاميّة ،

بينما رتّب « نهج البلاغة » بحسب الخطب و الرسائل و الكلمات القصار (الحكم) .

و هذا يعني أنّ الخطبة أو الرسالة قد قسّمت إلى عشرات المقاطع و أدرجت في عشرات المجلّدات من « بحار الأنوار » .

و في هذه المرحلة كان أمامي طريقان : أحدهما تدوين شروح العلاّمة المجلسي لنهج البلاغة جسما جاءت في « بحار الأنوار » و كان هذا سهلا جدّا .

و الثاني تنظيمها على غرار « نهج البلاغة » و وفق شروحه المعروفة . بيد أنّ اتّباع الطريقة الأولى يجعل العمل ناقصا نسبيّا لأنّ المواضيع المشروحة لها موضّع في « بحار الأنوار » و لكنّها لا تكون كذلك خارج « بحار الأنوار » . لذلك تركتها من حيث الأساس .

و الطريقة الثانية و هي تنظيم الشروح على غرار تنظيم « نهج البلاغة » . و على الرغم من صعوبة ذلك فقد قررت اتّباعه . و هكذا كان هذا الكتاب و باضافة بيان موضع كلّ شرح في مجلّدات « بحار الأنوار » .

[15]

لمّا كان العلاّمة المجلسي قد استفاد من شروح و كتب مختلفة في شرحه ، فقد أشرنا إلى تلك المصادر في أحدث طبعاتها قدر الامكان .

و هنا يجب أن نذكر أنّ هذا قد تمّ تطبيقه إلى حدّ ما في طبعات « بحار الأنوار » الجديدة و قد أتينا ببعضها في هذا الكتاب مع تغييرات و اصلاحات .

أسلوب العلاّمة المجلسي رحمه الله في شرح نهج البلاغة :

إنّ المرحوم العلاّمة المجلسي بعد أن ينقل قطعة من « نهج البلاغة » في موضوع أو فصل يرتبط بها ، يأخذ في شرحها إمّا بصورة مختصرة أو موسّعة .

إنّه في هذه الشروح و في شرح الكلمات الغامضة أو في بيان المطالب أحيانا يأتي ببراهين و أدلّة لاثباتها من كتب الحديث الأخرى .

و يعتمد العلاّمة المجلسي في شرح الألفاظ على أهمّ كتب اللغة العربيّة بصورة موسّعة ، مثل كتاب الصحاح للجوهري أو قاموس اللغة للفيروز آبادي أو تاج العروس للزبيدي ، كما يستفيد أحيانا من الشروح المهمّة ل « نهج البلاغة » .

و بالاضافة إلى الاستفادة من كتب اللغة فإنّه اعتمد على كتب متعدّدة أخرى ، و لكنّه استفاد بصورة أوسع من أربعة شروح ل « نهج البلاغة » سنذكر أسماءها فيما بعد . و هذا لا يعني أنّ شرح العلاّمة المجلسي ل « نهج البلاغة » تكرار للشروح المعروفة ، فهذا كلام الّذين ينظرون بصورة سطحيّة و تعوّزهم النظرة العميقة للشروح الّتي أوردها العلاّمة المجلسي و فيها ما لم يقرؤوا مثلها و لم يسمعوا بها ، فهو يحلّل و ينقد في كثير من الموارد أقوال شارحي « نهج البلاغة » المعروفين ،

و في خلال الردّ عليهم يعلن رأيه الّذي يراه حقّا .

و أمّا الشروح الأربعة الّتي اعتمدها العلاّمة المجلسي أكثر من غيرها فهي :

1 شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني . 4 .

2 شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد المعتزلي . 5 3 شرح نهج البلاغة لقطب الدين الراوندي . 6 4 شرح نهج البلاغة للعلاّمة الكيدري . 7 هذا و إنّ الشرحين الأوّل و الثاني قد تكرّر طبعهما في الدول الاسلاميّة . و قد

----

(4) . اعتمده من الوجهة الكلاميّة و الفلسفيّة و الأخلاقيّة .

----

(5) . اعتمده من الوجهة التاريخيّة و الأدبيّة .

----

(6) . اعتمدهما بصور متنوّعة .

----

(7) . اعتمدهما بصور متنوّعة .

سعيت إلى بيان كلّ الموارد الّتي استفاد منها العلاّمة المجلسي من هذين الشرحين .

و لكنّ الشرحين الأخيرين قد طبعا لأوّل مرّة في الهند بواسطة أحد الفضلاء الايرانيّين عام 1405 ه . و لكنّهما ، مع الأسف ، و صلا و الكتاب في المطبعة ، فلم يحصل مجال للاشارة إلى الموارد الّتي استفاد منها العلاّمة المجلسي من هذين الشرحين .

و ممّا تجدر الاشارة إليه أنّ شرح العلاّمة المجلسي ل « نهج البلاغة » ، كأكثر الشروح ، يبدأ بالخطب ثمّ الرسائل ثمّ الحكم . و عليه فالعثور على النصوص سهل جدّا .

و أخيرا تجب الاشارة إلى نقطة مهمّة جدّا و هي أنّ العلاّمة المجلسي قد عرض وجهات نظر جديدة في شرح « نهج البلاغة » قلّما نجدها في شرح آخر . و هذا يتطلّب مقالا خاصّا و فرصة أخرى ، إذ الآن لا مجال للبحث في هذا الموضوع ،

و لكن نذكر نموذجا لوجهة نظر العلاّمة المجلسي في « ولاية الفقيه » و مسألة حكومة علماء الاسلام في زمن غيبة وليّ العصر عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف . فيقول أمير المؤمنين عليه السّلام في الخطبة الثالثة من « نهج البلاغة » المعروفة بالشقشقيّة :

أمّا و الّذي فلق الحبّة و برأ النّسمة ، لولا حضور الحاضر و قيام الحجّة بوجود النّاصر و ما أخذ اللّه على العلماء ألاّ يقارّوا على كظّة ظالم و لا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها و لسقيت آخرها بكأس أوّلها و لألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز 8 و يقول العلاّمة المجلسي في شرحه :

و « العلماء » إمّا الأئمّة عليهم السلام أو الأعمّ .

فيدلّ هذا على وجوب الحكم بين الناس في زمان الغيبة لمن جمع الشرائط . 9

----

(8) . نهج البلاغة ، الخطبة رقم 3 .

----

(9) . بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 160 . و أيضا في هذا الكتاب ، ج 1 ، ص 60 .

و الجدير بالذكر هنا أنّ في كتابنا هذا قسمين من الأرقام : أحدها يرتبط بنفس الخطب و الرسائل و الحكم ، و الثاني يتعلّق بشرحها . فالقسم الأوّل منها توجد في متن الخطب و الرسائل و الحكم ، كلّ منها بين الهلالين ، و تأتي توضيحاتها في آخر كلّ مجلّد تحت عنوان « فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة » .

و القسم الثاني من الأرقام الّتي تتعلّق بالشروح ، يأتي توضيح كلّ منها في هوامش نفس الصفحة .

ثمّ إنّه يجب أن نذكر نقطة مهمّة قبل إنهاء المقدّمة و هي أنّ نصوص نهج البلاغة (الخطب و الرسائل و الحكم) كلّها قد أخذت من طبعة صبحي الصالح و أسباب هذا الاختيار هي الأمور التالية :

1 قلّة أخطاء هذه الطبعة بالنسبة إلى الطبعات الأخرى .

2 جمال الحروف و التنظيم الفنّي فيها بصورة جيّدة .

3 تجنّب حدوث أخطاء و لو قليلة فيما لو طبعنا النصوص طباعة جديدة . ثمّ إنّ الطباعة الجديدة تتطلّب وقتا وجهدا كبيرين .

ثمّ لا بدّ لنا أن نذكر بأنّ النصوص الّتي أوردها العلاّمة المجلسي كانت من نسخة من نسخ نهج البلاغة و بينها و بين نصوص طبعة صبحي الصالح بعض الاختلاف ، و لو أردنا ذكر تلك الاختلافات لتطلّب ذلك سنين طويلة . و عليه نرجو من اللّه التوفيق للقيام بهذا العمل في وقت مناسب آخر .

و ختاما ، نضمّ أصواتنا إلى صوت إمام العارفين أمير المؤمنين عليه السّلام في إحدى خطبه المعروفة الّتي ألقاها من عل منبر مسجد الكوفة في الثناء على اللّه و حمده بقوله :

اللّهمّ أنت أهل الوصف الجميل و التّعداد الكثير ، إن تؤمّل فخير مأمول و إن ترج فخير مرجوّ . اللّهمّ و قد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك ، و لا أثني به على أحد سواك و لا أوجّهه إلى معادن الخيبة و مواضع الرّيبة ، و عدلت بلساني عن

مدائح الادميّين و الثّناء على المربوبين المخلوقين . اللّهمّ و لكلّ مثن على من أثنى عليه مثوبة من جزاء أو عارفة من عطاء ، و قد رجوتك دليلا على ذخائر الرّحمة و كنوز المغفرة . اللّهمّ و هذا مقام من أفردك

[18]

بالتّوحيد الّذي هو لك و لم يرمستحقّا لهذه المحامد و الممادح غيرك . و بي فاقة إليك لا يجبر مسكنتها إلاّ فضلك و لا ينعش من خلّتها إلاّ منّك و جودك ، فهب لنا في هذا المقام رضاك و أغننا عن مدّ الأيدي إلى سواك « إنّك على كلّ شيء قدير » . 10 فنسأل اللّه الواحد أن يوفّق البشريّة جمعاء ، و خصوصا المسلمين منهم ،

للاطّلاع على المعارف الالهيّة و لنشر الثورة الاسلاميّة في العالم كلّه تمهيدا لظهور بقيّة اللّه الأعظم الحجّة ابن الحسن العسكري ، روحي و أرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء .

----

(10) . نهج البلاغة ، الخطبة رقم 91 .

[19]

[21]

باب المختار من خطب امير المؤمنين عليه السلام و اوامره و يدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحضورة ، و المواقف المذكورة ، و الخطوب الواردة

1 و من خطبة له عليه السّلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء و الأرض ، و خلق آدم ،

و فيها ذكر الحج

و تحتوي على حمد اللّه ، و خلق العالم ، و خلق الملائكة ، و اختيار الأنبياء ، و مبعث النبي ، و القرآن ، و الأحكام الشرعية

الحمد للّه الّذي لا يبلغ مدحته القائلون ، و لا يحصي نعماءه العادّون ، و لا يؤدّي حقّه المجتهدون ، الّذي لا يدركه بعد الهمم ،

و لا يناله غوص الفطن ، الّذي ليس لصفته حدّ محدود ، و لا نعت موجود ، و لا وقت معدود ، و لا أجل ممدود . فطر (1) الخلائق بقدرته ،

و نشر الرّياح برحمته ، و وتّد (2) بالصّخور ميدان (3) أرضه .

[22]

أوّل الدّين معرفته ، و كمال معرفته التّصديق به ، و كمال التّصديق به توحيده ، و كمال توحيده الإخلاص له ، و كمال الإخلاص له نفي الصّفات عنه ، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف ، و شهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة : فمن

وصف اللّه سبحانه فقد قرنه ، و من قرنه فقد ثنّاه ، و من ثنّاه فقد جزّأه ، و من جزّأه فقد جهله ، و من جهله فقد أشار إليه ، و من أشار إليه فقد حدّه ، و من حدّه فقد عدّه ، و من قال « فيم » فقد ضمّنه ، و من قال « علام ؟ » فقد أخلى منه . كائن لا عن حدث (4) ، موجود لا عن عدم . مع كلّ شيء لا بمقارنة ، و غير كلّ شيء لا بمزايلة (5) ، فاعل لا بمعنى الحركات و الآلة ، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه ، متوحّد إذ لا سكن يستأنس به و لا يستوحش لفقده .

خلق العالم

أنسأ الخلق إنشاء ، و ابتدأه ، بلا رويّة أجالها (6) ، و لا تجربة استفادها ، و لا حركة أحدثها ، و لا همامة (7) نفس اضطرب فيها .

أحال الأشياء لأوقاتها ، و لأم (8) بين مختلفاتها ، و غرّز (9) غرائزها ، و ألزمها أشباحها ، عالما بها قبل ابتدائها ، محيطا بحدودها و انتهائها ، عارفا بقرائنها و أحنائها (10) .

[23]

بيان

الفقرة الأولى إقرار بالعجز عن الحمد باللسان كما أنّ الثانية اعتراف بالقصور عن الشكر بالجنان ، و الثالثة عن العمل بالأركان . و « الهمّة » القصد و الإرادة و « بعدها » علوّها و تعلّقها بالأمور العالية ، أي لا تدركه الهمم العالية المتعرّضة لصعاب الأمور الطائرة إلى إدراك عوالي الأمور . و « الفطن » بكسر الفاء و فتح الطاء جمع « فطنة » بالكسر ، الحذق و جودة استعداد الذهن لتصور ما يرد عليه ، أي لا يصل إلى كنه حقيقته الفطن الغائصة في بحار الأفكار .

قوله عليه السلام « الّذي ليس لصفته » أي لا يدخل في صفاته الحقيقيّة حدّ محدود من الحدود و النهايات الجسمانيّة ، و يحتمل أن يكون الصفة بمعنى التوصيف أي لا يمكن توصيفه بحدّ . و وصف الحدّ بالمحدود إمّا لأنّ كلّ حدّ من الحدود الجسمانيّة فله حدّ أيضا كالسطح ينتهي إلى الخطوط مثلا ، أو على المبالغة كقولهم : شعر شاعر .

و يمكن أن يقرأ على الإضافة و إن كان خلاف ما هو المضبوط ، و يمكن أن يكون المعنى : أنّه ليس لتوصيفه تعالى بصفات كماله حدّ ينتهي إليه بل محامده أكثر من أن تحصى . [1] و لا يوصف أيضا بنعت موجود أي بالصفات الزائدة ردّا على الأشعريّ ، و إنّما قيّد بقوله « موجود » إذ لا ضير في توصيفه بالصفات الاعتباريّة و الإضافيّة ، و يحتمل أن يكون المراد نعت موجود في المخلوقين ، أو يكون الموجود من الوجدان أي نعت يحيط به العقل . و احتمال الإضافة فيها و في قرينتيها باق مع بعده . و لا يمكن وصفه أيضا بالوقت و الأجل ،

و الفرق بينهما باعتبار الابتداء و الانتهاء أي ليس له وقت معدود من جهة الأزل و لا أجل مؤجّل ممدود من جهة الأبد .

و قال ابن أبي الحديد : يعني بصفته ههنا كنهه و حقيقته ، يقول : ليس لكنهه حدّ

[1] أو كان المعنى كما حكي عن أبي الحسن الكيدري بأن يؤوّل حد محدود على ما يؤوّل به كلام العرب : « و لا يرى الضبّ بها ينجحر » أي ليس بها ضبّ فينجحر ، حتّى يكون المراد أنّه ليس له صفة فتحدّ ، إذ هو تعالى واحد من كلّ وجه ، منزّه عن الكثرة بوجه ما ، فيمتنع أن يكون له صفة تزيد على ذاته كما في سائر الممكنات ، و صفاته المعلومة ليست من ذلك في شيء ، إنّما هي نسب و اضافات لا يوجب وصفه بها كثرة في ذاته ، قال : و ممّا يؤكّد هذا التأويل قوله بعد ذلك « فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه » .

[24]

فيعرف بذلك الحدّ قياسا على الأشياء المحدودة لأنّه ليس بمركّب و كلّ محدود مركّب .

ثمّ قال : « و لا نعت موجود » أي لا يدرك بالرسم كما يدرك الأشياء برسومها و هو أن يعرف بلازم من لوازمها وصفة من صفاتها . ثمّ قال : « و لا وقت معدود و لا أجل ممدود » ،

و فيه إشارة إلى الردّ على من قال : إنّا نعلم كنه الباري تعالى لا في هذه الدنيا بل في الآخرة .

و قال ابن ميثم : المراد أنّه ليس لمطلق ما يعتبره عقولنا له من الصفات السلبيّة و الإضافيّة نهاية معقولة تقف عندها فيكون حدّا له ، و ليس لمطلق ما يوصف به أيضا وصف موجود يجمعه فيكون نعتا له و منحصرا فيه . ثمّ قال : ليس لصفته حدّ أي ليس لها غاية بالنسبة إلى متعلّقاتها كالعلم بالنسبة إلى المعلومات ، و القدرة إلى المقدورات .

انتهى . و لا يخفى بعد تلك الوجوه .

و « الفطر » الابتداع ، و « الخلائق » جمع خليقة بمعنى المخلوق أو الطبيعة ، و الأوّل أظهر . « و نشر الرياح » [2] أي بسطها برحمته أي بسبب المطر أو الأعمّ ، و يؤيّد الأوّل قوله تعالى : « و هو الّذي يرسل الرّياح بشرا بين يدي رحمته » 1 . « و تّد بالصخور » يقال : « وتّد » أي ضرب الوتد في حائط أو غيره ، و « الصخور » الحجارة العظام . و « الميدان » بالتحريك ، الحركة بتمائل و هو الاسم من « ما ديميد ميدا » ، و هو من إضافه الصفة إلى موصوفها و التقدير : « وتّد بالصخور أرضه المائدة » ، و إنّما أسند إلى الصفة لأنّها العلّة في إيجاد الجبال كما قال تعالى : « و ألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم » 2 و قال : « و الجبال أوتادا » 3 ثمّ اعلم أنّهم اختلفوا في أنّه لم صارت الجبال سببا لسكون الأرض على أقوال :

[2] قال ابن ميثم : إنّ نشر الرياح و بسطها لما كان سببا عظيما من أسباب بقاء أنواع الحيوان و النبات و استعدادات الأمزجة للصحّة و النموّ و غيرها حتّى قال كثير من الأطبّاء : إنّها تستحيل روحا حيوانيّا ، و كانت عناية اللّه سبحانه و تعالى و عموم رحمته شاملة لهذا العالم و هي مستند كلّ موجود لا جرم كان نشرها برحمته ، و من أظهر آثار الرحمة الالهيّة بنشر الرياح حملها للسحاب المقرع بالماء و إثارتها له على وفق الحكمة لتصيب الأرض الميتة فينبت بها الزرع و يملأ الضرع .

----

(1) الأعراف : 57 .

----

(2) النحل : 14 .

----

(3) النبأ : 7 .

الأوّل : أنّ السفينة إذا القيت على وجه الماء فإنّها تميل فإذا وضعت فيها أجرام ثقيلة استقرّت ، و لعلّ غرضهم أنّ الأرض إذا لم تودّد بالجبال لأمكن أن تتحرّك بتموّج الهواء و نحوه حركة قسريّة .

الثاني : ما ذكره الفخر الرازيّ حيث قال : قد ثبت أنّ الأرض كرة و أنّ هذه الجبال بمنزلة خشونات و تضريسات [3] على وجه الكرة فلو فرضنا أنّ الأرض كانت كرة حقيقة لتحرّكت بالاستدارة بأدنى سبب لأنّ الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحرّكا على نفسه بأدنى سبب و إن لم تجب حركته بنفسه عقلا ، أمّا إذا حصل على سطحها هذه الجبال فكلّ واحد إنّما يتوجّه بطبعه إلى المركز فيكون بمنزلة الأوتاد ، و لا يخفى ما فيه من التشويش و الفساد .

الثالث : ما يخطر بالبال و هو أن يكون مدخليّة الجبال لعدم اضطراب الأرض بسبب اشتباكها و اتّصال بعضها ببعض في أعماق الأرض بحيث تمنعها عن تفتّت أجزائها و تفرّقها فهي بمنزلة الأوتاد المغروزة المثبتة في الأبواب المركّبة من قطع الخشب الكثيرة بحيث تصير سببا لا لتصاق بعضها ببعض و عدم تفرّقها ، و هذا معلوم ظاهر لمن حفر الإبار في الأرض فإنّها تنتهي عند المبالغة في حفرها إلى الأحجار الصلبة .

الرابع : ما أوّل بعضهم الآية به و هو أنّ المراد بالأوتاد الأنبياء و العلماء و بالأرض الدنيا فإنّهم سبب استقرار الدنيا ، و لا يخفى أنّه لو استقام هذا الوجه في الآية لا يجري في كلامه عليه السلام إلاّ بتكلّف لا يرتضيه عاقل .

الخامس : أن يقال : المراد بالأرض قطعاتها و بقاعها لا مجموع كرة الأرض و يكون الجبال أوتادا لها أنّها حافظة لها عن الميدان و الاضطراب بالزلزلة و نحوها ، إمّا لحركة البخارات المحتقنة في داخلها بإذن اللّه تعالى أو لغير ذلك من الأسباب الّتي يعلمها مبدعها و منشئها ، و يؤيّده ما سيأتي من خبر ذي القرنين ، و سيأتي تمام القول في ذلك في كتاب السماء و العالم ،

[3] « تضاريس الأرض » ما برز عليها كالأضراس .

[26]

قوله عليه السلام « و كمال معرفته التصديق به » الفرق بينهما إمّا بحمل المعرفة على الإذعان بثبوت صانع في الجملة ، و التصديق على الإذعان بكونه واجب الوجود أو مع سائر الصفات الكماليّة أو بحمل الأوّل عليا المعرفة الفطريّة و الثاني على الإذعان الحاصل بالدليل ، أو الأوّل على المعرفة الناقصة و الثاني على التامّة الّتي وصلت حدّ اليقين . و إنّما قال عليه السلام « و كمال التصديق به توحيده » لأنّ من لم يوحّده و أثبت له شريكا فقد حكم بما يستلزم إمكانه فلم يصدّق به بل بممكن غيره . [4] « فمن وصف اللّه أي بالصفات الزائدة فقد قرنه » أي جعل له شيئا يقارنه دائما . و من حكم بذلك فقد ثنّاه أي حكم باثنينيّة الواجب إذ القديم لا يكون ممكنا ، و من حكم بذلك فقد حكم بأنّه ذو أجزاء لتركّبه ممّا به الاشتراك و ما به الامتياز ، أو لأنّ

[4] قوله « و كمال توحيده الإخلاص له » أي و كمال توحيده جعله مختارا خالصا من الدنس و تنزيهه عن شوائب العجز و النقص و تقديسه عمّا يلحق الممكنات و يعرضها من التجسّم و التركّب و غيرهما من الصفات السلبيّة . و أمّا قوله « و كمال الإخلاص له نفي الصفات له » يحتمل أن يكون المراد به نفي المعاني و الأحوال .

قال ابن ميثم : « و كمال توحيده الإخلاص له » ففيها إشارة إلى أنّ التوحيد المطلق للمعارف إنّما يتمّ بالإخلاص له و هو الزهد الحقيقي الّذي هو عبارة عن تنحية كلّ ما سوى الحقّ الأوّل عن سنن الإيثار ، و بيان ذلك أنّه ثبت في علم السلوك أنّ العارف مادام يلتفت مع ملاحظة جلال اللّه و عظمته إلى شيء سواه فهو بعد واقف دون مقام الوصول ، جاعل مع اللّه غيرا ، حتّى أن أهل الإخلاص ليعدّون ذلك شركا خفيّا ، كما قال بعضهم :

من كان في قلبه مثقال خردلة
سوى جلالك فاعلم أنّه مرض

أقول : ما قلناه أظهر و أنسب و سياق الكلام يشهد بذلك . و قال في شرح قوله « نفي الصفات عنه » بعد احتماله ما ذكرنا : قلت : قد تقرّر في مباحث القوم بيان أنّ كلّ ما يوصف به [اللّه] تعالى من الصفات الحقيقيّة و السلبيّة و الإضافيّة اعتبارات تحدثها عقولنا عند مقايسة ذاته سبحانه إلى غيرها ، و لا يلزم تركيب في ذاته و لا كثرة ، فيكون وصفه تعالى بها أمرا معلوما من الدين ليعمّ التوحيد و التنزيه كلّ طبقة من النّاس ، و لمّا كانت عقول الخلق على مراتب من التفاوت كان الإخلاص الّذي ذكره [عليّ] عليه السلام أقصى ما تنتهي إليه القوى البشريّة عند غرقها في أنوار كبرياء اللّه ، و هو أنّ تعتبره فقط من غير ملاحظة شيء آخر ، و كان اثباته عليه السلام الصفة في موضع آخر وصفه في الكتاب العزيز و سنن النبوية إشارة إلى الاعتبارات الّتي ذكرناها ، إذ كان من هو دون درجة الإخلاص يمكن أن يعرف اللّه سبحانه بدونها . انتهى . و قال صدر المتألّهين في شرح قوله عليه السلام : ذلك أراد به نفي الصفات الّتي وجودها غير وجود الذات و إلاّ فذاته بذاته مصدّق لجميع النعوت الكماليّة و الأوصاف الإلهيّة من دون قيام أمر زائد بذاته تعالى فرض أنّه صفة كماليّة له ، فعلمه و قدرته و إرادته و حياته و سمعه و بصره كلّها موجودة بوجودة ذاته الأوّليّة ؟ ، مع أنّ مفهوماتها متغايرة و معانيها متخالفة ، فإنّ كمال الحقيقة الوجوديّة في جامعيّتها للمعاني الكثيرة الكماليّة مع وحدة الوجود .

[27]

التوصيف بالأوصاف الزائدة الموجودة المتغايرة لا يكون إلاّ بسبب الأجزاء المتغايرة المختلفة ، أو لأنّ إله العالم و مبدعه إمّا أن يكون ذاته تعالى فقط مع قطع النظر عن هذه الصفات أو ذاته معها ، و الأوّل باطل لأنّ الذات الخالية عنها لا تصلح للإلهيّة ، و كذا الثاني لأنّ واجب الوجود إذا يصير عبارة عن كثرة مجتمعة من أمور موجودة فكان مركّبا فكان ممكنا .

قوله عليه السلام « و من أشار إليه » أي بالإشارة الحسّيّة فقد حدّه بالحدود الجسمانيّة أو بالإشارة العقليّة فقد حدّه بالحدود العقلانيّة . « و من حدّه فقد عدّه » أي جعله ذا عدد و أجزاء ، و قيل : « عدّه من الممكنات » و لا يخفى بعده .

قوله عليه السلام « و لا يستوحش » كأنّ كلمة « لا » تأكيد للنفي السابق ،

أي و لا سكن يستوحش لفقده [8] أو زائدة كما في قوله تعالى : « ما منعك أن لا تسجد » 9 .

و يحتمل كون الجملة حاليّة .

قوله عليه السلام « و ألزمها أشباحها » الضمير المنصوب في قوله « ألزمها » إمّا راجع إلى الغرائز أو إلى الأشياء ، فعلى الأوّل المراد بالأشباح الأشخاص أي جعل الغرائز و الطبائع لازمة لها ، و على الثاني فالمراد بها إمّا الأشخاص أي ألزم الأشياء بعد كونها كلّيّة أشخاصها ، أو الأرواح إذ يطلق على عالمها في الأخبار عالم الأشباح ، و في بعض النسخ « أسناخها » أي اصولها . قوله عليه السلام « بقرائنها » أي بما يقترن بها . و « الأحناء » جمع حنو و هو الجانب و الناحية [10] ج : في خطبة أخرى له عليه السلام « أوّل عبادة اللّه معرفته ، و أصل معرفته توحيده ، و نظام توحيده نفي الصفات عنه ، جلّ أن تحلّه الصفات لشهادة العقول

[8] أراد [عليّ] عليه السلام أنّه تعالى متوحّد بذاته و منفرد بوحدانيّته ، لا أنّه انفرد عن مثل له ، إذ المتعارف من استعمال لفظة « متوحّد » اطلاقها على من كان له من يستأنس بقربه و يستوحش لبعده .

----

(9) الأعراف : 11 .

[10] و كلّ ما فيه اعوجاج من البدن كالضلع ، أو من غير البدن و هو كناية عمّا خفى ، أو من قولهم « أحناء الأمور » أي مشتبهاتها .

و « القرائن » ما يقترن به على وجه التركيب أو المجاورة أو العروض أو ما يصدر عنها من الأفعال . و قال ابن أبي الحديد : « القرائن » جمع « قرونة » و هي النفس .

[28]

القسم الثالث

ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء ، و شقّ الأرجاء ، و سكائك (11) الهواء ، فأجرى فيها ماء متلاطما تيّاره (12) ،

متراكما زخّاره (13) . حمله على متن الرّيح العاصفة ، و الزّعزع (14) القاصفة ، فأمرها بردّه ، و سلّطها على شدّه ، و قرنها إلى حدّه . الهواء من تحتها فتيق (15) ، و الماء من فوقها دفيق (16) . ثمّ أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبّها (17) ، و أدام مربّها (18) ، و أعصف مجراها ، و أبعد منشاها ، فأمرها بتصفيق (19) الماء الزّخّار ، و إثارة موج البحار ، فمخضته (20) مخض السّقاء ، و عصفت به عصفها بالفضاء . تردّ أوّله إلى آخره ،

و ساجيه (21) إلى مائره (22) ، حتّى عبّ عبابه ، و رمى بالزّبد ركامه (23) ،

----

(11) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 4 ، كتاب التوحيد ، ص 248 253 .

[29]

فرفعه في هواء منفتق ، وجوّ منفهق ، (24) ، فسوّى منه سبع سموات ، جعل سفلاهنّ موجا مكفوفا (25) ، و علياهنّ سقفا محفوظا ، و سمكا مرفوعا ،

بغير عمد يدعمها ، و لا دسار (26) ينظمها . ثمّ زيّنها بزينة الكواكب ،

و ضياء الثّواقب (27) ، و أجرى فيها سراجا مستطيرا (28) ، و قمرا منيرا :

في فلك دائر ، و سقف سائر ، و رقيم (29) مائر .

خلق الملائكة

ثمّ فتق ما بين السّموات العلا ، فملأهنّ أطوارا من ملائكته ،

منهم سجود لا يركعون ، و ركوع لا ينتصبون ، و صافّون (30) لا يتزايلون (31) ، و مسبّحون لا يسأمون ، لا يغشاهم نوم العيون ، و لا سهو العقول ، و لا فترة الأبدان ، و لا غفلة النّسيان . و منهم أمناء على وحيه ، و ألسنة إلى رسله ، و مختلفون بقضائه و أمره ، و منهم الحفظة لعباده ، و السّدنة (32) لأبواب جنانه . و منهم الثّابتة في الأرضين السّفلى أقدامهم ، و المارقة من السّماء العلياء أعناقهم ، و الخارجة من الأقطار أركانهم ، و المناسبة لقوائم العرش أكتافهم . ناكسة دونه أبصارهم ، متلفّعون (33) تحته بأجنحتهم ، مضروبة بينهم و بين من دونهم حجب العزّة ، و أستار القدرة . لا يتوهّمون ربّهم بالتّصوير ،

و لا يجرون عليه صفات المصنوعين ، و لا يحدّونه بالأماكن ، و لا

[30]

يشيرون إليه بالنّظائر .

ايضاح

قد مضى شرح أكثر فقرات هذه الخطبة في كتاب التوحيد و نشير هنا إلى بعض ما يناسب المقام :

« المدحة » بالكسر ، الحالة الّتي تكون المادح عليها في مدحه ، و الاضافة للاختصاص الخاصّ أي المدحة اللائقة بعزّة جلاله ، و لعلّ المراد عجز جميع القائلين و إن اجتمعوا . و « الاجتهاد » السعي البليغ في العبادة . و ظاهر قوله « و لا وقت معدود و لا أجل ممدود » نفي الزمان مطلقا عنه تعالى كالمكان و يمكن حملهما على الأزمنة المعدودة المتناهية ، و لعلّ الأوّل للماضي و الثاني للمستقبل . و « الفطر » الابتداء و الاختراع ، و أصله الشقّ . « و نشر الرياح » بسطها ، و كلّ ماجاء في القرآن بلفظ الرياح فهو للرحمة و ما ورد في العذاب فهو بلفظ المفرد ، و لعلّه إشارة إلى قلّة العذاب و سعة الرحمة ،

و يمكن أن يراد بالرحمة هذا المطر ، كما قال سبحانه : « و هو الّذي يرسل الرّياح بشرا بين يدي رحمته » 12 . و قرىء بالباء و النون ، و قيل : زعمت العرب أنّ السحاب لا تلقح إلاّ من رياح مختلفة ، فيمكن أن يكون المراد بالنشر ذلك . و قال الفرّاء : « النشر » من الرياح الطيّبة الليّنة الّتي تنشيء السحاب ، و التعميم أولى لأنّ رياح الرحمة كثيرة منها اللواقح و مهيّجة السحب الماطرة و الحابسة لها بين السماء و الأرض و العاصرة لها حتّى تمطر و المجرية للجواري في البحار و غيرها . و « وتد الشيء » بالتخفيف 13 ، أي جعله محكما مثبتا بالوتد . و « الصخور » جمع الصخرة ، و هي الحجر العظيم الصلب . و « الميدان » بالتحريك ، التحرّك و الاضطراب ، و قد مرّ تحقيق ذلك و سيأتي بعضه .

« و كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه » لعلّ مناسبة الاخلاص لنفي الصفات أنّ الإخلاص في العبادة بالنظر إلى عامّة الخلق هو أن لا يقصدوا في عبادتهم غيره تعالى من المخلوقين ، و بالنظر إلى الخواصّ أن يعرفوا اللّه بحسب و سعهم و طاقتهم بالوحدانيّة ثمّ يعبدونه 14 ، فمن عبد اللّه وحده بزعمه و زعم أنّ له صفات زائدة

----

(12) الأعراف : 57 .

----

(13) و التشديد .

----

(14) في بعض النسخ : ثمّ يعبدوه .

[31]

فلم يعبد إلها واحدا بل آلهة كثيرة ، بل لم يعبد اللّه أصلا كما مرّ في الخبر : « من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ، و من عبد الاسم و المعنى فقد أشرك ، و من عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته الّتي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه و نطق به لسانه في سرّ أمره و علانيّته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين حقّا » .

و قال ابن ميثم : المراد بالمعرفة التامّة الّتي هي غاية العارف في مراتب السلوك ، و أوّليّتها في العقل لكونها علّة غائيّة ، و بيّن الترتيب بان المعرفة تزاد بالعبادة و تلقّي الأوامر بالقبول ، فيستعدّ السالك أوّلا بسببها للتصديق بوجوده يقينا ثمّ لتوحيده ثمّ للإخلاص له ثمّ لنفي ما عداه عنه فيغرق في تيّار بحار العظمة ، و كلّ مرتبة كمال لما قبلها إلى أن تتمّ المعرفة المطلوبة له بحسب ما في وسعه ، و بكمال المعرفة يتمّ الدين و ينتهي السفر إلى اللّه تعالى . و ما ذكرنا أنسب كما لا يخفى .

« كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم » ظاهره الاختصاص به سبحانه و حدوث ما سواه ، و كذا قوله عليه السلام « متوحّد إذ لا سكن يستأنس به » يدلّ على حدوث العالم . و « الإنشاء » الخلق ، و الفرق بينه و بين الابتداء بأنّ الانشاء كالخلق أعمّ من الابتداء ، قال تعالى : « خلق الإنسان من صلصال » 15 . و « الابتداء » الخلق من غير سبق مادّة و مثال و إن لم يفهم هذا الفرق من اللغة لحسن التقابل حينئذ و إن أمكن التأكيد . و « همامة النفس » اهتمامها بالأمور و قصدها إليها . و « الاضطراب » الحركة ، و « الحركة في الهمامة » الانتقال من رأي إلى رأي أو من قصد أمر إلى قصد أمر آخر بحصول صورة ، و في بعض النسخ « و لا همّة نفس » بالكسر .

« أحال الأشياء لأوقاتها » في أكثر النسخ بالحاء المهملة إمّا من الإحالة بمعنى التحويل أي نقل كلاًّمنها إلى وقتها ، فاللام بمعنى إلى و التعليل كما قيل بعيد ، و إمّا من قولهم « حال في متن فرسه » أي وثب ، فعدّي بالهمزة أي أقرّ الأشياء في أوقاتها كمن أحال غيره على فرسه كما قيل و لا يخفى بعده ، و لعلّه بمعنى الحوالة المعروفة أظهر ، و في

----

(15) الرحمن : 14 .

[32]

بعض النسخ الصحيحة بالجيم كأنّه سبحانه حرّك الأشياء وردّ دها في العدم حتّى حضر وقتها ، و في الاحتجاج : « أجّل » بالجيم المشدّدة أي أخّر . « و لأم بين مختلفاتها » أي جعلها ملتئمة مؤتلفة كما ألّف بين العناصر المتخالفة في الطباع و بين النفوس و الأبدان .

« و غرّز غرائزها و ألزمها أسناخها » ، « الغريزة » الخلق و الطبيعة ، و « السنخ » بكسر السين و سكون النون ، الأصل ، و في بعض النسخ « أشباحها » جمع الشبح محرّكة أي أشخاصها ، و « تغريز الغرائز » إيجادها أو تخصيص كلّ بغريزة خاصّة لها 16 أو من « تغريز العود في الأرض ليثمر » على ما قيل ، و الضمير المنصوب في « ألزمها » راجع إلى « الأشياء » كالسوابق و المعنى 17 : جعلها بحيث لا يفارقها أصولها ، أو جعل الأشخاص لازمة للكلّيّات على النسخة الأخيرة ، أو راجع إلى « الغرائز » أي جعل كلّ ذي غريزة أو كلّ شخص بحيث لا تفارقه غريزته غالبا أو مطلقا .

« عالما بها قبل ابتدائها » العامل في « عالما » و ما بعدها إمّا « ألزم » أو الأفعال الثلاثة الأخيرة على الترتيب أو الأربعة ، أو العامل في الجميع قوله « أنشأ و ابتدء » بقرينة قوله « قبل ابتدائها » .

« محيطا حدودها و انتهائها » لعلّ المراد بالحدود الأطراف و التشخّصات 18 أو الحدود الذهنيّة ، و بالانتهاء الانتهاء اللازم للمحدود 19 أو انقطاع الوجود . « عارفا بقرائنها » أي ما يقترن بها على وجه التركيب أو المجاورة أو العروض . و « أحنائها » هي جمع « حنو » أي الجانب ، و « أحناء الوادي » معاطفه ، و يدلّ على جواز إطلاق العارف عليه سبحانه و منعه بعضهم . « ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء و شقّ الأرجاء و سكائك الهواء » ، « الفتق » بالفتح ، الشقّ و « الجوّ » ما بين السماء و الأرض و قيل :

الفضاء الواسع و « الأرجاء » جمع « الرجا » مقصورا ، و هي الناحية و « السكاك »

----

(16) في بعض النسخ : بها .

----

(17) في بعض النسخ : فالمعنى .

----

(18) في بعض النسخ : أو التشخّصات .

----

(19) في بعض النسخ : للحدود .

[33]

و السكاكة » بضمّهما ، الهواء الملاقي عنان السماء 20 .

و قال في النهاية : « السكاك و السكاكة » الجوّ ، و هو ما بين السماء و الأرض ، و منه حديث عليّ عليه السلام « شقّ الأرجاء و سكائك الهواء » . و « سكائك » جمع « سكاكة » كذؤابة و ذوائب . و « الهواء » بالمدّ ، ما بين السماء و الأرض ، و يقال : كلّ خال هواء ، و منه قوله تعالى : « و أفئدتهم هواء » 21 . و كلمة « ثمّ » هنا إمّا للترتيب الذكريّ و التدرّج في الكلام يكون لوجوه منها الانتقال من الإجمال إلى التفصيل ، و منها الاهتمام بتقديم المؤخّر أو المقارن لوجه آخر ، و يستعمل الفاء أيضا كذلك كما مرّ مرارا ، و إمّا بمعنى الواو المفيدة لمطلق الجمع كما قيل في قوله تعالى :

« ثمّ اهتدى » 22 . و على التقديرين لا ينافي كون الماء أوّل المخلوقات كما سيأتي ، و المراد بفتق الأجواء إيجاد الأجسام في الأمكنة الخالية بناء على وجود المكان بمعنى البعد و جواز الخلاء أو المراد بالجوّ البعد الموهوم ، أو أحد العناصر بناء على تقدّم خلق الهواء كما هو الظاهر ممّا سنورده من تفسير عليّ بن إبراهيم ، و هذا الكلام لا تصريح فيه بالصادر الأوّل و سيأتي الكلام فيه إن شاء الله . و قوله « و شقّ الأرجاء » كالتفسير لفتق الأجواء أو المراد بالأرجاء الأمكنة و الأفضية و بالأجواء عنصر الهواء . و قوله « و سكائك الهواء » بالنصب كما في كثير من النسخ معطوف على « فتق الأجواء » أي أنشأ سبحانه سكائك الهواء ، و الجرّ كما في بعض النسخ أظهر عطفا على الأجواء أي أنشأ فتق سكائك الهواء .

قال ابن ميثم : فإن قلت : إنّ الأجواء و الأرجاء و سكائك الهواء أمور عدميّة فكيف تصحّ نسبتها إلى الإنشاء عن القدرة ؟ قلت : إنّ هذه الأشياء عبارة عن الخلأ و الأحياز ، و الخلاف في أنّ الخلأ و الحيّز و المكان هل هي أمور وجوديّة أو عدميّة مشهور ،

فإن كانت وجوديّة كانت نسبتها إلى القدرة ظاهرة و يكون معنى فتقها و شقّها شقّ العدم عنها ، و إن كانت عدميّة كان معنى فتقها و شقّها و نسبتها إلى القدرة تقديرها

----

(20) « عنان السماء » بالفتح ، ما ارتفع منها أو مابدا للناظر .

----

(21) ابراهيم : 43 .

----

(22) طه : 82 .

[34]

و جعلها أحيازا للماء و مقرّا لها لأنّه لمّا كان تميّزها عن مطلق الهواء و الخلأ بإيجاد الله فيها الماء صار تعيّنها بسبب قدرته تعالى فتصحّ نسبتها إلى إنشائه ، فكان سبحانه شقّها و فتقها بحصول الجسم فيها .

و روي أنّ زرارة و هشاما اختلفا في الهواء أ هو مخلوق أم لا ، فرفع بعض موالي جعفر بن محمّد عليهما السلام إليه ذلك فقال له : إنّي متحيّر و أرى أصحابنا يختلفون فيه . فقال عليه السلام : « ليس هذا بخلاف يؤدّي إلى الكفر و الضلال » . و اعلم أنّه عليه السلام إنّما أعرض عن بيان ذلك لأنّ أولياء اللّه الموكّلين بإيضاح سبله و تثبيت خلقه على صراطه المستقيم لا يلتفتون بالذات إلاّ إلى أحد أمرين : أحدهما ما يؤدّي إلى الهدى إدّاء ظاهرا واضحا . و الثاني ما يصرف عن الضلال و يردّ إلى سواء السبيل . و بيان أنّ الهواء مخلوق أو غير مخلوق لا يفيد كثير فائدة في أمر المعاد فلا يكون الجهل به ممّا يضرّ في ذلك ، فكان تركه 23 و الاشتغال بما هو أعمّ منه أولى . [انتهى كلام ابن ميثم رحمه اللّه] . 24 « فأجرى فيها ماء متلاطما تيّاره متراكما زخّاره » ، « اللطم » في الأصل ،

الضرب على الوجه بباطن الراحة ، و « تلاطمت الأمواج » ضرب بعضها بعضا كأنّه يلطمه ، و « التيّار » موج البحر و لجّته ، و « تراكم الشيء » اجتمع ، و « زخر البحر » مدّ و كثر ماؤه و ارتفعت أمواجه ، أي إنّه سبحانه خلق الماء المتلاطم الزخّار في الأمواج و خلاّه و طبعه أوّلا فجرى في الهواء ثمّ أمر الريح بردّه و شدّه كما يدلّ عليه قوله عليه السلام بعد ذلك « حتّى تظهر قدرته » .

« حمله على متن الريح العاصفة و الزعزع القاصفة » ، « المتن من كلّ شيء » ما ظهر منه ، و « المتن من الأرض » ما ارتفع منه و صلب ، و « عصفت الريح » اشتدّ هبوبها ،

و « الزعزعة » تحريك الشيء ليقلعه و يزيله ، و « ريح زعزع و زعازع » أي يزعزع الأشياء ،

و « قصفه كضربه قصفا » كسره ، و « قصف الرعد و غيره » اشتدّ صوته أي جعل

----

(23) في (خ) : ترك بيانه .

----

(24) شرح النهج لابن ميثم ، ج 1 ، ص 140 141 .

الريح حال قصفها 25 حاملة له فكان متحرّكا بحركتها ، أو جعل الريح الّتي من شأنها العصف و القصف . و هذه الريح غير الهواء المذكور أوّلا كما سيأتي في قول الصادق عليه السلام في جواب الزنديق « الريح على الهواء تمسكه القدرة » ، فيمكن أن تكون مقدّمة في الخلق عليه أو متأخّرة عنه أو مقارنة له ، و يمكن أن يكون المراد بها ما تحرّك منه كما هو المشهور . [26] « فأمرها بردّه و سلّطها على شدّه و قرنها إلى حدّه » أي أمر الريح أن تحفظ الماء و تردّه بالمنع عن الجري الّذي سبقت الإشارة إليه بقوله « فأجرى فيها ماء » فكان قبل الردّ قد خلّي و طبعه أي عن الجري الّذي يقتضيه طبعه و قوّاها على ضبطه كالشيء المشدود و جعلها مقرونة إلى انتهائه محيطة به . و لعلّ المراد بالأمر هنا الأمر التكوينيّ كما في قوله [تعالى] : « كن فيكون » 27 و قوله [تعالى] : « كونوا قردة » . 28 قال الكيدريّ : قوله « فأمرها » مجاز لأنّ الحكيم لا يأمر الجمادبه .

« الهواء من تحتها فتيق و الماء من فوقها دفيق » أي الهواء الّذي هو محلّ الريح مفتوق أي مفتوح منبسط من تحت الريح الحاملة للماء ، و « الماء دفيق من فوقها » أي [مصبوب] مندفق ، و الغرض أنّه سبحانه بقدرته ضبط الماء المصبوب بالريح الحاملة له كما ضبط الريح بالهواء المنبسط و هو موضع العجب .

« ثمّ أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبّها و أدام مربّها » الظاهر أنّ هذه الريح غير ما جعلها اللّه محلاّ للماء بل هي مخلوقة من الماء كما سيأتي في الرواية ، و « الاعتقام » أن تحفر البئر فإذا قربت من الماء احتفرت بئرا صغيرا بقدر ما تجد طعم الماء ، فإن كان عذبا حفرت بقيّتها و يكون « اعتقم » بمعنى صار عقيما ، و منه : « الريح العقيم » و في العين : « الاعتقام » الدخول في الأمر . و قال ابن ميثم تبعا للكيدريّ : « الاعتقام » الشدّ و العقد . 29 و لم نجده في كتب اللغة . و « المهبّ » مصدر بمعنى الهبوب أو اسم مكان ، و على

----

(25) في بعض النسخ : عصفها .

[26] و حينئذ فالمراد بكونها على الهواء عروضها له .

----

(27) يس : 81 .

----

(28) البقرة : 65 .

----

(29) شرح النهج لابن ميثم ، ج 1 ، ص 133 .

[36]

الأوّل في الاسناد توسّع ، و « ربّ » يأتي بمعنى جمع و زاد و لزم و أقام ، قيل : المعنى أنّ اللّه تعالى أرسلها بمقدار مخصوص تقتضيه الحكمة و لم يرسلها مطلقا بل جعل مهبّها ضيّقا كما يحتفر البئر الصغير في الكبير ، و قيل : المعنى جعلها عقيمة لا تلقح و هذا إنّما يصحّ لو كان الاعتقام بهذا المعنى متعدّيا ، أو كان مهبّها موفوعا و في النسخ منصوب ، و قيل :

و روي « أقم » فيصحّ ، و يحتمل أن يكون بمعنى شدّ مهبّها و عقده على ما تقتضيه الحكمة و المصلحة ، و قيل : على تقدير كون « اعتقم » بالتاء ، المراد أنّه أخلى مهبّها من العوائق و أنّه أرسلها بحيث لا يعرف مهبّها من مربّها . و هو كما ترى و معنى إدامة مربّها جعلها ملازمة لتحريك الماء و إدامة هبوبها ، و في بعض النسخ « مدبّها » بالدال ، أي جريها .

و « أعصف مجراها » أي جريانها ، أو أسند إلى المحلّ مجازا . « و أبعد منشاها » أي أنشاها من مبدأ بعيد ، و لعلّه أدخل في شدّتها و « المنشا » في بعض النسخ بالهمزة على الأصل و في بعضها بالألف للازدواج . « فأمرها بتصفيق الماء الزخّار » ، « الصفق » الضرب الّذي يسمع له صوت ، و « التصفيق » أيضا كذلك لكن مع شدّة . « و إثارة موج البحار » أي تهييجه . « فمخضته مخض السقاء » ، « المخض » تحريك السقاء الّذي فيه اللبن ليخرج زبده . « عصفها بالفضاء » أي عصفا شديدا لأنّ العصف بالفضاء يكون أشدّ لعدم المانع . و « الساجي » الساكن . و « المائر » المتحرّك ، يقال : « مار الشيء مورا » أي تحرّك و جاء و ذهب ، و به فسّر قوله تعالى : « يوم تمور السّماء مورا » 30 .

و قال الضحّاك : أي تموج موجا ، و « العباب » بالضمّ ، معظم الماء و كثرته و ارتفاعه ،

و « عبّ عبابه » أي ارتفع ، و « عبّ النبت » إذا طال . و « ركام الماء » بالضمّ ، ما تراكم منه و اجتمع بعضه فوق بعض .

« فرفعه في هواء منفتق » أي رفع اللّه ذلك الزبد بأن جعل بعضه دخانا في هواء مفتوق مفتوح بخلق ما خلق سابقا ، أو برفع ذلك الدخان . « و في جوّ منفهق » ،

و « الانفهاق » الاتّساع و الانفتاح .

قال ابن ميثم : إنّ القرآن الكريم نطق بأنّ السماء تكوّنت من الدخان ، و

----

(30) الطور : 9 .

[37]

كلامه عليه السلام ناطق بأنّها تكوّنت من الزبد ، و ما ورد في الخبر أنّ ذلك الزبد هو الّذي تكوّنت منه الأرض ، فلابدّ من بيان وجه الجمع بين هذه الإشارات ، فنقول :

وجه الجمع بين كلامه عليه السلام و بين لفظ القرآن الكريم ما ذكره الباقر عليه السلام و هو قوله : « فخرج من ذلك الموج و الزبد دخان ساطع من وسطه و من غير نار » فخلق منه السماء . و لا شكّ أنّ القرآن الكريم لا يريد بلفظ الدخان حقيقته لأنّ ذلك إنّما يكون عن النار ، و اتّفق المفسّرون على أنّ هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفسّ الماء و تبخيره بسبب تموّجه فهو إذا استعارة للبخار الصاعد من الماء ، و إذا كان كذلك فنقول : إنّ كلامه عليه السلام مطابق للفظ القرآن الكريم و ذلك أنّ الزبد بخار يتصاعد على وجه الماء عن حرارة حركته إلاّ أنّه ما دامت الكثافة غالبة عليه و هو باق على وجه الماء لم ينفصل فإنّه يخصّ باسم الزبد و ما لطف و غلب عليه الأجزاء الهوائيّة فانفصل خصّ باسم البخار و إذا كان الزبد بخارا و البخار هو المراد بالدخان في القرآن الكريم كان مقصده و مقصد القرآن واحدا ، فكان البخار المنفصل هو الّذي تكوّنت عنه الأرض و هو الزبد ، و أمّا وجه المشابهة بين الدخان و البخار الّذي صحّت لأجله استعارة لفظه له فهو أمران : أحدهما حسّيّ و هو الصورة المشاهدة من الدخان و البخار حتّى لا يكاد يفرق بينهما في الحسّ البصريّ ، و الثاني معنويّ و هو كون البخار أجزاء مائيّة خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة الحركة كما أنّ الدخان كذلك و لكن عن حرارة النار ، فإنّ الدخان أيضا أجزاء مائيّة انفصلت عن جرم المحترق بسبب لطافتها عن حرّ النار فكان الاختلاف بينهما ليس إلاّ بالسبب ، فلذلك صحّ استعارة اسم أحدهما للآخر [و باللّه التوفيق] . [انتهى كلام ابن ميثم رحمه اللّه] . 31 « جعل سفلا هنّ موجا مكفوفا و عليا هنّ سقفا محفوظا و سمكا مرفوعا » ،

« الكفّ » المنع ، و « السقف » معروف ، و قال الجوهريّ و غيره : « السقف » اسم للسماء . و المعروف ههنا أنسب ، و « سمك البيت » سقفه ، و « سمك اللّه السماء سمكا » رفعها ، و « المسموكات » السماوات ، أي جعل السماء السفلى موجا ممنوعا من

----

(31) شرح النهج لابن ميثم ، ج 1 ، ص 141 142

السيلان إمّا بإمساكه بقدرته أو بأن خلق تحته و حوله جسما جامدا يمنعه عن الانتشار و السيلان ، أو بأن أجمدها بعد ما كانت سيّالة . و ظاهر هذا الكلام و غيره من الأخبار اختصاص الحكم بالسماء الدنيا .

قال الكيدريّ رحمه اللّه : شبّه السماء الدنيا بالموج لصفائها و ارتفاعها ، أو أراد أنّها كانت في الأوّل موجا ثمّ عقدها ، و « المكفوف » الممنوع من السقوط .

و قال ابن ميثم : شبّهها بالموج في الارتفاع و اللون الموهوم ، و قيل : شبّهت به لارتعاد الكواكب حسّا ، و لعلّ المراد بحفظ العليا إمساكها عن النقص و الهدم و السقوط و الخرق إلاّ بأمره سبحانه .

و قال أكثر الشارحين : أي عن الشياطين و هو لا يناسب العليا بل السفلى ، و يناسب أن يكون المراد بقوله تعالى : « و جعلنا السّماء سقفا محفوظا » 32 السماء العليا ، و يخطر بالبال وجه آخر و هو أن يكون المراد أنّه تعالى جعل الجهة السفلى من كلّ من السماوات موّاجة متحرّكة واقعا أو في النظر ، و الجهة العليا منها سقفا محفوظا تستقرّ عليه الملائكة و لا يمكن للشياطين خرقها ، فيكون ضمير « زيّنها » و سائر الضمائر راجعة إلى المجموع ، فيناسب الآية المتقدّمة و هو قوله سبحانه : « و حفظا من كلّ شيطان مارد » 33 . و قد يمرّ بالخاطر وجه آخر يناسب قواعد الهيئة و هو أنّه عليه السلام شبّه السماء الدنيا بالموج المكفوف لكون الحركة الخاصّة للقمر أسرع من جميع الكواكب ، فكأنّه دائما في الموج و مع ذلك لا تسقط ، و وصف العليا بالمحفوظيّة لأنّه أبطأها بالحركة الخاصّة فكأنّها محفوظة ثابتة ، و على الطريقة السابقة يمكن أن يكون المراد بالسفلى من كلّ منها خوارج مراكزها و تداويرها و بالعليا منها ممثلاتها ، فالأوّل موّاجة لسرعة حركتها و البواقي محفوظة لبطؤها . لكن هذان الوجهان بعيدان عن لسان الشرع و مقاصد أهله ، و الوجه الأوّل مما أبدعنا لا يخلو من قوّة و لطافة .

« بغير عمد يدعمها و لا دسار ينظمها » ، « العمد » بالتحريك ، جمع كثرة

----

(32) الأنبياء : 32 .

----

(33) الصّافّات : 7 .

[39]

لعمود البيت و كذا « العمد » بضمّتين و جمع القلّة « أعمدة » و قال الخليل في العين :

« العمد » بضمّتين ، جمع « عماد » و « الأعمدة » جمع « عمود » من حديد أو خشب . و يظهر من تذكير الفعل أنّه من أسماء الجمع . و « الدعم » بالفتح ، أن يميل الشيء فتدعمه بدعام كما تدعم عروش الكرم و نحوه ليصير له مساكا ، و « الدعامة » الخشبة الّتي يدعم بها ، و في أكثر النسخ على بناء المجرّد مفتوحة العين و هو أظهر ، و في بعضها « يدّعمها » بتشديد الدال على بناء الافتعال من الادّعام بمعنى الاتّكاء . و « الدسار » بالكسر ،

المسمار و جمعه « دسر » ، و « نظم اللؤلؤ » جمعه في السلك ، و في بعض النسخ « ينتظمها » و هو أيضا جاء متعدّيا ، و الضميران المنصوبان راجعان إلى السماوات أو إلى العليا أو إلى السفلى بقرينة قوله « ثمّ زيّنها بزينة الكواكب » حيث إنّ الظاهر إرجاع الضمير فيه إلى السفلى ليكون أوفق بقوله تعالى : « إنّا زيّنّا السّماء الدّنيا بزينة الكواكب » 34 ،

لكنّه بعيد لفظا . و إرجاع الضمير إلى الجميع أظهر و تزيين البعض تزيين للجميع ، و هذا ممّا يقرّب الوجه الّذي ذكرنا أوّلا . و « الزينة » إمّا مصدر أو اسم ما 35 يزان به كالليقة لما يلاق به أي يصلح به المداد .

قال في الكشّاف : قوله تعالى : « بزينة الكواكب » يحتملهما ، فعلى الأوّل إمّا من إضافة المصدر إلى الفاعل بأن تكون الكواكب مزيّنة للأفلاك ، أو إلى المفعول بأن زيّن اللّه الكواكب و حسّنها لأنّها إنّما زيّنت السماء لحسنها في أنفسها ، و على الثاني فإضافتها إلى الكواكب بيانيّة . [انتهى كلام الزمخشري] . و تنوين الزينة كما قرئت الآية به ليس موجودا في النسخ . و زينة الكواكب للسماء إمّا لضوئها أو للإشكال الحاصلة منها كالثريّا و الجوزاء و نحوهما أو باختلاف أوضاعها بحركتها أو لرؤية الناس إيّاها مضيئة في الليلة الظلماء أو للجميع . و قوله تعالى : « بمصابيح » 36 في موضع آخر ممّا يؤيّد بعض الوجوه ، و سيأتي القول في محالّ الكواكب في محلّه .

« و ضياء الثواقب » المراد بها إمّا الكواكب ، فيكون كالتفسير لزينة الكواكب و

----

(34) الصّافّات : 6 .

----

(35) في بعض النسخ : لما يزان .

----

(36) فصّلت : 12 و الملك : 5 .

[40]

الكواكب ثواقب أي مضيئة كأنّها تثقب الظلمة بضوئها ، أو الشهب الّتي ترمى بها الشياطين فتثقب الهواء بحركتها و الظلمة بنورها . « فأجرى فيها سراجا مستطيرا و قمرا منيرا » و في بعض النسخ « و أجرى » بالواو ، و المراد بالسراج الشمس ، كما قال تعالى : « سراجا و قمرا منيرا » 37 . و قيل : لمّا كان الليل عبارة عن ظلّ الأرض و كانت الشمس سببا لزواله كان شبيها بالسراج في ارتفاع الظلمة به . و « المستطير » المنتشر الضوء ، و « استطار » تفرّق و سطح . و « أنار الشيء و استنار » أي أضاء . و قيل : ما بالذات من النور ضوء ، و ما بالعرض نور . كما قال سبحانه : « هو الّذي جعل الشّمس ضياء و القمر نورا » . 38 و قيل : لأنّ النور أضعف من الضوء ، و الاحتمالات في الضمائر السابقة جارية هنا و إن كان الأظهر عنه الأكثر رجوعه إلى السفلى .

« في فلك دائر » الظرف إمّا بدل عن « فيها » فيفيد حركة السفلى أو العليا أو الجميع على تقادير إرجاع الضمير بالحركة اليوميّة أو الخاصّة أو الأعمّ ، و إمّا في موضع حال عن المنصوبين ، فيمكن أن يكون المراد بالفلك الدائر الأفلاك الجزئيّة .

و « الفلك » بالتحريك ، كلّ شيء دائر ، و منه « فلكة المغزل » بالتسكين و يقال : « فلّك ثدي المرأة تفليكا » إذا استدار .

« و سقف سائر و رقيم مائر » ، « الرقيم » في الأصل ، الكتاب ، فعيل بمعنى مفعول ، قال ابن الأثير : منه حديث عليّ رضي اللّه عنه في صفة السماء « سقف سائر و رقيم مائر » يريد به وشي السماء بالنجوم . و « المائر » المتحرّك ، و ليس هذا بالمور الّذي قال اللّه تعالى : « يوم تمور السّماء مورا » . 39 و هاتان الفقرتان أيضا تدلّان على حركة السماء لكن لا تنافي حركة الكواكب بنفسها أيضا كما هو ظاهر الآية .

« ثمّ فتق ما بين السماوات العلى فملأ هنّ أطوارا من ملائكته » الظاهر أنّ كلمة « ثمّ » للترتيب المعنويّ ، فيكون فتق السماوات بعد خلق الشمس و القمر بل بعد جعلها سبعا و خلق الكواكب فيه ، و يحتمل أن يكون للترتيب الذكريّ و الظاهر أنّ المراد بفتقها فصل بعضها عن بعض فيؤيّد بعض محتملات الآية كما أشرنا إليه سابقا . و يدلّ

----

(37) الفرقان : 61 .

----

(38) يونس : 5 .

----

(39) الطور : 9 .

[41]

على بطلان ما ذهبت الفلاسفة 40 إليه من تماسّ الأفلاك و عدم الفصل بينها بهواء و نحوه . و « الأطوار » جمع « طور » بالفتح ، و هو في الأصل التارة ، قال اللّه تعالى :

« و قد خلقكم أطوارا » 41 . قيل : أي طورا نطفة و طورا علقة و طورا مضغة . و قيل : أي حالا بعد حال . و قيل : أي خلقكم مختلفين في الصفات : أغنياء و فقراء ، و زمنى [42] و أصحّاء . و لعلّ الأخير هنا أنسب . و لو كانت الملائكة مخلوقة قبل السماوات كما هو ظاهر بعض الأخبار الآتية فقبل فتقها كانوا في مكان آخر يعلمه اللّه . [43] « منهم سجود لا يركعون ، و ركوع لا ينتصبون ، و صافّون لا يتزايلون و مسبّحون لا يسأمون » السجود و الركوع هنا جمع « ساجد » و « راكع » و فاعل الصفة يجمع على فعول إذا جاء مصدره عليه أيضا . و « الانتصاب » القيام . و « الصفّ » ترتيب الجمع على خطّ كالصفّ في الصلوة و الحرب . و قال أبو عبيدة : كلّ شيء بين السماء و الأرض لم يضمّ قطريه فهو صافّ ، و منه قوله تعالى : « و الطّير صافّات » 44 أي نشرت أجنحتها ، و بالوجهين فسّر قوله تعالى : « و الصّافّات صفّا » 45 . و « التزايل » التباين و التفارق . و « السأمة » الملالة و الضجر .

« لا يغشاهم نوم العيون ، و لا سهو العقول ، و لا فترة الأبدان و لا غفلة النسيان » ،

« غشيه كعلمه » إذا جاءه أي لا يعرضهم . و « الفترة » الانكسار و الضعف ، و ظاهر الكلام اختصاص الأوصاف بهذا الصنف ، و يمكن أن يكون التخصيص بها جميعا أو ببعضها لأمر آخر غير الاختصاص . « و منهم أمناء على وحيه » الوحي في الأصل أن يلقي الإنسان إلى صاحبه شيئا بالاستتار و الاخفاء ، و يكون بمعنى الكتابة و الإشارة و الرسالة . « و ألسنة إلى رسله » أي رسلا إليهم ، كما قال تعالى : « اللّه يصطفي من

----

(40) يعني الفلكيّين .

----

(41) نوح : 14 .

[42] « الزمنى » وزان مرضى جمع « الزمين » و هو المبتلى بالزمانة و هي آفة تتعطّل بها القوى .

[43] هذا على فرض وجود مكان غير السماوات و الأرض ، و أمّا على فرض عدمه كما لا يبعد استظهاره من الآيات و الروايات فلا محيص عن الالتزام بتجرّد الملائكة .

----

(44) النور : 41 .

----

(45) الصّافّات : 1 .

[42]

الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً » 46 . « و مختلفون بقضائه » أي 47 مقتضياته كما يأتون به في ليلة القدر و غيرها . « و أمره » أي أحكامه أو الأمور المقدّرة ، كما قال تعالى : بِأذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ 48 . فالأحكام داخلة في السابقتين ، و يمكن تخصيص الأخير بغير الوحي أي يختلفون لتمشية قضائه و أمره 49 و تسبيب أسبابها .

« و منهم الحفظة لعباده » لعلّ المراد غير الحافظين عليهم الّذين ذكرهم اللّه في قوله وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ 50 ، بل من ذكرهم بقوله سبحانه :

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَسْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خِلْفِهِ يَحْفُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ 51 . و يمكن أن يكون المراد في كلامه الكاتبين للأعمال بتقدير مضاف ، و ربما يفهم من بعض الأخبار اتّحاد الصنفين . و « السدنة لأبواب الجنان » هم المتولّون لأمور الجنان و فتح أبوابها و إغلاقها .

و أصل السدانة في الكعبة و بيت الأصنام .

« و منهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم » و في بعض النسخ « في الأرض أقدامهم » و هو أظهر . و الجمع على الأوّل إمّا باعتبار القطعات و البقاع ، أو لأنّ كلاّ من الأرضين السبع موضع قدم بعضهم ، و الوصف على الأوّل بالقياس على 52 سائر الطبقات ، و على الثاني بالقياس إلى السماء . « و المارقة » أي الخارجة ، يقال : « مرق السهم من الرمية » إذا خرج من الجانب الآخر . « من السماء العليا » أي السابعة .

« و الخارجة من الأقطار » أي من جوانب الأرض أو جوانب السماء « أركانهم » أي جوارحهم . فهذا بيان لضخامتهم و عرضهم . « و المناسبة لقوائم العرش أكتافهم » لعلّ المراد بالمناسبة القرب و الشباهة في العظم ، و يمكن أن يراد بها التماسّ ، فالمراد بهم حملة العرش . « ناكسة دونه » أي دون العرش « أبصارهم » ، و « الناكس » المطأطيء رأسه ،

و في إسناده إلى الأبصار دلالة على عدم التفاتهم في النكس يمينا و شمالا . « متلفّعون تحته بأجنحتهم » ، « اللفاع » ثوب يجلّل به الجسد كلّه كساء كان أو غيره و « تلفّع بالثوب »

----

(46) الحج : 75 .

----

(47) في بعض النسخ : و مقتضياته .

----

(48) القدر : 4 .

----

(49) في بعض النسخ : قضاء و أمر .

----

(50) الانفطار : 10 11 .

----

(51) الرعد : 11 .

----
(52) في (خ) : إلى .

إذا اشتمل به . « و بين من دونهم » أي سائر الملائكة أو البشر أو الجنّ أو الأعمّ ، و في بعض النسخ « ناكسة » و « مضروبة » و « متلفّعين » بنصب الجميع .

« لا يتوهّمون ربّهم بالتصوير » أي بأن يثبتوا للّه صورة ، و الغرض تقديس الملائكة عن إثباتهم لوازم الجسميّة و الإمكان له سبحانه و التعريض و التوبيخ للمشبّهين من البشر . و « النظائر » جمع « نظيرة » و هي المثل و الشبه في الإشكال و الأخلاق و الأفعال ، و « النظير » المثل في كلّ شيء ، و في بعض النسخ « بالنواظر » أي بالأبصار أي لا يجوّزون عليه الرؤية ، و في بعضها « بالمواطن » « أي الأمكنة . 53 .

صفة خلق آدم عليه السلام

ثمّ جمع سبحانه من حزن (34) الأرض و سهلها ، و عذبها و سبخها (35) ،

تربة سنّها (36) بالماء حتّى خلصت ، و لاطها (37) بالبلّة (38) حتّى لزبت (39) ، فجبل منها صورة ذات أحناء (40) و وصول ، و أعضاء و فصول : أجمدها حتّى استمسكت ، و أصلدها (41) حتّى صلصلت (42) ،

لوقت معدود ، و أمد معلوم ، ثمّ نفخ فيها من روحه فمثلت (43) إنسانا ذا أذهان يجيلها ، و فكر يتصرّف بها ، و جوارح يختدمها (44) ،

و أدوات يقلّبها ، و معرفة يفرق بها بين الحقّ و الباطل ، و الأذواق ، و المشامّ ،

و الألوان و الأجناس ، معجونا بطينة الألوان المختلفة ، و الأشباه المؤتلفة ، و الأضداد المتعادية ، و الأخلاط المتباينة ، من الحرّ 53 بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 57 ، كتاب السماء و العالم ، ص 178 192 .

و البرد ، و البلّة و الجمود ، و استأدى (45) اللّه سبحانه الملائكة و ديعته لديهم ، و عهد وصيّته إليهم ، في الإذعان بالسّجود له ، و الخنوع لتكرمته ، فقال سبحانه : « اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس » اعترته الحميّة ، و غلبت عليه الشّقوة ، و تعزّز بخلقة النّار ، و استوهن خلق الصّلصال ، فأعطاه اللّه النّظرة استحقاقا للسّخطة ، و استتماما للبليّة ،

و إنجازا للعدة ، فقال : « إنّك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم » .

ثمّ أسكن سبحانه آدم دارا أرغد فيها عيشه ، و آمن فيها محلّته ،

و حذّره إبليس و عداوته ، فاغترّه (46) عدوّه نفاسة عليه بدار المقام ،

و مرافقة الأبرار ، فباع اليقين بشكّه ، و العزيمة بوهنه ، و استبدل بالجذل (47) و جلا (48) ، و بالاغترار ندما . ثمّ بسط اللّه سبحانه له في توبته ، و لقّاه كلمة رحمته ، و وعده المردّ إلى جنّته ، و أهبطه إلى دار البليّة ، و تناسل الذرّيّة .

بيان

« الحزن » بالفتح ، المكان الغليظ الخشن . و « السهل » ضدّه . و « سنّ الماء » صبّه من غير تفريق . و « خلصت » أي صارت طينة خالصة ، و في بعض النسخ « خلضت » بالخاء المعجمة و الضاد المعجمة المكسورة أي ابتلّت . « و لاطها بالبلّة » أي جعلها ملتصقا بعضها ببعض بسبب البلّة . و « لزبت » بالفتح أي لصقت كما قال تعالى : إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لاَزِبٍ 54 . و « جبل » بالفتح أي خلق . و « الأحناء »

----

(54) الصّافّات : 11 .

[45]

الأطراف جمع « حنو » بالكسر . 55 و « الوصول » هي الفصول ، و الاعتبار مختلف . و « أجمدها » أي جعلها جامدة . و « أصلدها » أي صيّرها صلبة . و « صلصلت » أي صارت صلصالا . و اللام في قوله عليه السلام « لوقت » إمّا متعلّق بجبل أي خلقها لوقت نفخ الصور أو ليوم القيامة أو بمحذوف أي كائنة لوقت فينفخ حينئذ روحه فيه ، و يحتمل أن يكون الوقت مدّة الحياة و الأجل منتهاها أو يوم القيامة . و « مثلت » بضمّ الثاء و فتحها ، أي قامت منتصبا . و « إنسانا » منصوب بالحاليّة . و « يختدمها » أي يستخدمها .

و قوله عليه السلام « معجونا » صفة لقوله « إنسانا » أو حال عنه . و « طينة الإنسان » خلقته و جبلّته . و لعلّ المراد بالألوان الأنواع . و « استأدى و ديعته » أي طلب أداءها .

و « الخنوع » الذلّ و الخضوع .

و المراد بقوله عليه السلام « و قبيله » إمّا ذرّيتّه بأن يكون له في السماء نسل و ذرّيّة و هو خلاف ظواهر الآثار ، أو طائفة خلقها اللّه في السماء غير الملائكة ، أو يكون الإسناد إلى القبيل مجازيّا لرضاهم بعد ذلك بفعله . و « اعترتهم » أي غشيتهم .

و « الشقوة » بالكسر ، نقيض السعادة . و « التعزّز » التكبّر . و « النظرة » بكسر الظاء ،

التأخير و الإمهال . و « البليّة » الابتلاء . و « إنجاز عدته » إعطاؤه ما وعده من الثواب على عبادته ، و قيل : قد وعده اللّه الإبقاء . و « أرغد عيشته » أي جعلها رغدا و « الرغد من العيش » الواسع الطيّب . و « المحلّة » مصدر قولك : « حلّ بالمكان » و الإسناد مجازيّ . و « اغترّه » أي طلب غفلته و أتاه على غرّة و غفلة منه . و « نفست عليه الشيء و بالشيء بالكسر ، نفاسة » إذا لم تره له أهلا . و « نفست به » بالكسر أيضا ، أي بخلت به . و « المقام » بالضمّ ، الإقامة . و قيل : في بيع اليقين بالشكّ وجوه :

الأوّل : أنّ معيشة آدم في الجنّة كانت على حال يعلمها يقينا و ما كان يعلم كيف يكون معاشه بعد مفارقتها .

الثاني : أنّ ما أخبره اللّه من عداوة إبليس بقوله : « إنّ هذا عدوّ لك و لزوجك » 56 كان يقينا فباعه بالشكّ في نصح إبليس إذ قال : إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ

----

(55) أو كلّ ما فيه اعوجاج من البدن كالضلع .

----

(65) طه : 117 .

[46]

النَّاصِحِينَ . 57 الثالث : أنّ هذا مثل قديم للعرب لمن عملا عمل لا ينفعه و ترك ما ينبغي له أن يفعله .

الرابع : أنّ كونه في الجنّة كان يقينا فباعه بأن أكل من الشجرة فاهبط إلى دار التكليف الّتي من شأنها الشكّ في أنّ المصير منها إلى الجنّة أو إلى النار .

و « جذل » كفرح لفظا و معنى ، و سيتّضح لك ما تضمّنته الخطبة في الأبواب الآتية .

بسط مقال لرفع شبهة و اشكال

اعلم أنّه أجمعت الفرقة المحقّة و أكثر المخالفين على عصمة الملائكة صلوات اللّه عليهم أجمعين من صغائر الذنوب و كبائرها ، و سيأتي الكلام في ذلك في كتاب السماء و العالم ، و طعن فيهم بعض الحشويّة بأنّهم قالوا : « أتجعل » 58 و الاعتراض على اللّه من أعظم الذنوب و أيضا نسبوا بني آدم إلى القتل و الفساد و هذا غيبة و هي من الكبائر ،

و مدحوا أنفسهم بقولهم : وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ 59 و هو عجب ، و أيضا قولهم :

لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا » 60 اعتذار و العذر دليل الذنب ، و أيضا قوله [تعالى] :

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ 61 دلّ على أنّهم كانوا كاذبين فيما قالوه ، و أيضا قوله [تعالى] : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ 62 يدلّ على أنّهم كانوا مرتابين في علمه تعالى بكلّ المعلومات ، و أيضا علمهم بالإفساد و سفك الدماء إمّا بالوحي و هو بعيد و إلاّ لم يكن لإعادة الكلام فائدة ، و إمّا بالاستنباط و الظنّ و هو منهيّ عنه .

و أجيب عن اعتراضهم على اللّه بأنّ غرضهم من ذلك السؤال لم يكن هو الإنكار و لا تنبيه اللّه على شيء لا يعلمه ، و إنّما المقصود من ذلك أمور :

منها : أنّ الإنسان إذا كان قاطعا بحكمة غيره ثمّ رآه يفعل فعلا لا يهتدي ذلك الإنسان إلى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجّبا فكأنّهم قالوا : إعطاء هذه النعم

----

(57) الاعراف : 21 .

----

(58) البقرة : 30 33 .

----

(59) البقرة : 30 33 .

----

(60) البقرة : 30 33 .

----

(61) البقرة : 30 33 .

----

(62) البقرة : 30 33 .

العظام من يفسد و يسفك لا تفعله إلاّ لوجه دقيق و سر غامض ، فما أبلغ حكمتك و منها : أنّ إبداء الإشكال طلبا للجواب غير محظور ، فكأنّه قيل : إلهنا أنت الحكيم الّذي لا تفعل السفه البتّة ، و تمكين السفية من السفة قبيح من الحكيم ، فكيف يمكن الجمع بين الأمرين ؟ أو أنّ الخيرات في هذا العالم غالبة على شرورها ، و ترك الخير الكثير لأجل الشرّ القليل شر كثير ، فالملائكة نظروا إلى الشرور ، فأجابهم اللّه تعالى بقوله : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ 63 أي من الخيرات الكثيرة الّتي لا يتركها الحكيم لأجل الشرور القليلة .

و منها : أنّ سؤالهم كان على وجه المبالغة في إعظام اللّه تعالى فإنّ العبد المخلص لشدّة حبّه لمولاه يكره أن يكون له عبد يعصيه .

و منها : أنّ قولهم : « أتجعل » مسألة منهم أن يجعل الأرض أو بعضها لهم إن كان ذلك صلاحا ، نحو قول موسى : أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا 64 أي لا تهلك ،

فقال تعالى : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ من صلاحكم و صلاح هؤلاء ، فبيّن أنّه اختارلهم السماء و لهؤلاء الأرض ليرضى كلّ فريق بما اختار اللّه له .

و منها : أنّ هذا الاستفهام خارج مخرج الإيجاب كقول جرير « ألستم خير من ركب المطايا » أي أنتم كذلك و إلاّ لم يكن مدحا ، فكأنّهم قالوا : إنّك تفعل ذلك و نحن مع هذا نسبّح بحمدك ، لأنّا نعلم في الجملة أنّك لا تفعل إلاّ الصواب و الحكمة ،

فقال تعالى : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ فأنتم علمتم ظاهرهم و هو الفساد و القتل ،

و أنا أعلم ظاهرهم و ما في باطنهم من الأسرار الخفيّة الّتي يقتضي اتّخاذهم .

و الجواب عن الغيبة أنّ من أراد إيراد السؤال وجب أن يتعرّض لمحلّ الإشكال ،

فلذلك ذكروا الفساد و السفك مع أنّ المراد أنّ مثل تلك الأفعال يصدر عن بعضهم ،

و مثل هذا لا يعدّ غيبة ، و لو سلّم فلا نسلّم ذلك في حقّ من لم يوجد بعد ، و لو سلّم فيكون غيبة للفسّاق و هي مجوّزة ، و لو سلّم فلا نسلّم أنّ ذكر مثل ذلك لعلاّم الغيوب يكون محرّما لا سيّما من الملائكة الّذين جماعة منهم مأمورون بتفتيش أحوال الخلائق و إثباتها في

----

(63) البقرة : 30 .

----

(64) الأعراف : 155 .

الصحف و عرضها على الباري جلّ اسمه .

و عن العجب بأنّ مدح النفس غير ممنوع منه مطلقا ، كما قال تعالى : وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ 65 على أنّهم إنّما ذكروه لتتمّة تقرير الشبهة .

و عن الاعتذار بأنّه لا يستلزم الذنب بل قد يكون لترك الأولى .

ثمّ إنّ العلماء ذكروا في إخبار الملائكة عن الفساد و السفك وجوها .

منها : أنّهم قالوا ذلك ظنّا لما رأوا من حال الجنّ الّذين كانوا قبل آدم عليه السلام في الأرض ، و هو المرويّ عن ابن عبّاس و الكلبيّ ، و يؤيّده ما رويناه عن تفسير الإمام عليه السلام سابقا ، أو أنّهم عرفوا خلقته و علموا أنّه مركّب من الأركان المتخالفة و الأخلاط المتنافية الموجبة للشهوة الّتي منها الفساد و الغضب الّذي منه سفك الدماء .

و منها أنّهم قالوا ذلك على اليقين ، لما يروى عن ابن مسعود و غيره أنّه تعالى لمّا قال للملائكة : إِنِّي جاعِلٌ فِي اْلأَرْضِ خَلِيفَةً 66 قالوا : ربّنا و ما يكون الخليفة ؟

قال : تكون له ذرّيّة يفسدون في الأرض ، و يتحاسدون ، و يقتل بعضهم بعضا ، فعند ذلك قالوا : ربّنا أتجعل فيها ، أو أنّه تعالى كان قد أعلم الملائكة أنّه إذا كان في الأرض خلق عظيم أفسدوا فيها و يسفك الدماء [67] ، أو أنّه لمّا كتب القلم في اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة فلعلّهم طالعوا اللوح فعرفوا ذلك ، أو لأنّ معنى الخليفة إذا كان النائب عن اللّه في الحكم و القضاء ، و الاحتياج [68] إنّما يكون عند التنازع و التظالم [69] كأنّ الاخبار عن وجود الخليفة إخبار عن وقوع الفساد و الشرّ بطريق الالتزام .

و قيل : لمّا خلق الله النّار خافت الملائكة خوفا شديدا فقالوا : « لم خلقت هذه

----
(65) الضحى : 11 .

----
(66) البقرة : 30 .

[67] في المطبوع : و أسفكوا الدماء .

[68] أي و الاحتياج بوجود الخليفة .

[69] الحديث ضعيف بمقاتل بن سليمان ، و الرجل هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني ابو الحسن البلخي المفسر نزيل مرو ، يقال له : ابن دوال دوز ، عدوّه أصحابنا في كتبهم الرجاليّة من البتريّة و من العامّة ، و رماه العامّة بالكذب و التجسيم . راجع تقريب ابن حجر ، ص 505 .

النار ؟ قال : لمن عصاني من خلقي . » و لم يكن يومئذ للّه خلق إلاّ الملائكة ، فلمّا قال :

« إنّي جاعل في الأرض خليفة » عرفوا أنّ المعصية منهم .

و جملة القول في ذلك أنّه لمّا ثبت بالنصوص و إجماع الفرقة المحقّة عصمة الملائكة لا بدّ من تأويل ما يوهم صدور المعصية منهم على نحو ما مرّ في عصمة الأنبياء عليهم السلام . 70 [هذا بيان آخر في صفة خلق آدم عليه السلام :] توضيح : « استأدى وديعته » أي طلب أداءها ، و الوديعة اشارة الى قوله تعالى : وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً . 71 و « الخنوع » الخضوع . و « القبيل » في الأصل ، الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتّى ، فإن كانوا من أب واحد فهم قبيلة ، و ضمّ القبيل 72 هنا إلى ابليس غريب فانّه لم يكن له في هذا الوقت ذرّيّة و لم يكن أشباهه في السماء فيمكن أن يكون المراد به أشباهه من الجنّ في الارض بأن يكونوا مأمورين بالسجود أيضا ، و عدم ذكرهم في الآيات و سائر الاخبار لعدم الاعتناء بشأنهم ، أو المراد به طائفة خلقها الله تعالى في السماء غير الملائكة ، و يمكن أن يكون المراد بالقبيل درّيّته و يكون إسناد عدم السجود إليهم لرضاهم بفعله كما قال عليه السلام في موضع آخر : إنّما يجمع الناس الرضا و السخط و إنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لمّا عمّوه بالرضا فقال سبحانه : فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (الشعراء : 157) . 73 « اعترتهم » أي غشيتهم . و « التعزّز » التكبّر . و « استوهنه » أي عدّه و هنا ضعيفا . « نفاسة » أي بخلا . 74

----
(70) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 11 ، ص 123 126 .

----
(71) الحجر : 28 .

----
(72) قد عرفت أنّ النسخة المطبوعة بمصر و الشرح لابن أبي الحديد هما خاليان عنها .

----
(73) نهج البلاغة ، ج 1 ، ص 442 .

----
(74) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 63 ، باب ذكر إبليس و قصصه ، ص 213 .

اختيار الانبياء

و أصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم (49) ،

و على تبليغ الرّسالة أمانتهم ، لمّا بدّل أكثر خلقه عهد اللّه إليهم فجهلوا حقّه ، و اتّخذوا الأنداد (50) معه ، و اجتالتهم (51) الشّياطين عن معرفته ، و اقتطعتهم عن عبادته ، فبعث فيهم رسله ، و واتر (52) إليهم أنبياءه ، ليستأدوهم ميثاق فطرته ، و يذكّروهم منسيّ نعمته ،

و يحتجّوا عليهم بالتّبليغ ، و يثيروا لهم دفائن العقول ، و يروهم آيات المقدرة : من سقف فوقهم مرفوع ، و مهاد تحتهم موضوع ،

و معايش تحييهم ، و آجال تفنيهم ، و أوصاب (53) تهرمهم ، و أحداث تتابع عليهم ، و لم يخل اللّه سبحانه خلقه من نبيّ مرسل ، أو كتاب منزل ، أو حجّة لازمة ، أو محجّة (54) قائمة : رسل لا تقصّر بهم قلّة عددهم ، و لا كثرة المكذّبين لهم : من سابق سمّي له من بعده ،

أو غابر عرّفه من قبله : على ذلك نسلت (55) القرون ، و مضت الدّهور ،

و سلفت الآباء ، و خلفت الأبناء .

بيان :

« على الوحي » أي على أدائه . « و اجتالتهم » أي أدارتهم تارة هكذا و تارة هكذا . « و واتر إليهم » أي أرسلهم و ترا بعد وتر . و الإضافة في « دفائن العقول » بتقدير « في » أي العلوم الكامنة في العقول ، أو بيانيّة أي العقول

[51]

المغمورة في الجهالات . و « الأوصاب » الأمراض . و « الأحداث » المصائب . « على ذلك نسلت » أي درجت و مضت . 75

مبعث النبي

إلى أن بعث اللّه سبحانه محمّدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لإنجاز عدته (56) ، و إتمام نبوّته ، مأخوذا على النّبيّين ميثاقه ،

مشهورة سماته (57) ، كريما ميلاده . و أهل الأرض يومئذ ملل متفرّقة ،

و أهواء منتشرة ، و طرائق متشتّتة ، بين مشبّه للّه بخلقه ، أو ملحد (58) في اسمه ، أو مشير إلى غيره ، فهداهم به من الضّلالة ، و أنقذهم بمكانه من لجهالة . ثمّ اختار سبحانه لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لقاءه ، و رضي له ما عنده ، و أكرمه عن دار الدّنيا ، و رغب به عن مقام البلوى ،

فقبضه إليه كريما صلّى اللّه عليه و آله ، و خلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أممها ، إذ لم يتركوهم هملا ، بغير طريق واضح ، و لا علم قائم (59) :

بيان

الضمير في « عدته » راجع إلى اللّه ، و في « نبوّته » إلى الرسول ، و يحتمل إرجاعهما إلى الرسول بأن يكون الإضافة في عدته إضافة إلى المفعول ، كما يحتمل إرجاعهما إلى اللّه بأن يكون المراد بقوله : نبوّته النبوّة التي سنّها و قدّرها لإصلاح الخلق .

----

(75) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 11 ، كتاب النبوّة ، ص 61 .

[52]

و « السمة » العلامة . و « الميلاد » وقت الولادة . و « الطرائق » المذاهب . و « التشتّت » التفرّق و الانتشار . قوله « ملحد في اسمه » أي يطلق عليه و ينسب إليه ما لا يليق به ،

أو يطلق اسمه على غيره . قوله « أو مشير إلى غيره » كالدهريّة و عبدة الأصنام . و في قوله « ملل » و ما بعده تقدير مضاف أي ذووا ملل ، أو الحمل على المبالغة ، أو يقدّر المضاف في المبتدأ و بعضها مؤكّدة لبعض ، و يمكن الفرق بوجه 76 .

القرآن و الاحكام الشرعية

كتاب ربّكم فيكم : مبيّنا حلاله و حرامه ، و فرائضه و فضائله ،

و ناسخه و منسوخه (60) ، و رخصه و عزائمه (61) ، و خاصّه و عامّه ،

و عبره و أمثاله ، و مرسله و محدوده (62) ، و محكمه و متشابهه (63) ،

مفسّرا مجمله ، و مبيّنا غوامضه ، بين مأخوذ ميثاق علمه ، و موسّع على العباد في جهله (64) ، و بين مثبت في الكتاب فرضه ، و معلوم في السّنّة نسخه ، و واجب في السّنّة أخذه ، و مرخّص في الكتاب تركه ،

و بين واجب بوقته ، و زائل في مستقبله . و مباين بين محارمه ، من كبير أوعد عليه نيرانه ، أو صغير أرصد له غفرانه ، و بين مقبول في أدناه ، موسّع في أقصاه .

----

(76) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 217 .

[53]

و منها في ذكر الحج

و فرض عليكم حجّ بيته الحرام ، الّذي جعله قبلة للأنام ،

يردونه ورود الأنعام ، و يألهون إليه و لوه الحمام (65) ، و جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته ، و إذعانهم لعزّته ، و اختار من خلقه سمّاعا أجابوا إليه دعوته ، و صدّقوا كلمته ، و وقفوا مواقف أنبيائه ،

و تشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه . يحرزون الأرباح في متجر عبادته ،

و يتبادرون عنده موعد مغفرته ، جعله سبحانه و تعالى للإسلام علما ،

و للعائذين حرما ، فرض حقّه ، و أوجب حجّه ، و كتب عليكم وفادته (66) ، فقال سبحانه : « و للّه على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا ، و من كفر فإنّ اللّه غنيّ عن العالمين » .

2 و من خطبة له عليه السّلام بعد انصرافه من صفين و فيها حال النّاس قبل البعثة و صفة آل النبي ثم صفة قوم آخرين

القسم الأول

أحمده استتماما لنعمته ، و استسلاما لعزّته ، و استعصاما من معصيته .

و أستعينه فاقة إلى كفايته ، إنّه لا يضلّ من هداه ، و لا يئل (67) من

[54]

عاداه ، و لا يفتقر من كفاه ، فإنّه أرجح ما وزن ، و أفضل ما خزن .

و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له ، شهادة ممتحنا إخلاصها ،

معتقدا مصاصها (68) ، نتمسّك بها أبدا ما أبقانا ، و ندّخرها لأهاويل ما يلقانا ، فإنّها عزيمة الإيمان ، و فاتحة الإحسان ، و مرضاة الرّحمن ،

و مدحرة الشّيطان (69) . و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ، أرسله بالدّين المشهور ، و العلم المأثور ، و الكتاب المسطور ، و النّور السّاطع ،

و الضّياء اللاّمع ، و الأمر الصّادع ، إزاحة للشّبهات ، و احتجاجا بالبيّنات ، و تحذيرا بالآيات ، و تخويفا بالمثلات (70) ، و النّاس في فتن انجذم (71) فيها حبل الدّين ، و تزعزعت سواري اليقين (72) ،

و اختلف النّجر (73) ، و تشتّت الأمر ، و ضاق المخرج ، و عمى المصدر ،

فالهدى خامل ، و العمى شامل . عصي الرّحمن ، و نصر الشّيطان ،

و خذل الإيمان ، فانهارت دعائمه ، و تنكّرت معالمه ، و درست (74) سبله ، و عفت شركة (75) أطاعوا الشّيطان فسلكوا مسالكه ، و وردوا مناهله (76) ، بهم سارت أعلامه ، و قام لواؤه ، في فتن داستهم بأخفافها (77) ،

و وطئتهم بأظلافها (78) ، و قامت على سنابكها (79) ، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون ، في خير دار ، و شرّ جيران . نومهم سهود ،

و كحلهم دموع ، بأرض عالمها ملجم ، و جاهلها مكرم .

[55]

توضيح

قوله « و العلم المأثور » العلم إمّا بالكسر أو بفتحتين أي ما يهتدي به و « المأثور » المقدّم على غيره ، و المنقول ، و لا يخفى مناسبتهما . و « الصادع » الظاهر الجلّي . و « المثلات » جمع « مثلة » بفتح الميم و ضمّ الثاء ، العقوبة . قوله « انجذم » أي انقطع ، و في بعض النسخ بالزاي بمعناه . و « الزعزعة » الاضطراب . و « السواري » جمع « السارية » و هي الدعامة . و « النجر » الأصل و الطبع . « فانهارت » أي انهدمت . و « تنكّرت » أي تغيّرت . و « الشرك » بضمّتين جمع « شركة » بفتحتين و هي معظم الطريق أو وسطها .

قوله « في فتن داستهم » متعلّق بقوله « سارت و قام » أو خبر ثان لقوله « و الناس » . و « السنابك » أطراف مقدّم الحافر . قوله « في خيردار » إمّا خبر ثالث ، أو متعلّق بقوله « تائهون » و ما بعده . و المراد بخير الدار مكّة و بشرّ الجيران كفّار قريش ، و العالم الملجم من آمن به ، و الجاهل المكرم من كذّبه ، و فيه احتمالات أخر لا يناسب المقام . و قوله عليه السلام « نومهم سهود و كحلهم دموع » كناية عن كثرة الفتن فيهم بحيث كانوا لا ينامون اهتماما بأنفسهم و إعدادا لقتال عدوّهم و يبكون على قتلاهم و ما ذهب منهم من الأموال و غيرها . 77

القسم الثاني و منها يعني آل النبي عليه الصلاة و السلام

هم موضع سرّه ، و لجأ أمره (80) ، و عيبة علمه (81) ، و موئل (82) حكمه ، و كهوف كتبه ، و جبال دينه ، بهم أقام انحناء ظهره ،

و أذهب ارتعاد فرائصه (83)

القسم الثالث و منها يعني قوما آخرين

زرعوا الفجور ، و سقوه الغرور ، و حصدوا الثّبور (84) ، لا يقاس

----

(77) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 218 .

بآل محمّد صلّى اللّه عليه و آله من هذه الأمّة أحد ، و لا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا : هم أساس الدّين ، و عماد اليقين .

إليهم يفيء الغالي (85) ، و بهم يلحق التّالي . و لهم خصائص حقّ الولاية ، و فيهم الوصيّة و الوراثة ، الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله ،

و نقل إلى منتقله

و من خطبة له عليه السلام و هي المعروفة بالشّقشقيّة و تشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له

القسم الأول السقيفة

أما و اللّه لقد تقمّصها (86) فلان و إنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحا . ينحدر عنّي السّيل ، و لا يرقى إليّ الطّير ، فسدلت (87) دونها ثوبا ، و طويت عنها كشحا (88) . و طفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء (89) ، أو أصبر على طخية عمياء ، (90) يهرم فيها الكبير ، و يشيب فيها الصّغير ، و يكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه

القسم الثاني ترجيح الصبر

فرأيت أنّ الصّبر على هاتا أحجى (91) ، فصبرت و في العين قذى ،

و في الحلق شجا (92) ، أرى تراثي (93) نهبا ، حتّى مضى الأوّل لسبيله ،

فأدلى بها (94) إلى فلان بعده . ثم تمثل بقول الأعشى :

شتّان ما يومي على كورها (95) و يوم حيّان أخي جابر فياعجبا بينا هو يستقيلها (96) في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّرا ضرعيها (97) فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها (98) ، و يخشن مسّها ، و يكثر العثار (99) فيها ، و الاعتذار منها ،

فصاحبها كراكب الصّعبة (100) إن أشنق (101) لها خرم (102) ، و إن أسلس (103) لها تقحّم (104) ، فمني (105) النّاس لعمر اللّه بخبط (106) و شماس (107) ،

و تلوّن و اعتراض (108) ، فصبرت على طول المدّة ، فصبرت على طول المدّة ، و شدّة المحنة ، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم ، فيالله و للشّورى (109) متى اعتراض الرّيب فيّ مع الأوّل منهم ، حتّى صرت أقرن إلى هذه النّظائر (110) لكنّي أسففت (111) إذ أسفّوا ، و طرت إذ طاروا ،

فصغا (112) رجل منهم لضغنه (113) ، و مال الآخر لصهره ، مع هن و هن (114) ،

إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه (115) ، بين نثيله (116) و معتلفه (117) ،

و قام معه بنو أبيه يخضمون (118) مال اللّه خضمة الإبل نبتة الرّبيع (119) ،

إلى أن انتكث (120) عليه فتله ، و أجهز (121) عليه عمله ، و كتب (122) به بطنته (123)

[58]

القسم الثالث مبايعة علي

فما راعني إلاّ و النّاس كعرف الضّبع (124) إليّ ، ينثالون (125) عليّ من كلّ جانب ، حتّى لقد وطىء الحسنان ، و شقّ عطفاي (126) ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم (127) . فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة (128) ،

و مرقت أخرى (129) ، و قسط آخرون (130) : كأنّهم لم يسمعوا اللّه سبحانه يقول : « تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّا في الأرض و لا فسادا ، و العاقبة للمتّقين » بلى و اللّه لقد سمعوها و وعوها ، و لكنّهم حليت الدّنيا (131) في أعينهم ، و راقهم زبرجها (132) أمّا و الّذي فلق الحبّة ، و برأ النّسمة (133) ، لولا حضور الحاضر (134) ،

و قيام الحجّة بوجود النّاصر (135) ، و ما أخذ اللّه على العلماء ألاّ يقارّوا (136) على كظّة (137) ظالم ، و لا سغب (138) مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها (139) ، و لسقيت آخرها بكأس أوّلها ، و لألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز (140) قالوا : و قام إليه رجل من أهل السواد (141) عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته ، فناوله كتابا [قيل : إن فيه مسائل كان يريد الإجابة عنها] ،

فأقبل ينظر فيه [فلما فرغ من قراءته] قال له ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، لو اطّردت خطبتك (142) من حيث أفضيت (143)

[59]

فقال : هيهات يابن عبّاس تلك شقشقة (144) هدرت (145) ثمّ قرّت (146) قال ابن عباس : فو اللّه ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام ألاّ يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد . قال الشريف رضي اللّه عنه : قوله عليه السلام « كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم ، و إن أسلس لها تقحم » يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام و هي تنازعه رأسها خرم أنفها ،

و ان أوخى لها شيئا مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها ، يقال : أشنق الناقة ، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه ، و شنقها أيضا : ذكر ذلك ابن السكيت في « إصلاح المنطق » ، و إنما قال :

« اشنق لها » و لم يقل « أشنقها » لأنّه جعله في مقابلة قوله « أسلس لها » فكأنه عليه السلام قال :

إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها بالزمام .

المدارك :

مع و ع : الطالقاني ، عن الجلوديّ ، عن أحمد بن عمّار بن خالد ، عن يحيى بن عبد الحميد الحمّاني ، عن عيسى بن راشد ، عن عليّ بن حذيفة 78 ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس مثله .

ما : الحفّار ، عن أبي القاسم الدعبليّ ، عن ابيه ، عن أخيه دعبل ، عن محمد بن سلامة الشاميّ ، عن زرارة ، عن أبي جعفر الباقر ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام ، و الباقر عليه السلام عن ابن عبّاس قال : ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين ، فقال : « و اللّه لقد تقمّصها ابن أبي قحافة » ، و ذكر نحوه بأدنى تغيير .

شا : روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عبّاس قال :

كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام بالرحبة فذكر الخلافة و تقديم من تقدّم عليه فتنفّس الصعداء ثمّ قال : « أم و اللّه لقد تقمّصها ابن أبي قحافة . . . » ، و ساق الخبر إلى آخره .

----

(78) خزيمة خ ل .

إيضاح

هذه الخطبة من مشهورات خطبه صلوات اللّه عليه روتها الخاصّة و العامّة في كتبهم و شرحوها و ضبطوا كلماتها كما عرفت رواية الشيخ الجليل المفيد و شيخ الطائفة و الصدوق ، و رواها السيّد الرضيّ رضي اللّه عنه في نهج البلاغة و الطبرسيّ في الاحتجاج قدّس اللّه أرواحهم و روى الشيخ قطب الدّين الراونديّ قدّس سرّه في شرحه على نهج البلاغه بهذا السند : أخبرني الشيخ أبو نصر الحسن بن محمّد بن إبراهيم ، عن الحاجب أبي الوفا محمد بن بديع و الحسين بن أحمد بن عبد الرحمن ، عن الحافظ أبي بكر بن مردويه الإصفهاني ، عن سليمان بن أحمد الطبرانيّ ، عن أحمد بن عليّ الآباد ، عن اسحاق بن سعيد أبي سلمة الدمشقيّ ، عن خليد بن دعلج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عبّاس قال كنّا مع عليّ عليه السلام بالرحبة فجرى ذكرى الخلافة و من تقدّم عليه فيها ، فقال : « أما و اللّه لقد تقمّصها فلان . . . » إلى آخر الخطبة .

و من أهل الخلاف رواها ابن الجوزيّ في مناقبه ، و ابن عبد ربّه في الجزء الرابع من كتاب العقد ، و أبو عليّ الجبائيّ في كتابه ، و ابن الخشّاب في درسه على ما حكاه بعض الأصحاب ، و الحسن بن عبد اللّه بن سعيد العسكريّ في كتاب المواعظ و الزواجر على ما ذكره صاحب الطرائف ، و فسّر ابن الأثير في النهاية لفظ الشقشقة ثمّ قال : و منه حديث علي عليه السّلام في خطبة له : « تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت » ، و شرح كثيرا من ألفاظها .

و قال الفيروز آبادي في القاموس عند تفسيرها : « الشقشقة » بالكسر ، شيء كالرية يخرجه البعير من فيه إذا هاج . و الخطبة الشقشقيّة العلويّة لقوله لابن عبّاس لمّا قال : لو أطردت مقالتك من حيث أفضيت : « يا ابن عبّاس هيهات ، تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت » .

و قال عبد الحميد ابن أبي الحديد ردّا على من قال إنّها تأليف السيّد الرضيّ :

قد وجدت أنا كثيرا من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخيّ امام البغداديّين من المعتزلة و كان في دولة مقتدر قبل أن يخلق السيّد الرضي بمدّة طويلة ،

و وجدت أيضا كثيرا منها في كتاب أبي جعفر بن قبّة أحد متكلّمي الاماميّة و كان من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخيّ و مات قبل أن يكون الرضيّ موجودا . ثمّ حكى عن شيخه مصدّق الواسطيّ أنّه قال : لمّا قرأت هذه الخطبة على الشيخ أبي محمّد عبد اللّه بن أحمد المعروف بابن الخشاب قلت له : أتقول : إنّها منحولة ؟

فقال : لا و اللّه ، و إنّي لأعلم أنّها كلامه كما أعلم أنّك مصدّق .

قال : فقلت له : إنّ كثيرا من الناس يقولون : إنّها من كلام الرضيّ فقال لي : أنّى للرضيّ و لغير الرضيّ هذا النفس و هذا الأسلوب ؟ قد وقفنا على رسائل الرضيّ و عرفنا طريقته و فنّه في الكلام المنثور .

ثمّ قال : و اللّه لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب قد صنّفت قبل أن يخلق الرضيّ بمائتي سنة ، و لقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرف أنّها خطوط من هو من العلماء و أهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضيّ . 79 و قال ابن ميثم البحرانيّ قدّس سرّه : وجدت هذه الخطبة بنسخة عليها خطّ الوزير أبي الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات وزير المقتدر باللّه و ذلك قبل مولد الرضيّ بنيّف و ستّين سنة . انتهى . 80 و من الشواهد على بطلان تلك الدعوى الواهية الفاسدة أنّ القاضي عند الجبّار الّذي هو من متعصّبي المعتزلة قد تصدّق في كتاب المغني لتأويل بعض كلمات الخطبة و منع دلالتها على الطّعن في خلافة من تقدّم عليه و لم ينكر استناد الخطبة إليه .

و ذكر السيّد المرتضى رضي اللّه عنه كلامه في الشافي و زيّفه و هو أكبر من أخيه الرضيّ قدّس اللّه روحهما و قاضي القضاة متقدّم عليهما ، و لو كان يجد للقدح في استناد الخطبة اليه عليه السلام مساغا لما تمسّك بالتأويلات الركيكة في مقام الاعتذار و قدح في صحّتها كما فعل في كثير من الروايات المشهورة و كفى للمنصف وجودها في تصانيف الصدوق رحمه اللّه و كانت وفاته سنة تسع و عشرين و ثلثمائة

----

(79) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 205 206 ، ط بيروت .

----

(80) شرح النهج لابن ميثم ، ج 1 ، ص 252 .

و كان مولد الرضيّ رضي اللّه عنه سنة تسع و خمسين و ثلاثمائة . [81] و لنشرح الخطبة ثانيا لمزيد الإيضاح و التبيين و للإشارة إلى ما ذكره في تفسيرها و شرحها بعض المحقّقين و نبني الشرح على ما أورده السيّد قدّس سرّه في النهج ليظهر مواضع الاختلاف بينه و بين ما سلف من الروايات مستعينا بخالق البريّات .

قال السيّد : و من خطبة له عليه السلام المعروفة بالشّقشقيّة : « أما و اللّه لقد تقمّصها فلان » أي اتّخذها قميصا ، و في التشبيه بالقميص الملاصق للبدن دون سائر الأثواب تنبيه على شدّة حرصه عليها ، و الضمير راجع إلى الخلافة كما ظهر من سائر الروايات . و « فلان » كناية عن أبي بكر و كان في نسخة ابن أبي الحديد : « ابن أبي قحافه » 82 بضمّ القاف و تخفيف الحاء كما في بعض الروايات الأخر ، و في بعضها « أخوتيم » ، و الظاهر أنّ التعبير بالكناية نوع تقيّة من السيّد رحمه اللّه ، و النسخة المقروءة عليه كانت متعدّدة فلعلّه عدل في بعضها عن الكناية لزوال الخوف ، و يمكن أن تكون التقيّة من النسّاخ و يدلّ على أنّ الكناية ليست من لفظه عليه السّلام .

إنّ قاضي القضاة في المغني تصدّى لدفع دلالة تعبيره عليه السلام عن أبي بكر بابن أبي قحافة دون الألقاب الما دحة على استخفاف به بأنّه قد كانت العادة في ذلك الزمان أن يسمّي أحدهم صاحبه و يكنّيه و يضيفه إلى أبيه حتّى كانوا ربّما قالوا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله : يا محمّد فليس في ذلك استخفاف و لا دلالة على الوضع .

فأجاب السيّد رضي اللّه عنه بما في الشافي عنه بأنّه ليس ذلك صنع من يريد التعظيم و التبجيل و قد كانت لأبي بكر عندهم من الألقاب الجميلة ما يقصد إليه من يريد تعظيمه ، و قوله « أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان ينادى باسمه » فمعاذ اللّه ، ما كان ينادي باسمه إلاّ شاكّ فيه أو جاهل من طغام الأعراب ، و قوله : إنّ

[81] الظاهر أنّ مراده بالصدوق عليّ بن بابويه (المتوفّي سنة 329) و الد أبي جعفر الصدوق رحمه اللّه و إلاّ فوفاة الصدوق كانت سنة 381 ، فتأمّل .

----

(82) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 151 ، ط بيروت .

[63]

ذلك عادة العرب » فلا شكّ أنّ ذلك عادتهم فيمن لا يكون له من الألقاب أفخمها و أعظمها كالصدّيق و نحوه .

« و إنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى » الواو للحال ، و « قطب الرّحى » الحديدة المنصوبة في وسط السفلى من حجري الرّحى الّتي تدور حولها العليا ،

أي تقمّص الخلافة مع علمه : بأنّي مدار أمرها و لا تنتظم إلاّ بي و لا عوض لها عنّي كما أنّ الرّحى لا تدور إلاّ بالقطب و لا عوض لها عنه . و قال ابن أبي الحديد : عندي أنّه أراد أمرا آخر و هو أنّي من الخلافة في الصميم و في وسطها و بحبوحتها كما أنّ القطب وسط دائرة الرحى ، و و لا يخفى نقصان التشبيه حينئذ .

و قال في المغني : أراد أنّه أهل لها و أنّه أصلح منه للقيام بها ، يبيّن ذلك أنّ القطب من الرّحى لا يستقلّ بنفسه و لابدّ في تمامه من الرحى فنبّه بذلك على أنّه أحقّ و إن كان قد تقمّصها .

وردّه السيّد رضي اللّه عنه بأنّ هذا التّأويل مع أنّه لا يجري في غير هذا اللّفظ من الألفاظ المرويّة عنه عليه السلام فاسد لأنّ مفاد هذا الكلام ليس إلاّ التفرّد في الاستحقاق و أنّ غيره لا يقوم مقامه ، لا أنّه أهل للأمر و موضع له . و قوله « إنّ القطب لا يستقلّ بنفسه » تأويل على عكس المراد فإنّ المستفاد من هذا الكلام عند من يعرف اللّغة عدم انتظام دوران الرّحى بدون القطب ، لا عدم استقلال القطب بدون الرّحى .

« ينحدر عنّي السّيل ، و لا يرقى إليّ الطّير » ، « انحدار السّيل » لعلّه كناية عن إفاضة العلوم و الكمالات و سائر النّعم الدنيويّة و الأخرويّة على الموادّ القابلة . و قيل :

المعنى أنّي فوق السّيل بحيث لا يرتفع إليّ و هو كما ترى . ثمّ إنّه عليه السلام ترقّى في الوصف بالعلوّ بقوله « و لا يرقى إليّ الطّير » ، فإنّ مرقى الطّير أعلى من منحدر السّيل فكيف مالا يرقى إليه ، و الغرض إثبات أعلى مراتب الكمال للدّلالة على بطلان خلافة من تقمّصها لقبح تفضيل المفضول .

« فسدلت دونها ثوبا ، و طويت عنها كشحا » يقال : « سدل الثّوب يسدله » بالضمّ ، أي أرخاه و أرسله . « و دون الشيء » أمامه و قريب منه . و المعنى : ضربت

[64]

بيني و بينها حجابا و أعرضت عنها و يئست منها . و « الكشح » ما بين الخاصرة إلى أقصر الأضلاع ، و يقال : « فلان طوى كشحه » أي أعرض مهاجرا و مال عنّي . و قيل : أراد غير ذلك و هو أنّ من أجاع نفسه فقد طوى كشحه كما أنّ من أكل و شبع فقد ملأ كشحه .

« و طفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء ، أو أصبر على طخية عمياء » ، « طفق في كذا » أي أخذ و شرع . و « أرتئي في الأمر » أي أفكّر في طلب الأصلح و هو افتعل من رويّة القلب أو من الرأي . و « الصولة » الحملة و الوثبة . و « الجذّاء » بالجيم و الذال المعجمة ، المقطوعة و المكسورة أيضا كما ذكره الجوهريّ . و قال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام : « أصول بيد جذّاء » كنّي به عن قصور أصحابه و تقاعدهم عن الغزو ، فإنّ الجند للأمير كاليد . و يروي بالحاء المهملة و فسّره في موضعه باليد القصيرة الّتي لا تمدّ إلى ما يراد ، قال : و كأنّها بالجيم أشبه . و « الطخية » بالضم كما صحّح في أكثر النسخ ، الظلمة أو الغيم ، و في بعضها بالفتح . في القاموس : « الطخية » الظلمة ، و يثلّب ، و لم يذكر الجوهريّ سوى الضمّ و فسّره بالسحاب . و في النهاية : « الطخية » الظلمة و الغيم . و « العمياء » تأنيث الأعمى و وصف الطخية بها لأنّ الرائي لا يبصر فيها شيئا ، يقال : « مفازة عمياء » أي لا يهتدي فيها الدليل ، و هي مبالغة في وصف الظلمة بالشدّة . و حاصل المعنى أنّي لمّا رأيت الخلافة في يد من لم يكن أهلا لها كنت متفكّرا مردّدا بين قتالهم بلا أعوان و بين معاينة الخلق على جهالة و ضلالة و شدّة .

« يهرم فيها الكبير ، و يشيب فيها الصغير ، و يكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه » يقال : « هرم » كفرح أي بلغ أقصى الكبر . و « الشّيب » بالفتح ، بياض الشّعر . و « الكدح » الكدّ و العمل و السعي . و الجمل الثلاثة أوصاف للطخية العمياء ، و إيجابها لهرم الكبير و شيب الصغير إمّا لكثرة الشدائد فيها فإنّها ممّا يسرع بالهرم و الشيب أو لطول مدّتها و تمادي

أيّامها و لياليها أو للأمرين جميعا ، و على الوجهين الأوّلين فسّر قوله تعالى : يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانُ شَيباً . 83 و كدح المؤمن يمكن أن يراد به لاذعه

----
(83) المزمّل : 17 .

[65]

أعني التعب و مقاساة الشدّة في الوصول إلى حقّه ، و قيل : يسعى فلا يصل إلى حقّه فالكدح بمعناه ، و قيل : المراد به أنّ المؤمن المجتهد في الذبّ عن الحقّ و الأمر بالمعروف يسعى فيه و يكدّ و يقاسي الشدائد حتّى يموت . و في رواية الشيخ و الطبرسيّ : « يرضع فيها الصغير ، و يدبّ فيها الكبير » و هو كناية عن طول المدّة أيضا أي يمتدّ إلى أن يدبّ كبيرا من كان يرضع صغيرا ، يقال : « دبّ يدبّ دبيبا » أي مشى على هيئته . « فرأيت أنّ الصّبر على هاتا أحجى ، فصبرت و في العين قذى و في الحلق شجى ، أرى تراثي نهبا » ، كلمة « ها » في « هاتا » للتنبيه و « تا » للإشارة إلى المؤنّث ، اشير بها إلي الطّخية الموصوفة . و « أحجى » أي أولى و أجدر و أحقّ ، من قولهم « حجى بالمكان » إذا أقام و ثبت ، ذكره في النهاية . و قيل : أي أليق و أقرب بالحجى و هو العقل . و « القذى » جمع « قذاة » و هي ما يسقط في العين و في الشّراب أيضا من ثبن أو تراب أو وسخ . و « الشّجى » ما اعترض في الحلق و نشب من عظم و نحوه . و « التراث » ما يخلفه الرجل لورثته ، و التاء فيه بدل من الواو . و « النّهب » السّلب و الغارة و الغنيمة . و الجملة بيان لوجود القذى و الشّجى .

و في رواية الشيخين و الطبرسيّ : « فرأيت الصبر » و في رواية الشيخ : « تراث محمّد صلّى اللّه عليه و آله نهبا » و في تلخيص الشافي : « من أن أرى تراثي نهبا » .

و الحاصل أنّي بعد التردّد في القتال استقرّ رأيي على أنّ الصبر أجدر و ذلك لأداء القتال إلى استيصال آل الرسول صلّى اللّه عليه و آله كلمة الإسلام لغلبة الأعداء .

و قال بعض الشارحين : في الكلام تقديم و تأخير و التقدير : و لا يرقى إليّ الطّير فطفقت أرتئي بين كذا و كذا فرأيت الصبر على هاتا أحجى فسدلت دونها ثوبا و طويت عنها كشحا و صبرت و في العين قذى . . . الى آخر الفصل . لأنّه لا يجوز أن يسدل دونها ثوبا و يطوي عنها كشحا ثمّ يرتئي . و التقديم و التأخير شايع في لغة العرب ،

قال اللّه تعالى : الَّذِي أنْزَلَ عَلي عَبْدِهِ الكِتَابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً . 84

----
(84) الكهف : 1 .

[66]

انتهى . و يمكن أن يقال : سدل الثوب و طيّ الكشح لم يكن على وجه البتّ و تصميم العزم على الترك ، بل المراد ترك العجلة و المبادرة إلى الطلب من غير تدبّر في عاقبة الأمر ، و لعلّ الفقرتين بهذا المعنى أنسب .

« حتّى مضى الأوّل لسبيله ، فأدلى بها إلى فلان بعده » قيل : تقديره مضى على سبيله ، و أدلى بها إلى فلان أي ألقاها إليه و دفعها . و التعبير بلفظ « فلان » كما مرّ . و في نسخة ابن أبي الحديد بلفظ ابن الخطّاب 85 و في بعض الروايات إلى عمر . و « إدلاؤه إليه بها » نصبه للخلافة . و كان ابن الخطّاب يسمّي نفسه خليفة أبي بكر ، و يكتب إلى عمّاله : من خليفة أبي بكر . . . حتّى جاءه لبيدبن ربيعة و عديّ بن حاتم ، فقالا لعمرو بن العاص : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فخاطبه عمرو بن العاص بأمير المؤمنين ،

فجرى ذلك في المكاتيب من يومئذ ، ذكر ذلك ابن عبد البرّ في الاستيعاب .

ثمّ تمثّل عليه السلام بقول الأعشى :

شتّان ما يومي على كورها
و يوم حيّان أخي جابر

تمثّل بالبيت أنشده للمثل ، و الأعشى ميمون بن جندل . و « شتّان » اسم فعل و فيه معنى التعجّب . و « الكور » بالضم ، رحل البعير بأداته و الضمير راجع إلى الناقة . و « حيّان » كان صاحب حصن باليمامة و كان من سادات بني حنيفة مطاعا في قومه يصله كسرى في كلّ سنة و كان في رفاهية و نعمة مصونا من وعثاء السفر ، لم يكن يسافر أبدا ، و كان الأعشى ينادمه و كان أخوه جابر أصغر سنّا منه . يروى أنّ حيّان عاتب الأعشى في نسبته إلى أخيه فاعتذر بأن اضطرّني إلى ذلك ، فلم يقبل عذره .

و معنى البيت كما أفاده السيّد المرتضى رضي اللّه عنه إظهار البعد بين يومه و يوم حيّان لكونه في شدّة من حرّ الهواجر و كون حيّان في راحة و خفض ، و كذا غرضه عليه السلام بيان البعد بين يومه صابرا على القذى و الشجى و بين يومهم فائزين بما طلبوا من الدنيا . و هذا هو الظاهر المطابق للبيت التالي له ، و هو ممّا تمثّل به عليه السلام على ما في بعض النسخ و هو قوله :

----

(85) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 162 ، ط بيروت .

إذ هجّرت 86أرمى بها البيد
و أنت بين القرو و العاصر

و « البيد » بالكسر ، جمع البيداء و هي المفازة . و « التهجير » السير في الهاجرة و هي نصف النهار عند شدّة الحرّ . و « القرو » قدح من الخشب و قيل : إناء صغير أو إجّانة للشرب . و « العاصر » الّذي يعصر العنب للخمر ، أي أنا في شدّة حرّ الشمس أسوق ناقتي في الفيافي و أنت في عيش و شرب . و قال بعض الشارحين : المعنى : ما أبعد ما بين يومي على كور الناقة أدأب و أنصب و بين يومي منادما حيّان أخي جابر في خفض و دعة . فالغرض عن التمثّل إظهار البعد بين يومه عليه السلام بعد وفات الرسول صلّى اللّه عليه و آله مقهورا ممنوعا عن حقّه و بين يومه في صحبة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله . « فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته » أصل « يا عجبا » يا عجبي قلبت الياء ألفا كأنّ المتكلّم ينادي عجبه و يقول له : احضر فهذا أو إنّ حضورك . و « بينا » هي « بين » الظرفيّة أشبعت فتحتها فصارت ألفا و تقع بعدها إذا الفجائيّة غالبا . و « الاستقالة » طلب الإقالة و هو في البيع فسخه للندم ، و تكون في البيعة و العهد أيضا . و استقالته قوله بعد ما بويع : « أقيلوني فلست بخيركم و عليّ عليه السلام فيكم » . و قدروى خبر الاستقالة الطبريّ في تاريخه ، و البلاذريّ في أنساب الأشراف ، و السمعانيّ في الفضائل ، و أبو عبيدة في بعض مصنّفاته على ما حكاه بعض أصحابنا ، و لم يقدح الفخر الرازيّ في نهاية العقول في صحّته و إن أجاب عنه بوجوه ضعيفة ، و كفى كلامه عليه السلام شاهدا على صحّته . و كون العقد الآخر بين أوقات الاستقالة لتنزيل اشتراكهما في التحقيق و الوجود منزلة اتّحاد الزمان أو لأنّ الظاهر من حال المستقيل لعلمه بأنّ الخلافة حقّ لغيره بقاء ندمه و كونه متأسّفا دائما خصوصا عند ظهور أمارة الموت . و قوله « بعد وفاته » ليس ظرفا لنفس العقد بل لترتّب الآثار على المعقود بخلاف قوله « في حياته » ، و المشهور أنّه لمّا احتضر أحضر عثمان و أمره أن يكتب عهدا و كان يمليه عليه فلمّا بلغ قوله « أمّا بعد » اغمي عليه ، فكتب عثمان : « قد استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب » ، فأفاق أبو بكر ، فقال : اقرا

----

(86) في شرح النهج لابن أبي الحديد : البيداء .

فقرأه ، فكبّر أبو بكر و قال : أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي ؟

قال : نعم .

قال : جزاك اللّه خيرا عن الإسلام و أهله .

ثمّ أتمّ العهد و أمره أن يقرأه على الناس . و ذهب إلى عذاب اللّه في ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة من سنة ثلاثة عشر على ما ذكره ابن أبي الحديد . و قال في الاستيعاب : قول الأكثر أنّه توفّي عشيّ يوم الثلثاء المذكور . و قيل : ليلته ، و قيل :

عشيّ يوم الاثنين . قال : و مكث في خلافته سنتين و ثلاثة أشهر إلاّ خمس ليال أو سبع ليال ، و قيل : أكثر من ذلك إلى عشرين يوما . و السبب على ما حكاه عن الواقديّ أنّه اغتسل في يوم بارد فحمّ و مرض خمسة عشر يوما ، و قيل : سلّ ، و قيل : سمّ . و غسلته زوجته أسماء بنت عميس و صلّى عليه عمر بن الخطّاب و دفن ليلا في بيت عايشة .

« لشدّما تشطّرا ضرعيها » اللام جواب القسم المقدّر ، و « شدّ » أي صار شديدا ،

و كلمة « ما » مصدريّة و المصدر فاعل شدّ ، و لا يستعمل هذا الفعل إلاّ في التعجّب . و « تشطّرا » إمّا مأخوذ من « الشطر » بالفتح بمعنى النصف ، يقال : « فلان شطر ماله » أي نصفه . فالمعنى : أخذ كلّ واحد منهما نصفا من ضرعي الخلافة . و إمّا منه بمعنى خلف الناقة بالكسر ، أي حلمة ضرعها ، يقال : « شطّر ناقته تشطيرا » إذا صرّ خلفين من أخلافها ، أي شدّ عليهما الصرار و هو خيط يشدّ فوق الخلف لئلاّ يرضع منه الولد ، و للناقة أربعة أخلاف خلفان قادمان و هما اللّذان يليان السرّة و خلفان آخران ، و سمّى عليه السلام خلفين منها ضرعا لاشتراكهما في الحلب دفعة ، و لم نجد التشطّر على صيغة التفعّل في كلام اللغويّين .

و في رواية المفيد رحمه اللّه و غيره « شاطرا » على صيغة المفاعلة ، يقال :

« شاطرت ناقتي » إذا احتلبت شطرا و تركت الآخر ، و « شاطرت فلانا مالي » إذا ناصفته . و في كثير من روايات السقيفة إنّه عليه السلام قال لعمر بن الخطّاب بعد يوم السقيفة : « احلب حلبا لك شطره ، اشد دوله اليوم يردّه عليك غدا » . و قد مهّد عمر أمر البيعة لأبي بكر يوم السقيفة ثمّ نصّ أبو بكر عليه لمّا حضر أجله و كان قد استقضاه

في خلافته و جعله وزيرا في أمرها مساهما في وزرها ، فالمشاطرة تحتمل الوجهين . و في رواية الشيخ و الطبرسيّ ذكر التمثّل في هذا الموضع بعد قوله « ضرعيها » .

« فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ، و يخشن مسّها ، و يكثر العثار فيها و الاعتذار منها » و ليست « فيها » في كثير من النسخ و « الحوزة » بالفتح ، الناحية و الطبيعة . و « الغلظ » ضدّ الرقّة . و « الكلم » بالفتح ، الجرح ، و في الإسناد توسّع .

و خشونة المسّ و الإيذاء و الإضرار و هي في غير ما يستفاد من الخشناء فإنّها عبارة عن كون الحوزة بحيث لا ينال ما عندها و لا يفوز بالنجاح من قصدها ، كذا قيل ، و قال بعض الشرّاح : يمكن أن يكون من في « الاعتذار منها » للتعليل ، أي و يكثر اعتذار الناس عن أفعالهم و حركاتهم لأجل تلك الحوزة . و قال بعض الأفاضل : الظاهر أنّ المفاد على تقدير إرادة الناحية تشبيه المتولّي للخلافة بالأرض الخشناء في ناحية الطريق المستوي ، و تشبيه الخلافة بالراكب السائر فيها أو بالناقة ، أي أخرجها عن مسيرها المستوي و هو من يستحقّها إلى تلك الناحية الحزنة فيكثر عثارها أو عثار مطيّها فيها فاحتاجت إلى الاعتذار من عثراتها الناشية من خشونة الناحية ، و هو في الحقيقة اعتذار من الناحية فالعاثر و المعتذر حينئذ هي الخلافة توسّعا و الضمير المجرور في منها راجع إلى الحوزة أو الى العثرات المفهومة من كثرة العثار ، و من صلة للاعتذار أو للصفة المقدّرة للاعتذار أو حالا عن يكثر ، أي الناشي أو ناشيا منها ، و على ما في كثير من النسخ يكون الظرف المتضمّن لضمير الموصوف أعني « فيها » محذوفا . و العثار و الاعتذار على النسختين إشارة إلى الخطأ في الأحكام و غيرها و الرجوع عنها كقصّة الحاملة و المجنونة و ميراث الجدّ و غيرها .

و في الاحتجاج : « فصيّرها و اللّه في ناحية خشناء يجفو مسّها ، و يغلظ كلمها ،

فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم و إن أسلس لها تقحّم ، يكثر فيها العثار ، و يقلّ فيها الاعتذار » ، فالمعنى أنّه كان يعثر كثيرا و لا يعتذر منها لعدم المبالاة أو للجهل أو لأنّه لم يكن لعثراته عذر حتّى يعتذر ، فالمراد بالاعتذار إبداء العذر ممّن كان معذورا و لم يكن مقصّرا . و في رواية الشيخ رحمه اللّه « فعقدها و اللّه في ناحية خشناء يخشن مسّها » . و في بعض النسخ : « يخشى مسّها ، و يغلظ كلمها ، و يكثر العثار و الاعتذار فيها ، صاحبها كراكب الصعبة ، إن أشنق لها خرم ، و إن أسلس لها عصفت به » .

« فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم ، و إن أسلس لها تقحّم » الصعبة من النوق غير المنقادة . و « أشنق بعيره » أي جذب رأسها بالزمام ، و يقال :

« أشنق البعير بنفسه » إذا رفع رأسه ، يتعدّى و لا يتعدّى ، و اللغة المشهورة « شنق » كنصر متعدّيا بنفسه ، و يستعملان باللام كما صرّح به في النهاية .

قال السيّد رحمه اللّه في النهج بعد إتمام الخطبة : قوله عليه السلام في هذه الخطبة « كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم و إن أسلس لها تقحّم » يريد أنّه إذا شدّد عليها في جذب الزمام و هي تنازعه رأسها خرم أنفها ، و إن أرخى لها شيئا مع صعوبتها تقحّمت به فلم يملكها ، يقال : « أشنق الناقة » إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه ،

و شنقها أيضا . ذكر ذلك ابن سكّيت في إصلاح المنطق ، و إنّما قال : « أشنق لها » و لم يقل « أشنقها » لأنّه جعله في مقابلة قوله « أسلس لها » فكأنّه عليه السلام قال : إن رفع رأسها بالزمام بمعنى أمسكه عليها . انتهى . فاللام للازدواج . و « الحزم » الشقّ ،

يقال : « خرّ فلانا » كضرب أي شقّ وترة أنفه ، و هي ما بين منخريه ، فخرم هو كفرح ، و المفعول محذوف و هو ضمير الصعبة كما يظهر من كلام بعض اللغويّين أو أنفها كما يدلّ عليه كلام السيّد و ابن الاثير و بعض الشارحين . و « أسلس لها » أي أرخى زمامها لها . و « تقحّم » أي رمى نفسه في مهلكة ، و « تقحّم الانسان الأمر » أي رمى فيها من غير رويّة . و ذكروا في بيان المعنى وجوها :

منها : أنّ الضمير في « صاحبها » يعود إلى الحوزة المكنّى بها عن الخليفة أو أخلاقه ، و المراد بصاحبها من يصاحبها كالمستشار و غيره ، و المعنى أنّ المصاحب للرجل المنعوت حاله في صعوبة الحال كراكب الناقة الصعبة فلو تسرّع إلى إنكار القبائح من أعماله أدّى إلى الشقاق بينهما و فساد الحال ، و لو سكت و خلاّه و ما يصنع أدّى إلى خسران المال .

و منها : أنّ الضمير راجع إلى الخلافة أو إلى الحوزة ، و المراد بصاحبها نفسه عليه السلام و المعنى أنّ قيامي في طلب الأمر يوجب مقاتلة ذلك الرجل و فساد أمر الخلافة رأسا و تفرّق نظام المسلمين ، و سكوتي عنه يورث التقحّم في موارد الذلّ و

الصغار .

و منها : أنّ الضمير راجع إلى الخلافة ، و صاحبها من تولّى أمرها مراعيا للحق و ما يجب عليه ، و المعنى أنّ المتولّي لأمر الخلافة إن أفرط في إحقاق الحقّ و زجر الناس عمّا يريدونه بأهوائهم أوجب ذلك نفار طباعهم و تفرّقهم عنه لشدّة الميل إلى الباطل ،

و إن فرّط في المحافظة على شرائطها ألقاه التفريط في موارد الهلكة ، و ضعف هذا الوجه و بعده واضح .

هذا ما قيل من الوجوه و لعلّ الأوّل أظهر و يمكن فيه تخصيص الصاحب به عليه السلام فالغرض بيان مقاساته الشدائد في أيّام تلك الحوزة الخشناء للمصاحبة ،

و قد كان يرجع إليه عليه السلام بعد ظهور الشناعة في العثرات و يستشيره في الأمور للأغراض .

و يحتمل عندي وجه آخر و هو أن يكون المراد بالصاحب عمر ، و بالحوزة سوء أخلاقه ، و يحتمل إرجاع الضمير إلى الخلافة ، و الحاصل أنّه كان لجهله بالأمور و عدم استحقاقه للخلافة و اشتباه الأمور عليه كراكب الصعبة فكان يقع في أمور لا يمكنه التخلّص منها ، أو لم يكن شيء من أموره خاليا عن المفسدة ، فإذا استعمل الجرأة و الجلادة و الغلظة كانت على خلاف الحقّ ، و إن استعمل اللّين كان للمداهنة في الدين .

« فمني الناس لعمر اللّه بخبط و شماس ، و تلوّن و اعتراض » ، « مني » على المجهول ، أي ابتلى . و « العمر » بالضمّ و الفتح ، مصدر « عمر الرجل » بالكسر ، إذا عاش زمانا طويلا ، و لا يستعمل في القسم إلاّ « العمر » بالفتح ، فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء و اللام لتوكيد الابتداء و الخبر محذوف ، و التقدير « لعمر اللّه قسمي » ، و إن لم تأت

باللام نصبته نصب المصادر . و المعنى على التقديرين : أحلف ببقاء اللّه و دوامه . و « الخبط » بالفتح ، السير على غير معرفة و في غير جادّة . و « الشماس » بالكسر ، النفار ،

يقال : « شمس الفرس شموسا و شماسا » أي منع ظهره فهو فرس شموس بالفتح و به شماس . و « التلوّن » في الإنسان أن لا يثبت على خلق واحد . و « الاعتراض » السير على

[72]

غير استقامة كأنّه يسير عرضا ، و الغرض بيان شدّة ابتلاء الناس في خلافته بالقضايا الباطلة لجهله و استبداده برأيه مع تسرّعه إلى الحكم و إيذائهم بحدّته و بالخشونة في الأقوال و الأفعال الموجبة لنفارهم عنه و بالنفار عن الناس كالفرس الشموس ، و التلوّن في الآراء و الأحكام لعدم ابتنائها على أساس قويّ و بالخروج عن الجادّة المستقيمة الّتي شرعها اللّه لعباده ، أو بالوقوع في الناس في مشهدهم و مغيبهم ، أو بالحمل على الأمور الصعبة و التكاليف الشاقّة ، و يحتمل أن يكون الأربعة أوصافا للناس في مدّة خلافته ،

فإنّ خروج الوالي عن الجادّة يستلزم خروج الرعيّة عنها أحيانا ، و كذا تلوّنه و اعتراضه يوجب تلوّنهم و اعتراضهم على بعض الوجوه ، و خشونته يستلزم نفارهم . و سيأتي تفاصيل تلك الأمور في الأبواب الآتية إن شاء اللّه تعالى .

« فصبرت على طول المدّة ، و شدّة المحنة حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم » ، و في تلخيص الشافي : « زعم أنّي سادسهم » ، و « المحنة » البليّة الّتي يمتحن بها الإنسان . و « الزعم » مثلّثة ، قريب من الظنّ ، و قال ابن اثير ، إنّما يقال :

زعموا في حديث لاسند له و لا ثبت فيه . و قال الزمخشريّ : هي ما لا يوثق به من الأحاديث . و روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « كلّ زعم في القرآن كذب » . و كانت مدّة غصبه للخلافة على ما في الاستيعاب عشر سنين و ستّة أشهر ،

و قال : قتل يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث و عشرين . و قال الواقدي و غيره : لثلاث بقين منه ، طعنه أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة . و اشتهر بين الشيعة أنّه قتل في التاسع من ربيع الأوّل ، و سيأتي فيه بعض الروايات و الجماعة الّذين أشار عليه السلام إليهم أهل مجلس الشورى و هم ستّة على المشهور : عليّ عليه السلام و عثمان و طلحة و الزبير و سعد بن أبي وقّاص و عبد الرحمن بن عوف . و قال الطبريّ لم يكن طلحة ممّن ذكر في الشورى و لا كان يومئذ بالمدينة . و قال أحمد بن أعثم : لم يكن بالمدينة ،

فقال عمر : انتظروا بطلحة ثلاثة أيّام فإن جاء و إلاّ فاختاروا رجلا من الخمسة .

« فيااللّه و للشورى » ، « الشورى » كبشرى مصدر بمعنى المشهورة ، و اللام في « فيااللّه » مفتوحة لدخولها على المستغاث ، ادخلت للدلالة على اختصاصها بالنداء

[73]

للاستغاثة ، و أمّا في « و للشورى » فمكسورة دخلت على المستغاث له ، و الواو زائدة أو عاطفة على محذوف مستغاث له أيضا ، قيل : كأنّه قال : « فيالعمر و للشورى ، أولي و للشورى » و نحوه ، و الأظهر فيااللّه لما أصابني عنه أو لنوائب الدهر عامّة و للشورى خاصّة ، و الاستغاثة للتألّم من الاقتران بمن لا يدانيه في الفضائل و لا يستأهل للخلافة . و سيأتي قصّة الشورى في بابها .

« متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت اقرن إلى هذه النظائر » . و في رواية الشيخ و غيره « فيا للشّورى ، و اللّه متى اعترض الريب فيّ مع الأوّلين فأنا الآن اقرن » . و في الاحتجاج « مع الأوّلين منهم حتّى صرت الآن يقرن بي هذه النظائر » . يقال : « اعترض الشيء » أي صار عارضا كالخشبة المعترضة في النهر .

و « الريب » الشكّ . و المراد بالأوّل أبو بكر ، و « أقرن إليهم » على لفظ المجهول ، أي اجعل قرينا لهم و يجمع بيني و بينهم . و النظائر الخمسة أصحاب الشورى ، و قيل :

الأربعة ، كما سيأتي . و التعبير عنهم بالنظائر لأنّ عمر جعلهم نظائر له عليه السلام ،

أو لكون كلّ منهم نظير الآخرين .

« لكنّي أسففت إذ أسفّوا ، و طرت إذ طاروا » . و في رواية الشيخ : « و لكنّي أسففت مع القوم حيث أسفّوا ، و طرت مع القوم حيث طاروا . » قال في النهاية في شرح هذه الفقرة : « أسفّ الطائر » إذا دنا من الأرض ، و « أسفّ الرجل للأمر » إذا قاربه .

و « طرت » أي ارتفعت استعمالا للكلّي في أكمل الأفراد بقرينة المقابلة . و قال بعض الشارحين : أي لكنّي طلبت الأمر إن كان المنازع فيه جليل القدر أو صغير المنزلة لأنّه حقّي و لم أستنكف من طلبه ، و الأظهر أنّ المعنى أنّي جريت معهم على ماجروا ، و دخلت في الشورى مع أنّهم لم يكونوا نظرآء لي ، و تركت المنازعة للمصلحة ، أو الأعمّ من ذلك بأن تكلّمت معهم في الاحتجاج أيضا بما يوافق رأيهم و بنيت الكلام على تسليم حقيّة ما مضى من الأمور الباطلة ، و أتممت الحجّة عليهم على هذا الوجه .

« فصغى رجل منهم لضغنه ، و مال الآخر لصهره ، مع هن و هن » ، « الصغي » الميل ، و منه : « أصغت إليه » إذا ملت بسمعك و نحوه ، و « الضغن » بالكسر ،

[74]

الحقد و العداوة . و « الصهر » بالكسر ، حرمة الختونة ، و قال الخليل : « الأصهار » أهل بيت المرأة ، و من العرب من يجعل الصهر من الأحماء و الأختان جميعا . و « هن » على وزن أخ ، كلمة كناية و معناه شيء ، و أصله هنو ، و قال الشيخ الرضي رضي اللّه عنه : « الهن » الشيء المنكر الّذي يستهجن ذكره من العورة ، و الفعل القبيح و غير ذلك . و الّذي مال للضغن سعد بن أبي وقّاص لأنّه عليه السلام قتل أباه يوم بدر و سعد أحد من قعد عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام عند رجوع الأمر إليه ، كذا قال الراوندي رحمه اللّه ، و ردّه ابن أبي الحديد بأنّ أبا وقّاص و اسمه مالك بن وهيب مات في الجاهليّة حتف أنفه ، و قال : المراد به طلحة و ضغنه لأنّه تيميّ و ابن عمّ أبي بكر ، و كان في نفوس بني هاشم حقد 87 شديد من بني تيم لأجل الخلافة و بالعكس ،

و الرواية الّتي جائت بأنّ طلحة لم يكن حاضرا يوم الشورى و إن صحّت ، فذو الضغن هو سعد لأنّ امّه حمنة بنت سفيان بن اميّة بن عبد شمس ، و الضغنة الّتي كانت عنده من قبل أخواله الّذين قتلهم عليّ عليه السلام و لم يعرف أنّه عليه السلام قتل أحدا من بني زهرة لينسب الضّغن إليه . و الّذي مال لصهره هو عبد الرّحمن لأنّ أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت زوجة عبد الرّحمن و هي أخت عثمان من أمّه أروى بنت كويزبن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . و في بعض نسخ كتب الصدوق رحمه اللّه « فمال رجل بضبعه » بالضّاد المعجمة و الباء ، و في بعضها باللام . و قال الجوهريّ : « الضبع » العضد و « ضبعت الخيل » مدّت أضباعها في سيرها . و قال الأصمعيّ : « الضبع » أن يهوي بحافره إلى عضده و كذا في ضبع فلان بالضمّ ، أي في كنفه و ناحيته ، و قال : يقال : « ضلعك مع فلان » أي ميلك معه و هواك ، و يقال :

« خاصمت فلانا فكان ضلعك عليّ » أي ميلك . و في رواية الشيخ : « فمال رجل لضغنه ، و أصغى آخر لصهره » . و لعلّ المراد بالكناية رجاءه أن ينتقل الأمر إليه بعد عثمان و ينتفع بخلافته و الانتساب إليه باكتساب الأموال و الاستطالة و الترفّع على الناس ، أو نوع من الانحراف عنه عليه السلام و قد عدّ من المنحرفين ، أو غير ذلك ممّا

----

(87) في بعض النسخ : حنق .

[75]

هو عليه السلام أعلم به . و يحتمل أن يكون الظرف متعلّقا بالمعطوف و المعطوف عليه كليهما فالكناية تشتمل ذا الضغن أيضا .

« إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه ، بين نثيله و معتلفه ، و قام معه بنو أبيه يخضعون مال اللّه خضم الإبل نبتة الربيع » . و في رواية الشيخ : « أن قام الثالث نافجا حضنيه ، بين نثيله و معتلفه منها ، و أسرع معه بنو أبيه في مال اللّه يخضعونه » . و « الحضن » بالكسر ، مادون الإبط إلى الكشح . و « النفج » بالجيم ، الرفع يقال : « بعير منتفج الجنين » إذا امتلأ

من الأكل فارتفع جنباه ، و « رجل منتفج الجنبين » إذا افتخر بما ليس فيه ، و ظاهر المقام التشبيه بالبعير . و قال ابن الأثير : كنّي به عن التعاظم و الخيلاء ، قال : و يروى « نافخا » بالخاء المعجمة ، أي منتفخا مستعدّا لأن يعمل عمله من الشرّ . و الظاهر على هذه الرواية أنّ المراد كثرة الأكل . و « النثيل » الرّوث . و « المعتلف » بالفتح ، موضع الاعتلاف و هو أكل الدابّة العلف ، أي كان همّه الأكل و الرجع كالبهائم ، و قد مرّ تفسير ما في رواية الصدوق رحمه اللّه . قال في القاموس :

« النّثيل » بالكسر ، وعاء قضيب البعير أو القضيب نفسه . و « الخضم » الأكل بجميع الفم ، و يقابله القضم أي بأطراف الأسنان .

و قال في النهاية : في حديث عليّ عليه السلام « فقام معه بنو أبيه يخضمون مال اللّه خضم الإبل نبتة الربيع » . « الخضم » الأكل بأقصى الأضراس ، و « القضم » بأدناها ، و منه حديث أبي ذرّ : « تأكلون خضما ، و نأكل قضما » و قيل : « الخضم » خاصّ بالشيء الرطب و « القضم » باليابس ، و الفعل « خضم » كعلم على قول الجوهريّ و ابن الأثير ، و في القاموس : كسمع و ضرب . و اعرب المضارع في النسخ على الوجهين جميعا . و قالوا : « النبتة » بالكسر ، ضرب من فعل النبات ، يقال : إنّه لحسن النّبتة ، و الكلام إشارة إلى تصرّف عثمان و بني أميّة في بيت مال المسلمين و إعطائه الجوائز و إقطاعه القطايع كما سيأتي إن شاء اللّه .

« إلى أن انتكث عليه فتله ، و أجهز عليه عمله ، و كبت به بطنته » . و في الاحتجاج : « الى أن كبت به بطنته ، و أجهز عليه عمله » . و « الانتكاث » الانتقاض ،

يقال : « نكث فلان العهد و الحبل فانتكث » أي نقضه فانتقض . و « فتل الحبل » برمه وليّ شقيّه . و « الإجهاز » إتمام قتل الجريح و إسراعه ، و قيل : فيه إيماء إلى ما أصابه قبل القتل من طعن أسنّة الألسنة و سقوطه عن أعين الناس . و « كبا الفرس » سقط على وجهه و « كبابه » . . . أسقطه . و « البطنة » الكظّة أي الامتلاء من الطعام . و الحاصل أنّه استمرّت أفعالهم المذكورة إلى أن رجع عليه حيله و تدابيره و لحقه و خامة العاقبة فوثبوا عليه و قتلوه كما سيأتي بيانه .

« فما راعني إلاّ و الناس ينثالون عليّ من كلّ جانب » . و في الاحتجاج : « إلاّ و الناس رسل إليّ كعرف الضبع يسألوني [أن] أبايعهم و انثالوا عليّ حقّي » . و في رواية الشيخ : « فما راعني من الناس إلاّ و هم رسل كعرف الضبع يسألوني أبايعهم و أبى ذلك و انثالوا عليّ » . و « الرّوع » بالفتح ، الفزع و الخوف ، يقال : « رعت فلانا و روّعته فارتاع » أي أفزعته ففزع و « راعني الشيء » أي أعجبني ، و الأوّل هنا أنسب . و « الثول » صبّ ما في الإناء و « انثال » انصبّ ، و في بعض النسخ الصحيحة : « و الناس إليّ كعرف الضّبع ينثالون » . و « العرف » الشعر الغليظ النابت على عنق الدابّة ، و « عرف الضبع » ممّا يضرب به المثل في الازدحام ، و في القاموس : « الرّسل » محرّكة ، القطيع من كلّ شيء و « الرّسل » بالفتح ، المترسّل من الشعر ، و « قد رسل كفرح رسلا » أي ما أفزعني حالة إلاّ حالة ازدحام الناس للبيعة ، و ذلك لعلمهم بقبح العدول عنه عليه السلام إلى غيره .

« حتّى لقد وطيء الحسنان ، و شقّ عطفاي » . « الوطء » الدّوس بالقدم .

و « الحسنان » السبطان صلوات اللّه عليهما . و نقل عن السيّد المرتضى رضي اللّه عنه أنّه قال : روى أبو عمرو أنّهما الإبهامان ، و أنشد للشفريّ : « مهضومة الكشحين حزماء الحسن » . و روي أنّه صلوات اللّه عليه كان يومئذ جالسا محتبيا و هي جلسة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المسمّاة بالقرفصاء فاجتمعوا ليبايعوه ، زاحموا حتّى و طؤوا إبهاميه و شقّوا ذيله . قال : و لم يعن الحسن و الحسين عليهما السلام و هما رجلان كسائر الحاضرين . و « عطف الرجل » بالكسر ، جانباه ، فالمراد شقّ جانبي قميصه

عليه السلام أورادئه لجلوس النّاس أو وضع الأقدام و زحامهم حوله ، و قيل : أراد خدش جانبيه عليه السلام لشدّة الاصطكاك و الزّحام . و في بعض النّسخ الصّحيحة : « و شقّ عطافي » و هو بالكسر الرداء و هو أنسب .

« مجتمعين حولي كربيضة الغنم » ، « الربيض و الربيضة » الغنم المجتمعة في مربضها أي مأويها ، و قيل : إشارة إلى بلادتهم و نقصان عقولهم لأنّ الغنم توصف بقلّة الفطنة .

« فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة ، و مرقت أخرى ، و فسق آخرون » . و في رواية الشيخ و الاحتجاج : « و قسط آخرون » . « نهض » كمنع قام و « النكث » النقض . و « المروق » الخروج . و « فسق الرجل » كنصر و ضرب فجر ، و أصله الخروج . و « القسط » العدل و الجور ، و المراد به هنا الثاني ، و المراد بالنّاكثة أصحاب الجمل و قد روي أنّه عليه السلام كان يتلو وقت مبايعتهم : « فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه » 88 و بالمارقة أصحاب النهروان و بالفاسقة أو القاسطة أصحاب صفّين . و سيأتي إخبار النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بهم و بقتاله عليه السلام معهم .

كأنّهم لم يسمعوا اللّه سبحانه يقول : تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرضِ وَ لاَ فَسَاداً وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ 89 الظاهر رجوع ضمير الجمع إلى الخلفاء الثلاثة لا إلى الطوائف كما توهّم إذ الغرض من الخطبة ذكرهم لا الطوائف و هو المناسب لما بعد الآية لا سيّما ضمير الجمع في « سمعوها و وعوها » . و الغرض تشبيههم في الإعراض عن الآخرة و الإقبال على الدنيا و زخارفها للأغراض الفاسدة بمن أعرض عن نعيم الآخرة لعدم سماع الآية و شرائط الفوز بثوابها ، و المشار إليها في الآية هي الجنّة و الإشارة للتعظيم ، أي تلك الدار الّتي بلغك وصفها . و « العلوّ » هو التكبّر على عباد اللّه و الغلبة عليهم و الاستكبار عن العبادة . و « الفساد » الدّعاء إلى عبادة غير اللّه أو أخذ المال

----

(88) *الفتح : 10 .*

----

(89) *القصص : 83 .*

و قتل النفس بغير حقّ أو العمل بالمعاصي و الظلم على النّاس . و الآية لمّا كانت بعد قصّة قارون و قبله قصّة فرعون فقيل : العلوّ إشارة إلى كفر فرعون لقوله تعالى : « علا في الأرض » 90 و الفساد إلى بغي قارون لقوله تعالى : وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ 91 . ففي كلامه يحتمل كون الأوّل إشارة إلى الأوّلين ، و الثاني إلى الثالث ، أو الجميع إليهم جميعا ، أو إلى جميع من ذكر في الخطبة كما قيل .

« بلى و اللّه لقد سمعوها و وعوها ، و لكنّهم حليت الدنيا في أعينهم ، و راقهم زبرجها » . و في رواية الشيخ : « بلى و اللّه لقد سمعوها و لكن راقتهم دنياهم ، و أعجبهم زبرجها » . « وعى الحديث » كرمى فهمه و حفظه . و « حلى فلان بعيني و في عيني » بالكسر ، إذا أعجبك ، و كذلك « حلى بالفتح يحلو حلاوة » . و « راقني الشيء » أعجبني . و « الزبرج » الزينة من وشي أو جوهر أو نحو ذلك ، قال الجوهريّ : و يقال :

الذهب . و في النهاية : الزينة و الذهب و السحاب .

« أما و الّذي فلق الحبّة و برأ النسمة لولا حضور الحاضر ، و قيام الحجّة بوجود النّاصر » . و في رواية الشيخ : « لولا حضور النّاصر ، و لزوم الحجّة ، و ما أخذ اللّه من أولياء الأمر » . « الفلق » الشقّ . و « برأ » أي خلق ، و قيل : قلّما يستعمل في غير الحيوان .

و « النّسمة » محرّكة ، الإنسان أو النفس و الروح ، و الظاهر أنّ المراد بفلق الحبّة شقّها و إخراج النّبات منها ، و قيل خلقهما ، و قيل : هو الشّقّ الّذي في الحبّ . و « حضور الحاضر » إمّا وجود من حضر للبيعة فما بعده كالتفسير له ، أو تحقّق البيعة على ما قيل ، أو حضوره سبحانه و علمه ، أو حضور الوقت الّذي وقّته الرّسول صلّى اللّه عليه و آله للقيام بالأمر .

« و ما أخذ اللّه على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم و لا سغب مظلوم » ، كلمة « ما » مصدريّة و الجملة في محلّ النصب لكونها مفعولا ل « أخذ » ، أو موصولة و العائد مقدّر و الجملة بيان لما أخذه اللّه بتقدير حرف الجرّ ، أو بدل منه ، أو عطف بيان له . و « العلماء »

----

(90) *القصص : 4 .*

----

(91) القصص : 77 .

[79]

إمّا الأئمّة عليهم السّلام أو الأعمّ فيدلّ على وجوب الحكم بين النّاس في زمان الغيبة لمن جمع الشرائط ، و في الاحتجاج : « على أولياء الأمر أن لا يقرّوا » و « المقارّة » على ما ذكره الجوهريّ أن تقرّ مع صاحبك و تسكن ، و قيل : إقرار كلّ واحد صاحبه على الأمر و تراضيهما به . و « الكظّة » ما يعتري الإنسان من الامتلاء من الطعام . و « السغب » بالتحريك ، الجوع .

« لألقيت حبلها على غاربها ، و لسقيت آخرها بكأس أوّلها » الضمائر راجعة إلى الخلافة . و « الغارب » ما بين السنام و العنق أو مقدّم السنام . و « إلقاء الحبل عليه » ترشيح لتشبيه الخلافة بالناقة الّتي يتركها راعيها لترعى حيث تشاء و لا يبالي من يأخذها و ما يصيبها ، و ذكر الحبل تخييل . و « الكأس » إناء فيه شراب أو مطلقا . و سقيها بكأس أوّلها تركها و الإعراض عنها لعدم النّاصر ، و قال بعض الشارحين : التّعبير بالكأس لوقوع النّاس بذلك الترك في حيرة تشبه السكر .

« و لألفيتم دنياكم هذه أزهد عندى من عفطة عنز » . و في الاحتجاج :

« و لألفوا دنياهم أهون عندي » . قوله عليه السلام « ألفيتم » أي وجدتم ، و إضافة الدنيا إلى المخاطبين لتمكّنها في ضمائرهم و رغبتهم فيها ، و الإشارة للتحقير . و « الزهد » خلاف الرغبة ، و « الزهيد » القليل ، وصيغة التفضيل على الأوّل على خلاف القياس كأشهر و أشغل . و « العنز » بالفتح ، أنثى المعز ، و « عفطها » ما يخرج من أنفها عند النّثرة و هي منها شبه العطسة ، كذا قال بعض الشارحين . و أورد عليه أنّ المعروف في العنز النفطة بالنون و في النعجة العفطة بالعين ، صرّح به الجوهريّ و الخليل في العين ، و قال بعض الشارحين : العفطة من الشاة كالعطاس من الإنسان و هو غير معروف ، و قال ابن الأثير : أي ضرطة عنز .

« قالوا : و قام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته ،

فناوله كتابا فأقبل ينظر فيه ، فلمّا فرغ من قراءته قال ابن عباس رحمة اللّه عليه : يا أمير المؤمنين لو أطردت مقالتك من حيث أفضيت . فقال له : هيهات يا بن عباس تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت » . « أهل السواد » ساكنوا القرى ، و تسمّى القرى سوادا

[80]

لخضرتها بالزرع و الأشجار ، و العرب تسمّي الأخضر أسود . و « ناوله » أعطاه ، و يحتمل أن يكون « أطردت » على صيغة الخطاب من باب الإفعال ، و نصب المقالة على المفعوليّة أو على صيغة المؤنّث الغايب من باب الافتعال و رفع المقالة على الفاعليّة و الجزاء محذوف أي كان حسنا ، أو كلمة « لو » للتمنّي . و قد مرّ تفسير « الشّقشقة » بالكسر . و « هدير الجمل » ترديده الصوت في حنجرته و إسناده إلى الشّقشقة تجوّز . و « قرّت » أي سكنت ، و قيل : في الكلام إشعار بقلّة الاعتناء بمثل هذا الكلام إمّا لعدم التأثير في السامعين كما ينبغي ، أو لقلّة الاهتمام بأمر الخلافة من حيث إنها سلطنة ، أو للإشعار بانقضاء مدّته عليه السلام فإنّها كانت في قرب شهادته عليه السلام ، أو لنوع من التقيّة ، أو لغيرها .

« قال ابن عباس : فو اللّه ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على ذلك الكلام ألاّ يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد » ، « الأسف » بالتحريك ، أشدّ الحزن ، و الفعل كعلم ، و « قطّ » من الظروف الزمانيّة بمعنى أبدا .

و حكى ابن أبي الحديد عن ابن الخشّاب أنّه قال : لو سمعت ابن عبّاس يقول هذا لقلت له : و هل بقي في نفس ابن عمّك أمر لم يبلغه لتتأسّف ؟ و اللّه ما رجع عن الأوّلين و لا عن الآخرين . 92 أقول . إنّما أطنبت الكلام في شرح تلك الخطبة الجليلة لكثرة جدواها و قوّة الاحتجاج بها على المخالفين و شهرتها بين جميع المسلمين و إن لم نوفّ في كلّ فقرة حقّ شرحها حذرا من كثرة الإطناب و تعويلا على ما بيّنته في سائر الأبواب . 93

----

(92) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 205 ، ط بيروت .

----

(93) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، كتاب « الفتن و المحن » ، ص 154 ، ط تبريز .

[81]

4 و من خطبة له عليه السلام و هي من افصح كلامه عليه السلام و فيها يعظ الناس و يهديهم من ضلالتهم و يقال : إنه خطبها بعد قتل طلحة و الزبير

بنا اهتديتم في الظّلماء ، و تسنّمتم (147) ذروة العلياء ، و بنا أفجرتم (148) عن السّرار (149) . و قر (150) سمع لم يفقه الواعية (151) ، و كيف يراعي النّباءة (152) من أصمّته الصّيحة ؟ ربط جنان (153) لم يفارقه الخفقان . ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر ، و أتوسّمكم (154) بحلية المغترّين (155) ، حتّى سترني عنكم جلباب الدّين (156) ، و بصّرنيكم صدق النّيّة . أقمت لكم على سنن الحقّ في جوادّ المضلّة (157) ، حيث تلتقون و لا دليل ، و تحتفرون و لا تميهون (158) .

اليوم أنطق لكم العجماء (159) ذات البيان عزب (160) رأي امرىء تخلّف عنّي ما شككت في الحقّ مذ أريته لم يوجس موسى عليه السّلام خيفة (161) على نفسه ، بل أشفق من غلبة الجهّال و دول الضّلال اليوم تواقفنا (162) على سبيل الحقّ و الباطل . من وثق بماء لم يظمأ

بيان

94 : قوله عليه السلام : « و تسنّمتم العلياء » أي ركبتم سنامها ، و سنام

----

(94) هذه الخطبة رواها من « الإرشاد » للمفيد رحمه اللّه و فسّره ثمّ قال : « و رواه في النهج بأدنى تغيير » ، و نحن نذكر ذلك التفسير في شرحنا هذا .

[82]

كلّ شيء أعلاه ، أي بتلك الهداية على قدركم . « و بنا انفجرتم » و روي « أفجرتم » ،

قال ابن أبي الحديد : هو نحو « أغد البعير » أي صرتم ذوي فجر . 95 و « عن » للمجاوزة أي منتقلين عن السرار . و « السرار » اللّيلة و اللّيلتان يستر فيهما القمر في آخر الشهر . أقول :

و على الرواية الأخرى لعلّ المعنى : انفجرتم انفجار العين من الأرض أو الصبح من الليل .

« و قرسمع » دعاء على السمع الّذي لم يفقه كلام الداعي إلى اللّه بالثّقل و الصمّ .

« كيف يراعي النّبأة » أي من أصمّته الصيحة القويّة فإنّه لم يسمع الصوت الضعيف ،

و المعنى : من لم ينتفع بالمواعظ الجليّة كيف ينتفع بالعبر الضعيفة ، و لعلّه كناية عن ضعف دعائه بالنسبة إلى دعاء اللّه و رسوله . « ربط جنان » دعاء للقلوب الخائفة الوجلة الّتي لا تزال تخفق من خشية اللّه و الإشفاق من عذابه بالسكينة و الثبات و الاطمئنان ،

و التقدير : ربط جنان نفسه ، و من روى بضمّ الراء فالمعنى : ربط اللّه جنانا كانت كذلك و هو أظهر . « الخفقان » بالتحريك ، التحرّك و الاضطراب . « ما زلت أنتظربكم » الخطاب لبقيّة أصحاب الجمل أو مع المقتولين أو الأخير فقط و إضافة عواقب الغدر بيانيّة أولاميّة . و « التوسّم » التفرّس ، أي كنت أتفرّس منكم أنّكم ستغترّون بالشبه الباطلة .

« سترني عنكم جلباب الدين » أي الدين حال بينكم و بيني فلم تعرفوا ما أقوى عليه من الغلظة عليكم و قتلكم ، و سترني عن أعين قلوبكم ما وقفني عليه الدين من الرفق و الشفقة و سحب ذيل العفو على الجرائم ، و يحتمل أن يكون المعنى :

إظهاركم شعار الإسلام عصمكم منّي مع علمي بنفاقكم فأجريتكم مجرى المخلصين ، و هذا أنسب بما رواه بعضهم « ستركم عنّي » . « و بصّرنيكم صدق النيّة » أي يجعلني بصيرا بكم إخلاصي للّه تعالى و به صارت مرآة نفسي صافية كما قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله : « المؤمن ينظر بنور اللّه » ، ذكره ابن ميثم 96 و الراونديّ . و يحتمل أن يكون المراد بصدق النيّة العلم الصادق الحاصل له عليه السلام بنفاقهم من العلامات كما

----

(95) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 208 ، ط بيروت .

----

(96) شرح النهج لابن ميثم ، ج 1 ، ص 273 ، ط بيروت .

قال اللّه تعالى : فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ 97 . أي أنزلكم منزلة المخلصين لظاهر إسلامكم مع علمي واقعا بنفاقكم .

و قال الراونديّ رحمه اللّه : و يحتمل وجه آخر و هو أن يكون المعنى : إنّما أخفى رتبتي و منزلتي عليكم ما أنا متباطئة التخلّق بأخلاق الديانة و هو أنّه لا يعرّفهم نفسه لمفاخرها و مآثرها فيكون من باب قوله « إنّ هيهنا لعلما جمّا لو أصبت له حملة » ،

و على هذا يكون معناه : إنّكم إن قد صدقت نيّاتكم و نظرتم بعين صحيحة و أنصفتموني أبصرتم منزلتي .

« أقمت لكم على سنن الحقّ » أي قمت لكم على جادّة طريق الحقّ حيث يضلّ من تنكب عنه و لا دليل غيري ، و حيث تحتفرون الآبار لتحصيل الماء . « و لا تميهون » أي لا تجدون ماء . « اليوم أنطق لكم العجماء » كنّي بالعجماء ذات البيان عن العبر الواضحة و ما حلّ لقوم فسقوا عن أمرربّهم و عمّا هو واضح من كمال فضله عليه السلام و عن حال الدين و مقتضى أوامر اللّه تعالى فإنّ هذه الأمور عجماء لا نطق لها مقالا ذات البيان حالا . و لمّا بيّنها عليه السلام لهم و عرّفهم ما يقوله لسان حالها فكأنّه عليه السلام أنطقها لهم ، و قيل : « العجماء » صفة لمحذوف ، أي الكلمات العجماء ، و المراد بها ما في هذه الخطبة من الرموز الّتي لا نطق لها مع أنّها ذات بيان عند أولي الألباب . « عزب » أي بعد ، و يحتمل الإخبار و الدعاء . و « أوجس في نفسه خيفة » أضمر . « اليوم تواقفنا » أي أنا واقف على سبيل الحقّ و أنتم على الباطل .

« من وثق بماء » لعلّ المراد من كان على الحقّ و أيقن ذلك و اعتمد على ربّه لا يبالي بما وقع عليه كما أنّ من وثق بماء لم يفزعه عطشه .

و قال الشارحون : أي إن سكنتم إلى قولي و وثقتم به كنتم أبعد عن الضلال و أقرب الى اليقين .

و قال القطب الراونديّ رحمه اللّه : أخبرنا بهذه الخطبة جماعة عن جعفر الدوريستيّ ، عن أبيه محمّد بن العبّاس ، عن محمّد بن عليّ بن موسى ، عن محمّد بن

----

(97) محمّد : 30 .

عليّ الاسترآباديّ ، عن عليّ بن محمّد بن سيّار ، عن أبيه ، عن الحسن العسكريّ ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام . 98

5 و من خطبة له عليه السلام لما قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و خاطبه العباس و أبو سفيان ابن حرب في أن يبايعا له بالخلافة (و ذلك بعد أن تمت البيعة لأبي بكر في السقيفة ، و فيها ينهى عن الفتنة و يبين عن خلقه و علمه)

النهي عن الفتنة

أيّها النّاس ، شقّوا أمواج الفتن بسفن النّجاة ، و عرّجوا عن طريق المنافرة ، وضعوا تيجان المفاخرة . أفلح من نهض بجناح ، أو استسلم فأراح . هذا ماء آجن (163) ، و لقمة يغصّ بها آكلها . و مجتني الثّمرة لغير وقت إيناعها (164) كالزّارع بغير أرضه .

خلقه و علمه

فإن أقل يقولوا : حرص على الملك ، و إن أسكت يقولوا :

جزع (165) من الموت هيهات (166) بعد اللّتيّا و الّتي (167) و اللّه لابن

----

(98) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 443 ، ط كمپاني و ص 413 ، ط تبريز .

أبي طالب آنس بالموت من الطّفل بثدي أمّه ، بل اندمجت (168) على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية (169) في الطّويّ (170) البعيدة

6 و من كلامه له عليه السلام لما أشير عليه بألا يتبع طلحة و الزبير و لا يرصد لهما القتال و فيه يبين عن صفته بأنه عليه السلام لا يخدع

و اللّه لا أكون كالضّبع : تنام على طول اللّدم (171) ، حتّى يصل إليها طالبها ، و يختلها (172) راصدها (173) ، و لكنّي أضرب بالمقبل إلى الحقّ المدبر عنه ، و بالسّامع المطيع العاصي المريب (174) أبدا ،

حتّى يأتي عليّ يومي . فو اللّه ما زلت مدفوعا عن حقّي ، مستأثرا عليّ ،

منذ قبض اللّه نبيّه صلّى اللّه عليه و سلّم حتّى يوم النّاس هذا

7 و من خطبة له عليه السلام يذم فيها أتباع الشيطان

----

(99) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 421 ، ط كمپاني و ص 393 ، ط تبريز .

اتّخذوا الشّيطان لأمرهم ملاكا (175) ، و اتّخذهم له أشراكا (176) ،

فباض و فرّخ (177) في صدورهم ، و دبّ و درج (178) في حجورهم ، فنظر بأعينهم ، و نطق بألسنتهم ، فركب بهم الزّلل (179) ، و زيّن لهم الخطل (180) ، فعل من قد شركه (181) الشّيطان في سلطانه ، و نطق بالباطل على لسانه

بيان

« ملاك الأمر » بالكسر ، ما يقوم به . و « الأشراك » إمّا جمع « شريك » أي عدّهم من شركائه في إضلال الناس ، أوجمع « شرك » بالتحريك ، أي جعلهم حبائل لاصطياد الخلق . « فباض و فرّخ » كناية عن طول مكثه للوسوسة في صدورهم .

و « الدبّ » المشى الضعيف و « الدرج » أقوى منه ، و هما كنايتان عن تربيتهم الباطل و ملازمة الشيطان لهم حتّى صاروا كالوالدة له . 100 و « الزلل » في الأعمال ، و « الخطل » في الأقوال . و الباء في « ركب بهم » للتعدية ، و الضمير في « سلطانه » راجع إلى « من » أي من شاركه الشيطان فيما جعله الله له من السلطان على الأعمال و الأقوال ، أو إلى الشيطان فيما جعله الله ، أي كأنّهم الأصل في سلطانه و قدرته على الإضلال . 101

8 و من كلامه له عليه السلام يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك و يدعوه للدخول في البيعة ثانية

يزعم أنّه قد بايع بيده ، و لم يبايع بقلبه ، فقد أقرّ بالبيعة ،

و ادّعى الوليجة (182) . فليأت عليها بأمر يعرف ، و إلاّ فليدخل فيما

----

(100) في بعض النسخ : حتّى صاروا كالوالدين .

----

(101) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 713 ، ط كمپاني و ص 660 ، ط تبريز .

خرج منه .

بيان

« الوليجة » البطانة ، و الأمر يسرّ و يكتم . قال ابن أبي الحديد : 102 كان الزبير يقول : بايعت بيدي لا بقلبي ، و كان يدّعي تارة أنّه أكره عليها و يدّعي أنّه ورّى في البيعة تورية ، فقال عليه السلام : بعد الإقرار لا يسمع دعوى بلابيّنة و لا برهان . 103

9 و من كلام له عليه السلام في صفته و صفة خصومة و يقال إنها في أصحاب الجمل

و قد أرعدوا و أبرقوا (183) ، و مع هذين الأمرين الفشل (184) ، و لسنا نرعد حتّى نوقع (185) ، و لا نسيل حتّى نمطر .

بيان

يقال : « أرعد الرجل و أبرق » إذا توعّد و تهدّد . قوله عليه السلام « حتّى نوقع » لعلّ المعنى : لسنا نهدّد حتّى نعلم أنّا سنوقع . قوله عليه السلام « حتّى نمطر » أي إذا أوقعنا بخصمنا أوعدنا حينئذ بالإيقاع غيره من خصومنا . 104

10 و من الخطبة له عليه السلام يريد الشيطان أو يكني به عن قوم

ألا و إنّ الشّيطان قد جمع حزبه ، و استجلب خيله و رجله (186) ،

و إنّ معي لبصيرتي : ما لبّست على نفسي (187) ، و لا لبس عليّ . و ايم

----

(102) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 230 ، ط بيروت .

----

(103) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 401 ، ط كمپاني و ص 376 ، ط تبريز .

----

(104) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 401 ، ط كمپاني و ص 376 ، ط تبريز .

[88]

اللّه لأفرطنّ (188) لهم حوضا أنا ماتحه (189) لا يصدرون عنه ، (190) و لا يعودون إليه .

بيان

قال ابن ميثم : هذا الفصل ملتقط ملفّق من خطبة له عليه السّلام لما بلغه أنّ طلحة و الزّبير خلعا بيعته و هو غير منتظم . 105

و « الرّجل » جمع راجل . و قال ابن أبي الحديد في قوله عليه السّلام « لأفرطنّ لهم » : من رواها بفتح الهمزة فأصله « فرط » ثلاثيّ ، يقال : « فرط القوم » سبقهم ، و رجل فرط يسبق القوم إلى البئر فيهيّىء لهم الأرشية و الدّلاء ، و منه قوله عليه السّلام « أنا فرطكم على الحوض » و يكون التّقدير : لأفرطنّ لهم إلى حوض فخذف الجارّ و عدّي الفعل بنفسه كقوله تعالى : وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ 106 و يكون اللاّم في « لهم » إمّا للتّقوية كقوله « يؤمن للمؤمنين » أي يؤمن المؤمنين ، أو يكون اللاّم للتّعليل أي لأجلهم ، و من رواها « لأفرطنّ » بضمّ الهمزة فهو من « أفرط المزادة » أي ملأها . و « الماتح » المستقي ، « متح يمتح » بالفتح . و « المايح » بالياء الّذي ينزل إلى البئر فيملأ الدلو . و قال : « أنا ماتحه » أي خبير به ، كما يقول من يدّعى معرفة الدّار :

« أنا باني هذه الدّار » . 107 و حاصل المعنى : لأملأنّ لهم حياض حرب ، أو لأسبقنّهم إلى حياض حرب أنا متدرّب بها مجرّب لها ، إذا وردوها لا يصدرون عنها ، يعني قتلهم و من فرّمنها لا يعود إليها . 108

11 و من كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

----

(105) شرح النهج لابن ميثم ، ج 1 ، ص 285 ، ط بيروت .

----

(106) الأعراف : 155 .

----

(107) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 241 ، ط بيروت .

----

(108) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 401 ، ط كمپاني و ص 376 ، ط تبريز .

[89]

تزول الجبال و لا تزل عضّ على ناجذك (191) . أعر (192) اللّه جمجمتك .

تد (193) في الأرض قدمك . ارم ببصرك أقصى القوم ، و غضّ بصرك (194) ،

و اعلم أنّ النّصر من عند اللّه سبحانه .

بيان

قوله عليه السلام « تزول الجبال » خبر فيه معنى الشّرط ، فالمعنى :

إن زالت الجبال فلا تزل . و « النّواجذ » أقصى الأضراس ، و قيل : الأضراس كلّها .

و العضّ على النّاجذ يستلزم أمرين : أحدهما رفع الرعدة و الاضطراب في حال الخوف كما يشاهد ذلك في حال البرد ، و ثانيهما أنّ الضرب في الرأس لا يؤثّر مع ذلك كما ذكر عليه السلام في موضع آخر : « عضّوا على النواجذ فإنّه أبنى للسّيوف عن الهام » ،

فيحتمل أن يراد به شدّة الحنق و الغيظ . قوله عليه السلام « أعر اللّه » أمر من الإعارة ، أي ابذلها في طاعة اللّه . و الجمجمة عظم الرأس المشتمل على الدّماغ ، قيل :

ذلك إشعار بأنّه لا يقتل في ذلك الحرب لأنّ العارية مردودة بخلاف ما لو قال : « بع اللّه جمجمتك » و هذا الوجه و إن كان لطيفا لكنّ الظّاهر أنّ إطلاق الإعارة باعتبار الحياة عندربّهم و في جنّة النّعيم . قوله عليه السّلام « تد » أي أثبتها في الأرض كالوتد .

قوله عليه السلام « ارم ببصرك » أي اجعل مطمح نظرك أقصى القوم و لا تقصر نظرك على الأداني و أجمل عليهم فإذا حملت و عزمت فلا تنظر إلى شوكتهم و سلاحهم ،

و لا بتال ما أمامك . قوله عليه السلام « و غضّ بصرك » أي عن بريق السّيوف و لمعانها لئلاّ يحصل خوف بسببه . 109

12 و من كلام له عليه السّلام

لما أظفره اللّه بأصحاب الجمل ، و قد قال له بعض أصحابه : و ددت أن أخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك اللّه به على أعدائك

----

(109) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 434 ، ط كمپاني و ص 405 ، ط تبريز .

[90]

فقال له عليه السّلام : أهوى (195) أخيك معنا ؟ فقال : نعم . قال :

فقد شهدنا ، و لقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرّجال و أرحام النّساء ، سيرعف بهم الزّمان (196) ، و يقوى بهم الإيمان .

بيان

« سيرعف بهم الزمان » ، « الرّعاف » الدّم الخارج من أنف الإنسان ،

و المعنى : سيخرجهم الزمان من العدم إلى الوجود ، من قبيل الإسناد إلى الظرف أو الشرط . 110

13 و من كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة بعد وقعة الجمل

كنتم جند المرأة ، و أتباع البهيمة (197) ، رغا (198) فأجبتم ،

و عقر (199) فهربتم . أخلاقكم دقاق (200) ، و عهدكم شقاق ، و دينكم نفاق ، و ماؤكم زعاق (201) ، و المقيم بين أظهركم مرتهن (202) بذنبه ،

و الشّاخص عنكم متدارك برحمة من ربّه . كأنّي بمسجدكم كجؤجؤ سفينة (203) قد بعث اللّه عليها العذاب من فوقها و من تحتها ، و غرق من في ضمنها .

و في رواية : و ايم اللّه لتغرقنّ بلدتكم حتّى كأنّي أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة ، أو نعامة جاثمة (204)

----

(110) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 445 ، ط كمپاني و ص 414 ، ط تبريز .

و في رواية ، كجؤجؤ طير في لجّة بحر (205) و في رواية أخرى : بلادكم أنتن (206) بلاد اللّه تربة : أقربها من الماء ، و أبعدها من السّماء ، و بها تسعة أعشار الشّرّ ، المحتبس فيها بذنبه ، و الخارج بعفو اللّه . كأنّي أنظر إلى قريتكم هذه قد طبّقها الماء ، حتّى ما يرى منها إلاّ شرف المسجد (207) ، كأنّه جؤجؤ طير في لجّة بحر

14 و من كلام له عليه السلام في مثل ذلك

أرضكم قريبة من الماء ، بعيدة من السّماء . خفّت عقولكم ،

و سفهت حلومكم (208) ، فأنتم غرض (209) لنابل (210) ، و أكلة لآكل ،

و فريسة لصائل (211) . [البيان التالي للخطبتين رقم 13 و 14]

بيان

« و أتباع البهيمة » لأنّ جمل عايشة كان راية عسكر البصرة . و « الرغاء » صوت الإبل .

قوله عليه السلام « أخلاقكم دقاق » قال ابن أبي الحديد : « الدّقّ من كلّ شيء » حقيره و صغيره ، يصفهم باللوم ، و في الحديث : إنّ رجلا قال : يا رسول اللّه إنّي

أحبّ أن أنكح فلانة إلاّ أنّ في أخلاق أهلها دقّة ، فقال له : « إيّاك و خضراء الدمن » . 111 و « الشّقاق » الخلاف و الافتراق . و « الزعاق » المالح ، و سبب ملوحة مائهم قربهم من البحر و امتزاج مائه بمائهم ، قيل : ذكرها في معرض ذمّهم لعلّه من سوء اختيارهم هذا الموضع أو كونها سببا لسوء المزاج و البلادة و غير ذلك كما تقوله الأطبّاء .

قوله عليه السّلام « بين أظهركم » أي بينكم على وجه الاستظهار و الاستناد إليكم ، و أمّا كونه مرتهنا بذنبه فلأنّ المقيم بينهم لابدّ و أن ينخرط في سلكهم و يكتسب من رذائل أخلاقهم فيكون موثقا بذنوبه ، أو إنّ كونه بينهم يجري مجرى العقوبة بذنبه ، و الخارج من بينهم لحقّه رحمة اللّه فوفّقه لذلك . و « جؤجؤ السّفينة » صدرها ، و يقال : « جثم الطائر جثوما » و هو بمنزلة البروك للإبل .

و قال ابن ميثم : و أمّا وقوع المخبر عنه فالمنقول أنّها غرقت في أيّام القادر باللّه و في إيّام القائم غرقت بأجمعها ، و غرق من في ضمنها ، و خرجت دورها ، و لم يبق إلاّ مسجدها الجامع . قال : و يمكن أن يكون المراد بقربها من الماء و بعدها

من السّماء كون موضعها هابطا قريبا من البحر ، و قيل : المراد ببعدها من السّماء كونها بعيدة من دائرة معدل النّهار فإنّ الأرصاد دلّت على أنّ أبعد موضع في المعمورة عن معدل النّهار الابلّة و الابلّة قصبة البصرة ، و قيل : المراد بعدها عن سمآء الرّحمة مستعدّة لنزول العذاب . 112 انتهى .

و لعلّ مراده أنّها أبعد بلاد العرب عن المعدل و إلاّ فظاهر أنّ الابلّة ليست أبعد موضع في المعمورة و « الابلّة » بضمّ الهمزة و الباء و تشديد اللاّم المفتوحة ، إحدى الجنّات الأربع و هي الموضع الّذي فيه الدّور و الأبنية الآن . و « السّفه » رذيلة مقابل الحلم . و « النّابل » ذو النّبل . و « الأكلة » المأكول . و « الفريسة » ما يفترسه السّبع . و « الصّولة » الحملة و الوثبة . 113

----

(111) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 252 ، ط بيروت .

----

(112) شرح النهج لابن ميثم ، ج 1 ، ص 293 294 ، ط بيروت .

----

(113) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 445 ، ط كمپاني و ص 414 ، ط تبريز .

[93]

15 و من كلام له عليه السّلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضي اللّه عنه (212)

و اللّه لو وجدته قد تزوّج به النّساء ، و ملك به الإماء ، لرددته ،

فإنّ في العدل سعة . و من ضاق عليه العدل ، فالجور عليه أضيق

16 و من كلام له عليه السّلام لما بويع في المدينة و فيها يخبر الناس بعلمه بما تؤول إليه أحوالهم و فيها يقسمهم إلى اقسام

القسم الأول

ذمّتي (213) بما أقول رهينة (214) . و أنا به زعيم (215) . إنّ من صرّحت له العبر (216) عمّا بين يديه من المثلات (217) ، حجزته (218) التّقوى عن تقحّم الشّبهات (219) . ألا و إنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها (220) يوم بعث اللّه نبيّه صلّى اللّه عليه و سلّم . و الّذي بعثه بالحقّ لتبلبلنّ (221) بلبلة ،

و لتغربلنّ (222) غربلة ، و لتساطنّ (223) سوط القدر (224) ، حتّى يعود أسفلكم أعلاكم ، و أعلاكم أسفلكم ، و ليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا ،

و ليقصّرنّ سبّاقون كانوا سبقوا . و اللّه ما كتمت و شمة (225) ، و لا كذبت

[94]

كذبة ، و لقد نبّئت بهذا المقام و هذا اليوم . ألا و إنّ الخطايا خيل شمس (226) حمل عليها أهلها ، و خلعت لجمها (227) ، فتقحّمت (228) بهم في النّار . ألا و إنّ التّقوى مطايا ذلل (229) ، حمل عليها أهلها ،

و أعطوا أزمّتها ، فأوردتهم الجنّة . حقّ و باطل ، و لكلّ أهل ، فلئن أمر الباطل لقديما فعل ، و لئن قلّ الحقّ فلربّما و لعلّ ، و لقلّما أدبر شيء فأقبل قال السيد الشريف : و أقول : إن في هذا الكلام الأدنى من مواقع الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان ، و ان حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به . و فيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ، و لا يطلع فجها إنسان (230) ،

و لا يعرف ما أقول إلا من ضرب في هذه الصناعة بحق ، و جرى فيها على عرق (231) .

« و ما يعقلها إلا العالمون » .

و من هذه الخطبة و فيها يقسم الناس الوثلاثة أصناف

شغل من الجنّة و النّار أمامه ساع سريع نجا ، و طالب بطيء رجا ، و مقصّر في النّار هوى . اليمين و الشّمال مضلّة ، و الطّريق الوسطى هي الجادّة (232) ، عليها باقي الكتاب و آثار النّبوّة ، و منها منفذ السّنّة ،

و إليها مصير العاقبة . هلك من ادّعى ، و خاب من افترى . من أبدى صفحته للحقّ هلك . و كفى بالمرء جهلا ألاّ يعرف قدره . لا يهلك على التّقوى سنخ (233) أصل ، و لا يظمأ عليها زرع قوم . فاستتروا

[95]

في بيوتكم ، و أصلحوا ذات بينكم ، و التّوبة من ورائكم ، و لا يحمد حامد إلاّ ربّه ، و لا يلم لائم إلاّ نفسه .

و من هذه الخطبة و فيها يقسم الناس الى ثلاثة أصناف

شغل من الجنّة و النّار أمامه ساع سريع نجا ، و طالب بطيء رجا ، و مقصّر في النّار هوى . اليمين و الشّمال مضلّة ، و الطّريق الوسطى هي الجادّة (232) ، عليها باقي الكتاب و آثار النّبوّة ، و منها منفذ السّنّة ،

و إليها مصير العاقبة . هلك من ادّعى ، و خاب من افترى . من أبدى صفحته للحقّ هلك . و كفى بالمرء جهلا ألاّ يعرف قدره . لا يهلك على التّقوى سنخ (233) أصل ، و لا يظمأ عليها زرع قوم . فاستتروا

[95]

في بيوتكم ، و أصلحوا ذات بينكم ، و التّوبة من ورائكم ، و لا يحمد حامد إلاّ ربّه ، و لا يلم لائم إلاّ نفسه .

بيان

« الزعيم » الكفيل . « إنّ من صرّحت » أي كشفت . و « المثلات » العقوبات . و « قحم في الأمر و تقحّمه » رمى بنفسه فيه . و « الشبهات » ما اشتبه حقيّته و حلّيته ، و قيل : أراد بالشبهات ما يتوهّم كونه حقّا ثابتا باقيا من الأمور الزائلة الفانية .

و قدمرّ تفسير باقي الكلام في باب شكايته عليه السلام . 114

17 و من كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة و ليس لذلك بأهل و فيها : أبغض الخلائق إلى اللّه صنفان

الصنف الأول :

إنّ أبغض الخلائق إلى اللّه رجلان : رجل و كله اللّه إلى نفسه (234) ، فهو جائر عن قصد السّبيل (235) ، مشغوف (236) بكلام بدعة (237) ، و دعاء ضلالة ، فهو فتنة لمن افتتن به ، ضالّ عن هدي من كان قبله ، مضلّ لمن اقتدى به في حياته و بعد وفاته ،

حمّال خطايا غيره ، رهن بخطيئته (238) .

الصنف الثاني :

و رجل قمش جهلا (239) ، موضع في جهّال الأمّة (240) ،

عاد (241) في أغباش (242) الفتنة ، عم (243) بما في عقد الهدنة (244) ، قد سمّاه أشباه النّاس عالما و ليس به ، بكّر فاستكثر من جمع ، ما قلّ

----

(114) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 400 ، ط كمپاني و ص 375 ، ط تبريز .

منه خير ممّا كثر ، حتّى إذا ارتوى من ماء آجن (245) ، و اكتنز (246) من غير طائل (247) ، جلس بين النّاس قاضيا ضامنا لتخليص (248) ما التبس على غيره (249) ، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيّأ لها حشوا (250) رثّا (251) من رأيه ، ثمّ قطع به ، فهو من لبس الشّبهات في مثل نسج العنكبوت : لا يدري أصاب أم أخطأ ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ ، و إن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب . جاهل خبّاط (252) جهالات ، عاش (253) ركّاب عشوات (254) ، لم يعضّ على العلم بضرس قاطع . يذرو (255) الرّوايات ذرو الرّيح الهشيم (256) .

لا مليّ (257) و اللّه بإصدار ما ورد عليه ، و لا أهل لما قرّظ به (258) ،

لا يحسب العلم في شيء ممّا أنكره ، و لا يرى أنّ من وراء ما بلغ مذهبا لغيره ، و إن أظلم عليه أمر اكتتم به (259) لما يعلم من جهل نفسه ،

تصرخ من جور قضائه الدّماء ، و تعجّ منه المواريث (260) . إلى اللّه أشكو من معشر يعيشون جهّالا ، و يموتون ضلاّلا ، ليس فيهم سلعة أبور (261) من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته ، و لا سلعة أنفق (262) بيعا و لا أغلى ثمنا من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه ، و لا عندهم أنكر من المعروف ،

و لا أعرف من المنكر

بيان

شا : روى ثقاة أهل النقل عند العامّة و الخاصّة عن أمير المؤمنين عليه السلام كلام افتتاحه : الحمد للّه و الصلاة على نبيّه ، أمّا بعد ، فذمّتي بما أقول رهينة

و أنابه زعيم إنّه لا يهيج على التقوى زرع قوم ، و لا يظمأ عنه سنخ أصل ، و إنّ الخير كلّه فيمن عرف قدره ، و كفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره ، و أنّ أبغض الخلق عند اللّه رجل و كله إلى نفسه ، جائر عن قصد السبيل ، مشغوف بكلام بدعة ، قد لهج فيها بالصوم و الصلاة ، فهو فتنة لمن افتتن به ، ضالّ عن هدى من كان قبله ، مضلّ لمن اقتدى به ،

حمّال خطايا غيره ، رهين بخطيئته ، قد قمش جهلا في جهّال غشوه ، غارّ بأغباش الفتنة ،

عمى عن الهدى ، قد سمّاه أشباه الناس عالما ، و لم يغن فيه يوما سالما ، بكّر فاستكثر ممّا 115 قلّ منه خير ممّا كثر حتّى إذا ارتوى من آجن و استكثر من غير طائل ، جلس للناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره ، إن خالف من سبقه لم يأمن من نقض حكمه من يأتي بعده ، كفعله بمن كان قبله ، و إن نزلت به إحدى المهمّات هيّأ لها حشوا من رأيه ثمّ قطع عليه ، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت ، لا يدري أصاب أم أخطأ ؟ و لا يرى أنّ من وراء ما بلغ مذهبا ، إن قاس شيئا بشيء لم يكذّب رأيه ، و إن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من نفسه من الجهل و النقص و الضرورة كيلا يقال : إنّه لا يعلم ، ثمّ أقدم بغير علم فهو خائض عشوات ، ركّاب شبهات ، خبّاط جهالات ، لا يعتذر ممّا لا يعلم فيسلم ، و لا

يعضّ في العلم بضرس قاطع فيغنم ، يدري الروايات ذرو الريح الهشيم ، تبكي منه المواريث ، و تصرخ منه الدماء ، و يستحلّ بقضائه الفرج الحرام ، و يحرّم به الحلال ، لا يسلم باصدار ما عليه ورد ، و لا يندم على ما منه فرّط .

أيّها الناس عليكم بالطاعة و المعرفة بمن لا تعذرون بجهالته ، فإنّ العلم الّذي هبط به آدم و جميع ما فضّلت به النبيّون إلى محمّد خاتم النبيّين في عترة محمّد صلّى اللّه عليه و آله ، فأين يتاه بكم ؟ بل أين تذهبون . يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة فهذه مثلها فيكم فاركبوها فكما نجا في هاتيك من نجا كذلك ينجو في هذي 116 من دخلها ، أنا رهين بذلك قسما حقّا ، و ما أنا من المتكلّفين . الويل لمن تخلّف ثمّ

----

(115) في النهج : من جمع ما قلّ منه .

----

(116) في الإرشاد المطبوع المصحّح : هذه .

الويل لمن تخلّف . أما بلغكم ما قال فيهم نبيّكم صلّى اللّه عليه و آله حيث يقول في حجّة الوداع : إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي : كتاب اللّه ،

و عترتي أهل بيتي ، و إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ؟ ألا هذا عذب فرات فاشربوا ، و هذا ملح أجاج فاجتنبوا .

نهج : مرسلا مثله .

إيضاح

« فذمّتي بما أقول رهينة و أنا به زعيم » ، « الذمّة » العهد و الأمان و الضمان و الحرمة و الحقّ . أي حرمتي أو ضماني أو حقوقي عند اللّه مرهونة لحقّيّة ما أقوله .

قال في النهاية : و في حديث عليّ عليه السلام : « ذمّتي رهينة و أنابه زعيم » أي ضماني و عهدي رهن في الوفاء به . و قال : « الزعيم » الكفيل . « إنّه لا يهيج على التقوى زرع قوم » ، قال الجزريّ : « هاج النبت هياجا » أي يبس و اصفرّ ، و منه حديث عليّ عليه السلام : لا يهيج على التقوى زرع قوم . أراد من عمل للّه عملا لم يفسد عمله و لا يبطل كما يهيج الزرع فيهلك . « و لا يظمأ عنه سنخ أصل » ، « الظمأ » شدّة العطش ،

قال الجزريّ : و في حديث عليّ عليه السلام : « و لا يظمأ على التقوى سنخ أصل » السنخ و الأصل واحد فلمّا اختلف اللّفظان أضاف أحدهما إلى الآخر .

أقول : الفقرتان متقاربتان في المعنى ، و يحتمل أن يكون المراد بهما عدم فوت المنافع الدنيويّة أيضا بالتقوى ، و يحتمل أن يراد بإحداهما إحداهما و بالأخرى الأخرى . و في نهج البلاغة : « لا يهلك على التقوى سنخ أصل ، و لا يظمأ عليها زرع قوم » .

« و إنّ الخير كلّه فيمن عرف قدره » قال ابن ميثم : أي مقداره و منزلته بالنسبة إلى مخلوقات اللّه تعالى و أنّه أيّ شيء منها ، و لأيّ شيء خلق ، و ما طوره المرسوم له في كتاب ربّه و سنن أنبيائه .

« جائر عن قصد السبيل » ، « الجائر » الضالّ عن الطريق ، و « القصد » استقامة الطريق و وسطه ، و في بعض نسخ الكافي : « حائر » بالحاء المهملة من الحيرة . « مشغوف بكلام بدعة » ، قال الجوهريّ : « الشغاف » غلاف القلب و هو جلدة دون الحجاب ،

يقال : « شغفه الحبّ » أي بلغ شغافه . « قد لهج فيها بالصوم و الصلاة » ، قال الجوهريّ :

« اللّهج بالشيء » الولوع به ، و ضمير فيها راجع إلى البدعة أي هو حريص في مبتدعات الصلاة و الصوم ، و « فيها » غير موجود في الكافي . « ضالّ عن هدى من كان قبله » هدى بضمّ الهاء و فتح الدال أو فتح الهاء و سكون الدال . و في النهج بعد ذلك : مضلّ لمن اقتدى به في حياته و بعد وفاته . و في الكافي : و بعد موته .

« رهين بخطيئته » أي هو مرهون بها ، قال المطرزيّ : « هو رهين بكذا » أي مأخوذبه . « قد قمش جهلا في جهّال » . و في الكتابين : و رجل قمش جهلا . و « القمش » جمع الشيء المتفرّق . « غشوه » أي أحاطوا به و ليس فيهما . « غارّ بأغباش الفتنة » ، قال الجوهريّ : « الغبش » ظلمة آخر اللّيل و الجمع « أغباش » أي غفل و انخدع و اغترّ بسبب ظلمة الفتن و الجهالات أو فيها . « و لم يغن فيه يوما سالما » ، قال الجزريّ : و في حديث عليّ عليه السلام : « و رجل سمّاه الناس عالما و لم يغن في العلم يوما تامّا » من قولك « غنيت بالمكان أغني » إذا أقمت به . انتهى .

قوله « سالما » أي من النقص بأن يكون نعتا لليوم ، أو سالما من الجهل بأن يكون حالا عن ضمير الفاعل . « بكّر فاستكثر ممّا قلّ منه خير ممّا كثر » أي خرج في الطلب بكرة ، كناية عن شدّة طلبه و اهتمامه في كلّ يوم أو في أوّل العمر و ابتداء الطلب ، و « ما » موصولة ، و هي مع صلتها صفة لمحذوف أي من شيء ما قلّ منه خير ممّا كثر ،

و يحتمل أن تكون « ما » مصدريّة أيضا و قيل : « قلّ » مبتدأ بتقدير « أن » و « خير » خبره ، كقولهم : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، و المراد بذلك الشيء إمّا الشبهات المضلّة و الآراء الفاسدة و العقائد الباطلة ، أو زهرات الدنيا . « حتّى إذا ارتوى من آجن » ، « الآجن » الماء المتعفّن المتغيّر ، استعير للآراء الباطلة و الأهواء الفاسدة .

« و استكثر من غير طائل » ، قال الجوهريّ : « هذا أمر لا طائل فيه » إذا لم يكن فيه غناء و مزيّة .

و ان نزلت به إحدى الملهمّات و في الكتابين : المبهمات هيّأ لها حشوا » أي كثيرا لا فائدة فيها . « ثمّ قطع عليه » أي جزم به . « فهو من لبس الشبهات في مثل غزل

[100]

العنكبوت » ، قال ابن ميثم : وجه هذا التمثيل أنّ الشبهات الّتي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف إذا قصد حلّ قضية مبهمة تكثر فتلتبس على ذهنه وجه الحقّ منها فلا يهتدي له لضعف ذهنه ، فتلك الشبهات في الوهاء تشبه نسج العنكبوت و ذهنه فيها يشبه لذباب الواقع فيه ، فكمالا يتمكّن الذباب من خلاص نفسه من شباك العنكبوت لضعفه كذلك ذهن هذا الرجل لا يقدر على التخلّص من تلك الشبهات .

أقول : و يحتمل أيضا أن يكون المراد تشبيه ما يلبس على الناس من الشبهات بنسج العنكبوت لضعفها و ظهور بطلانها ، لكن تقع فيها ضعفاء العقول فلا يقدرون على التخلّص منها لجهلهم وضعف يقينهم ، و الأوّل أنسب بما بعده .

« لا يرى أنّ من وراء ما بلغ مذهبا » أي أنّه لوفور جهله يظنّ أنّه بلغ غاية العلم فلبس بعد ما بلغ إليه فكره لأحد مذهب و موضع تفكّر . « فهو خائض عشوات » أي يخوض و يدخل في ظلمات الجهالات و الفتن . « خبّاط جهالات » ، « الخبط » المشي على غير استواء ، أي خبّاط في الجهالات أو بسببها . « و لا يعضّ في العلم بضرس قاطع » كناية عن عدم إتقانه للقوانين الشرعيّة و إحاطته بها ، يقال : « لم يعضّ فلان على الأمر الفلانيّ بضرس » إذا لم يحكمه . « يذري الروايات ذروالريح الهشيم » ، قال الفيروز آباديّ : « ذرت الريح الشيء ذروا و أذرته و ذرّته » أطارته و أذهبته . و قال : « الهشيم » نبت يا بس متكسّر ، أو يابس كلّ كلاء و كلّ شجر ، و وجه التشبيه صدور فعل بلارويّة من غير أن يعود إلى الفاعل نفع و فائدة ، فإنّ هذا الرجل المتصفّح للروايات ليس له بصيرة بها و لا شعور بوجه العمل بها بل هو يمرّ على رواية بعد أخرى و يمشي عليها من غير فائدة ، كما أنّ الريح الّتي تذري الهشيم لا شعور لها بفعلها ، و لا يعود إليها من ذلك نفع و إنّما أتى الذر و مكان الإذراء لا تّحاد معنييهما . و في بعض الروايات : يذروا الرواية .

قال الجزريّ : يقال : « ذرته الريح و أذرته تذروه و تذريه » إذا أطارته ، و منه حديث عليّ عليه السلام : « يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم » أي يسرد الرواية كما تنسف الريح هشيم النبت .

« تبكي منه المواريث و تصرخ منه الدماء » . الظاهر أنّهما على المجاز ، و يحتمل

[101]

حذف المضاف أي أهل المواريث و أهل الدماء . « لا يسلم بإصدار ما عليه ورد » أي لا يسلم عن الخطأ في إرجاع ما عليه ورد من المسائل أي في جوابها . و في الكتابين :

« لامليّ و اللّه بإصدار ما عليه ورد » أي لا يستحقّ ذلك و لا يقوي عليه . قال الجزرىّ : « المليء » بالهمز ، الثقة الغنيّ و قد ملؤ فهو المليء بيّن الملآءة بالمدّ و قد أولع الناس بترك الهمزة و تشديد الياء و منه حديث عليّ عليه السلام : « لا مليّ و اللّه بإصدار ما ورد عليه » .

« و لا يندم على ما منه فرّط » أي لا يندم على ما قصّر فيه . و في الكافي : « و لا هو أهل لما منه فرط » بالتخفيف ، أي سبق على الناس و تقدّم عليهم بسببه من ادّعاء العلم ، و ليست هذه الفقرة أصلا في نهج البلاغة ، و قال ابن أبي الحديد : في كتاب ابن قتيبة : « و لا أهل لما فرط به » أي ليس بمستحقّ للمدح الّذي مدح به .

ثمّ اعلم أنّه على نسخة المنقول عنه جميع تلك الأوصاف لصنف واحد من الناس ، و على ما في الكتابين من زيادة : و رجل عند قوله : « قمش جهلا » ، فالفرق بين الرجلين إمّا بأن يكون المراد بالأوّل الضالّ في اصول العقائد كالمشبّهة و المجبرة ، و الثاني هو المتفقّه في فروع الشرعيّات و ليس بأهل لذلك ، أو بان يكون المراد بالأوّل من نصب نفسه لسائر مناصب الإفادة دون منصب القضاء ، و بالثاني من نصب نفسه له .

« فأين يتاه بكم » من « التيه » بمعنى التحيّر و الضلال ، أي أين يذهب الشيطان أو الناس بكم متحيّرين ؟ بل أين تذهبون ؟ إضراب عمّا يفهم سابقا من أنّ الداعي لهم على ذلك غيرهم ، و أنّهم مجبورون على ذلك ، أي بل أنتم باختياركم تذهبون عن الحقّ إلى الباطل . « يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة » ، « النسخ » الإزالة و التغيير ، أي كنتم في أصلاب من ركب سفينة نوح فأنزلتم عن تلك الأصلاب فاعتبروا بحال أجدادكم و تفكّروا في كيفيّة نجاتهم فإنّ مثل أهل البيت كمثل سفينة نوح .

و « تي » و « ذي » للإشارة إلى المؤنّث . « قسما حقّا » أي أقسم قسما حقّا . « و ما أنا من المتكلّفين » أي المتصنّعين بما لست من أهله ، و لست ممّن يدّعي الباطل و يقول الشيء من غير حقيقة .

[102]

« إنّي تارك فيكم الثقلين » ، قال الجزريّ : فيه : إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه و عترتي سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذبهما و العمل بهما ثقيل و يقال لكلّ خطير نفيس : ثقيل . فسمّا هما ثقلين إعظاما لقدرهما و تفخيما لشأنهما . « ما إن تمسّكتم بهما » بدل من الثقلين . « و إنّهما لن يفترقا » يدلّ على أنّ لفظ القرآن و معناه عندهم عليهم السّلام . 117 « ألا هذا » أي سبيل الحقّ الّذي أريتكموه « عذب فرات » أي شديد العذوبة ، و « هذا » أي سبيل الباطل الّذي حذّرتكموه « ملح اجاج » أي مالح شديد الملوحة و المرارة . 118

18 و من كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا و فيه يذم أهل الرأي و يكل أمر الحكم في أمور الدين للقرآن

ذم اهل الراي

ترد على أحدهم القضيّة في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ،

ثمّ ترد تلك القضيّة بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ،

ثمّ يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الّذي استقضاهم (263) ، فيصوّب آراءهم جميعا و إلههم واحد و نبيّهم واحد و كتابهم واحد أفأمرهم اللّه سبحانه بالاختلاف فأطاعوه أم نهاهم عنه

----

(117) الظاهر أنّ هذه الاستفادة منه رحمه اللّه انتصار للأخبار الدالّة على تحريف الكتاب مع أنّ قوله « لن يفترقا » إنّما

يدلّ على أنّ المعارف القرآنيّة بحقائقها عند أهل البيت عليهم السلام و لا نظير فيه إلى التفرقة بين لفظ القرآن و معناه و عدمها كما هو ظاهر . ط

----

(118) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 2 ، كتاب العلم ، ص 99 104 .

[103]

فعصوه

الحكم للقرآن

أم أنزل اللّه سبحانه دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه أم كانوا شركاء له ، فلهم أن يقولوا ، و عليه أن يرضى ؟ أن أنزل اللّه سبحانه دينا تامّا فقصّر الرّسول صلّى اللّه عليه و سلّم عن تبليغه و أدائه ، و اللّه سبحانه يقول : « ما فرّطنا في الكتاب من شيء » و فيه تبيان لكلّ شيء ، و ذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضا ، و أنّه لا اختلاف فيه فقال سبحانه : « و لو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » . و إنّ القرآن ظاهره أنيق (264) و باطنه عميق ، لا تفنى عجائبه ، و لا تنقضي غرائبه ، و لا تكشف الظّلمات إلاّ به .

19 و من كلام له عليه السلام قال للأشعث بن قيس و هو على منبر الكوفة يخطب ، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه عليك لا لك ، فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال :

ما يدريك ما عليّ ممّا لي ، عليك لعنة اللّه و لعنة اللاّعنين حائك ابن حائك منافق ابن كافر و اللّه لقد أسرك الكفر مرّة و الإسلام

[104]

أخرى فما فداك من واحدة منهما مالك و لا حسبك و إنّ امرءا دلّ على قومه السّيف ، و ساق إليهم الحتف ، لحريّ أن يمقته الأقرب ،

و لا يأمنه الأبعد قال السيد الشريف : يريد عليه السلام أنه أسر في الكفر مرة و في الإسلام مرة . و أما قوله : دل على قومه السيف : فأراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة ،

غرّ فيه قومه و مكر بهم حتى أوقع بهم خالد ، و كان قومه بعد ذلك يسمونه « عرف النار » و هو اسم للغادر عندهم .

بيان

قال الشّرّاح : الكلام الّذي اعترضه الأشعث أنّه عليه السلام كان يذكر في خطبته أمر الحكمين فقام رجل من أصحابه و قال له : نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا به فماندري أيّ الأمرين أرشد ؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى و قال : « هذا جزاء من ترك العقدة » و كان مراده عليه السلام : هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأي و الحزم ، فظنّ الأشعث أنّه عليه السلام أراد : هذا جزائي حيث تركت الحزم و الرأي . و قيل : كان مراده عليه السلام : هذا جزائي حيث وافقتكم على ما ألزمتموني من التحكيم ، و كان موافقته عليه السلام لهم خوفا منهم على أن يقتلوه فجهل الأشعث أو تجاهل أنّ المصلحة قد تترك لأمر أعظم منها فاعترضه .

قوله عليه السلام « حائك بن حائك » قيل : كان الأشعث و أبوه ينسجان برود اليمن ، و قيل : إنّه كان من أكابر كندة و أبناء ملوكها ، و إنّما عبّر عنه عليه السلام بذلك لأنّه إذا كان مشى يحرّك منكبيه و يفحج بين رجليه ، و هذه المشية تعرف بالحياكة ، و على هذا فلعلّ الأقرب أنّه كناية عن نقصان عقله . و ذكر ابن أبي الحديد أنّ أهل اليمن يعيرون بالحياكة و

ليس هذا ممّا يخصّ الأشعث . 119 و أمّا التعبير بالحياكة فقيل : إنّه لنقصان عقولهم ، و قيل لأنّه مظنّة الخيانة و الكذب ، و يمكن أن يكون المراد بالحياكة نسج الكلام فيكون كناية عن كونه كذّابا

----

(119) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 297 ، ط بيروت .

[105]

كما روي عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه ذكر عنده عليه السلام « أنّ الحائك ملعون » فقال : إنّما ذاك الّذي يحوك الكذب على اللّه و على رسوله صلّى اللّه عليه و آله .

قوله عليه السلام « لقد أسرك » إلى قوله « فما فداك » أي ما نجاك من الوقوع فيها مالك و لا حسبك ، و لم يردا الفداء الحقيقيّ فإنّ مرادا لمّا قتلت أباه خرج الأشعث طالبا بدمه فأسر ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير ، و هذا هو المراد بأسره في الكفر ،

و أمّا أسره في الإسلام فإنّه لمّا قبض رسول اللّه ارتدّ بحضر موت و منع أهلها تسليم الصدقة ، فبعث أبو بكر إليه زياد بن لبيد ثمّ اردفه بعكرمة بن أبي جهل في جمّ غفير من المسلمين فقاتلهم الأشعث بقبائل كندة قتالا شديدا ، فالتجأ بقومه إلى حصنهم ، و بلغ بهم جهد العطش فبعث إلى زياد يطلب منه الأمان لأهله و لبعض قومه و لم يطلبه لنفسه ، فلمّا نزل أسره زياد و بعث به مقيّدا إلى أبي بكر فأطلقه أبو بكر و زوّجه أخته أمّ فروة .

قوله عليه السلام « دلّ على قومه » ، قال ابن ميثم : إشارة إلى غدره بقومه ،

فإنّ الأشعث لمّا طلب الأمان من زياد طلبه لنفر يسير من وجوه قومه فظنّ الباقون أنّه طلبه لجميعهم فنزلوا على ذلك الظنّ ، فلمّا دخل زياد الحصن ذكروه الأمان فقال الأشعث : لم يطلب الأمان إلاّ العشرة من قومه فقتل منهم من قتل حتى وافاه كتاب أبي بكر بالكفّ عنهم و حملهم إليه ، فحملهم .

و قال ابن أبي الحديد 120 : فيما ذكره السيّد لم نعرف في التواريخ هذا و لا شبهه ، و أين كندة و اليمامة ؟ كندة باليمن و اليمامة لبني حنيفة ، و لا أعلم من أين نقله السيّد رضي اللّه عنه . 121

----

(120) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 296 ، ط بيروت .

----

(121) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 621 ، ط كمپاني و ص 571 ، ط تبريز .

[106]

20 و من كلام له عليه السلام و فيه ينفر من الغفلة و ينبه إلى الفرار للّه

فإنّكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم و وهلتم (265) ،

و سمعتم و أطعتم ، و لكن محجوب عنكم ما قد عاينوا ، و قريب ما يطرح الحجاب و لقد بصّرتم إن أبصرتم ، و أسمعتم إن سمعتم ،

و هديتم إن اهتديتم ، و بحقّ أقول لكم : لقد جاهرتكم العبر (266) ،

و زجرتم بما فيه مزدجر . و ما يبلّغ عن اللّه بعد رسل السّماء (267) إلاّ البشر .

21 و من خطبة له عليه السلام و هي كلمة جامعة للعظة و الحكمة

فإنّ الغاية أمامكم ، و إنّ وراءكم السّاعة (268) تحدوكم (269) . تخفّفوا (270) تلحقوا ، فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم . قال السيد الشريف : أقول : إن هذا الكلام لو وزن ، بعد كلام اللّه سبحانه و بعد كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، بكل كلام لمال به راجحا ، و برّز عليه سابقا . فأما قوله عليه السلام : « تخففوا تلحقوا » فما سمع كلام أقل منه مسموعا و لا أكثر منه محصولا ، و ما أبعد غورها من كلمة و أنقع (271) نطفتها (272) من حكمة و قد نبهنا في كتاب « الخصائص » على عظم قدرها و شرف جوهرها .

[107]

22 و من خطبة له عليه السلام حين بلغه خبر الناكثين ببيعته و فيها يذم عملهم و يلزمهم دم عثمان و يتهددهم بالحرب

القسم الأول ذم الناكثين

ألا و إنّ الشّيطان قد ذمّر حزبه (273) ، و استجلب جلبه (274) ، ليعود الجور إلى أوطانه ، و يرجع الباطل إلى نصابه (275) و اللّه ما أنكروا عليّ منكرا ، و لا جعلوا بيني و بينهم نصفا (276) .

القسم الثاني دم عثمان

و إنّهم ليطلبون حقّا هم تركوه ، و دما هم سفكوه : فلئن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبهم منه ، و لئن كانوا ولوه دوني ، فما اتّبعة إلاّ عندهم ، و إنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم ، يرتضعون أمّا قد فطمت (277) ، و يحيون بدعة قد أميتت . يا خيبة الدّاعي من دعا و إلا أجيب و إنّي لراض بحجّة اللّه عليهم و علمه فيهم .

القسم الثالث التهديد بالحرب

فإن أبوا أعطيتهم حدّ السّيف و كفى به شافيا من الباطل ، و ناصرا للحقّ و من العجب بعثهم إليّ أن أبرز للطّعان و أن أصبر للجلاد هبلتهم (278) الهبول (279) لقد كنت و ما أهدّد بالحرب ، و لا أرهب

[108]

بالضّرب و إنّي لعلى يقين من ربّي ، و غير شبهة من ديني .

بيان

قوله « قد ذمّر » يروى بالتخفيف و التشديد و أصله الحثّ و الترغيب .

و « الجلب » الجماعة من النّاس و غيرهم يجمع و يؤلّف . قوله عليه السلام « إلى أوطانه » يروى : « ليعود الجور إلى قطابه » . و « القطاب » مزاج الخمر بالماء ، أي ليعود الجور ممتزجا بالعدل كما كان ، و يجوز أن يعنى بالقطاب قطاب الجيب و هو مدخل الرأس فيه ، أي ليعود الجور إلى لباسه و ثوبه . و « النصاب » الأصل . و الّذي أنكروه ، قتل عثمان . و « النّصف » بالكسر ، الاسم من الانصاف .

قوله عليه السلام « يرتضعون أمّا » أي يطلبون » الشيء بعد فواته لأنّ الأم إذا فطمت ولدها فقد انقضى رضاعها ، و لعلّ المراد به أنّ طلبهم لدم عثمان لغولا فائدة فيه . و قال ابن ميثم : استعار لفظة الأمّ للخلافة فبيت المال لبنها ، و المسلمون أولادها المرتضعون ، و كنّى بارتضاعهم لها عن طلبهم منه عليه السلام من الصلات و التفضيلات مثل ما كان عثمان يصلهم ، و كونها قد فطمت عن منعه عليه السلام .

و قوله عليه السلام « يحيون بدعة قد أميتت » إشارة إلى ذلك التفضيل فيكون بمنزلة التأكيد للقرينة السابقة ، و يحتمل أن يكون المراد بالأمّ الّتي قد فطمت ما كان عادتهم في الجاهليّة من الحميّة و الغضب و إثارة الفتن و بفطامها اندراسها بالإسلام فيكون ما بعده كالتفسير له . و النداء في قوله عليه السلام « يا خيبة الداعي » كالنداء في قوله تعالى : يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ 122 . أي يا خيبة احضري فهذا أوانك ، و الداعي هو أحد الثلاثة : طلحة و الزبير و عائشة . ثمّ قال على سبيل الاستحقار لهم : « من دعا ، و إلى مما أجيب » أي أحقر بقوم دعاهم هذا الداعي و أقبح بالأمر الّذي أجابوه إليه فما أفحشه و أرذله . و قال الجوهريّ : « هبلته أمّه » بكسر الباء ، أي ثكلته ، و « الهبول من النساء » الثكول .

قوله عليه السلام « لقد كنت » قال ابن أبي الحديد : أي مازلت لا أهدّد بالحرب ، و الواوزائدة ، و هذه كلمة فصيحة كثيرا ما يستعملها العرب ، و قد ورد في القرآن

----

(122) يس : 30 .

[109]

العزيز « كان » بمعنى « ما زال » في قوله وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً . 123 أقول : قال ابن ميثم رحمه اللّه بعد إيراد تلك الفقرات : أكثر هذا الفصل من الخطبة الّتي ذكرنا أنّه عليه السلام خطبها حين بلغه أنّ الطلحة و الزبير خلعا بيعته ،

و فيه زيادة و نقصان و نحن نوردها بتمامها و هي بعد حمد اللّه و الثناء عليه و الصلاة على رسوله :

أيّها النّاس إنّ اللّه افترض الجهاد فعظّمه و جعله نصرته و ناصره ، و اللّه ما صلحت دين و لا دنيا إلاّ به ، و قد جمع الشيطان حزبه ، و استجلب خيله و من أطاعه ليعود له دينه و سنّته . و قد رأيت أمورا قد تمخّضت ، و اللّه ما أنكروا عليّ منكرا و لا جعلوا بيني و بينهم نصفا ، و إنّهم ليطلبون حقّا تركوه ، و دما سفكوه . فإن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبهم منه ، و إن كانوا لولوه دوني فما الطّلبة إلاّ قبلهم ، و إنّ أوّل عدلهم لعلى أنفسهم ، و لا أعتذر ممّا فعلت ، و لا أتبرّأ ممّا صنعت ، و إنّ معي لبصيرتي ، ما لبّست و لا لبّس عليّ ، و إنّها للفئة الباغية فيها الحمّ و الحمّة طالت جلبتها ، و انكفت جونتها ، ليعودنّ الباطل إلى نصابه . يا خيبة الدّاعي ، لو قيل : ما أنكر من ذلك ، و ما أمامه و فيمن سنّته ، و اللّه إذا لزاح الباطل عن نصابه و انقطع لسانه ، و ما أظنّ الطريق له فيه واضح حيث نهج ، و اللّه ما تاب من قتلوه قبل موته و لا تنصّل عن خطيئته و ما اعتذر إليهم فعذّروه ، و لا دعا فنصروه ، و أيم اللّه لأفرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه لا يصدرون عنه بريّ و لا يعبّون حسوة أبدا ، و إنّها لطيّبة نفسي بحجّة اللّه عليهم و علمه فيهم ، و إنّي داعيهم فمعذّر إليهم ، فإن تابوا و قبلوا و أجابوا و أنابوا فالتوبة مبذولة و الحقّ مقبول و ليس عليّ كفيل ، و إن أبوا أعطيتهم حدّ السيف و كفى به شافيا من باطل و ناصر المؤمن ، و مع كلّ صحيفة شاهدها و كاتبها .

و اللّه إنّ الزبير و طلحة و عائشة ليعلمون أنّي على الحقّ و هم مبطلون .

و قال رحمه اللّه : « تمخّضت » تحرّكت . و « التّبعة » ما يلحق الإنسان من درك . و « الحمّ » بفتح الحاء و تشديد الميم ، بقيّة الالية الّتي اذيبت و أخذ دهنها . و

----

(123) النساء : 17 .

[110]

« الحمة » السواد ، و هما استعارتان لأراذل النّاس و عوامهم لمشابهتهم حمّ الألية و ما اسودّ منها في قلّة المنفعة و الخير . و « الجلبة » الأصوات . و « جونتها » بالضمّ ، سوادها .

« و انكفت و استكفت » أي استدارت . و « زاح و انزاح » تنحّى . و « تنصّل من الذنب » تبرّأ منه . و « العبّ » الشرب من غير مصّ . و « الحسوة » بضمّ الحاء ، قدر ما يحسى مرّة واحدة . و « الجلاد » المضاربة بالسيف . و « الهبول » الثّكلى ، و « الهبل » الثّكل .

و اعلم أنّه عليه السلام نبّه أوّلا على فضل الجهاد لأنّ غرضه استفادهم لقتال أهل البصرة . و قوله « و قد رأيت أمورا » إشارة الى تعيين ما يستنفرهم إليه و هو ما يحسّ به من مخالفة القوم و رهبتهم لقتاله . و قوله « و اللّه ما أنكروا » إشارة إلى بطلان ما ادّعوه منكرا و نسبوه إليه من قتل عثمان و السكوت عن النكير على قاتليه ، فأنكر أوّلا إنكارهم عليه تخلّفه عن عثمان الّذي زعموا أنّه منكر و لمّا لم يكن منكرا كان ذلك الإنكار عليه هو المنكر .

و قوله « و إنّهم ليطلبون » إشارة إلى طلبهم لدم عثمان مع كونهم شركآء فيه .

روى الطبريّ في تاريخه أنّ عليّا عليه السلام كان في مال بخيبر لمّا أراد النّاس حصر عثمان فقدم المدينة و النّاس مجتمعون على طلحة في داره ، فبعث عثمان إليه يشكو أمر طلحة ،

فقال : أنا أكفيكه ، فانطلق إلى دار طلحة و هي مملوءة بالنّاس ، فقال له : يا طلحة ما هذا الأمر الّذي صنعت بعثمان ؟ فقال طلحة : يا أبا الحسن أبعد أن مسّ الحزام الطّبيين فانصرف عليّ عليه السلام إلى بيت المال فأمر بفتحه فلم يجدوا المفتاح ، فكسر الباب و فرّق ما فيه على النّاس ، فانصرفوا من عند طلحة حتّى بقي وحده ، فسّر عثمان بذلك ، و جاء طلحة إلى عثمان فقال له يا أمير المؤمنين إنّي أردت أمرا فحال اللّه بيني و بينه و قد جئتك تائبا فقال : و اللّه ما جئت تائبا و لكن جئت مغلوبا ، اللّه حسيبك يا طلحة .

و روى الطبريّ أيضا أنّه كان لعثمان على طلحة خمسون ألفا فقال له طلحة يوما : قد تهيّأ مالك فاقبضه ، فقال : هو لك معونة على مروّتك . فلمّا حضر عثمان ، قال عليّ عليه السلام لطلحة : أنشدك اللّه أن لا كففت عن عثمان ، فقال : لا و اللّه حتّى

[111]

تعطي بتو أميّة الحقّ من أنفسها . فكان عليّ بعد ذلك يقول : لحا اللّه ابن الصعبة ، أعطاه عثمان ما أعطاه و فعل به ما فعل . و روي أنّ الزبير لمّا برزلعليّ عليه السلام يوم الجمل قال له : ما حملك يا أبا عبد اللّه على ما صنعت ؟ قال : أطلب بدم عثمان ، فقال له : أنت و طلحة ولّيتماه ، و إنّما توبتك من ذلك أن تقدّم نفسك و تسلّمها إلى ورثته . و بالجملة فدخولهم في قتل عثمان ظاهر .

قوله عليه السلام « و إنّ أوّل عدلهم » أي إنّ العدل الّذي يزعمون أنّهم يقيمونه في الدم المطلوب ينبغي أن يضعوه أوّلا على أنفسهم . قوله « و لا أعتذر » أي الاعتذار الّذي فعلته في وقت قتل عثمان لم يكن على وجه تقصير في الدين يوجب الاعتذار و التبرّء منه . و قوله « طالت جلبتها » كناية عمّا ظهر من القوم من تهديد هم و توعّدهم بالقتال . « و انكفت جونتها » أي استدار سوادها و اجتمع كناية عن تجمّع جماعتهم لما يقصدون . و قوله عليه السلام « ليعودنّ » توعّد لهم بعود ما كانوا عليه من الباطل في الجاهليّة ، و استفار إلى القتال . و قوله « يا خيبة الدّاعي » خرج مخرج التعجّب من عظم خيبة الدعاة إلى قتاله و من دعا . « و إلى ما أجيب » استفهام على سبيل الاستحقار للمدعوّين لقتاله و النّاصرين إذ كانوا عوامّ النّاس و رعاعهم ،

و للمدعوّ إليه و هو الباطل الّذي دعوا لنصرته .

و قوله « لو قيل » إلى قوله « و انقطع لسانه » متّصلة معناه ، لو سأل سائل مجادلا لهؤلاء الدعاة إلى الباطل عمّا أنكروه من أمري و عن إمامهم الّذي به يقتدون و فيمن سنّتهم الّتي إليها يرجعون لشهد لسان حالهم بأنّي أنا إمامهم و في سنّتهم ، فانزاح باطلهم الّذي أتوابه ، و انقطع لسانه على الاستعارة ، أو بحذف المضاف ، أي لسان صاحبه . و قوله « و ما أظنّ » عطف على قوله « و انقطع لسانه » . و « واضح » مبتدأ و « فيه » خبره ، و الجملة في محلّ النصب مفعول ثان ل « أظنّ » ، أي ما أظنّ لوسأل السائل عن ذاك أنّ الطريق الّذي يرتكبه المجيب له فيه مجال بيّن و مسلك واضح حيث سلك بل كيف توجّه في الجواب انقطع . و قوله « و اللّه ما تاب » إلى قوله « فنصروه » إشارة إلى عثمان و ذمّ لهم من جهة طلبهم بدم من اعتذر إليهم قبل موته فلم يعذروه ، و دعاهم إلى نصرته في

[112]

حصاره فلم ينصروه مع تمكّنهم من ذلك . و قوله « و لا يعبّون حسوة » كناية عن عدم تمكينه لهم من هذا الأمر أو شيء منه . و قوله « و إنّها لطيبة نفسي بحجة اللّه عليهم » نفسي منصوب بدلا من الضمير المتّصل بأن ، أو بإضمار فعل تفسيرا له . و « حجّة اللّه » إشارة إلى الأوامر الصادرة بقتل الفئة الباغية كقوله تعالى : « فقاتلوا الّتي تبغي » . 124 أي إنّي

راض بقيام حجّة الله عليهم و علمه بما يصنعون . و قوله « و ليس عليّ كفيل » أي لا أحتاج فيما أبذله لهم من الصفح و الأمان على تقدير إنابتهم إلى ضامن . و « شافيا » و « ناصرا » منصوبان على التمييز . و قوله « و مع كلّ صحيفة » الواو للحال ، أي إنّهم إن لم يرجعوا أعطيتهم حدّ السيف ، و الملائكة الكرام الكاتبون يكتب كلّ منهم أعمال من و كلّ به في صحيفته و يشهد بها في محفل القيامة . 125 انتهى .

قوله « من اعتذر إليهم » الظاهر أنّه حمل الكلام على الاستفهام الإنكاريّ ، و يحتمل وجها آخر بأن يكون المراد نفي توبته و تنصّله و اعتذاره و دعوته فليستحقّ النصرة ، لكن ما ذكره أوفق بالأخبار . و الضمير في « أنّها » يحتمل أن يكون للقصّة .

أقول : قال ابن أبي الحديد : روى أبو مخنف عن مسافر بن عفيف بن أبي الأخنس قال : لمّا رجعت رسل عليّ عليه السلام من عند طلحة و الزّبير و عائشة يؤذنونه بالحرب قام فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على رسوله ثمّ قال :

أيّها النّاس إنّي قد راقبت هؤلاء القوم كي يرعووا أو يرجعوا ، و وبختهم بنكثهم ،

و عرّفتهم بغيهم فلم يستحيوا ، و قد بعثوا إليّ أن أبرز للطّعان و أصبر للجلاد ، إنّما تمنّيك نفسك أمانيّ الباطل و تعدك الغرور ، ألا هبلتهم الهبول لقد كنت و ما أهدّد بالحرب و لا أرهب بالضرب ، و لقد أنصف القارة من راماها ، فليرعدوا و ليبرقوا فقد رأوني قديما و عرفوا نكايتي فقد [فكيف خ ل] رأوني أنا أبو الحسن الّذي فللت حدّ المشركين ، و فرّقت جماعتهم ، و بذلك القلب ألقى عدوّي اليوم و إنّي لعلى ما وعدني ربّي من النصر و التأييد و على يقين من أمري و في غير شبهة من ديني .

----

(124) الحجرات : 9 .

----

(125) شرح النهج لابن ميثم ، ج 1 ، ص 333 337 ، ط بيروت .

[113]

أيّها النّاس إنّ الموت لا يفوته المقيم ، و لا يعجزه الهارب ، ليس عن الموت محيد و لا محيص ، من لم يقتل مات ، إنّ أفضل الموت القتل ، و الّذي نفس عليّ بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش . اللّهمّ إنّ طلحة نكث بيعتي و ألّب على عثمان حتّى قتله ثمّ عضهني به روماني . اللّهمّ فلا تمهله ، اللّهمّ إنّ الزّبير قطع رحمي و نكث بيعتي و ظاهر عليّ عدوّي فاكفينّه اليوم بما شئت .

قال : و روى أبو الحسن المدائنيّ عن عبد الله بن جنادة قال : قدمت من الحجاز أريد العراق في أوّل إمارة عليّ عليه السلام فمررت بمكّة فاعتمرت ثمّ قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله صلّى الله عليه و آله إذا نودي : الصلاة جامعة ،

فاجتمع النّاس و خرج عليّ عليه السلام متقلّدا سيفه ، فشخصت الأبصار نحوه ،

فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على رسوله ثمّ قال :

أمّا بعد ، فإنّه لمّا قبض الله نبيّه قلنا نحن أهله و ورثته و عترته و أولياؤه دون النّاس ،

لا ينازعنا سلطانه أحد ، و لا يطمع في حقّنا طامع ، إذا تنزّى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبيّنا فصارت الإمرة لغيرنا ، و صرنا سوقة يطمع فينا الضعيف و يتعزّز علينا الذليل ،

فبكت الأعين منّا لذلك و خشنت الصدور و جزعت النفوس ، و أيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين و أن يعود الكفر و يبور الدين لكنّا على غير ما كنّا لهم عليه ، فولّى الأمر ولاة لم يألوا النّاس خيرا ، ثمّ استخرجتموني أيّها النّاس من بيتي فبايعتموني على شين منّي لأمركم و فراسة تصدقني عمّا في قلوب كثير منكم ، و بايعني هذان الرجلان في أوّل من بايع تعلمون ذلك و قد نكثا و غدرا و نهضا إلى البصرة بعايشة ليفرّقا جماعتكم و يلقيا بأسكم بينكم ، اللّهمّ فخذهما بما عملا أخذة رابية و لا تنعش لهما صرعة ، و لا تقلّ لهما عثرة ، و لا تمهلهما فواقا فإنّهما يطلبان حقّا تركاه و دما سفكاه ، اللّهمّ إنّي

أقتضيك و عدك فإنّك قلت و قولك الحقّ لمن بغى عليه لينصرنّه الله ، اللّهمّ فأنجزلي موعدك و لا تكلني إلى نفسي إنّك على كلّ شيء قدير .

ثمّ نزل .

[114]

و روى الكلبيّ ، قال : لمّا أراد عليّ عليه السلام المسير إلى البصرة ، قام فخطب النّاس فقال بعد أن حمد الله و صلّى على رسوله :

إنّ الله لمّا قبض نبيّه استأثرت علينا قريش بالأمر و دفعتنا عن حقّ نحن أحق به من النّاس كافّة فرأيت أنّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين و سفك دمائهم ، و النّاس حديثوا عهد بالإسلام ، و الدين يمخض مخض الوطب يفسده أدنى و هن و يعكسه أقلّ خلق ، فولّى الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهادا ثمّ انتقلوا إلى دار الجزآء ، و الله وليّ تمحيص سيّئاتهم و العفو عن هفواتهم . فما بال طلحة و الزّبير و ليسا من هذا الأمر بسبيل لم يصبرا عليّ حولا و لا شهرا حتّى وثبا و مرقا و نازعاني أمرا لم يجعل الله لهما إليه سبيلا بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين يرتضعان أمّا قد فطمت و يحييان بدعة قد أميتت ، أدم عثمان زعما و الله ما التّبعة إلاّ عندهم و فيهم ، و إنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم و أناراض بحجّة الله عليهم و علمه فيهم ، فإن فاءا و أنابا فحظّهما أحرزا و أنفسهما غنما و أعظم بها غنيمة و إن أبيا أعطيتهما حدّ السيف و كفى به ناصرا لحقّ و شافيا من باطل .

ثمّ نزل .

و روى أبو مخنف عن زيدبن صوحان ، قال : شهدت عليّا عليه السلام بذي قار و هو معتمّ بعمامة سوداء ملتفّ بساج يخطب فقال في خطبته :

الحمد لله على كلّ أمر و حال في الغدوّ و الآصال و أشهد أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّدا عبده و رسوله ابتعثه رحمة للعباد و حياة للبلاد حين امتلأت الأرض فتنة و اضطرب حبلها و عبد الشيطان في أكنافها و اشتمل عدوّ الله إبليس على عقائد أهلها فكان محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب الّذي أطفأ الله به نيرانها ، و أخمد به شرارها ، و نزع به أوتادها ،

و أقام به ميلها ، إمام الهدى النبيّ المصطفى صلّى الله عليه و آله فلقد صدع بما أمر به و بلّغ رسالات ربّه ، فأصلح الله به ذات البين ، و آمن به السبل ، و حقن به الدّماء ، و ألّف به بين ذي الضغائن الواغرة في الصدور حتّى أتاه اليقين ، ثمّ قبضه الله إليه حيمدا . ثمّ استخلف النّاس أبابكر فلم يأل جهده ، ثمّ استخلف أبو بكر عمر فلم يأل جهده ، ثمّ استخلف النّاس عثمان فنال منكم و نلتم منه حتّى إذا كان من أمره

[115]

ما كان أتيتموني لتبايعوني ، فقلت : لا حاجة لي في ذلك ، و دخلت منزلي ،

فاستخرجتموني فقبضت يدي فبسطتموها ، و تداككتم عليّ حتّى ظننت أنّكم قاتلي و أنّ بعضكم قاتل بعض ، فبايعتموني و أنا غير مسرور بذلك و لا جذل ، و قد علم الله سبحانه أنّي كنت كارها للحكومة بين امّة محمّد صلّى الله عليه و آله و لقد سمعته صلّى الله عليه و آله يقول : « ما من وال يلي شيئا من أمر امّتي إلاّ أتى به من يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه على رؤوس الخلائق ثمّ ينشر كتابه فإن كان عادلا نجا ، و إن كان جائرا هوى » . حتّى اجتمع عليّ ملأكم و بايعني طلحة و الزبير و أنا أعرف الغدر في أوجههما و النكث في أعينهما ، ثمّ استأذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليسا العمرة يريدان فسارا إلى مكّة و استخفّا عائشة و خدعاها و شخص معهما أبناء الطلقاء ، فقدموا البصرة فقتلوا بها المسلمين و فعلوا المنكر ، و يا عجبا لاستقامتهما لأبي بكر و عمر و بغيهما عليّ و هما يعلمان أنّي لست دون أحدهما ، و لو شئت أن أقول لقلت ، و لقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتابا يخدعهما فيه فكتماه عنّي و خرجا يوهمان الطغام و الأعراب أنّهما يطلبان بدم عثمان ، و الله ما أنكرا عليّ منكرا و لا جعلا بيني و بينهم نصفا ، و إنّ دم عثمان لمعصوب بهما و مطلوب منهما ، يا خيبة الدّاعي إلام دعا و بماذا أجيب ؟ و الله إنّهما لعلى ضلالة صمّاء و جهالة عمياء ، و إنّ الشيطان قد ذمّر لهما حزبه و استجلب منهما خيله و رجله ليعيد الجور إلى أوطانه و يرد الباطل إلى نصابه .

ثمّ رفع يديه فقال :

اللّهمّ إن طلحة و الزبير قطعاني و ظلماني و ألّبا عنّي و فكثا بيعتي فاحلل ما عقدا و انكث ما أبرما و لا تغفر لهما أبدا ، و أرهما المساءة فيما عملا و أملا .

قال أبو مخنف : فقام إليه الأشتر فقال :

الحمد للّه الّذي منّ علينا فأفضل ، و أحسن إلينا فأجمل ، قد سمعنا كلامك يا أمير المؤمنين و لقد أصبت و وفّقت و أنت ابن عمّ نبيّنا و صهره و وصيّه و أوّل مصدّق به

[116]

و مصلّ معه ، شهدت مشاهده كلّها فكان لك الفضل فيها على جميع الأمّة فمن اتّبعك أصاب حظّه و استبشر بفلجه ، و من عصاك و رغب عنك فإلى أمّه الهاوية . لعمري يا أمير المؤمنين ما أمر طلحة و الزبير و عايشة علينا بمخيّل ، و لقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه ، و فارقا على غير حدث أحدثت و لاجور صنعت ، فإن زعما أنّهما يطلبان بدم عثمان فليقيّدا من أنفسهما فإنّهما أوّل من ألّب عليه و أغرى النّاس بدمه ، و أشهد اللّه لئن لم يدخلا فيما خرجا منه لنلحقهما بعثمان ، فإنّ سيوفنا في عواتقنا و قلوبنا في صدورنا ، و نحن اليوم كما كنّا أمس .

ثمّ قعد . 126

توضيح

« ارعوى عن القبيح » أي كفّ . و قال الجوهريّ : « القارة » قبيلة سمّوا قارة لإجماعهم و التفافهم لمّا أراد ابن الشداخ أن يفرّقهم في بني كنانة و هم رماة ، و في المثل : « أنصف القارة من راماها » . و قال الجوهريّ . « نكيت في العدوّ نكاية » إذا قتلت فيهم و جرحت . و قال : « عضهه عضها » رماه بالبهتان . و قال :

« التنزّي » التوثّب و التسرّع . انتهى . و في بعض النسخ : « اذا نبرى اعترض » و هو أصوب .

و « السوقة » خلاف الملك . قوله عليه السلام « لم يألوا النّاس خيرا فيه تقيّة و مصلحة ، قال الجوهريّ : « ألا يألو » أي قصر ، و فلان لا يألوك نصحا و قال : قال الفرّآء في قوله تعالى : أَخْذَةً رابِيَةً » 127 أي زائدة ، كقولك : « أربيت » إذا أخذت أكثر ممّا أعطيت . و قال : « الفواق و الفواق » ما بين الحلبتين من الوقت لأنّهما تحلب ثمّ تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدرّ ثمّ تحلب ، يقال : ما أقام عنده إلاّ فواقا . قوله عليه السلام « لمن بغى عليه » أي قال في حقّ من بغى عليه ، و المقول لينصرنّه اللّه ، و

----

(126) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 305 311 ، ط بيروت .

----

(127) الحاقّة : 10 .

[117]

الآية هكذا : وَ مَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ . 128 و « الوطب » بالفتح ، الزقّ الّذي يكون فيه السمن و اللبن ، و المراد بالخلق إمّا قدم اللبن و مضيّ زمان عليه أو خلق الزقّ فإنّه يفسد اللبن . و « أعظم بها » للتعجّب ، أي ما أعظمها . و « الجزل » بالتحريك ، الفرح . « لمعصوب بهما » أي مشدود عليهما . 129

[هذا بيان آخر في شرح جزء من هذه الخطبة :] بيان

قوله عليه السلام « قد كنت » قال ابن الحديد : « كان » هيهنا تامّة ، و الواو للحال ، أي خلقت و وجدت بهذه الصفة . 130 و يجوز أن تكون الواو زائدة و « كان » ناقصة و خبرها « ما أهدّد » . و « تجرّد الأرض » أي جدّ فيه ، ذكره الجوهريّ . و قال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام : « أراد أن يغالط بما أجلب فيه » يقال :

« أجلبوا عليه » إذا تجمّعوا و تألّبوا ، و « أجلبه » أي أعانه ، و « أجلب عليه » إذا صاح به و استحثّه .

و قال الجوهريّ : « لبّست عليه الأمر البّس » و قال : « أعذر » أي صار ذا عذر .

و في النهاية : فما نهنهها شيء دون العرش ، أي ما منعها و كفّها عن الوصول إليه .

و « الركود » السكون و الثبات . 131

23 و من خطبة له عليه السلام و تشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد و تأديب الأغنياء بالشفقة

تهذيب الفقراء

أمّا بعد ، فإنّ الأمر ينزل من السّماء إلى الأرض كقطرات المطر إلى

----

(128) الحجّ : 60 .

----

(129) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 402 ، ط كمپاني و ص 376 ، ط تبريز .

----

(130) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 305 ، ط بيروت .

----

(131) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 411 ، ط كمپاني و ص 386 ، ط تبريز .

كلّ نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان ، فإن رأى أحدكم لأخيه غفيرة (280) في أهل أو مال أو نفس فلا تكوننّ له فتنة ، فإنّ المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت ، و يغرى بها لئام النّاس ، كان كالفالج (281) الياسر (282) الّذي ينتظر أوّل فوزة من قداحه توجب له المغنم ، و يرفع بها عنه المغرم . و كذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من اللّه إحدى الحسنيين : إمّا داعي اللّه فما عند اللّه خير له ، و إمّا رزق اللّه فإذا هو ذو أهل و مال ، و معه دينه و حسبه . و إنّ المال و البنين حرث الدّنيا ، و العمل الصّالح حرث الآخرة ، و قد يجمعهما اللّه تعالى لأقوام ، فاحذروا من اللّه ما حذّركم من نفسه ، و اخشوه خشية ليست بتعذير (283) ، و اعملوا في غير رياء و لا سمعة ، فإنّه من يعمل لغير اللّه يكله اللّه (284) لمن عمل له . نسأل اللّه منازل الشّهداء ، و معايشة السّعداء ، و مرافقة الأنبياء .

تأديب الاغنياء

أيّها النّاس إنّه لا يستغني الرّجل و إن كان ذا مال عن عترته ، و دفاعهم عنه بأيديهم و ألسنتهم ، و هم أعظم النّاس حيطة (285) من ورائه ، و ألمّهم لشعثه (286) ، و أعطفهم عليه عند نازلة

إذا نزلت به . و لسان الصّدق (287) يجعله اللّه للمرء في النّاس خير له من المال يرثه غيره .

و منها : ألا لا يعدلنّ أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة (288) أن يسدّها بالّذي لا يزيده إن أمسكه و لا ينقصه إن أهلكه (289) ، و من يقبض يده عن عشيرته ، فإنّما تقبض منه عنهم يد واحدة ، و تقبض منهم عنه أيد كثيرة ، و من تلن حاشيته يستدم من قومه المودّة قال السيد الشريف : أقول : الغفيرة هاهنا الزيادة و الكثرة ، من قولهم للجمع الكثير :

الجم الغفير ، و الجماء الغفير . و يروى « عفوة من أهل أو مال » و العفوة : الخيار من الشيء ، يقال : أكلت عفوة الطعام ، أي خياره . و ما أحسن المعنى الذي أراده عليه السلام بقوله : « و من يقبض يده عن عشيرته . . . » إلى تمام الكلام ، فإن الممسك خيره عن عشيرته إنما يمسك نفع يد واحدة ، فإذا احتاج إلى نصرتهم ، و اضطر إلى مرافدتهم (290) ،

قعدوا عن نصره ، و تثاقلوا عن صوته ، فمنع ترافد الأيدي الكثيرة ، و تناهض الأقدام الجمة .

24 و من خطبة له عليه السلام و هي كلمة جامعة له ، فيها تسويغ قتال المخالف ، و الدعوة إلى طاعة اللّه ،

و الترقي فيها لضمان الفوز

و لعمري ما عليّ من قتال من خالف الحقّ ، و خابط الغيّ (291) ، من إدهان (292) و لا إيهان (293) . فاتّقوا اللّه عباد اللّه ، و فرّوا إلى اللّه من اللّه (294) ، و امضوا في الّذي نهجه لكم (295) ، و قوموا بما عصبه بكم (296) ،

فعليّ ضامن لفلجكم (297) آجلا ، إن لم تمنحوه عاجلا .

بيان

قيل : إنّما قال ذلك في ردّ قول من قال : إنّ مصانعته عليه السلام لمحاربيه و مخالفيه و مداهنتهم أولى من محاربتهم .

قوله عليه السلام « و خابط الغيّ » ذكر المخابطة هنا للمبالغة من الجانبين .

و « الإدهان » المصانعة . و « نهجه » أوضحه . قوله عليه السلام « عصبه بكم » أي أناطه و ربطه بكم و جعله كالعصابة الّتي تشدّ بها الرّأس . و « المنحة » العطيّة . 132

25 و من خطبة له عليه السلام

و قد تواترت (298) عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد ،

و قدم عليه عاملاه على اليمن ، و هما عبيد اللّه بن عباس و سعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن أبي أرطاة ، فقام عليه السلام على المنبر ضجرا بتثاقل أصحابه عن الجهاد ، و مخالفتهم له في الرأي ، فقال :

ما هي إلاّ الكوفة ، أقبضها و أبسطها (299) ، إن لم تكوني إلاّ أنت ،

تهبّ أعاصيرك (300) فقبّحك اللّه و تمثل بقول الشاعر :

لعمر أبيك الخير يا عمرو إنّني على وضر (301) من ذا الإناء قليل ثم قال عليه السلام :

أنبئت بسرا قد اطّلع اليمن . (302) و إنّي و اللّه لأظنّ أنّ هؤلاء القوم

----

(132) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 154 ، ط كمپاني و ص 148 ، ط تبريز .

سيدالون منكم (303) باجتماعهم على باطلهم ، و تفرّقكم عن حقّكم ،

و بمعصيتكم إمامكم في الحقّ ، و طاعتهم إمامهم في الباطل ، و بأدائهم الأمانة إلى صاحبهم و خيانتكم ، و بصلاحهم في بلادهم و فسادكم .

فلو ائتمنت أحدكم على قعب (304) لخشيت أن يذهب بعلاقته (305) .

اللّهمّ إنّي قد مللتهم و ملّوني ، و سئمتهم و سئموني ، فأبدلني بهم خيرا منهم ، و أبدلهم بي شرّا منّي ، اللّهمّ مث قلوبهم (306) كما يماث الملح في الماء ، أمّا و اللّه لوددت أنّ لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم .

هنالك ، لو دعوت ، أتاك منهم
فوارس مثل أرمية الحميم

ثم نزل عليه السلام من المنبر

قال السيد الشريف : أقول : الأرمية جمع رميّ و هو السحاب ، و الحميم هاهنا : وقت الصيف ، و إنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنّه أشد جفولا ، و أسرع خفوفا (307) ،

لأنّه لا ماء فيه ، و إنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء ، و ذلك لا يكون في الأكثر إلا زمان الشتاء ، و إنما أراد الشاعر و صفهم بالسرعة إذا دعوا ، و الإغاثة إذا استغيثوا ، و الدليل على ذلك قوله :

« هنالك ، لو دعوت ، أتاك منهم . . . »

بيان

قوله عليه السلام « ما هي إلاّ الكوفة » أي ما مملكتي إلاّ الكوفة .

« أقبضها و أبسطها » أتصرّف فيها كما يتصرّف الانسان في ثوبه بقبضه و بسطه ، و الكلام في معرض التحقير ، أي ما أصنع بتصرّفي فيها مع حقارتها ، و يحتمل أن يكون المراد عدم التمكّن التامّ من التصرّف فيها لنفاق أهلها كمن لا يقدر على لبس ثوب بل

[122]

على قبضه و بسطه ، أو المراد بالبسط بثّ أهلها للقتال عند طاعتهم ، و بالقبض الاقتصار على ضبطهم عند المخالفة ، و في قوله « إن لم تكوني » التفات . قوله عليه السلام :

« تهبّ أعاصيرك » الجملة في موضع الحال ، و خبر كان محذوف ، و لفظ الأعاصير على حقيقته فإنّ الكوفة معروفة بهبوب الأعصار فيها ، و يحتمل أن يكون مستعارا لآراء أهلها المختلفة ، و التقدير إن لم تكوني إلاّ أنت عدّة لي وجنّة ألقى بها العدوّ و حظّا من الملك و الخلافة مع ما فيك من المدّامّ فقبحا لك و بعدا ، و يمكن أن يقدّم المستثنى منه حالا ، أي إن لم تكوني على حال إلاّ أن تهبّ فيك الأعاصيردون أن يكون فيك من يستعان به على العدوّ . « الإعصار » ريح تهبّ و تمتدّمن الأرض كالعمود نحو السماء ، و قيل : كلّ ريح فيها العصار ، و هو الغبار الشديد .

و « الوضر » بفتح الضاد ، الدرن الباقي في الإناء بعد الأكل ، و يستعار لكلّ بقيّة من شيء يقلّ الانتفاع بها ، و استعار بلفظ الإناء للدنيا و بلفظ الوضر القليل لما فيها لحقارتها . و روي « من ذا الألاء » فإنّما أراد : إنّي على بقيّة من هذا الأمر كالقدر الحاصل لناظر الألاء مع عدم انتفاعه بشيء آخر ، فإنّ الألاء كسحاب شجر حسن المنظر مرّ الطعم .

قوله عليه السلام « قد اطّلع اليمن » أي غلبها و غزاها و أغار عليها ، من الاطّلاع و هو الإشراف من مكان عال . قوله عليه السلام « سيد الون منكم » أي يغلبونكم و ليكون لهم الدّولة عليكم . و لعلّ التفرّق عن الحقّ و معصية الإمام واحد أتى بهما تأكيدا ، و قيل : المراد بالحقّ الّذي تفرّقوا ، تصرّفهم في الفيء و الغنائم و غيرها بإذن الإمام ،

و « أداء الأمانة » الوفاء بالعهد و البيعة أو مطلقا . و « الصّلاح في البلاد » ترك التعرّض للنّاس و تهييج الفتن . و « القعب » القدح الضخم . قوله عليه السلام « أن يذهب بعلاقته » الضمير المستتر راجع إلى الأحد ، و الباء للتعدية ، أو إلى القعب و الباء بمعنى مع .

و قوله عليه السلام « خيرا منهم ، و شرّا منّي » صيغة أفعل فيه بمنزلتها في قوله تعالى : أَ ذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ الْخُلْدِ 133 على سبيل التنزّل و التهكّم أو أريد

----
(133) *الفرقان : 15 .*

[123]

بالصّيغة أصل الصفة بدون تفضيل ، و لعلّ المراد بقوله « خيرا منهم » قوم صالحون ينصرونه و يوفّقون لطاعته أو ما بعد الموت من مرافقة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و غيره من الأنبياء عليهم السلام و تمنّيه عليه السلام لفوارس فراس بن غنم ربما يؤيّد الأوّل ، و يروى أنّ اليوم الّذي دعا فيه عليه السلام ولد الحجّاج ، و روي أنّه ولد بعد ذلك بمدّة يسيرة ، و فعل الحجّاج بأهل الكوفة مشهور ، و يقال : « ماث زيد الملح في الماء » أي أذابه . قوله : « لوددت » البيت لأبي جندب الهزليّ ، و بنوفراس حيّ مشهور بالشجاعة . و « الجفول » الإسراع ، و « الخفوف » العجلة . 134

26 و من خطبة له عليه السلام و فيها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له

القسم الأول العرب قبل البعثة

إنّ اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نذيرا للعالمين ،

و أمينا على التّنزيل ، و أنتم معشر العرب على شرّ دين ، و في شرّ دار ،

منيخون (308) بين حجارة خشن (309) ، و حيّات صمّ (310) ، تشربون الكدر و تأكلون الجشب (311) ، و تسفكون دماءكم ، و تقطعون أرحامكم .

الأصنام فيكم منصوبة ، و الآثام بكم معصوبة (312) .

القسم الثاني و منها صفتة قبل البيعة له

فنظرت فإذا ليس لي معين إلاّ أهل بيتي ، فضننت بهم عن الموت ،

----
(134) *بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 702 ، ط كمپاني و ص 650 ، ط تبريز .*

[124]

و أغضيت (313) على القذى ، و شربت على الشّجا (314) ، و صبرت على أخذ الكظم (315) ، و على أمرّ من طعم العلقم .

و منها : و لم يبايع حتّى شرط أن يؤتيه على البيعة ثمنا ، فلا ظفرت يد البائع ، و خزيت (316) أمانة المبتاع (317) ، فخذوا للحرب أهبتها (318) ، و أعدّوا لها عدّتها ، فقد شبّ لظاها (319) ، و علا سناها (320) ،

و استشعروا (321) الصّبر ، فإنّه أدعى إلى النّصر .

بيان

قوله عليه السلام « شرّدار » أي باعتبار شمول الكفر و الضلالة ، أو باعتبار أنّ أكثرها البوادي ، و لقلّة المعمورة و قلّة الماء فلا ينافي كونها خيردار للصالحين لشرافة المكان ، و يحتمل أن يكون المراد الدار المجازيّة أي دار الجاهلية . و « الاناخة » الإقامة بالمكان . و « الحيّة الصمّاء » الّتي لا تنزجر بالصوت كأنّها لا تسمع و ربّما يراد بها الصلبة الشديدة ، و قيل : يجوز أن يعنى بالحجارة و الحيّات المجاز ، يقال للأعداء حيّات و إنّه لحجر خشن المسّ إذا كان ألدّ الخصام . و « الجشب » الطعام الغليظ الخشن و الّذي لا إدام معه . قوله عليه السلام « معصوبة » أي مشدودة 135 .

[البيان الثاني في شرح الخطبة :] بيان

قوله عليه السلام « و لم يبايع » قال الشارحون : إشارة إلى ما اشتهر من أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا نزل بالكوفة بعد فراغه من البصرة كتب إلى معاوية كتابا يدعوه إلى البيعة ، فدعا قوما من أهل الشام إلى الطلب بدم عثمان فأجابوه و أشار إليه أخوه بالاستعانة بعمرو بن العاص ، فلمّا قدم عليه و عرف حاجته إليه تباعد عنه و جعل يمدح عليّا في وجهه حتى رضي معاوية أن يعطيه المصر فبايعه ، فذلك معنى قوله عليه السلام « أن يؤتيه على البيعة ثمنا » . ثمّ أردف ذلك بالدعاء على البائع

----

(135) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا ، صلّى اللّه عليه و آله ، ص 226 .

لدينه و هو عمرو بعدم الظفر في الحرب أو بالثمن أو شيء ممّا يأمله ، و ألحقه بالتوبيخ للمبتاع و هو معاوية بذكر هوان أمانته عليه و هي بلاد المسلمين و أموالهم ، و يحتمل أن يكون إسناد الخزي إلى الأمانة إسنادا مجازيّا ، و ذهب بعض الشارحين إلى أنّ المراد بالبائع معاوية و بالمبتاع عمرو ، و هو ضعيف لأنّ الثمن إذا كان مصرا فالمبتاع هو معاوية . كذا ذكر ابن ميثم 136 .

و قال ابن أبي الحديد : و في أكثر النسخ « فلا ظفرت يد المبائع » بميم المفاعلة ، و الظاهر ما رويناه 137 .

قوله عليه السلام « فقد شبّ لظاها » أى أوقدت نارها و أثيرت ، و روي بالبناء للفاعل أي ارتفع لهبها . و « السنا » بالقصر ، الضوء . أقول : قال ابن أبي الحديد 138 : روى ابن قتيبة في عيون الأخبار ، قال : رأى عمرو بن العاص معاوية يوما فضحك ، فقال : ممّ تضحك يا أمير المؤمنين أضحك اللّه سنّك ؟ قال : أضحك من حضور ذهنك حين إبدائك 139 سوأتك يوم ابن أبي طالب [عليه السلام] ، و اللّه لقد وجدته منّانا ، و لو شاء أن يقتلك لقتلك فقال عمرو : يا أمير المؤمنين أما و اللّه إنّى لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فأحولت عيناك و انتفخ سجرك و بدامنك ما أكره ذكره ، فمن نفسك أضحك أو فزّع . 140

[البيان الثالث في شرح الخطبة :] بيان

« الكظم » بفتح الظاء ، مخرج النفس . قوله عليه السلام : « احتجّوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة » المراد بالثمرة إمّا الرسول صلّى اللّه عليه و آله و الإضاعة عدم اتّباع نصبه ، أو أمير المؤمنين و أهل البيت عليهم السلام تشبيها له صلّى اللّه عليه و آله بالأغصان ، أو اتّباع الحقّ الموجب للتمسّك به دون غيره كما قيل ، و الغرض

----

(136) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 27 ، ط بيروت .

----

(137) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 2 ، ص 60 61 ، ط بيروت .

----

(138) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 6 ، ص 107 ، ط بيروت .

----

(139) *في بعض النسخ : أبدأت .*

----

(140) *بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 533 ، ط كمپاني و ص 494 ، ط تبريز .*

إلزام قريش بما تمسّكوا به من قرابته صلّى اللّه عليه و آله فإن تمّ ، فالحقّ لمن هو أقرب و أخصّ و إلاّ فالأنصار على دعواهم . 141

27 و من خطبة له عليه السلام و قد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا . و فيها يذكر فضل الجهاد ، و يستنهض الناس ، و يذكر علمه بالحرب ،

و يلقي عليهم التبعة لعدم طاعته

القسم الأول فضل الجهاد

أمّا بعد ، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة ، فتحه اللّه لخاصّة أوليائه ، و هو لباس التّقوى ، و درع اللّه الحصينة ، و جنّته (322) الوثيقة .

فمن تركه رغبة عنه (323) ألبسه اللّه ثوب الذّلّ ، و شمله البلاء ، و ديّث (324) بالصّغار و القماءة (325) ، و ضرب على قلبه بالإسهاب (326) ، و أديل الحقّ منه (327) بتضييع الجهاد ، و سيم الخسف (328) ، و منع النّصف (329) .

القسم الثاني استنهاض الناس

ألا و إنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا و نهارا ، و سرّا و إعلانا ، و قلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فو اللّه ما غزي قوم قطّ في عقر دارهم (330) إلاّ ذلّوا . فتواكلتم (331) و تخاذلتم حتّى شنّت

----

(141) *بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 177 ، ط كمپاني و ص 171 ، ط تبريز .*

عليكم الغارات (332) ، و ملكت عليكم الأوطان . و هذا أخو غامد و قد وردت خيله الأنبار (333) ، و قد قتل حسّان بن حسّان البكريّ ، و أزال خيلكم عن مسالحها (334) ، و لقد بلغني أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، و الأخرى المعاهدة (335) ، فينتزع حجلها (336) و قلبها (337) و قلائدها و رعثها (338) ، ما تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع و الاسترحام (339) .

ثمّ انصرفوا وافرين (340) ما نال رجلا منهم كلم (341) ، و لا أريق لهم دم ، فلو أنّ امرأ مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما ،

بل كان به عندي جديرا ، فيا عجبا عجبا و اللّه يميت القلب و يجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم ، و تفرّقكم عن حقّكم فقبحا لكم و ترحا (342) ، حين صرتم غرضا (343) يرمى : يغار عليكم و لا تغيرون ، و تغزون و لا تغزون ، و يعصى اللّه و ترضون فإذا أمرتكم بالسّير إليهم في أيّام الحرّ قلتم : هذه حمارّة القيظ (344) ،

أمهلنا يسبّخ عنّا الحرّ (345) ، و إذا أمرتكم بالسّير إليهم في الشّتاء قلتم : هذه صبارّة القرّ (346) ، أمهلنا ينسلخ عنّا البرد ، كلّ هذا فرارا من الحرّ و القرّ ، فإذا كنتم من الحرّ و القرّ تفرّون ، فأنتم و الله من السّيف أفرّ

القسم الثالث البرم بالناس

[128]

يا أشباه الرّجال و لا رجال حلوم الأطفال ، و عقول ربّات الحجال ، (347) ،

لوددت أنّي لم أركم و لم أعرفكم معرفة و الله جرّت ندما ، و أعقبت سدما (348) . قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا (349) ، و شحنتم (350) صدر غيظا ، و جرّ عتموني نغب (351) التّهمام (352) ، و أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان و الخذلان ، حتّى لقد قالت قريش : إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ، و لكن لا علم له بالحرب .

للّه أبوهم و هل أحد منهم أشدّ لها مراسا (354) ، و أقدم فيها مقاما منّي لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين ، و هأنذا قد ذرّفت على السّتّين (355) و لكن لا رأي لمن لا يطاع

بيان

قال ابن ميثم و غيره 142 : هذه الخطبة مشهورة ذكرها أبو العبّاس المبرّد و غيره ، و السبب المشهور لها أنّه ورد عليه من الأنبار فأخبره أنّ سفيان بن عوف الغامديّ قدورد في خيل معاوية إلى الأنبار و قتل عامله حسّان بن حسّان البكريّ ،

فصعد عليه السلام المنبر و خطب النّاس و قال :

إنّ أخاكم البكريّ قد أصيب بالأنبار ، فانتدبوا إليهم حتّى تلاقوهم ، فإن أصبتم منهم طرفا أنكلتموهم عن العراق أبدا ما بقوا .

ثمّ سكت رجاء أن يجيبوه بشيء ، فلمّا رأى صمتهم نزل و خرج يمشي راجلا حتّى أتى النخلية و النّاس يمشون خلفه حتّى أحاط به قوم من أشرافهم و قالوا : ترجع يا أمير المؤمنين و نحن نكفيك ، فقال ما تكفوني و لا تكفون أنفسكم ، فلم يزالوا به حتّى ردّوه إلى منزله ، فبعث سعيد بن قيس الهمد انيّ في ثمانية الآف في طلب سفيان فخرج حتّى

----

(142) أشار العلاّمة بجميع الشارحين و المحدّثين ، منهم : ابن أبي الحديد في شرحه للنهج ، ج 2 ، ص 75 ، ط بيروت .

[129]

انتهى إلى أدانى أرض قنّسرين و رجع ، و كان عليه السلام في ذلك الوقت عليلا لا يقوى على القيام في النّاس بما يريده من القول فجلس بباب السّدّة الّتي تصل إلى المسجد و معه الحسن و الحسين عليهما السلام و عبد الله بن جعفر ، و دعا سعيدا مولاه فدفع إليه كتابا كتب فيه هذه الخطبة و أمره أن يقرأه على النّاس بحيث يسمع و يسمعونه . و في رواية المبرد : إنّه لمّا انتهى إليه ورود خيل معاوية الأنبار و قتل حسّان خرج مغضبا يجرّ رداءه حتّى أتى النخلية و معه الناس ، و رقار باوة من الأرض فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على النبيّ صلّى الله عليه و آله . 143 ثمّ ذكر الخطبة .

و لنرجع إلى الشرح و البيان .

قوله عليه السلام « باب من أبواب الجنّة » روي عن النبي صلّى الله عليه و آله أنّه قال : « للجنّة باب يقال له : باب المجاهدين ، يمضون إليه فإذا هو مفتوح و هم متقلّدون بسيوفهم و الجمع في الموقف و الملائكة ترحّب بهم » . و في في : « لخاصّة أوليائه ، و سوّغهم كرامة منه لهم ، و نعمة ذخرها ، و الجهاد لباس التّقوى » فقوله عليه السّلام « نعمة » عطف على « باب » أو على « كرامة » . قوله عليه السلام « و هو لباس التّقوى » أي به يتّقى في الدنيا من غلبة الأعادي و في الآخرة من النّار ، أو هو يدفع المضارّ عن التقوى و يحرسها ، أو عن أهلها بحذف المضاف ، و كونه تأويلا لقوله تعالى :

وَ لِبَاسُ التَّقْوَى 144 ، يحتاج إلى تكلّف مّا . « و درع اللّه » أي درع جعلها اللّه لحفظ عباده و المراد درع الحديد ، و هي مؤنّثة و قد تذكّر « الحصينة » الواقية . و الجنّة بالضّم كلّ ما وقاك و استترت به . و « الوثيقة » المحكمة ، « فمن تركه » في في : « رغبة عنه » أي كراهة له بغير علّة . « لباس الذّلّ » الإضافة للبيان . قوله عليه السلام « و شمله البلاء » ربّما يقرأ بالتّاء و هي كساء تغطّى به ، و الفعل أظهر

----

(143) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 31 ، ط بيروت .

----

(144) الأعراف : 26 .

كما هو المضبوط .

قوله عليه السلام « و ديّث بالصّغار » أي ذلّل كما مرّ ، « الصّغار » الذلّ و الضيم . و « القمآء » ممدودة ، الذلّ و الصّغار ، و رواه الرّاونديّ مقصورا و هو غير معروف . و في في : « القماءة » . قوله عليه السلام « و ضرب على قلبه بالإسداد » قال الفيروز آباديّ : « و ضربت عليه بالسّداد » سدّت عليه الطرق و عميت عليه مذاهبه ، و في بعض النسخ : « بالإسهاب » ، يقال : « أسهب الرجل » على البناء للمفعول ، إذا ذهب عقله من أذىّ يلحقه . « و أديل الحقّ منه » أي يغلب الحقّ عليه فيصيبه الوبال لترك الحقّ ، كقوله عليه السلام في الصحيفة « أدل لنا و لا تدل منّا » و « الا دالة » الغلبة . و الباء في قوله « بتضييع الجهاد » للسببيّة . و قال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام : « من ترك الجهاد ألبسه اللّه الذّلّة » . « و سيم الخسف » ، « الخسف » النقصان و الهوان ، و أصله أن تحبس الدابّة على غير علف ، ثمّ استعير لموضع الهوان . 145 و « سيم » كلّف و ألزم . « و منع النصف » أي لا يتمكّن من الانتصاف و الانتقام . و « عقر الشيء » أصله و وسطه . و « تواكل القوم » اتّكل بعضهم على بعض 146 و ترك الأمر إليه . و « تخاذلوا » أي خذل بعضهم بعضا .

و « شنّت » أي فرّقت ، قال ابن أبي الحديد : ما كان من ذلك متفرّقا نحو إرسال الماء على الوجه دفعة بعد دفعة ، فهو بالشين المعجمة ، و ما كان إرسالا غير متفرّق فبالسّين المهملة . 147 و كلمة « على » في « ملكت عليكم » تفيد الاستعلاء بالقهر و الغلبة ، أي أخذوا الأوطان منكم بالقهر . و « أخو غامد » هو سفيان بن عوف الغامديّ . و « الأنبار » بلد قديم من بلاد العراق . و « حسّان » من أصحابه عليه السلام كان واليا عليه . و « المسالح » جمع المسلحة و هي الحدود الّتي يرتّب فيها ذو و الأسلحة لدفع العدوّ كالثّغر .

و « الحجل » بكسر الحاء و فتحها ، الخلخال . و « القلب » بالضّم ، السوار المصمت . و

----

(145) في بعض النسخ : ثمّ استعير فوضع موضع الهوان .

----

(146) في بعض النسخ : تكل بعضهم بعضا .

----

(147) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 2 ، ص 78 ، ط بيروت .

« الرعاث » جمع « رعثة » ، بفتح الرّاء و سكون العين و فتحها ، و هي القرط ، و الرعاث أيضا ضرب من الحليّ و الخرز . و « الاسترجاع » قول « إنّا للّه و إنّا إليه راجعون » ، و قيل : ترديد الصوت في البكاء . و « لاسترحام » مناشدة الرحم ، أي قول « أنشدك اللّه و الرحم » و قيل : طلب الرحم و هو بعيد . قوله عليه السلام « و افرين » أي تامّين ،

يقال : « و فرالشيء » أي تمّ و « و فرت الشيء » أي أتممته ، و في رواية المبرّد « موفورين » بمعناه . و « الكلم » الجراحة .

قوله عليه السلام « فيا عجبا » أصله يا عجبى ، أي احضرهنا أوانك ، و عجبا منصوب بالمصدريّة ، أي أيّها النّاس تعجّبوا منهم عجبا . و القسم معترض بين الصفة و الموصوف . و « التّرح » محرّكة ، ضدّ الفرح . و « حمارّة القيظ » بتشديد الرّاء ، شدّة حرّه ، و ربّما خفّفت للضرورة في الشعر . و « صبارّة الشّتاء » بتشديد الرّاء ، شدّة برده . و في القاموس : « تسبّخ الحرّ » فتر و سكن ، كسبّخ تسبيخا . و « الحلوم » جمع « الحلم » بالكسر و هو الأناة و العقل . و « ربّات الحجال » النّساء ، أي صواحبها أو اللّاتي ربّين فيها . و في بعض النسخ بنصب الحلوم و العقول ، ففي الكلام تقدير ، أي ياذوي حلوم الأطفال و ذوي عقول النساء ، و في بعضها بضمّها ، أي حلومكم حلوم الأطفال ، و عقولكم عقول النساء .

قوله عليه السلام « معرفة » يمكن أن يكون فعله محذوفا أي عرفتكم معرفة .

« أعقبت ذمّا » أي ذمّي إيّاكم و إيّاها . و في بعض النسخ : « سدما » و هو بالتحريك الهمّ أو مع ندم أو غيظ . و « مقاتلة الله » كناية عن اللعن و الإبعاد . و « القيح » الصديد بلادم . قوله عليه السلام « و شحنتم » أي ملأتم . و « النغب » جمع « نغبة » و هي الجرعة . و « التهمام » بفتح التاء ، الهمّ . و « أنفاسا » أي جرعة جرعة . قوله عليه السلام « لله أبوهم » كلمة مدح و لعلّها استعملت هنا للتعجّب . و « المراس » بالكسر ، العلاج . و الضمائر الثلاثة للحرب ، و هي مؤنثة و قد يذكّر . قوله عليه السلام « ذرّفت » بتشديد الراء ، أي زدت . 148

----

(148) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 682 ، ط كمپاني و ص 631 ، ط تبريز .

[132]

28 و من خطبة له عليه السلام

و هو فصل من الخطبة التي أولها « الحمد لله غير مقنوط من رحمته » و فيه أحد عشر تنبيها أمّا بعد ، فإنّ الدّنيا أدبرت ، و آذنت (356) بوداع ، و إنّ الآخرة قد أقبلت و أشرفت باطّلاع (357) ، ألا و إنّ اليوم المضمار (358) ، و غدا السّباق ، و السّبقة الجنّة (359) ، و الغاية النّار ، أفلا تائب من خطيئته قبل منيّته (360) ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه (361) ألا و إنّكم في أيّام أمل من ورائه أجل ، فمن عمل في أيّام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ، و لم يضرره أجله . و من قصّر في أيّام أمله قبل حضور أجله ، فقد خسر عمله ، و ضرّه أجله . ألا فاعملوا في الرّغبة كما تعملون في الرّهبة (362) ، ألا و إنّي لم أر كالجنّة نام طالبها ، و لا كالنّار نام هاربها ، ألا و إنّه من لا ينفعه الحقّ يضرّه الباطل ، و من لا يستقيم به الهدى ، يجرّ به الضّلال إلى الرّدى . ألا و إنّكم قد أمرتم بالظّعن (363) ، و دللتم على الزّاد ، و إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان : اتّباع الهوى ، و طول الأمل ، فتزوّدوا في الدّنيا من الدّنيا ما تحرزون به أنفسكم (364) غدا . قال السيد الشريف رضي الله عنه و أقول : إنّه لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا ، و يضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام ، و كفى به قاطعا لعلائق الآمال ،

[133]

و قادحا زناد الاتعاظ و الازدجار ، و من أعجبه قوله عليه السلام : « ألا و إنّ اليوم المضمار و غدا السّباق ، و السّبقة الجنّة و الغاية النّار » فإن فيه مع فخامة اللفظ ، و عظم قدر المعنى ، و صادق التمثيل ، و واقع التشبيه سرّا عجيبا ، و معنى لطيفا ، و هو قوله عليه السلام : « السّبقة الجنّة ، و الغاية النّار » فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ، و لم يقل : « السّبقة النّار » كما قال : « السّبقة الجنّة » ، لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب ، و غرض مطلوب ، و هذه صفة الجنة و ليس هذا المعنى موجودا في النار ، نعوذ بالله منها فلم يجز أن يقول : « و السّبقة النّار » بل قال : « و الغاية النّار » : لأن الغاية قد ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء إليها ، و من يسره ذلك ، فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معا ،

فهي في هذا الموضع كالمصير و المآل ، قال الله تعالى : « قل تمتّعوا فإنّ مصيركم إلى النّار » و لا يجوز في هذا الموضع أن يقال : سبقتكم بسكون الباء إلى النار ، فتأمل ذلك ،

فباطنه عجيب ، و غوره بعيد لطيف . و كذلك أكثر كلامه عليه السلام . و في بعض النسخ :

و قد جاء في رواية أخرى « و السّبقة الجنة » بضم السين و السّبقة عندهم : اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض ، و المعنيان متقاربان ، لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم و إنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود .

29 و من خطبة له عليه السلام بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحاجّ بعد قصة الحكمين و فيها يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف

أيّها النّاس ، المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم (365) ، كلامكم يوهي (366) الصّمّ الصّلاب (367) ، و فعلكم يطمع فيكم الأعداء تقولون في المجالس : كيت و كيت (368) ، فإذا جاء القتال قلتم : حيدي

[134]

حياد (369) ما عزّت دعوة من دعاكم ، و لا استراح قلب من قاساكم ،

أعاليل بأضاليل (370) ، و سألتموني التّطويل (371) ، دفاع ذي الدّين المطول (372) . لا يمنع الضّيم الذّليل و لا يدرك الحقّ إلاّ بالجدّ أيّ دار بعد داركم تمنعون ، و مع أيّ إمام بعدي تقاتلون ؟ المغرور و اللّه من غررتموه ، و من فاز بكم فقد فاز و اللّه بالسّهم الأخيب (373) ،

و من رمى بكم فقد رمى بأفوق (374) ناصل (375) . أصبحت و اللّه لا أصدّق قولكم ، و لا أطمع في نصركم ، و لا أوعد العدوّ بكم . ما بالكم ؟ ما دواؤكم ؟ ما طبّكم ؟ القوم رجال أمثالكم . أقولا بغير علم و غفلة من غير ورع و طمعا في غير حقّ ؟

29 و من خطبة له عليه السلام بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحاجّ بعد قصة الحكمين و فيها يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف

أيّها النّاس ، المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم (365) ، كلامكم يوهي (366) الصّمّ الصّلاب (367) ، و فعلكم يطمع فيكم الأعداء تقولون في المجالس : كيت و كيت (368) ، فإذا جاء القتال قلتم : حيدي

[134]

حياد (369) ما عزّت دعوة من دعاكم ، و لا استراح قلب من قاساكم ،

أعاليل بأضاليل (370) ، و سألتموني التّطويل (371) ، دفاع ذي الدّين المطول (372) . لا يمنع الضّيم الذّليل و لا يدرك الحقّ إلاّ بالجدّ أيّ دار بعد داركم تمنعون ، و مع أيّ إمام بعدي تقاتلون ؟ المغرور و اللّه من غررتموه ، و من فاز بكم فقد فاز و اللّه بالسّهم الأخيب (373) ،

و من رمى بكم فقد رمى بأفوق (374) ناصل (375) . أصبحت و اللّه لا أصدّق قولكم ، و لا أطمع في نصركم ، و لا أوعد العدوّ بكم . ما بالكم ؟ ما دواؤكم ؟ ما طبّكم ؟ القوم رجال أمثالكم . أقولا بغير علم و غفلة من غير ورع و طمعا في غير حقّ ؟

بيان

قال الشرّاح : لمّا سمع معاوية اختلاف النّاس على عليّ عليه السلام و تفرّقهم عنه و قتله من قتل من الخوارج ، بعث الضحّاك بن قيس في أربعة آلاف و أو عز إليه بالنهب و الغارة ، فأقبل يقتل و ينهب حتّى مرّ بالثعلبيّة و أغار على الحاجّ فأخذ أمتعتهم و قتل عمرو بن عميس بن مسعود صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قتل معه ناسا من أصحابه فلمّا بلغ ذلك عليّا عليه السلام استصرخ أصحابه و استشارهم إلى لقاء العدوّ فتلكّأ و اورأى منهم فشلا فخطبهم بهذه الخطبة .
149 و « الوهي » الضعف ، و « وهى الحجر و السقاء » كوقى أي انشقّ ،

و « أوهاه » شقّه . و « الصمّ و الصّلاب » من أوصاف الحجارة ، و « الصّخرة الصمّاء » الّتي ليس فيها صدع و لا خرق . و « كيت و كيت » كناية عن القول .

قوله عليه السلام « حيدي حياد » قال ابن أبي الحديد : هي كلمة يقولها

----

(149) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 50 ، ط بيروت ، و أيضا شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 2 ، ص 113 ، ط بيروت .

و قد رواه العلاّمة عن « الغارات » للثقفي .

[135]

الهارب الفارّ ، و هي نظير قولهم « فيحي فياح » أي اتّسعي . 150 و قال ابن ميثم : « حياد » اسم للغارة ، و المعنى اعدلي عنّا أيّتها الحرب ، و يحتمل أن يكون « حياد » من أسماء الأفعال كنزال فيكون قد أمر بالتنحّي مرّتين بلفظين مختلفين . 151 أقول : قسّم الشيخ الرضيّ رحمه اللّه صيغة فعال المبنيّ إلى أربعة أقسام و عدّمنها ما كانت صفة للمؤنّث غير لازمة للنداء ، و عدّ من هذا القسم حياد و فياح ، و قال : « حيدي حياد » أي ارجعي يا راجعة ، و جعل حذف حرف النداء عن « حياد » و أمثالها دليلا على أنّها أعلام للأجناس و حينئذ لا يكون « حياد » اسما للغارة و لا بمعنى الأمر ، و هي و أمثالها مبنيّة على الكسر . و « العزّة » الغلبة و الشدّة ، و في الإسناد إلى الدعوة توسّع . و « لا استراح » أي ما وجد الرّاحة . و قاساه : كابده . و الباء في قوله عليه السلام « بأضاليل » متعلّقة بأعاليل ، أي يتعلّلون بالأضاليل الّتي لا جدوى لها .

و قال ابن ميثم رحمه اللّه : أعاليل و أضاليل جمع أعلال و أضلال و هما جمع « علّة » اسم ما يتعلّل به من مرض أو غيره ، و « ضلّة » اسم الضلال ، و هو خبر مبتدأ محذوف ، أي إذا دعوتكم إلى القتال تعلّلتم و هي أعاليل باطلة ضالّة عن سبيل اللّه . 152 قوله عليه السلام « دفاع » قال ابن ميثم : يحتمل أن يكون تشبيها لدفاعهم بدفاع ذي الدّين المطول فيكون منصوبا بحذف الجارّ ، و يحتمل أن يكون استعارة لدفاعهم ليكون مرفوعا . 153 و « المطول » كثير المطال و هو تطويل الوعد و تسويفه . و « الضيم » الظلم . قوله عليه السلام « أيّ دار بعد داركم » أي دار الاسلام أو العراق ، أي إذا أخرجكم العدوّ عن دياركم و مساكنكم فمن أيّ دار أو في أيّ دار تمنعونهم ، و في بعض النّسخ :

« تمتّعون » على التفعّل بحذف إحدى التائين ، أي بأيّ دار تنتفعون . « المغرور » أي الكامل الغرور ، أو ليس المغرور إلاّ من غرر تموه ، و التعبير عن الابتلاء بهم بالفوز على التهكّم .

----

(150) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 2 ، ص 111 ، ط بيروت .

----

(151) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 50 ، ط بيروت .

----

(152) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 51 ، ط بيروت .

----

(153) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 51 ، ط بيروت .

[136]

و قال ابن ميثم : « و الأحيب » أشدّ خيبة و هي الحرمان . 154 و « السهم الأخيب » الّتي لاغنم لها في الميسر كالثلاثة المسمّاة بالأوغار ، أو الّتي فيها غرم كالّتي لم تخرج حتّى استوفيت أجزاء الجزور فحصل لصاحبها غرم و خيبة ، و يكون إطلاق الفوز على حصولها مجازا من باب إطلاق أحد الضدّين على الآخر . و « الأفوق » السهم المكسور الفوق و هو

موضع الوتر منه . و « الناصل » الّذي لا نصل فيه . و « الإيعاد » و الوعيد في الشّر غالبا كالوعد و العدة في الخير ، و عدم الإيعاد إمّا لعدم الطمع في نصرهم أو لعدم خوف العدوّ منهم . و « البال » الحال و الشأن .

قوله عليه السلام « ما طبّكم ؟ » أي ما علاجكم ، و قيل : أي ما عادتكم .

قوله عليه السلام « أقولا بغير علم » نصب المصادر بالأفعال المقدرة ، و قولهم « بغير علم » قولهم إنّا نفعل بالخصوم كذا و كذا ، مع أنّه لم يكن في قلوبهم إرادة الحرب ،

أو دعواهم الإيمان و الطّاعة مع عدم الإطاعة ، فكأنّهم لا يذعنون بما يقولون ، و في بعض النسخ : « بغير عمل » و هو أظهر . و « غفلة » أي عمّا يصلحكم من غير ورع يحجزكم عن محارم اللّه . و ينبّهكم عن الغفلة ، و في بعض النسخ : « و عفّة من غير ورع و طمعا في غير حقّ » لعلّه عليه السلام كان علم أنّ سبب تسويف بعضهم طمعهم في أن يعطيهم زيادة على ما يستحقّونه كما فعل معاوية و الخلفاء قبله . 155

30 و من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان و هو حكم له على عثمان و عليه و على الناس بما فعلوا و براءة له من دمه

لو أمرت به لكنت قاتلا ، أو نهيت عنه لكنت ناصرا ، غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول : خذله من أنا خير منه ، و من خذله

----

(154) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 51 ، ط بيروت .

----

(155) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 683 ، ط كمپاني و ص 632 ، ط تبريز .

لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خير منّي . و أنا جامع لكم أمره ،

استأثر فأساء الأثرة (376) ، و جزعتم فأسأتم الجزع (377) ، و للّه حكم واقع في المستأثر و الجازع .

بيان

قال ابن أبي الحديد : معناه أنّ خاذليه كانوا خيرا من ناصريه لأنّ الّذين نصروه كانوا فسّاقا كمروان بن الحكم و أضرّوابه ، و خذله المهاجرون و الأنصار . 156 و « المستأثر بالشيء » المستبدّ به ، أي أساء عثمان في استقلاله برأيه في الخلافة و إحداث ما أحدث . قوله عليه السلام « للّه حكم واقع » أي ثابت محقّق في علمه تعالى ، فالحكم يحتمل الدنيويّ و الأخرويّ ، أو سيقع و يتحقّق خارجا في الآخرة أو في الدنيا لأنّ مجموعه لم يتحقّق بعد و إن تحقّق بعضه . 157

31 و من كلام له عليه السلام لما أنفذ عبد اللّه بن عباس إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل

لا تلقينّ طلحة ، فإنّك إن تلقه تجده كالثّور عاقصا قرنه (378) يركب الصّعب (379) و يقول : هو الذّلول . و لكن الق الزّبير ، فإنّه ألين عريكة (380) ، فقل له : يقول لك ابن خالك : عرفتني بالحجاز و أنكرتني بالعراق ، فما عدا ممّا بدا (381) قال السيد الشريف : و هو عليه السلام أوّل من سمعت منه هذه الكلمة ، أعني :

----

(156) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 2 ، ص 128 ، ط بيروت .

----
(157) *بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 376 ، ط كمپاني و ص 354 ، ط تبريز .*

« فما عدا مما بدا » .

بيان

« يستفيئه » أي يسترجعه . « إن تلقه تجده » في رواية « إن تلفه » بالفاء ،

أي تجده . « عاقصا » أي عاطفا قد التوى قرناه على أذنيه ، يقال : « عقص شعره » أي ضفره و فتله . و الأعقص من التّيوس و غيرها ما التوى قرناه على أذنيه من خلفه ، و « عاقصا » إمّا مفعول ثان له « تجده » ، أو حال عن الثور . « يركب الصعب » أي يستهين بالمستصعب من الأمور . و « العريكة » الطبيعة . و التعبير بابن الخال كقول هارون لموسى عليه السلام « يابن أمّ » للاستمالة بالإذكار بالنسب و الرحم .

قوله عليه السلام « فما عدا ممّا بدا » قال ابن أبي الحديد : معنى الكلام :

فما صرفك عمّا بدامنك ، أي ظهر ، أي ما الّذي صدّك عن طاعتي بعد إظهارك لها ، و « من » هيهنا بمعنى « عن » ، و قد جاءت في كثير من كلامهم ، و حذف ضمير المفعول كثير جدّا . و قال الراونديّ : له معنيان ، أحدها : ما الّذي منعك ممّا كان قد بدامنك من البيعة قبل هذه الحالة . الثّاني : ما الّذي عاقك من البداء الّذي يبدو للانسان ، و يكون المفعول الأوّل ل « عدا » محذوفا يدلّ عليه الكلام ، أي ما عداك ، يريد ما منعك عمّا كان بدالك من نصرتي . 158 و قال ابن ميثم 159 : أقول : هذه الوجوه و إن احتملت أن تكون تفسيرا إلاّ أنّ في كلّ منها عدولا عن الظاهر ، و الحقّ أن يقال : إنّ « عدا » بمعنى جاوز ، و « من » لبيان الجنس ، و المراد : ما الّذي جاوزبك عن بيعتي ممّا بدالك بعدها من الأمور الّتي ظهرت لك ، و حينئذ تبقى الألفاظ على أوضاعها الأصليّة مع استقامة المعنى و حسنه .

و روي عن الصّادق جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام ،

قال : سألت ابن عبّاس عن تلك الرسالة فقال : بعثني فأتيت الزبير ، فقلت له ، فقال :

إنّى أريد ما تريد ، كأنّه يقول الملك ، و لم يزدني على ذلك فرجعت إلى أمير المؤمنين

----
(158) *شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 2 ، ص 163 164 ، ط بيروت .*

----
(159) *شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 61 62 ، ط بيروت .*

عليه السلام فأخبرته . 160

32 و من خطبة له عليه السلام و فيها يصف زمانه بالجور ، و يقسم الناس فيه خمسة أصناف ، ثم يزهد في الدنيا

القسم الأول معنى جور الزمان

أيّها النّاس ، إنّا قد أصبحنا في دهر عنود (382) ، و زمن كنود (383) :

يعدّ فيه المحسن مسيئا ، و يزداد الظّالم فيه عتوّا ، لا ننتفع بما علمنا ، و لا نسأل عمّا جهلنا ، و لا نتخوّف قارعة (384) حتّى تحلّ بنا .

القسم الثاني أصناف المسيئين

و النّاس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه الفساد في الأرض إلاّ مهانة نفسه ، و كلالة حدّه (385) ، و نضيض وفره (386) ، و منهم المصلت لسيفه ، و المعلن بشرّه ، و المجلب بخيله (387) و رجله (388) ، قد أشرط نفسه (389) ، و أوبق دينه (390) لحطام (391) ينتهزه (392) ، أو مقنب (393) يقوده ، أو منبر يفرعه (394) . و لبئس المتجر أن ترى الدّنيا لنفسك ثمنا ، و ممّا لك عند اللّه عوضا و منهم من يطلب الدّنيا بعمل الآخرة ،

و لا يطلب الآخرة بعمل الدّنيا ، قد طامن (395) من شخصه ، و قارب من

----

(160) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 407 ، ط كمپاني و ص 382 ، ط تبريز .

خطوه ، و شمّر من ثوبه ، و زخرف من نفسه للأمانة ، و اتّخذ ستر اللّه ذريعة (396) إلى المعصية . و منهم من أبعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه (397) ، و انقطاع سببه ، فقصرته الحال على حاله ، فتحلّى باسم القناعة ، و تزيّن بلباس أهل الزّهادة ، و ليس من ذلك في مراح (398) و لا مغدى (399)

القسم الثالث الراغبون في اللّه

و بقي رجال غضّ أبصارهم ذكر المرجع ، و أراق دموعهم خوف المحشر ، فهم بين شريد نادّ (400) ، و خائف مقموع (401) ، و ساكت مكعوم (402) ، و داع مخلص ، و ثكلان (403) موجع ، قد أخملتهم (404) التّقيّة (405) ، و شملتهم الذّلّة ، فهم في بحر أجاج (406) ، أفواههم ضامزة (407) ، و قلوبهم قرحة (408) ، قد وعظوا حتّى ملّوا (409) ، و قهروا حتّى ذلّوا ، و قتلوا حتّى قلّوا .

القسم الرابع التزهيد في الدنيا

فلتكن الدّنيا في أعينكم أصغر من حثالة (410) القرظ (411) ، و قراضة الجلم (412) ، و اتّعظوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم ،

و ارفضوها ذميمة ، فإنّها قد رفضت من كان أشغف بها منكم (413) .

قال الشريف رضي اللّه عنه : أقول : و هذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية ، و هي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه ، و أين الذهب من الرّغام (414) و أين العذب من الأجاج و قد دلّ على ذلك الدليل الخرّيت (415) و نقده الناقد البصير عمرو بن حر الجاحظ ، فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب « البيان و التبيين » و ذكر من نسبها إلى معاوية ، ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها ، جملته أنه قال : و هذا الكلام بكلام علي عليه السلام أشبه ، و بمذهبه في تصنيف الناس ، و في الإخبار عماهم عليه من القهر و الإذلال ،

و من التقية و الخوف ، أليق . قال : و متى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد ، و مذاهب العبّاد

بيان

« عند عن الطريق » كنصر عدل و مال ، و « العنود » فعول بمعنى فاعل ، و قيل : مفاعل . و الزمن اسم لقليل الوقت و كثيره . و قيل : الشديد بمعنى البخيل ، و في بعض النسخ : « و زمن كنود » و هو الكفور ، و قيل : اللوّام ، و وصف الزمان بتلك الأوصاف توصيف لأهله . و « عدّ المحسن مسيئا » إمّا لعدم الإذعان بالحقّ ، أو لحملهم الأفعال الجميلة على المحامل القبيحة كزعم العابد مرائيا . و « العتوّ » الاستكبار و مجاوزة الحدّ .

قوله عليه السلام « لا تنتفع » التعبير بلفظ المتكلّم مع الغير من قبيل « إيّاك أعني و اسمعي يا جاره » و عدم الانتفاع بالعلم لترك العمل و عدم السؤال لعدم العلم بفضله مع عدم الرغبة في العمل به . و « القارعة » الخطب العظيم و الداهية . و « مهانة النفس » حقارتها ، من « مهن » أو « هان » . و « كلّ » حدّ السيف و غيره إذا وقف عن القطع . و « نضيض و فره » أي قلّة ماله ، و هذا القسم هم المريدون للدّنيا غير القادرين عليها . و « المجلب » اسم فاعل من « أجلب عليهم » أي تجمّع و تألّب ، و كذلك إذا صاح به واستحثّه ، و « أجلبه » أي أعانه . و « الرجل » جمع راجل . « قد أشرط نفسه » أي هيّأها و أعدّها للفساد في الأرض . و « الحطام » المال ، و أصله ما تكسّر من اليبس .

و « الانتهاز » الاختلاس و الاستلاب بقدر الإمكان . و « المقنب » بكسر الميم و فتح النون ،

الجمع من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين . « يفرعه » أي يعلوه .

[142]

و « عمل الدنيا » ما يفعله المكّلف فيها ، أو ما يصير بانضمام القربة و التوصل به إلى الطاعة طاعة . و « قد طامن » أي خفض ، و يقال : « طامن منه » أي سكّنه . و « قارب من خطوه » أي لم يسرع و مشى رويدا . و « شمّر » أي قصر ثوبه ، أو رفعه إظهارا لمتابعة السنّة . و « زخرف » أي زيّن ، « للأمانة » أي لأن يجعلوه أمينا على أموالهم و أعراضهم ، و يحتمل تعلّقه بالأخير و بالجميع . « و اتّخذ ستر الله » أي التقوى و العمل بشرائع الدّين ، فإنّ الله حرّم تتبّع عورات من ظاهره الصلاح و ذكر عيوبه .

قال الكيدريّ في كتاب المضاف و المنسوب : « ستر الله » الإسلام و الشيب و الكعبة و ضمائر صدور النّاس ، يعني جعل ظاهر الإسلام و ما يحبّه صدره بحيث لا يطّلع عليه مخلوق وسيلة و طريقا إلى معصية الله . انتهى .

و أقول : يحتمل أن يكون المراد أنّه اتّخذ ستر الله على عيوبه حيث لم يفضحه و لم يطّلع الناس على بواطنه ذريعة إلى أن يخدع الناس . و « الضؤولة » الحقارة . و « السبب » الحبل و ما يتوصّل به إلى غيره . و « المراح » المكان الّذي تأوي إليه الماشية في الليل .

و « المغدى » ما تأوي إليه بالغداة ، و لعلّ المعنى : ليس يومه كيومهم في الصوم و غيره ،

و لاليله كليلهم في العبادات . و « المرجع » بكسر الجيم ، مصدر أو اسم مكان ، و المراد به من إليه مصر العباد ، أو القيامة ، أو الرجوع إليهما . و غضّ البصر عن المعاصي أو الأعمّ لخشوعهم أو للحياء أو أبصار قلوبهم عمّا سوى الله . و « الشريد » الطريد . و « النادّ » المنفرد ، و المراد به المتوحّش من الناس الذاهب في الأرض إمّا لعدم صبره على رؤية المنكرات أو لكثرة أذى الظالمين في الأوطان لإنكاره المنكر و أشباه ذلك . و « قمعه » ضربه بالمقمعة و قهره و ذلّله . و « المكعوم » الّذي لا يمكنه الكلام كأنّه شدّ فوه من التقيّة بالكعام الّذي يجعل في فم البعير عند الهياج . و « الثكل » الحزن على فقد الأقارب ، و لعلّ المعنى أنّ بعضهم ترك الأوطان أو مجامع الناس لما ذكر ، و بعضهم لم يترك ذلك و ينكر منكرا ثمّ يخاف ممّا يجري عليه بعد ذلك ، و منهم من هو بينهم و لا ينهاهم تقيّة و معرض عنهم و مشتغل بالدعاء ، و منهم من هو بينهم بالضرورة و يرى أعمالهم و لا يؤثّر نهيه فيهم فهو كالثكلان الموجع .

[143]

و « خمل ذكره وصوته » خفي . « فهم في بحر أجاج » كناية عن عدم استماعهم بالدنيا كالسّابح في ماء مالح فإنّه لا يمكنه التروّي منه و شربه و إن بلغ غاية العطش .

« أفواههم ضامزة » بالزاي المعجمة ، أي ساكنة ، أو بالراء المهملة كناية عن صومهم و عدم أكلهم من المحرّمات و الشبهات ، قال الكيدريّ : أي ساترة خفيّة من الضمير ،

و يروى بالزاي ، أي مشدودة بالسكوت . و « قلوبهم قرحة » لكثرة المنكرات مع عدم تمكّنهم من إنكارها ، أو لخوفهم من اللّه أو من النّاس . و « القرظ » ورق السّلم يدبغ به ،

و « حثالته » ما يسقط منه . و « الجلم » المقصّ يجزّ به أو بار الإبل ، و « قراضته » ما يسقط من قرضه و قطعه . « و ارفضوها ذميمة » أي اتركوا ما حاله الحقارة و الذمامة . و « الشعف » الحبّ الشديد . 161

33 و من خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة ، و فيها حكمة مبعث الرسل ،

ثم يذكر فضله و يذم الخارجين

قال عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنه : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار و هو يخصف نعله (416) ، فقال لي : ما قيمة هذا النعل ؟ فقلت : لا قيمة لها فقال عليه السلام : و اللّه لهي أحبّ إليّ من إمرتكم ، إلا أن أقيم حقّا ، أو أدفع باطلا ، ثم خرج فخطب الناس فقال :

القسم الأول حكمة بعثة النبي

إنّ اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله ، و ليس أحد من العرب

----

(161) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 689 ، ط كمپاني و ص 637 ، ط تبريز .

يقرأ كتابا ، و لا يدّعي نبوّة ، فساق النّاس حتّى بوّأهم محلّتهم (417) ،

و بلّغهم منجاتهم ، فاستقامت قناتهم (418) ، و اطمأنّت صفاتهم (419) .

القسم الثاني فضل علي

أما و اللّه إن كنت لفي ساقتها (420) حتّى تولّت بحذافيرها (421) : ما عجزت و لا جبنت ، و إنّ مسيري هذا لمثلها ، فلأنقبنّ (422) الباطل حتّى يخرج الحقّ من جنبه .

القسم الثالث توبيخ الخارجين عليه

ما لي و لقريش و اللّه لقد قاتلتهم كافرين ، و لأقاتلنّهم مفتونين ،

و إنّي لصاحبهم بالأمس ، كما أنا صاحبهم اليوم و اللّه ما تنقم منّا قريش إلاّ أنّ اللّه اختارنا عليهم ، فأدخلناهم في حيّزنا ، فكانوا كما قال الأوّل :

أدمت لعمري شربك المحض (423) صابحا
و أكلك بالزّبد المقشّرة البجرا

و نحن و هبناك العلاء و لم تكن
عليّا ، و حطنا حولك الجرد و السّمرا

بيان

قوله عليه السلام « حتّى بوّأهم محلّتهم » أي أسكنهم منزلتهم الّتي خلقوا لأجلها من الإسلام و الإيمان و العلم و سائر الكمالات بحسب استعداداتهم .

[145]

و « المنجاة » محلّ النجاة . و « القناة » الرمح و « استقامتها » كناية عن القوّة و الغلبة و الدولة . و « الصفاة » الحجر الأملس المنبسط ، استعيرت لحالهم الّتي كانوا عليها من النهب و الغارة و الخوف و التزلزل ، فكانوا كالواقف على حجر أملس متزلزل ، فاطمأنّت أحوالهم و سكنوا في مواطنهم بسبب مقدمه صلّى اللّه عليه و آله . 162

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة :] بيان

« ذوقار » موضع قريب من البصرة . « حتّى بوّأهم » أي أسكنهم محلّتهم ،

أي ضرب النّاس بسيفه على الإسلام حتّى أوصلهم إليه .

و قال ابن ميثم : المراد بالقناة القوّة و الغلبة و الدّولة الّتي حصلت لهم ، مجازا من باب إطلاق السبب على المسبّب ، فإنّ الرّمح أو الظهر سبب للقوّة و الغلبة . 163 و « الصفاة » الحجارة الملساء ، أي كانوا قبل الإسلام متزلزلين في أحوالهم بالنهب و الغارة و أمثالها . « إن كنت لفي ساقتها » هي جمع « سائق » كحائك و حاكة ،

ثمّ استعملت للأخير لأنّ السائق إنّما يكون في آخر الركب و الجيش ، و شبّه عليه السلام أمر الجاهليّة إمّا بعجاجة ثائرة أو بكتيبة مقبلة للحرب ، فقال : إنّي طردتها فولّت بين يديّ ، أطردها حتّى لم يبق منها شيء . « لمثلها » أي لمثل تلك الحالة الّتي كنت عليها معهم في زمن الرسول صلّى اللّه عليه و آله .

« فلأنقبنّ » في بعض النسخ « لأبقرنّ الباطل حتّى أخرج الحقّ من خاصرته » . شبّه عليه السلام الباطل بحيوان ابتلع جوهرا ثمينا أعزّ منه فاحتيج إلى شقّ بطنه في استخلاص ما ابتلع .

و في نسخة ابن أبي الحديد بعد قوله عليه السلام « صاحبهم اليوم » : « و اللّه ما تنقم منّا قريش إلاّ أنّ اللّه اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيّزنا كما قال الأوّل :

أدمت لعمري شربك المحض صابحا
و أكلك بالزّبد المقشّرة البجرا

و نحن و هبناك العلاء و لم تكن
عليّا و حطنا حولك الجرد و السمرا 164

----

(162) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 226 .

----

(163) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 73 ، ط بيروت .

----

(164) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 2 ، ص 185 ، ط بيروت .

[146]

أقول : « المقشّرة » التّمرة الّتي أخرج منها نواتها . و « البجر » بالضم ، الأمر العظيم و العجب ، و لعلّه هنا كناية عن الكثرة أو الحسن أو اللطافة ، و يحتمل أن يكون مكان المفعول المطلق ، يقال : « بجر كفرح فهو بجر » امتلأ بطنه من اللبن و الماء و لم يرو ، و « تبجّر النبيذ » ألحّ في شربه ، و كثير بجير اتباع . و « الجرد » بالضمّ ، جمع « الأجرد » و هو الفرس الّذي رقّت شعرته و قصرت و هو مدح . و « السمر » جمع « الأسمر » و هو الرّمح . 165 نهج : أمّا بعد ، فإنّ اللّه سبحانه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و ليس أحد من العرب يقرأ كتابا و لا يدّعي نبوّة و لا وحيا ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه ، يسوقهم إلى منجاتهم ، و يبادر الساعة أن تنزل بهم ، يحسر الحسير ، و يقف الكسير ، فيقيم عليه حتّى يلحقه غايته إلاّ هالكا لا خير فيه حتّى أراهم منجاتهم و بوّأهم محلّتهم ،

فاستدارت رحاهم ، و استقامت قناتهم . 166

34 و من خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام بعد فراغه من أمر الخوارج ،

و فيها يتأفف بالناس ، و ينصح لهم بطريق السداد

القسم الأول

أفّ لكم (424) لقد سئمت عتابكم أرضيتم بالحياة الدّنيا من الآخرة عوضا ؟ و بالذّلّ من العزّ خلفا ؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم (425) ، كأنّكم من الموت في غمرة (426) ، و من الذّهول في سكرة . يرتج (427) عليكم حواري (428) فتعمهون (429) ، و كأنّ قلوبكم مألوسة (430) ، فأنتم لا تعقلون . ما أنتم لي بثقة سجيس اللّيالي (431) ،

و ما أنتم بركن يمال (432) بكم ، و لا زوافر (433) عزّ يفتقر إليكم . ما أنتم إلاّ كإبل ضلّ رعاتها ، فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر ،

لبئس لعمر اللّه سعر (434) نار الحرب أنتم تكادون و لا تكيدون ،

و تنتقص أطرافكم فلا تمتعضون (435) ، لا ينام عنكم و أنتم في غفلة ساهون ، غلب و اللّه المتخاذلون و ايم اللّه إنّي لأظنّ بكم أن لو

----

(167) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 220 .

حمس (436) الوغى (437) ، و استحرّ الموت (438) ، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرّأس (439) . و اللّه إنّ امرأ يمكّن عدوّه من نفسه يعرق لحمه (440) ، و يهشم عظمه ، و يفري (441) جلده ، لعظيم عجزه ،

ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره (442) . أنت فكن ذاك إن شئت ،

فأمّا أنا فو اللّه دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفيّة (443) تطير منه فراش الهام (444) ، و تطيح (445) السّواعد و الأقدام ، و يفعل اللّه بعد ذلك ما يشاء .

القسم الثاني طريق السداد

أيّها النّاس ، إنّ لي عليكم حقّا ، و لكم عليّ حقّ : فأمّا حقّكم عليّ فالنّصيحة لكم ، و توفير فيئكم (446) عليكم ، و تعليمكم كيلا تجهلوا ،

و تأديبكم كيما تعلموا . و أمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة ، و النّصيحة في المشهد و المغيب ، و الإجابة حين أدعوكم ، و الطّاعة حين آمركم .

بيان

روي أنّه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج ،

و قد كان قام بالنهروان فحمد اللّه و أثنى عليه و قال :

أمّا بعد ، فإنّ اللّه تعالى قد أحسن نصركم فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم من أهل الشّام .

فقالوا : قد نفدت نبالنا ، و كلّت سيوفنا ، ارجع بنا إلى مصرنا لنصلح عدّتنا ،

و لعلّ أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منّا لنستعين به .

فأجابهم : يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة الّتي كتب اللّه لكم و لا ترتدّوا على

[149]

أدباركم فتنقلبوا خاسرين .

فتلكّأوا عليه و قالوا : إنّ البرد شديد .

فقال : إنّهم يجدون البرد كما تجدون ، ثمّ تلا قوله تعالى : قَالُوا يَا مُوسَى إنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَ إنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلاَ إنَّا هيهنَا قَاعِدُونَ . 168 فقام ناس منهم و اعتذروا بكثرة الجراح في النّاس و طلبوا أن يرجع بهم إلى الكوفة أيّاما ثمّ يخرج ، فرجع بهم غير راض و أنزلهم نخيلة و أمرهم أن يلزموا معسكرهم و يقلّوا زيارة أهلهم ، فلم يقبلوا و دخلوا الكوفة حتّى لم يبق معه إلاّ قليل ، فلمّا رأى ذلك دخل الكوفة فخطب النّاس فقال :

أيّها النّاس استعدّوا لقتال عدوّ في جهادهم القربة إلى اللّه و درك الوسيلة عنده ،

قوم حيارى عن الحقّ لا ينصرونه ، موزعين بالجور و الظلم لا يعدلون به ، و جفاة عن الكتاب ، نكب عن الدين ، يعمهون في الطغيان ، و يتسكّعون في غمرة الضلالة ،

فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة و من رباط الخيل ، و توكّلوا على اللّه و كفى باللّه وكيلا .

فلم ينفروا فتركهم أيّاما ثمّ خطبهم بهذه الخطبة .

و « أفّ » بالضمّ و التشديد و التنوين ، كلمة تضجّر و تكرّه ، و لغاتها أربعون ،

منها كسر الفاء كما في بعض النسخ . و « عوضا » و « خلفا » نصبهما على التمييز . و « دوران أعينهم » إمّا للخوف من العدوّ أو للحيرة و التردّد بين مخالفته عليه السلام و الإقدام على الحرب ، و في كليهما خطر عندهم . و « الغمرة » الشدّة ، و غمرات الموت سكراته الّتي يغمر فيها العقل . و « السكر » بالفتح ، ضدّ الصحو ، و الاسم بالضمّ ، و سكرة الموت شدّته و غشيته ، و في الكلام إشارة إلى قوله تعالى يَنْظُرُونَ إلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ 169 . « يرتج عليكم حواري » أي يغلق عليكم

----

(168) المائدة : 24 .

----
(169) الأحزاب : 19 .

[150]

محاورتي و مخاطبتي . و « الألس » الجنون و اختلاط العقل ، يقال : الس فهو مألوس .

« سجيس الليالي » كلمة يقال للأبد ، تقول : لا أفعله سجيس الليالي ، أي أبدا .

« يمال بكم » أي يستند إليكم و يمال بكم إلى العدوّ ، أو الباء بمعنى إلى .

و « زوافر الرجل » أنصاره و عشيرته ، و « زفرت الحمل » حملته ، و « زوافر » في أكثر النسخ بالجرّ عطفا على المجرور ، و في بعضها بالنصب عطفا على الظرف . و « الإبل » اسم للجمع . « ضلّ رعاتها » أي ضاع و فقد من يعلم حالها و الحيلة في جمعها ، أو لم يهتد من يرعاها إلى طريق جمعها . « لبئس لعمر اللّه » اللام جواب القسم ، و التكرير للتأكيد ، و « العمر » بالفتح ، العمر و هو قسم ببقاء اللّه . و « السّعر » اسم جمع لساعر ،

و « إسعار النّار و سعرها » إيقادها . و « الامتعاض » الغضب . و « ايم » مخفّف « أيمن » و هو جمع يمين ، أي ايم اللّه قسمي . و « حمس » كفرح اشتدّ . و « الوغا » الأصوات و الجلبة و منه قيل للحرب : وغا . و « استحرّ الموت » أي اشتدّ و كثر .

« قد انفرجتم » أي تفرّقتم . و « انفراج الرأس » مثل لشدّة التفرّق ، قيل : أوّل من تكلّم به أكثم بن صيفي في وصيّة له : يا بنيّ لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس فإنّكم بعد ذلك لا تجتمعون على عزّ . و في معناه أقوال ، الأوّل : قال ابن دريد : معناه أنّ الرأس إذا انفرج عن البدن لا يعود إليه . الثّاني : قال المفضّل : الرأس اسم رجل تنسب إليه قرية من قرى الشام يقال لها : بيت الرأس ، و فيها تباع الخمر ، و هذا الرجل قد انفرج عن قومه و مكانه فلم يعد فضرب به المثل . الثّالث : قال بعضهم : معناه أنّ الرأس إذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان بعيدا عن الالتيام و العود إلى الصحّة . الرّابع : قيل :

معناه انفرجتم عنّي رأسا ، و ردّ بأنّ رأسا لا يعرف . الخامس : قيل : المعنى انفراج رأس من أدنى رأسه إلى غيره ثمّ حرف رأسه عنه . السّادس : قيل : « الرأس » الرجل العزيز لأنّ الأعزّاء لا يبالون بمفارقة أحد . السّابع : قيل : معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع فإنّه في غاية الشدّة نحو قوله عليه السلام في موضع آخر « انفراج المرأة عن قبلها » و بعده واضح .

و « عرق اللّحم » كنصر أكله و لم يبق منه على العظم شيئا . و « هشم

[151]

العظم » كضرب كسره . و « فريت الشيء » قطعته : و « الجوانح » الاضلاع الّتي تحت الترائب و هي ممّا يلي الصدر كالضلوع ممّا يلي الظهر ، و ما ضمّت عليه هو القلب ،

و المذكورات كنايات عن النهب و الأسر و الاستئصال و أنواع الضرر .

قوله عليه السلام « فكن ذاك إن شئت » قال ابن أبي الحديد : خاطب من يمكن عدوّه من نفسه خطابا عامّا ، لكنّ الرواية و ردت بأنّه عليه السلام خاطب بذلك الأشعث بن قيس ، فإنّه قال لعليّ عليه السلام حين يلوم الناس على تقاعدهم : هلاّ فعلت فعل ابن عفّان ؟ فقال : إنّ فعل ابن عفّان مخزاة على من لادين له ،

و لا وثيقة معه ، إنّ امرأ أمكن عدوّه من نفسه يهشم عظمه و يفري جلده ، لضعيف رأيه ،

مأفون عقله ، فكن ذاك أن أحببت ، فأمّا أنا فدون أن أعطي ذاك ضرب بالمشرفيّة . . .

إلى آخر الفصل . 170 انتهى .

أقول : سيأتي تمام القول برواية المفيد . 171 « فأمّا أنا فو اللّه » الظّاهر أنّ خبر « أنا » الجملة الّتي خبرها « دون » و المبتدأ « ضرب » و ذلك إشارة إلى تمكين العدوّ ، أو فعل ما فعله عثمان . و « المشرفيّة » بفتح الميم و الرّاء ، سيوف منسوبة إلى مشارف اليمن . و « فراش الهام » العظام الرقيقة تلي القحف .

و « طاح يطيح » أي سقط . و « أوزعه بالشيء » أغراه . و « سكع » كمنع و فرح :

مشى مشيا متعسّفا لا يدري أين يأخذ من بلاد اللّه و تحيّر كتسكّع . « كيلا تجهلوا » أي تبقوا على الجهالة . 172

35 و من خطبة له عليه السلام بعد التحكيم و ما بلغه من أمر الحكمين و فيها حمد الله على بلائه ، ثم بيان سبب البلوى

----

(170) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 2 ، ص 191 ، ط بيروت .

----

(171) راجع الأمالي للمفيد رحمه اللّه ، المجلس الثامن عشر ، ص 145 ، تحت رقم 6 ، ط جماعة المدرّسين بقم .

----

(172) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 684 ، ط كمپاني و ص 632 ، ط تبريز .

القسم الأول الحمد على البلاء

الحمد للّه و إن أتى الدّهر بالخطب الفادح (447) ، و الحدث (448) الجليل . و أشهد أن لا إله إلا اللّه لا شريك له ، ليس معه إله غيره ،

و أنّ محمّدا عبده و رسوله ، صلّى اللّه عليه و آله .

القسم الثاني سبب البلوى

أمّا بعد ، فإنّ معصية النّاصح الشّفيق العالم المجرّب تورث الحسرة ، و تعقب النّدامة . و قد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ،

و نخلت لكم مخزون رأيي (449) ، لو كان يطاع لقصير (450) أمر فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجفاة ، و المنابذين العصاة ، حتّى ارتاب النّاصح بنصحه ، و ضنّ الزّند بقدحه (451) ، فكنت أنا و إيّاكم كما قال أخو هوازن (452) :

أمرتكم أمري بمنعرج اللّوى (453) فلم تستبينوا النّصح إلاّ ضحى الغد .

بيان

« الخطب » الأمر العظيم . و « الفادح » الثقيل . و قال الجوهريّ :

« المجرّب » الّذي قد جرّبته الأمور و أحكمته ، فإن كسرت الرّآء جعلته فاعلا إلاّ أنّ العرب تكلّمت به بالفتح . قوله عليه السلام و « نخلت » أي أخلصت و صفيت من نخلت الدقيق بالمنخل . قوله عليه السلام « لو كان يطاع » هو مثل يضرب لمن خالف ناصحه ، و أصل المثل أنّ قصيرا كان مولى الجذيمة بن الأبرش بعض ملوك العرب و قد كان جذيمة قتل أبا الزبّا ملكة الجزيرة ، فبعثت إليه ليتزوّج بها خدعة ، و سألته القدوم عليها فأجابها إلى ذلك و خرج في ألف فارس و خلّف باقي جنوده مع ابن أخته ،

[153]

و قد كان قصير أشار عليه بأن لا يتوجّه إليها فلم يقبل ، فلمّا قرب من الجزيرة استقبلته جنود الزبّا بالعدة و لم ير منهم إكراما له ، فأشار عليه قصير بالرجوع و قال : من شأن النساء الغدر ، فلم يقبل ، فلمّا دخل عليها قتله ، فعندها قال قصير : « لا يطاع لقصير أمر » فصار مثلا لكلّ ناصح عصى .

و قال ابن ميثم : و قد يتوهّم أنّ جواب « لو » ههنا مقدّم ، و الحقّ أنّ جوابها محذوف ، و التعبير أنّي أمرتكم و نصحت لكم فلو أطعتموني لفعلتم ما أمرتكم به . فقوله عليه السلام « فأبيتم . . . » إلى آخره في تقدير استثناء لنقيض التّالي و تقديره : لكنّكم أبيتم عليّ إباء المخالفين 173 . انتهى .

و لعلّ الأنسب على تقدير الجواب أن يقال : لو أطعتموني لما أصابتكم حسرة و ندامة ، أو لكان حسنا ، و نحوهما ، و يحتمل أن يكون للتمنّي فلا يحتاج إلى تقدير جواب على بعض الأقوال .

و قال في القاموس : « الانتباذ » التنحّي و تحيّز كلّ من الفريقين في الحرب كالمنابذة .

قوله عليه السلام « حتّى ارتاب الناصح » لعلّه محمول على المبالغة ، أي لو كان ناصح غيري لارتاب . قوله عليه السلام « و ضنّ الزند بقدحه » ، « الزند » العود الّذي يقدح به النّار ، قيل : هو مثل يضرب لمن يبخل بفوائده إذا لم يجدلها قابلا عارفا بحقّها . و « أخو هوازن » هو الدريد بن الصمة ، و البيت من قصيدة له في الحماسة ،

و قصّته أنّ أخاه عبد اللّه بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن فغنم منهم و استاق إبلهم فلمّا كان بمنعرج اللوى ، قال : و اللّه لا أبرح حتّى أنحر النقيعة و هي ما ينحر من النهب قبل القسمة فقال أخوه : لا تفعل فإنّ القوم في طلبك ، و أبى عليه و أقام و أنحر النقيعة و بات . فلمّا أصبح هجم القوم عليه و طعن عبد اللّه بن الصمة فاستغاث بأخيه دريد ،

فنهنه عنه القوم حتّى طعن هو أيضا و صرع و قتل عبد اللّه ، و حال الليل بين القوم فنجادريد بعد طعنات و جراح ، فأنشد القصيدة . و مطابقة المثل للمضرب ظاهرة . 174

----

(173) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 87 ، ط بيروت .

----

(174) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 595 ، ط كمپاني و ص 549 ، ط تبريز .

[154]

36 و من خطبة له عليه السلام في تخويف أهل النهروان (454)

فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى (455) بأثناء هذا النّهر ، و بأهضام (456) هذا الغائط (457) ، على غير بيّنة من ربّكم ، و لا سلطان مبين معكم : قد طوّحت (458) بكم الدّار ، و احتبلكم المقدار (459) ، و قد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبيتم عليّ إباء المنابذين ، حتّى صرفت رأيي إلى هواكم ، و أنتم معاشر أخفّاء الهام (460) ، سفهاء الأحلام (461) ، و لم آت لا أبالكم بجرا (462) ، و لا أردت لكم ضرّا .

بيان

« الأهضام » جمع « هضم » و هو المطمئنّ من الوادي . و « الغائط » ما سفلت من الأرض . و « السلطان » الحجّة ، و لعلّ المراد بالبيّنة الحجّة الشرعيّة و بالسلطان الدليل العقليّ . و قال الجوهريّ : « طاح يطوح و يطيح » هلك و سقط و كذلك إذا تاه في الأرض ، و « طوّحه » أي توّهه و ذهب به ههنا و ههنا . و المراد بالدّار الدنيا .

« و احتبلكم » أي أوقعكم في الحبال . و « المقدار » قضاء اللّه و قدره . و « الهام » جمع الهامة و هي الرأس ، و « خفّتها » كناية عن قلّة العقل و عن الطيش و عدم الثبات في الرأي . و « الأحلام » جمع « حلم » بالكسر ، و هو الأناة و العقل .

و « لا أبالك » كلمة تستعمل في المدح كثيرا و في الذمّ أيضا و في معرض التعجّب ، و الظّاهر هنا الذمّ أو التعجّب . و « البجر » الأمر العظيم و الداهية ، و يروى « هجرا » و هو السّاقط من القول ، و يروى « عرا » و « العرو » معرّة الإثم . 175

----

(175) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 603 ، ط كمپاني و ص 556 ، ط تبريز .

[155]

37 و من كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة و فيه يذكر فضائله عليه السلام قاله بعد وقعة النهروان

فقمت بالأمر حين فشلوا (463) ، و تطلّعت حين تقبّعوا (464) ، و نطقت حين تعتعوا (465) ، و مضيت بنور اللّه حين وقفوا . و كنت أخفضهم صوتا ،

و أعلاهم فوتا (466) ، فطرت بعنانها (467) ، و استبددت برهانها (468) . كالجبل لا تحرّكه القواصف ، و لا تزيله العواصف . لم يكن لأحد فيّ مهمز و لا لقائل فيّ مغمز (469) . الذّليل عندي عزيز حتّى آخذ الحقّ له ،

و القويّ عندي ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه . رضينا عن اللّه قضاءه ،

و سلّمنا للّه أمره . أتراني أكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ؟

و اللّه لأنا أوّل من صدّقه ، فلا أكون أوّل من كذب عليه . فنظرت في أمري ، فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي ، و إذا الميثاق في عنقي لغيري .

بيان

« التعتعة » الاضطراب في الكلام من حصر أوعيّ . و « الفوت » السبق إلى الشيء . و الضميران في « عنانها و رهانها » راجعان إلى الفضيلة بقرينة المقام . و « الاستبداد » الانفراد . قوله عليه السلام « فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي » أي طاعتي لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيما أمرني به من ترك القتال معهم إذا غصبوا خلافتي و لم أجد ناصرا سبقت بيعتي و صارت سببا لها ، و ميثاق الرسول في ذلك كان في عنقي ، أو المعنى : لمّا أطاعني الناس لم أجدبدّا من قبول بيعتهم لي ، فصار ميثاق بيعتهم في عنقي ، أو طاعتي لغيري سبقت و غلبت بيعة الناس لي في زمن الرسول و صار الأمر ظاهرا بالعكس ، فحصل لغيري من خلفاء الجور في عنقي الميثاق . كذا خطر بالبال و هو عندي

[156]

أظهر ، و قيل : المراد بالطاعة طاعته للّه و لرسوله ، و بالميثاق بالبيعة بيعته للخلفاء ، أي لا يضرّني بيعتي لهم و لا يلزمني القيام بلوازمها ، فإنّ طاعتي للّه قد سبقت بيعتي ، فإنّي أوّل من أطاع اللّه و آمن به و برسوله ، فلا يلزمني مبايعتي لهم مع كونها خلاف ما أمر اللّه و رسوله به . 176

38 و من كلام له عليه السلام و فيها علة تسمية الشبهة شبهة ثم بيان حال الناس فيها

و إنّما سمّيت الشّبهة شبهة لأنّها تشبه الحقّ : فأمّا أولياء اللّه فضياؤهم فيها اليقين ، و دليلهم سمت الهدى (470) و أمّا أعداء اللّه فدعاؤهم فيها الضّلال ، و دليلهم العمى ، فما ينجو من الموت من خافه ، و لا يعطى البقاء من أحبّه .

39 و من خطبة له عليه السلام خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر ، و فيها يبدي عذره ، و يستنهض الناس لنصرته

منيت بمن لا يطيع إذا أمرت (471) و لا يجيب إذا دعوت ، لا أبا لكم ما تنتظرون بنصركم ربّكم ؟ أما دين يجمعكم ، و لا حميّة تحشكم (472) أقوم فيكم مستصرخا (473) ، و أنا ديكم متغوّثا (474) ، فلا تسمعون لي قولا ، و لا تطيعون لي أمرا ، حتّى تكشّف الأمور عن عواقب

----

(176) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 39 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 352 .

[157]

المساءة ، فما يدرك بكم ثار ، و لا يبلغ بكم مرام ، دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجرتم (475) جرجرة الجمل الأسرّ (476) ، و تثاقلتم تثاقل النّضو الأدبر (477) ، ثمّ خرج إليّ منكم جنيد متذائب ضعيف « كأنّما يساقون إلى الموت و هم ينظرون » . قال السيد الشريف : أقول : قوله عليه السلام : « متذائب » أي مضطرب ، من قولهم : تذاءبت الريح ، أي اضطرب هبوبها . و منه سمي الذئب ذئبا ، لا ضطراب مشيته .

40 و من كلام له عليه السلام في الخوارج لما سمع قولهم : « لا حكم إلا للّه »

قال عليه السلام : كلمة حقّ يراد بها باطل نعم إنّه لا حكم إلاّ للّه ، و لكنّ هؤلاء يقولون : لا إمرة إلاّ للّه ، و إنّه لا بدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن ، و يستمتع فيها الكافر ، و يبلّغ اللّه فيها الأجل ، و يجمع به الفيء ، و يقاتل به العدوّ ، و تأمن به السّبل ، و يؤخذ به للضّعيف من القويّ ، حتّى يستريح برّ ، و يستراح من فاجر .

و في رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال :

حكم اللّه أنتظر فيكم .

[158]

و قال : أمّا الإمرة البرّة فيعمل فيها التّقيّ ، و أمّا الإمرة الفاجرة فيتمتّع فيها الشّقيّ ، إلى أن تنقطع مدّته ، و تدركه منيّته .

بيان

قوله عليه السلام « كلمة حقّ » الظّاهر أنّ المراد بالكلمة قولهم :

« لا حكم إلاّ للّه » ، و الباطل الّذي أريدبها المعنى الّذي قصدوه لا ما يفهم من كلام بعض الشارحين من أنّ دعاء أصحاب معاوية إيّاكم إلى كتاب اللّه كلمة حقّ ، لكن مقصودهم بها ليس العمل بكتاب اللّه بل فتوركم عن الحرب و تفرّق أهوائكم ، و معناها الحقّ حصر الحكم حقيقة فيه سبحانه إذ حكم غيره تعالى إنّما يجب متابعة لأنّه حكمه تعالى . [177] قوله عليه السلام « و إنّه لابدّ للنّاس الخ » قال بعض الشّارحين 178 :

الألفاظ كلّها ترجع إلى إمرة الفاجر ، قال : « يعمل فيها المؤمن » أي ليست بمانعة للمؤمن من العمل . « و يستمتع فيها الكافر » أي يتمتّع بمدّته . « و يبلّغ اللّه فيها الأجل » لأنّ إمارة الفاجر كإمارة البرّ في أنّ المدّة المضروبة فيها تنتهي إلى الأجل الموقّت للانسان .

و قال بعضهم 179 : الضمير في « إمرته » راجع إلى الأمير مطلقا ، فالإمرة الّتي يعمل فيها المؤمن الإمرة البرّة ، و الّتي يستمتع فيها الكافر الفاجرة ، و المراد بعمل المؤمن في إمرة البرّ عمله على وفق أوامر اللّه و نواهيه ، و باستمتاع الكافر في إمرة الفاجر انهما كه في اللذّات الحاضرة . « و يبلّغ اللّه فيها الأجل » أي في إمرة الأمير سواء كان برّا أو فاجرا ، و فائدتها تذكير العصاة ببلوغ الأجل و تخويفهم به ، و يؤيّد هذا الوجه الرواية الأخرى .

و يمكن أن يكون المعنى أنّه لا بدّ في انتظام أمور المعاش أمير برّ أو فاجر ليعمل المؤمن بما يستوجب به جنّات النعيم ، و يتمتّع فيها الكافر ليكون حجّة عليه ، و لعلّه

[177] و يمكن أن يكون المعنى : الحقّ الّذي لم يريدوه حصر الحكم الّذي يجب إطاعته من حيث إنّه حكم به ذلك الحاكم ، فلا ينافي صدق الحكم من غير تجوّر على حكم الرسول و الإمام و قضاة العدل لإطلاق الحكم مطلقا على حكمهم في كثير من الآيات و الأخبار . و قد شنّعوا تجويز الحكم مطلقا ، و نفي الإمرة من لوازمه ، فتدبّر . منه رحمه اللّه .

----

(178) المراد من « بعض الشارحين » هو ابن أبي الحديد ، فراجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 2 ، ص 309 ،

----

(179) المراد من « بعضهم » هو ابن ميثم في شرحه للنهج ، ج 2 ، ص 103 ، ط بيروت .

أظهر لفظا .

و معنى قوله عليه السلام « حتّى يستريح » :

كلمة « حتّى » إمّا لبيان الغاية ، و المعنى : تستمرّ تلك الحال حتّى يستريح البرّ من الأمراء ، و هو الظاهر أو مطلقا ، و يستريح النّاس من الأمير الفاجر أو مطلقا بالموت أو العزل ، و فيها راحة للبرّ لأنّ الآخرة خير من الأولى و لا يجري الأمور غالبا على مراده و لا يستلذّ كالفاجر بالانهماك في الشهوات ، و راحة للناس من الفاجر لخلاصهم من جوره و إن انتظم به نظام الكلّ في المعاش .

و إمّا لترتّب الغاية ، أي حتّى يستريح البرّ من الناس في دولة البرّ من الأمراء و يستريح الناس مطلقا من بغي بعض الفجّار و من الشرور و المكاره في دولة الأمير مطلقا برّا كان أو فاجرا ، و لا ينافي ذلك إصابة المكروه من فاجر أحيانا .

قوله عليه السلام « حكم اللّه أنتظر » أي جريان القضاء بقتلهم و حلول وقته . قوله عليه السلام « إلى أن تنقطع مدّته » أي مدّة دولته أوحياته . 180

41 و من خطبة له عليه السلام و فيها ينهى عن الغدر و يحذر منه

أيّها النّاس ، إنّ الوفاء توأم الصّدق (478) ، و لا أعلم جنّة (479) أوقى (480) منه ، و ما يغدر من علم كيف المرجع . و لقد أصبحنا في زمان قد اتّخذ أكثر أهله الغدر كيسا (481) ، و نسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة .

ما لهم قاتلهم اللّه قد يرى الحوّل القلّب (482) وجه الحيلة و دونها مانع من أمر اللّه و نهيه ، فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها ، و ينتهز

----

(180) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 604 ، ط كمپاني و ص 556 ، ط تبريز .

فرصتها من لا حريجة له في الدّين (483)

بيان

« الوفاء » لزوم العهد و البقاء عليه كما ينبغي ، و يكون في الأفعال و الأقوال . و « الصدق » يعمّ العهد و غيره ، فبينهما عموم من وجه ، و قد يقال : الوفاء في الإنشاء و الصدق في الأخبار ، و لا يجتمعان ، و يردّه صادق الوعد و إن كان

مجازا ، أو المراد تلازمهما غالبا مع تشاركهما في الفضل و ترتّب الآثار الحسنة . و « المرجع » مصدر ، أي الرجوع إلى اللّه ، أو اسم مكان . و « الكيس » الفطنة و الذكاء . و الضمير في « فيه » راجع إلى الزمان أو الغدر . و « الحوّل القلّب » هو الّذي كثر تحوّله و تقلّبه في الأمور و جرّبها و عرف وجوهها . و « الوجه » الجهة ، و الضمير في « دونه » يعود إليه ، أي قبل الوصول إليه ، أو إلى الحوّل أي أمامه . و في بعض النسخ : « دونها » فيعود إلى الحيلة .

« رأي عين » أي رؤية معاينة ، فهو منصوب على المصدر من « يدع » بتقدير موصوف ، أي يتركها تركا معاينا غير ناش عن غفلة ، أو على الحاليّة ، أي حال كونها مرئيّة له . و جوّز بعضهم في قوله تعالى : يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ 181 أن يكون ظرف مكان . و « الحريجة » التحرّج و هو التحرّز ، من « الحرج » و الاسم ، و قيل :

« الحريجة » التقوى . 182

42 و من كلام له عليه السلام و فيه يحذر من اتباع الهوى و طول الأمل في الدنيا

أيّها النّاس ، إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان : اتّباع الهوى ،

و طول الأمل (484) ، فأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ ، و أمّا طول الأمل فينسي الآخرة . ألا و إنّ الدّنيا قد ولّت حذّاء (485) ، فلم يبق منها إلاّ

----

(181) آل عمران : 13 .

----

(182) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 638 ، ط كمپاني .

صبابة (486) كصبابة الإناء اصطبّها صابّها (487) . ألا و إنّ الآخرة قد أقبلت ، و لكلّ منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، و لا تكونوا من أبناء الدّنيا ، فإنّ كلّ ولد سيلحق بأبيه يوم القيامة ، و إنّ اليوم عمل و لا حساب ، و غدا حساب ، و لا عمل . قال الشريف : أقول : الحذاء ، السريعة ، و من الناس من يرويه « جذّاء » (488)

43 و من كلام له عليه السلام و قد اشار عليه اصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرسالة جرير بن عبداللّه البجلي إلى معاوية و لم ينزل معاوية على بيعته

إنّ استعدادي لحرب أهل الشّام و جرير عندهم ، إغلاق للشّام و صرف لأهله عن خير إن أرادوه . و لكن قد وقّتّ لجرير وقتا لا يقيم بعده إلاّ مخدوعا أو عاصيا . و الرّأي عندي مع الأناة (489) فأرودوا (490) ،

و لا أكره لكم الإعداد (491) و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه (492) ، و قلّبت ظهره و بطنه ،

فلم أرلي فيه إلاّ القتال أو الكفر بما جاء محمّد صلّى اللّه عليه . إنّه قد كان على الأمّة وال أحدث أحداثا ، و أوجد النّاس مقالا (493) ،

فقالوا ، ثمّ نقموا فغيّروا .

بيان

جرير بن عبد اللّه البجليّ كان عاملا لعثمان على ثغر همدان فلمّا صار الأمر إليه طلبه فأجاب بالسمع و الطّاعة و قدم إليه عليه السلام فأرسله إلى معاوية .

و روي أنّه عليه السلام لمّا أراد بعثه قال جرير : و اللّه يا أمير المؤمنين ما أدّخرك من نصرتي شيئا و ما أطمع لك في معاوية ، فقال عليه السلام : قصدي حجّة أقيمها .

ثمّ كتب معه :

فإنّ بيعتي بالمدينة لزمتك و أنت بالشام . . .

إلى آخرما مرّ برواية نصر بن مزاحم . 183 فأجابه معاوية :

أمّا بعد ، فلعمري لو بايعك القوم الّذي بايعوك و أنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر و عمر و عثمان ، و لكنّك أغريت بعثمان و خذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل و قوى بك الضعيف ، و قد أبي أهل الشّام إلاّ قتالك حتّى تدفع إليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين ، و لعمري ما حجّتك عليّ كحجّتك على طلحة و الزبير لأنّهما بايعاك و لم أبايعك ، و لا حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة لأنّهم أطاعوك و لم يطعك أهل الشّام ، فأمّا شرفك في الإسلام و قرابتك من النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و موضعك من قريش فلست أدفعه .

و كتب في آخر الكتاب قصيدة كعب بن جعيل :

أرى الشام يكره أهل العراق
و أهل العراق لها كارهونا

و يروى أنّ الكتاب الّذي كتبه عليه السلام مع جرير كانت صورته :

إنّي قد عزلتك ففوّض الأمر إلى جرير ، و السلام .

و قال لجرير : « صن نفسك عن خداعه ، فإن سلّم إليك الأمر و توجّه إليّ فأقم أنت بالشام ، و إن تعلّل بشيء فارجع » . فلمّا عرض جرير الكتاب على معاوية تعلّل بمشاورة أهل الشام و غير ذلك فرجع جرير .

----

(183) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 3 ، ص 70 91 .

فكتب معاوية في إثره في ظهر كتاب عليّ عليه السلام :

من ولاّك حتّى تعزلني ؟ و السلام .

و يقال : أغلق الباب إذا جعله بحيث يعسر فتحه .

و المراد بالخير الطاعة ، و « الأناة » كالقناة اسم من التّأني . و « أرودوا » على صيغة الإفعال ، أي ارفقوا . و « الإعداد » التهيّة كالاستعداد ، و ربّما يتوهّم التنافي بين ذكر مفسدة الاستعداد أوّلا و عدم كراهة الإعداد ثانيا ، و دفع بوجوه :

منها : أنّه كره استعداد نفسه بجمع العسكر و عرضهم و تحريضهم على القتال دون إعداد أصحابه بإصلاح كلّ منهم فرسه و أسلحته .

و منها : أنّ المكره إظهار الإعداد دون الإعداد سرّا . و تركنا بعض الوجوه لوهنها .

و « ضرب الأنف و العين » مثل للعرب يراد منه الاستقصاء في البحث و التأمّل . و « قلب الظهر و البطن » التأمّل في ظاهر الأمر و باطنه . و إطلاق الكفر هنا على المبالغة ، أو بالمعنى الّذي يطلق على ترك الفرائض و فعل الكبائر كما سيأتي في أبواب الإيمان و الكفر . و يحتمل على بعد اختصاص ذلك بالإمام .

و المراد بالوالي عثمان ، و بالأحداث البدع و الأمور المنكّرة . و « أوجد النّاس مقالا » أي أبدى لهم طريقا إليه بأحداثه ، و تفسير « أوجد » ههنا بأغضب كما قيل غريب . و « نقموا » كضربوا أي عتبوا و طعنوا عليه . 184

44 و من كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية ، و كان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام و أعتقهم ،

فلما طالبه بالمال خاس به (494) و هرب إلى الشام

----

(184) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 473 ، ط كمپاني و ص 438 ، ط تبريز .

قبّح اللّه (495) مصقلة فعل فعل السّادة ، و فرّ فرار العبيد فما أنطق مادحه حتّى أسكته ، و لا صدّق واصفه حتّى بكّته (496) ، و لو أقام لأخذنا ميسوره (497) ، و انتظرنا بماله و فوره (498) .

بيان

أقول : قد مضى هذا الكلام و مضت قصّته في أبواب أحوال الخوارج . و قال الشرّاح : « بنوناجية » ينسبون أنفسهم إلى قريش ، و قريش تدفعهم عنه و ينسبونهم إلى ناجية و هي أمّهم ، و قد عدّوا من المبغضين لعليّ عليه السلام ، و اختلفت الرواية في سبيهم ، ففي بعضها أنّه لمّا انقضى أمر الجمل دخل أهل البصرة في الطاعة غير بني ناجية ، فبعث إليهم عليّ عليه السلام رجلا من الصحابة في خيل ليقاتلهم ، فأتاهم و قال لهم : مالكم عسكرتم و قد دخل في الطاعة غيركم ؟

فافترقوا ثلاث فرق :

فرقة قالوا : كنّا نصارى فأسلمنا و نبايع ، فأمرهم ، فاعتزلوا .

و فرقة قالوا : كنّا نصارى فلم نسلم و خرجنا مع القوم الّذين كانوا خرجوا ،

قهرونا فأخرجونا كرها فخرجنا معهم ، فهزموا فنحن ندخل فيما دخل الناس فيه و نعطيكم الجزية كما أعطيناهم ، فقال : اعتزلوا فاعتزلوا .

و فرقة قالوا : كنّا نصارى فأسلمنا و لم يعجبنا الإسلام فرجعنا فنعطيكم الجزية كالنصارى ، فقال لهم : توبوا و ارجعوا إلى الإسلام فأبوا ، فقاتل مقاتلهم و سبى ذراريهم ، فقدم بهم على أمير المؤمنين . 185 و في بعضها : أنّ أميرا من قبل عليّ عليه السلام كان معقل بن قيس ، و لمّا انقضى أمر الحرب لم يقتل من المرتدّين من بني ناجية إلاّ رجلا واحدا ، و رجع الباقون إلى الإسلام ، و استرقّ من النصارى منهم الّذين ساعدوا في الحرب و شهروا السيف على جيش الإمام ، ثمّ أقبل بالأسارى حتّى مرّعلى مصقلة بن هبيرة الشيبانيّ و هو عامل لعليّ عليه السلام على أردشير خرّة و هم خمسمائة إنسان ، فبكت إليه النساء

----

(185) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 3 ، ص 127 ، ط بيروت .

[165]

و الصبيان و تصايح الرجال و سألوا أن يشتريهم و يعتقهم ، فابتاعهم بخمسمائة ألف درهم ، فأرسل إليه أمير المؤمنين عليه السلام أبا حرّة الحنفيّ ليأخذ منه المال فأدّى إليه مائتي ألف درهم و عجز عن الباقي ، فهرب إلى معاوية ، فقيل له عليه السلام :

اردد الأسارى في الرقّ فقال : ليس ذلك في القضاء بحقّ ، قد عتقوا إذ أعتقهم الّذي اشتراهم ، و صار مالي دينا عليه . 186 أقول : فعلى الرواية الأولى كانوا من المرتدّين عن الإسلام و لا يجوز سبي ذراريهم عندنا و عند الجمهور أيضا إلاّ أنّ أبا حنيفة قال بجواز استراقاق المرأة المرتدّة إذا ألحقت بدار الحرب ، و أيضا ما فيها من أنّه قدم بالأسارى إلى عليّ عليه السلام يخالف المشهور من اشتراء مصقلة عن عرض الطريق ، و قد قال بعض الأصحاب بجواز سبي البغاة إلاّ أنّ الظّاهر أنّه مع إظهار الكفر و الارتداد لا يبقى حكم البغي ، و الصحيح ما في الرواية الثانية من أنّ الأسارى كانت من النصارى .

و « خاس به » أي غدر و خان ، و « خاس بالوعد » أي أخلف . و « قبّحه اللّه » أي نحّاه عن الخير . و « السّادة » جمع السيّد ، و يطلق على الربّ و المالك و الشريف و الفاضل و الكريم و الحليم و متحمّل الأذى من قومه و الرئيس و المقدّم .

قوله عليه السلام « حتّى أسكته » قيل : كلمة « حتّى » تحتمل أن تكون بمعنى اللام ، أي أنّه لم ينطق مادحه ليقصد إسكاته بهربه ، فإنّ إسكاته لو قصد لا يتصوّر إلاّ بعد إنطاقه و هو لم يتمّم فعله الّذي يطلب به إنطاق مادحه فكيف يقصد إسكاته بهربه ؟ و يحتمل أن يكون المراد أنّه لسرعة اتّباعه الفضيلة بالرذيلة كأنّه جمع بين غايتين متنافيتين .

و « التبكيت » التقريع و التعنيف و التوبيخ و استقبال الرجل بما يكره . و « الميسور » ما تيسّر ، و قيل : مصدر على مفعول ، و قيل : الغنى و السعة . و « الوفور » بالضمّ ، مصدر « وفر المال » ككرم و وعد أي تمّ و زاد ، و في بعض النسخ : « موفورة » و هو الشيء التامّ ، أي انتظرنا حصول الموفور في يده ، و الغرض دفع عذره في الهرب و هو توهّم التشديد عليه . 187

----

(186) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 3 ، ص 136 ، ط بيروت .

----

(187) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 677 ، ط كمپاني و ص 625 ، ط تبريز .

[166]

45 و من خطبة له عليه السلام و هو بعض خطبة طويلة خطبها يوم الفطر ، و فيها يحمد اللّه و يذم الدنيا

القسم الأول حمد اللّه

الحمد للّه غير مقنوط (499) من رحمته ، و لا مخلوّ من نعمته ، و لا مأيوس من مغفرته ، و لا مستنكف (500) عن عبادته ، الّذي لا تبرح منه رحمة ، و لا تفقد له نعمة .

القسم الثاني ذم الدنيا

و الدّنيا دار مني (501) لها الفناء ، و لأهلها منها الجلاء (502) ، و هي حلوة خضراء ، و قد عجلت للطّالب ، و التبست (503) بقلب النّاظر ،

فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتكم من الزّاد ، و لا تسألوا فيها فوق الكفاف (504) ، و لا تطلبوا منها أكثر من البلاغ (505) .

46 و من كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام و هو دعاء دعا به ربه عند وضع رجله في الركاب

اللّهمّ إنّي أعوذ بك من وعثاء السّفر (506) ، و كآبة المنقلب (507) ، و سوء المنظر في الأهل و المال و الولد . اللّهمّ أنت الصّاحب في السّفر ، و أنت

[167]

الخليفة في الأهل ، و لا يجمعهما غيرك ، لأنّ المستخلف لا يكون مستصحبا ، و المستصحب لا يكون مستخلفا . قال السيد الشريف رضي اللّه عنه : و ابتداء هذا الكلام مرويّ عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، و قد قفّاه أمير المؤمنين عليه السلام بأبلغ كلام و تممه بأحسن تمام ، من قوله :

« و لا يجمعهما غيرك » إلى آخر الفصل .

بيان

قال ابن ميثم : روي أنّه دعا بهذا الدعاء عند وضعه رجله في الركاب متوجّها إلى حرب معاوية . و « الوعثاء » المشقّة . 188 و « الكآبة » الحزن . و « المنقلب » مصدر « انقلب منقلبا » رجع . و « سوء المنظر » هو أن يرى في نفسه أو أهله أو ماله ما يكرهه . 189

47 و من كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة

كأنّي بك يا كوفة تمدّين مدّ الأديم (508) العكاظيّ (509) ، تعركين بالنّوازل (510) ، و تركبين بالزّلازل ، و إنّي لأعلم أنّه ما أراد بك جبّار سوءا إلاّ ابتلاه اللّه بشاغل ، و رماه بقاتل

بيان

« الأديم » الجلد أو مدبوغه ، و « عكاظ » بالضمّ ، موضع بناحية مكّة كانت العرب تجتمع في كلّ سنة و يقيمون به سوقا مدّة شهر و يتعاكظون أي يتفاخرون و يتناشدون ، و ينسب إليه الأديم لكثرة البيع فيه ، و الأديم العكاظيّ مستحكم الدباغ

----

(188) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 121 ، ط بيروت .

----

(189) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 473 ، ط كمپاني و ص 438 ، ط تبريز .

[168]

شديد المدّ ، و ذلك وجه الشبه . و « العرك » الدلك و الحكّ ، و « عركه » أي حمل عليه الشّر ، و « عركت القوم في الحرب » إذا مارستهم حتّى أتعبتهم . و « النوازل » المصائب و الشدائد . و « الزلازل » البلايا . و « تركبين » على بناء المجهول كالفعلين السابقين أي تجعلين مركوبة لها أوبها على أن تكون الباء للسببيّة كالسابقة . و الشدائد الّتي أصابت الكوفة و أهلها معروفة مذكورة في السير .

و روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : هذه مدينتنا و محلّنا و مقرّ شيعتنا . و عن الصادق عليه السلام أنّه قال : تربة تحبّنا و نحبّها . و عنه عليه السلام : اللّهمّ ارم من رماها ، و عاد من عاداها .

و قال محمّد بن الحسين الكيدريّ في شرح النهج : فمن الجبابرة الّذين ابتلاهم اللّه بشاغل فيها زياد ، و قد جمع الناس في المسجد ليلعن عليّا صلوات اللّه عليه فخرج الحاجب و قال : انصرفوا ، فإنّ الأمير مشغول ، و قد أصابه الفالج في هذه

الساعة و ابنه عبيد اللّه بن زياد و قد أصابه الجذام ، و الحجّاج بن يوسف و قد تولّدت الحيّات في بطنه حتّى هلك ، و عمر بن هبيرة و ابنه يوسف و قد أصابهما البرص ، و خالد القسريّ و قد حبس فطولب حتّى مات جوعا . و أمّا الّذين رماهم اللّه بقاتل فعبد اللّه بن زياد ، و مصعب بن الزبير ، و أبو السرايا و غيرهم قتلوا جميعا ، و يزيد بن المهلّب قتل على أسوأ حال . 190 [هذا بيان آخر في شرح الخطبة :] بيان : « العكاظ » بالضمّ ، اسم موضع بناحية مكّة . و « الأديم العكاظيّ » دبّاغ شديد المدّ ، استعارة لما ينال الكوفة من العنف و الخبط و شدّة الظلم . 191

----

(190) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 60 ، كتاب السماء و العالم ، ص 210 .

----

(191) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 100 ، كتاب المزار ، ص 385 .

[169]

48 و من خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام قيل : إنه خطب بها و هو بالنخيلة خارجا من الكوفة إلى صفين

الحمد للّه كلّما وقب (511) ليل و غسق (512) ، و الحمد للّه كلّما لاح نجم و خفق (513) ، و الحمد للّه غير مفقود الإنعام ، و لا مكافا الإفضال .

أمّا بعد ، فقد بعثت مقدّمتي (514) ، و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط (515) ،

حتّى يأتيهم أمري ، و قد رأيت أن أقطع هذه النّطفة إلى شرذمة (516) منكم ، موطّنين أكناف (517) دجلة ، فأنهضهم معكم إلى عدوّكم ،

و أجعلهم من أمداد (518) القوّة لكم . قال السيد الشريف : أقول : يعني عليه السلام بالملطاط هاهنا السّمت الذي أمرهم بلزومه ، و هو شاطىء الفرات ، و يقال ذلك أيضا لشاطىء البحر ، و أصله ما استوى من الأرض .

و يعني بالنطفة ماء الفرات ، و هو من غريب العبارات و عجيبها .

بيان

قال ابن ميثم : روي أنّه عليه السلام خطب بها و هو بالنخيلة خارجا من الكوفة متوجّها إلى صفّين لخمس بقين من شوّال سنة سبع و ثلاثين . 192 و « وقب الليل » أي دخل . و « غسق » أي أظلم . و « لاح » أي ظهر . و « خفق النجم و أخفق » إذا انحطّ في المغرب و غاب . و « كافأته مكافأة و كفاء » أي جازيته ،

و كلّ شيء ساوى شيئا فهو مكافيء له . و « الإفضال » الاحسان . و « مقدّمة الجيش » بالكسر و قد يفتح ، أوّله و متقدّموه . و « النطفة » بالضمّ ، الماء الصافي قلّ أو كثر .

و « الشرذمة » بالكسر ، القليل من الناس ، و الجارّ متعلّق بمحذوف ، أي متوجّها إليهم . و

----

(192) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 125 ، ط بيروت .

[170]

« أوطن المكان و وطّنه و استوطنه » اتّخذه وطنا ، و المراد بهم قوم من أهل المدائن ، روي أنّهم كانوا ثمانمائة رجل . و « الكنف » بالتحريك ، الجانب و الناحية . و « نهض » كمنع قام ، و « أنهضه غيره » أقامه . و « الأمداد » جمع « مدد » بالتّحريك ، و هو المعين و الناصر .

و قال ابن أبي الحديد : و زاد أصحاب السير في هذه الخطبة :

و قد أمّرت على المصر عقبة بن عمر ، و لم آلكم إلاّ 193 نفسي ، فإيّاكم و التخلّف و التّربّص فإنّي قد خلّفت مالك بن حبيب اليربوعيّ و أمرته أن لا يترك متخلّفا إلاّ ألحقه بكم عاجلا إن شاء اللّه .

و روى نصر بن مزاحم عوض قوله « عدوّكم » ، « إلى عدوّ اللّه » . 194 أقول : وجدت في كتاب صفّين زيادة و هي :

الحمد للّه غير مفقود النّعم و لا مكافأ الإفضال ، و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه ، و نحن على ذلكم من الشاهدين ، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله . أمّا بعد . . . الخ .

و قال نصر : فقام إليه معقل بن قيس الرياحيّ فقال : يا أمير المؤمنين و اللّه ما يتخلّف عنكم إلاّ ظنين ، و لا يتربّص بك إلاّ منافق ، فمرّ مالك بن حبيب فيضرب أعناق المتخلّفين .

فقال : قد أمرته بأمري ، و ليس بمقصّر إن شاء اللّه .

قال : و قال مالك بن حبيب و هو آخذ بعنان دابّته عليه السلام : يا أمير المؤمنين أتخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد و القتال و تخلّفني في حشر الرجال ؟

فقال له عليّ عليه السلام : إنّهم لن يصيبوا من الأجر شيئا إلاّ كنت شريكهم فيه ، و أنت ههنا أعظم غناء منك عنهم لو كنت معهم .

قال : سمعا و طاعة يا أمير المؤمنين .

----

(193) في المصدر : و لا .

----

(194) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 3 ، ص 201 202 ، ط بيروت .

[171]

قال نصر : ثمّ سار عليه السلام حتّى انتهى إلى مدينة بهر سير و إذا رجل من أصحابه يقال له جرير بن سهم ينظر إلى آثار كسرى و يتمثّل بقول الأسود بن يعفر :

جرت الرياح على محلّ ديارهم فكأنّما كانوا على ميعاده فقال عليه السلام : ألاّ قلت : كم تركوا من جنّات و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين كذلك و أورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء و الأرض و ما كانوا منظرين . إنّ هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين ، لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية ، إيّاكم و كفر النعم لا تحلّ بكم النقم ، انزلوا بهذه الفجوة . 195

49 و من كلام له عليه السلام و فيه جملة من صفات الربوبية و العلم الالهي

الحمد للّه الّذي بطن (519) خفيّات الأمور ، و دلّت عليه أعلام (520) الظّهور ، و امتنع على عين البصير ، فلا عين من لم يره تنكره ، و لا قلب من أثبته يبصره : سبق في العلوّ فلا شيء أعلى منه ، و قرب في الدّنوّ فلا شيء أقرب منه . فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ،

و لا قربه ساواهم في المكان به . لم يطلع العقول على تحديد صفته ،

و لم يحجبها عن واجب معرفته ، فهو الّذي تشهد له أعلام الوجود ،

على إقرار قلب ذي الجحود ، تعالى اللّه عمّا يقوله المشبّهون به و الجاحدون له علوّا كبيرا

----

(195) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 479 ، ط كمپاني و ص 443 ، ط تبريز .

[172]

بيان

« بطن خفيّات الأمور » أي علم بواطنها ، و قيل : أي دخل بواطن الأمور الخفيّة أي هو أخفى عند العقول منها . قوله عليه السلام « فلاعين من لم يره » أي لا تنكره وجوده عين من لم يره لشهادة فطرته على ظهور وجوده ، أو أنّه لا سبيل من جهة عدم إبصاره إلى إنكاره ، إذ كان حظّ العين إدراك ما صحّ إدراكه بها لا مطلقا .

قوله عليه السلام « يبصره » أي يحيط بكنهه . قوله عليه السلام « على إقرار » أي تشهد أعلام وجوده لغاية ظهورها و وضوحها على أنّ الجاحد إنّما يجحد بلسانه لا بقلبه كما مرّ مرارا . 196

50 و من كلام له عليه السلام و فيه بيان لما يخرب العالم به من الفتن و بيان هذه الفتن

إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع ، و أحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب اللّه ، و يتولّى عليها رجال رجالا ، على غير دين اللّه . فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين (521) ، و لو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل ، انقطعت عنه ألسن المعاندين ، و لكن يؤخذ من هذا ضغث (522) ، و من هذا ضغث ، فيمزجان فهنالك يستولي الشّيطان على أوليائه ، و ينجو « الّذين سبقت لهم من اللّه الحسنى » .

51 و من خطبة له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة (523) الفرات بصفين و منعوهم الماء

----

(196) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 4 ، كتاب التوحيد ، ص 308 .

[173]

قد استطعموكم القتال (524) ، فأقرّوا على مذلّة ، و تأخير محلّة ،

أو روّوا السّيوف من الدّماء ترووا من الماء ، فالموت في حياتكم مقهورين ،

و الحياة في موتكم قاهرين . ألا و إنّ معاوية قاد لمة (525) من الغواة ،

و عمّس (526) عليهم الخبر ، حتّى جعلوا نحورهم أغراض (527) المنيّة .

52 و من خطبة له عليه السلام و هي في التزهيد في الدنيا ، و ثواب اللّه للزاهد ، و نعم اللّه على الخالق

القسم الأول التزهيد في الدنيا

ألا و إنّ الدّنيا قد تصرّمت ، و آذنت بانقضاء ، و تنكّر معروفها (528) و أدفرت حذّاء (529) ، فهي تحفز (530) بالفناء سكّانها ، و تحدو (531) بالموت جيرانها ، و قد أمرّ (532) فيها ما كان حلوا (533) ، و كدر منها ما كان صفوا ، فلم يبق منها إلاّ سملة كسملة الإداوة (534) أو جرعة كجرعة المقلة (535) ، لو تمزّزها الصّديان (536) لم

ينقع (537) . فهأزمعوا (538) عباد اللّه الرّحيل عن هذه الدّار المقدور (539) على أهلها الزّوال ، و لا يغلبنّكم فيها الأمل ، و لا يطولنّ عليكم فيها الأمد

القسم الثاني ثواب الزهاد

فو اللّه لو حننتم حنين الولّه العجال (540) ، و دعوتم بهديل الحمام (541) ،

[174]

و جأرتم جوار (542) متبتّلي (543) الرّهبان ، و خرجتم إلى اللّه من الأموال و الأولاد ، التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده ، أو غفران سيّئة أحصتها كتبه ، و حفظتها رسله ، لكان قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه ، و أخاف عليكم من عقابه .

القسم الثالث نعم اللّه .

و تاللّه لو انماثت قلوبكم انمياثا (544) ، و سالت عيونكم من رغبة إليه أو رهبة منه دما ، ثمّ عمّرتم في الدّنيا ، ما الدّنيا باقية ، ما جزت أعمالكم عنكم و لو لم تبقوا شيئا من جهدكم أنعمه عليكم العظام ، و هداه إيّاكم للإيمان .

53 و من خطبة له عليه السلام في ذكرى يوم النحر و صفة الأضحية

و من تمام الأضحية (545) استشراف أذنها (546) ، و سلامة عينها ، فإذا سلمت الأذن و العين سلمت الأضحية و تمّت ، و لو كانت عضباء القرن (547) تجرّ رجلها إلى المنسك (548) قال السيد الشريف : و المنسك هاهنا المذبح .

[175]

54 و من خطبة له عليه السلام و فيها يصف أصحابه بصفين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام

فتداكّوا (549) عليّ تداكّ الإبل الهيم (550) يوم وردها (551) ، و قد أرسلها راعيها ، و خلعت مثانيها (552) ، حتّى ظننت أنّهم قاتليّ ، أو بعضهم قاتل بعض لديّ . و قد قلّبت هذا الأمر بطنه و ظهره حتّى منعني النّوم ،

فما وجدتني يسعني إلاّ قتالهم أو الجحود بما جاء به محمّد صلّى اللّه عليه و سلّم ، فكانت معالجة القتال أهون عليّ من معالجة العقاب ،

و موتات الدّنيا أهون عليّ من موتات الآخرة .

بيان

قال ابن ميثم : هذا إشارة إلى صفة أصحابه بصفّين لمّا طال منعهم 197 من قتال أهل الشام . 198 كما هو الظاهر من آخر الكلام ، لكن كثير من الشواهد تدلّ على أنّه لبيان حالة البيعة كما سيأتي بعضهم لا سيّما ما كان في نسخة ابن أبي الحديد فإنّه ذكر العنوان هكذا : و من كلام له عليه السلام في ذكر البيعة . 199 قوله عليه السلام « تداكّوا » أي دكّ بعضهم بعضا ، و « الدكّ » هو الدقّ ،

و قيل أصله الكسر . و « الهيم » العطاش . و « الورد » بالكسر ، النصيب من الماء و الإشراف عليه ، و في بعض النسخ : « ورودها » و هو حضورها لشرب الماء . و « أرسلها » أي أهملها و أطلقها . و « المثاني » جمع « مثناة » بفتح الميم و كسرها ، و هي حبل من صوف أو شعر أو غيره تثنى و يعقل بها البعير . و « قاتليّ » على صيغة الجمع مضافة إلى يآء المتكلّم . و « وجدتني » على صيغة المتكلّم ، و جملة « يسعني » مفعول ثان ، و الضمير في

----

(197) في المصدر : منعه لهم .

----

(198) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 114 ، ط بيروت .

----

(199) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 4 ، ص 6 ، ط بيروت .

قتالهم يعود إلى معاوية و أصحابه على الأوّل ، و إلى الناكثين على الثاني . و « المعالجة » المزاولة . و « موتات الدنيا » شدائدها و أهوالها و متاعبها بقرينة « موتات الآخرة » ،

و يحتمل أن يراد بالأولى أنواع الموت ، و بالثانية الشدائد الّتي هي أشدّ من الموت . 200

55 و من كلام له عليه السلام و قد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

أمّا قولكم : أكلّ ذلك كراهية الموت ؟ فو اللّه ما أبالي ، دخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ . و أمّا قولكم شكّا في أهل الشّام فو اللّه ما دفعت الحرب يوما إلاّ و أنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي ،

و تعشو (553) إلى ضوئي ، و ذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها ،

و إن كانت تبوء (554) بآثامها .

توضيح

« استبطأ » أي عدّه بطيئا و زعم أنّ المصلحة في التعجيل . روى ابن ميثم أنّه عليه السلام لمّا ملك الماء بصفّين و سمح بأهل الشام في المشاركة كما سبق مكث أيّاما لا يرسل إلى معاوية أحدا و لا يأتيه من عنده أحد ، قال له أهل العراق : يا أمير المؤمنين خلّفنا نساءنا و ذرارينا بالكوفة وجئنا إلى أطراف الشام لنتّخذها وطنا ،

فأذن لنا في القتال فإنّ الناس يظنّون أنّك تكره الحرب كراهية الموت ، و منهم من يظنّ أنّك في شكّ من قتال أهل الشام ، فأجابهم عليه السلام بذلك .

و « كلّ » مرفوع و « كراهية » منصوب في أكثر النسخ و روي « كلّ ذلك » بالنصب و هو مفعول فعل مقدّر ، أي تفعل كلّ ذلك ، و « كراهية » منصوب بأنّه مفعول لأجله ، و من رواه بالرفع أجاز في كراهية الرفع و النصب ، أمّا الرفع فبالخبريّة ، و أمّا

----

(200) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 507 ، ط كمپاني و ص 471 ، ط تبريز .

النصب فلكونه مفعولا له للخبر المحذوف . و « عشى النار و إليها عشوا و عشوّا » رآها ليلا من بعيد ببصر ضعيف فقصدها ، و يقال لكلّ قاصد « عاش » و فيه تعريض بضعف بصائر أهل الشّام . و « تبوء بآثامها » أي ترجع إلى ربّها متلبّسة بمعاصيها . 201

56 و من كلام له عليه السلام يصف أصحاب رسول اللّه و ذلك يوم صفين حين أمر النّاس بالصلح

و لقد كنّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، نقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا و أعمامنا : ما يزيدنا ذلك إلاّ إيمانا و تسليما ، و مضيّا على اللّقم (555) ، و صبرا على مضض الألم (556) ، و جدّا في جهاد العدوّ ،

و لقد كان الرّجل منّا و الآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول (557) الفحلين ،

يتخالسان أنفسهما (558) : أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون ، فمرّة لنا من عدوّنا ، و مرّة لعدوّنا منّا ، فلمّا رأى اللّه صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت (559) ، و أنزل علينا النّصر ، حتّى استقرّ الإسلام ملقيا جرانه (560) ،

و متبوّئا أوطانه . و لعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم ، ما قام للدّين عمود ،

و لا اخضرّ للإيمان عود . و ايم اللّه لتحتلبنّها دما (561) ، و لتتبعنّها ندما

توضيح

« اللقم » منهج الطريق . و « المضض » حرقة الألم . « يتصاولان » أي يحمل كلّ من القرنين على صاحبه . و « التخالس » التسالب . « أنفسهما » أي كلّ منهما

----

(201) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 507 ، ط كمپاني و ص 471 ، ط تبريز .

يختلس نفس صاحبه أو نفسه من يد صاحبه ، و الأوّل أظهر . و « المنون » الموت .

و « الكبت » الإذلال و الصرف . و « الجران » مقدّم عنق البعير من منحره إلى مذبحه ،

و إلقاؤه كناية عن استقراره في قلوب عباد اللّه كالبعير الّذي أخذ مكانه و استقرّفيه .

و « تبوّأ وطنه » سكن فيه ، و لعلّه شبّه الإسلام بالرجل الخائف المتزلزل الّذي استقرّ في وطنه بعد خوفه . « لتحتلبنّها » الضمير المؤنّث مبهم يرجع في المعنى إلى أفعالهم ، و كذا في قوله « لتتبعنّها » شبّهها بالناقة الّتي أصيب ضرعها بآفة من تفريط صاحبها فيها ،

و المقصود عدم انتفاعهم بتلك الأفعال عاجلا و آجلا . 202

57 و من كلام له عليه السلام في صفة رجل مذموم ، ثم في فضله هو عليه السلام

أمّا إنّه سيظهر (562) عليكم بعدي رجل رحب البلعوم (563) ، مندحق البطن (564) ، يأكل ما يجد ، و يطلب ما لا يجد ، فاقتلوه ، و لن تقتلوه ألا و إنّه سيأمركم بسبّي و البراءة منّي ، فأمّا السّبّ فسبّوني ،

فإنّه لي زكاة ، و لكم نجاة ، و أمّا البراءة فلا تتبرّأوا منّي ، فإنّي ولدت على الفطرة ، و سبقت إلى الإيمان و الهجرة .

أقول

قال ابن أبي الحديد : « مندحق البطن » بارزها ، و « الدحوق من النوق » الّتي يخرج رحمها بعد الولادة . و « سيظهر » سيغلب . و « رحب البلعوم » واسعه . و كثير من الناس يذهب إلى أنّه عليه السلام عنى زيادا ، و كثير منهم يقول : إنّه عنى الحجّاج ، و قال قوم : إنّه عنى المغيره بن شعبة ، و الأشبه عندي أنّه عنى معاوية لأنّه كان

----

(202) *بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 506 ، ط كمپاني و ص 470 ، ط تبريز .*

[179]

موصوفا بالنهم و كثرة الأكل و كان بطنا . 203 ثمّ قال : و روى صاحب كتاب الغارات عن يوسف بن كليب المسعوديّ ، عن يحيى بن سليمان العدويّ 204 عن أبي مريم الأنصاري عن محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام ، قال : خطب عليّ عليه السلام على منبر الكوفة فقال :

سيعرض عليكم سبّي و ستذبحون عليه ، فإن عرض عليكم سبّي فسبّوني و إن عرض عليكم البراءة منّي فإنّي على دين محمّد صلّى اللّه عليه و آله .

و لم يقل : فلا تبرّؤوا منّي .

و قال أيضا : حدّثني أحمد بن المفضل عن الحسن بن صالح عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال : قال عليّ عليه السلام : ليذبحنّ 205 على سبّي و أشار بيده إلى حلقه ثمّ قال : فإن أمروكم بسبّي فسبّوني و إن أمروكم أن تتبرّؤوا 206 منّي فإنّي على دين محمّد صلّى اللّه عليه و آله و لم ينههم عن إظهار البراءة . ثمّ قال : إنّه أباح لهم سبّه عند الإكراه لأنّ اللّه تعالى قد أباح عند الإكراه التلفّظ بكلمة الكفر فقال [اللّه] : إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ 207 . و أمّا قوله « فإنّه لي زكاة و لكم نجاة » فمعناه أنّكم تنجون من القتل إذا أظهرتم ذلك ، و معنى الزكاة يحتمل أمرين : أحدهما ماورد في الأخبار النبويّة أنّ سبّ المؤمن زكاة له و زيادة في حسناته ، الثاني أن يريد أنّ سبّهم لي لا ينقص في الدنيا من قدري بل أزيد به شرفا و علوّ قدر و شياع ذكر ، فالزكاة بمعنى النماء و الزيادة .

فان قيل : فأيّ فرق بين السبّ و البراءة و كيف أجاز لهم السبّ و منعهم من التبرّي 208 و السبّ أفحش من التبرّي ؟

فالجواب : أمّا الّذي يقوله أصحابنا في ذلك فإنّه لا فرق عندهم بين السبّ و

----

(203) *شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 4 ، ص 57 ، ط بيروت .*

----

(204) *في المصدر : العبدي .*

----

(205) *في المصدر : و اللّه لتذبحنّ .*

----

(206) *في المصدر : أن تبرؤوا .*

----

(207) *النحل : 106 .*

----

(208) *في المصدر : عن التبرّي .*

[180]

التبرّي منه في أنّ كلاّ منهما فسق و حرام و كبيرة و أنّ المكره عليهما يجوز له فعلهما عند خوفه على نفسه كما يجوز له إظهار كلمة الكفر عند الخوف ، و يجوز أن لا يفعلهما و إن قتل إذا قصد بذلك إعزاز الدين كما يجوز له أن يسلّم نفسه للقتل و لا يظهر كلمة الكفر إعزازا للدين ، و إنّما استفحش عليه السلام البراءة لأنّ هذه اللّفظة ما وردت في القرآن العزيز إلاّ من المشركين ألا ترى إلى قوله تعالى : بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . 209 و قال اللّه تعالى أَنَّ

اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ . 210 فقد صارت بحكم العرف الشرعيّ مطلقة على المشركين خاصّة ، فإذن يحمل هذا النهي على ترجيح تحريم لفظ البراءة على ترجيم لفظ السبّ و إن كان حكمهما واحدا ، أ لا ترى أنّ إلقاء المصحف في العذرة 211 أفحش من إلقائه في دنّ الشراب و إن كانا جميعا محرّمين و كان حكمهما واحدا ، فأمّا الاماميّة فتروي عنه أنّه قال : « إذا عرضتم على البراءة منّا فمدّوا الأعناق » . و يقولون : إنّه لا يجوز التبرّي عنه و إن كان الحالف صادقا و أنّ عليه الكفّارة و يقولون : إنّ للبراءة من اللّه و من الرسول و من إحدى الأئمّة حكما واحدا و يقولون : الاكراه على السّب يبيح إظهاره و لا يجوز الاستسلام للقتل و يجوز أن يظهر التبرّي [212] ، و الأولى أن يستسلم للقتل .

فإن قيل : كيف علّل نهيه لهم من البراءة منه بقوله « فإنّي ولدت على الفطرة » فإنّ هذا التعليل لا يختصّ به لأنّ كلّ ولديولد على الفطرة و إنّما أبواه يهوّدانه و ينصّرانه ؟

و الجواب أنّه علّل نهيه لهم عن البراءة منه بمجموع أمور و هو كونه ولد على الفطرة و سبق إلى الإيمان و الهجرة ، و لم يعلّل بآحاد هذا المجموع و مراده هنا بالولادة على الفطرة أنّه لم يولد في الجاهليّة لأنّه ولد لثلاثين عاما مضت من عام الفيل ، و النبيّ ارسل لأربعين مضت من عام الفيل ، و قد جاء في الأخبار الصحيحة أنّه مكث قبل الرسالة سنين عشرا يسمع الصوت و يرى الضوء و لا يخاطبه أحد ، و كان ذلك إرهاصا

----

(209) التوبة : 1 .

----

(210) التوبة : 3 .

----

(211) في المصدر : في القذر .

[212] في المصدر : و أمّا الإكراه على البراءة فإنّه يجوز معه الاستسلام للقتل و يجوز أن يظهر التبرّي .

لرسالته [213] فحكم تلك السنين العشر حكم أيّام رسالته صلّى اللّه عليه و آله فالمولود فيها إذا كان في حجره و هو المتولّي لتربيته مولود في أيّام كأيّام النبوّة و ليس بمولود في جاهليّة محضة ، ففارقت حاله حال من يدّعى له من الصحابة مماثلته في الفضل ،

و قد روي أنّ السنة الّتي ولد فيها هذه السنة الّتي بديء فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فأسمع الهتاف من الأحجار و الأشجار و كشف عن بصره ، فشاهد أنوارا و أشخاصا و لم يخاطب منها 214 بشيء ، و هذه السنة هي السنة الّتي ابتدأ فيها بالتبتّل و الانقطاع و العزلة في جبل حراء ، فلم يزل به حتّى كوشف بالرسالة و أنزل عليه الوحي ، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يتيمّن بتلك السنة و بولادة عليّ عليه السلام فيها ، و يسمّيها سنة الخير و سنة البركة ، و قال لأهله ليلة ولادته و فيها شاهد ما شاهد من الكرامات و القدرة الالهيّة و لم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئا :

« لقد ولدلنا 215 مولود يفتح اللّه علينا به أبوابا كثيرة من النعمة و الرحمة » . و كان كما قال صلوات اللّه عليه فإنّه كان ناصره و المحامي عنه و كاشف الغمّ عن وجهه ،

و بسيفه ثبت دين الإسلام و رست [216] دعائمه و تمهّدت قواعده .

و في المسألة تفصيل آخر و هو أن يعني بقوله « فإنّي ولدت على الفطرة » الّتي لم تتغيّر و لم تحل ، و ذلك أنّ معنى قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله « كلّ مولود يولد على الفطرة » أنّ كلّ مولود فإنّ اللّه تعالى قدهيّأه بالعقل الّذي خلقه فيه و بصحّة الحواسّ و المشاعر لأن يتعلّم التوحيد و العدل ، و لم يجعل فيه مانعا يمنعه من ذلك و لكنّ التربية و العقيدة في الوالدين و الألف لاعتقادهما و حسن الظنّ فيهما يصدّه عمّا فطر عليه ،

و أمير المؤمنين عليه السلام دون غيره ولد على الفطرة الّتي لم تحل و لم يصدّ عن مقتضاها مانع لا من جانب الأبوين و لا من جهة غيرهما ، و غيره ولد على الفطرة و لكنّه حال عن مقتضاها و زال عن موجبها .

[213] « أرهص الحائط » بنى رهصه ، و هو أوّل من الطين الّذي يبنى عليه .

----

(214) في المصدر : و لم يخاطب فيها .

----

(215) في المصدر : لقد ولدلنا الليلة .

[216] « رسا الشيء و أرسى » ثبت و رسخ .

و يمكن أن يفسّر أنّه أراد بالفطرة العصمة ، و إنّه منذولد لم يواقع قبيحا و لا كان كافرا طرفة عين ، و لا مخطئا و لا غالطا في شيء من الأشياء المتعلّقة بالدين و هذا تفسير الإماميّة 217 انتهى كلامه .

و أقول : الأخبار في البراءة من طرق الخاصّة و العامّة مختلفة ، و الأظهر في الجمع بينها أن يقال بجواز التكلّم بها عند الضرورة الشديدة و جواز الإمتناع عنه و تحمّل ما تترتّب عليه ، و أمّا أنّ أيّهما أولى ففيه إشكال ، بل لا يبعد القول بذلك في السبّ أيضا .

و ذهب إلى ما ذكرناه في البراءة جماعة من علمائنا . و أمّا ما نسبه ابن أبي الحديد إليهم جميعا من تحريم القول بالبراءة فلعلّه اشتبه عليه ما ذكروه من تحريم الحلف بالبراءة اختيارا ، فإنّهم قطعوا بتحريم ذلك و إن كان صادقا ، و لا تعلّق له بأحكام المضطرّ .

و قال الشيخ الشهيد في قواعده : التقيّة تنقسم بانقسام الأحكام الخمسة ،

فالواجب إذا علم أوظنّ نزول الضرر بتركها به أو ببعض المؤمنين ، و المستحبّ إذا كان لا يخاف ضررا عاجلا و يتوهّم ضررا آجلا أو ضررا سهلا ، أو كان تقيّة في المستحبّ كالترتيب في تسبيح الزهراء عليها السلام و ترك بعض فصول الأذان ، و المكروه التقيّة في المستحبّ حيث لا ضررعا جلا و لا آجلا ، و يخاف منه الالتباس على عوامّ المذهب . و الحرام التقيّة حيث يؤمن الضرر عاجلا و آجلا أو في قتل مسلم ، قال أبو جعفر عليه السلام : « إنّما جعلت التقيّة ليحقن بها الدماء فإذا بلغ الدم فلا تقيّة » . و المباح لتقيّة في بعض المباحات الّتي رجّحها العامّة 218 و لا يصل بتركها ضرر . 219 ثم قال رحمه اللّه : التقيّة يبيح كلّ شيء حتّى إظهار كلمة الكفر ،

و لو تركها حينئذ أثم إلاّ في هذا المقام و مقام التبرّي من أهل البيت عليهم السلام فإنّه لا يأثم بتركها بل صبره إمّا مباح أو مستحبّ ، و خصوصا إذا كان ممّن يقتدى به . 220

----

(217) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 4 ، ص 106 116 ، ط بيروت .

----

(218) في المصدر : يرجّحها العامّة و في (م) و (د) : ريّجها العامّة .

----

(219) في المصدر : و لا يصير تركها ضررا .

----

(220) القواعد و الفوائد ، ص 261 .

و قال الشيخ أمين الدين الطبرسيّ : قال أصحابنا : التقيّة جائزة في الأحوال كلّها 221 عند الضرورة ، و ربما وجب فيها لضرب من اللّطف و الاستصلاح ، و ليس يجوز من الأفعال في قتل المؤمن و لا فيما يعلم أو يغلب على الظنّ أنّه استفساد في الدين . قال المفيد رضي الله عنه : أنّها قد تجب أحيانا و تكون فرضا ، و تجوز أحيانا من غير وجوب ، و تكون في وقت أفضل من تركها ، و قد يكون تركها أفضل و إن كان فاعلها معذورا و معفوّا عنه متفضلا عليه بترك اللّوم عليها . و قال الشيخ أبو جعفر الطوسيّ رحمه الله : ظاهر الروايات يدلّ على أنّها واجبة عند الخوف على النفس ، و قد روي رخصته في جواز الإفصاح بالحقّ عنده . 222 انتهى .

أقول : سيأتي تمام القول في ذلك في باب التقية إن شاء الله تعالى . 223

58 و من كلام له عليه السلام كلم به الخوارج حين اعتزلوا الحكومة و تنادوا : ان لا حكم إلا لله

أصابكم حاصب (565) ، و لا بقي منكم آثر (566) . أبعد إيماني باللّه ،

و جهادي مع رسول الله صلّى الله عليه ، أشهد على نفسي بالكفر « لقد ضللت إذا و ما أنا من المهتدين » فأوبوا شرّ مآب (567) ، و ارجعوا على أثر الأعقاب (568) . أما إنّكم ستلقون بعدي ذلاّ شاملا ، و سيفا قاطعا ،

و أثرة (569) يتّخذها الظّالمون فيكم سنّة .

----

(221) في المصدر : في الأقوال كلّها .

----

(222) مجمع البيان ، ج 2 ، ص 430 .

----

(223) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 39 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 325 330 .

قال الشريف : قوله عليه السلام « و لا بقي منكم آبر » يروى على ثلاثة أوجه :

أحدهما أن يكون كما ذكرناه : « آبر » بالراء ، و من قولهم للذي يأبر النخل أي :

يصلحه و يروى « آثر » و هو الذي يأثر الحديث و يرويه أي يحكيه ، و هو أصح الوجوه عندي ، كأنه عليه السلام قال : لا بقي منكم مخبر و يروى « آبز » بالزاي المعجمة و هو الواثب . و الهالك أيضا يقال له : آبز .

بيان

روي أنّه عليه السلام كلّمهم بهذا الكلام لمّا اعتزلوا و تنادوا من كلّ ناحية : « لا حكم إلاّ للّه ، الحكم للّه يا عليّ لالك » و قالوا : « بان لنا خطاؤنا فرجعنا و تبنا ، فارجع إليه أنت و تب » . و قال بعضهم : « أشهد على نفسك بالكفر ، ثمّ تب منه حتّى نطيعك » . و « الحاصب » الريح الشديدة الّتي تثير الحصباء و هي صغار الحصاء ، و إصابة الحاصب كناية عن العذاب ، و قيل : أي أصابكم حجارة من السماء . و « الأوب » بالفتح ، و « الإياب » بالكسر ، الرجوع . و « الأعقاب » مؤخّر الأقدام ،

و « أثرها » بالتحريك ، علامتها ، و الرجوع على العقب هو القهقرى ، فهو كالتاكيد للسّابق ،

قيل : هو أمرلهم بالإياب و الرجوع إلى الحقّ من حيث خرجوا منه قهرا كأنّ القاهر يضرب في وجوههم يردّهم على أعقابهم ، و الرجوع هكذا شرّ الأنواع ، و قيل : هو دعاء عليهم بالذل و انعكاس الحال .

أقول : و يحتمل أن يكون الأمر على التهديد كقوله تعالى : وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ 224 . و « الأثرة » بالتحريك ، الاسم من قولك : « فلان يستأثر على أصحابه » أي يختار لنفسه أشياء حسنة و يخصّ نفسه بها ، و « الاستئثار » الانفراد بالشيء ، أو من « اثر يؤثر إيثارا » إذا أعطى ، أي يفضل الظالمون غيركم عليكم في نصيبكم و يعطونهم دونكم . و قيل : يجوز أن يكون المراد بالآبر النمّام . 225

----

(224) التوبة : 105 .

----

(225) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 604 ، ط كمپاني و ص 557 ، ط تبريز .

59 و قال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج ، و قيل له :

إن القوم عبروا جسر النهروان

مصارعهم دون النّطفة ، و اللّه لا يفلت منهم عشرة ، و لا يهلك منكم عشرة . قال الشريف : يعني بالنطفة ماء النهر ، و هي أفصح كناية عن الماء و إن كان كثيرا جما .

و قد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم عند مضي ما أشبهه .

بيان

و قال ابن أبي الحديد 226 : هذا الخبر من الأخبار الّتي تكاد تكون متواترة لاشتهاره و نقل الناس كافّة له ، و هو من معجزاته و أخباره المفصّلة عن الغيوب الّتي لا يحتمل التلبيس ، لتقييده بالعدد المعيّن في أصحابه و في الخوارج ، و وقوع الأمر بعد الحرب من غير زيادة و لا نقصان ، و لقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره و لمشاهدة الناس من معجزاته و أحواله المنافية لقوى البشر غلا فيه من غلا ، حتّى نسب إلى أنّ الجوهر الإلهيّ حلّ في بدنه ، كما قالت النصارى في عيسى عليه السلام . انتهى . 227 [هذا بيان آخر في شرح الكلام :] و « النهروان » بفتح النون و الراء و جوّز تثليث الراء ، ثلاث قرى أعلى و أوسط و أسفل بين واسط و بغداد . و « الصرع » الطرح على الأرض ، و « المصرع » يكون مصدرا و موضعا ، و المراد هنا مواضع هلاكهم . و « الإفلات و التفلّت و الانفلات » التخلّص من الشيء فجأة من غير تمكّث .

و هذا الخبر من معجزاته عليه السلام المتواترة ، و روي أنّه لمّا قتل الخوارج وجدوا المفلت منهم تسعة تفرّقوا في البلاد ، و وجدوا المقتول من أصحابه عليه السلام ثمانية ، و يمكن أن يكون خفي على القوم مكان واحد من المقتولين أو يكون التعبير بعدم

----

(226) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 4 ، ص 413 ، ط بيروت .

----

(227) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 41 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 348 .

هلاك العشرة للمشاكلة و المناسبة بين القرينتين . 228

60 و قال عليه السلام لما قتل الخوارج فقيل له : يا أمير المؤمنين ، هلك القوم بأجمعهم

كلا و اللّه ، إنّهم نطف في أصلاب الرّجال ، و قرارات النّساء (570) ،

كلّما نجم (571) منهم قرن قطع ، حتّى يكون آخرهم لصوصا سلاّبين .

بيان

« نجم » طلع و ظهر . و « القرن » كناية عن رؤسائهم . و « قطعه » قتله . 229 [هذا بيان آخر في شرح الكلام :] توضيح : « القرار و القرارة » بالفتح ، ما قرّ فيه شيء و سكن ، و المراد هنا الأرحام . و « نجم » كنصر ، ظهر و طلع . و « القرن » كناية عن الرئيس و هو في الإنسان موضع قرن الحيوان من رأسه ، و « قطع القرن » استئصال رؤسائهم و قتلهم .

و « اللصوص » بالضمّ ، جمع « لصّ » مثلّثة . و « السلب » الاختلاس . روي أن جماعة من الخوارج لم يحضروا القتال و لم يظفر بهم أمير المؤمنين عليه السلام ، و أمّا المفلتون من القتل ، فانهزم اثنان منهم إلى عمّان و اثنان إلى كرمان و اثنان إلى سجستان و اثنان إلى الجزيرة و واحد إلى تلّ « موزن » فظهرت بدعهم في البلاد و صاروا نحوا من عشرين فرقة و كبارها ستّ : الأزارقة أصحاب دافع بن الأزرق و هم أكبر الفرق ، غلبوا على الأهواز و بعض بلاد فارس و كرمان في أيّام عبد اللّه بن الزبير ، و النّجدات رئيسهم نجدة بن عامر الحنفيّ ، و البيهسيّة أصحاب أبي بيهس هيصم بن جابر ، و كان بالحجاز و قتل في زمن الوليد ، و العجاردة أصحاب عبد الكريم بن عجرد ، و الإباضيّة أصحاب عبد اللّه بن إباض

----

(228) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 604 ، ط كمپاني و ص 557 ، ط تبريز .

----

(229) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 41 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 355 .

قتل في أيّام مروان بن محمّد ، و الثّعالبة أصحاب ثعلبة بن عمار . و تفصيل خرافاتهم مذكور في كتب المقالات . 230

61 و قال عليه السلام

لا تقاتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحقّ فأخطأه ، كمن طلب الباطل فأدركه . قال الشريف : يعني معاوية و أصحابه .

بيان

لعلّ المراد : لا تقتلوا الخوارج بعدي مادام ملك معاوية و أضرابه ، كما يظهر من التعليل ، و قد كان يسبّه عليه السلام و يبرأ منه في الجمع و الأعياد ، و لم يكن إنكاره للحقّ عن شبهة كالخوارج ، و لم يظهر منهم من الفسوق ما ظهر منه ، و لم يكن مجتهدا في العبادة و حفظ قوانين الشرع مثلهم فكان أولى بالجهاد . 231

62 و من كلام له عليه السلام لما خوّف من الغيلة (572)

و إنّ عليّ من اللّه جنّة (573) حصينة ، فإذا جاء يومي انفرجت عنّى و أسلمتني ، فحينئذ لا يطيش السّهم (574) ، و لا يبرأ الكلم (575) .

63 و من خطبة له عليه السلام يحذر من فتنة الدنيا

ألا إنّ الدّنيا دار لا يسلم منها إلاّ فيها ، و لا ينجى بشيء كان لها :

----

(230) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 621 ، ط كمپاني و ص 572 ، ط تبريز .

----

(231) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 621 ، ط كمپاني و ص 572 ، ط تبريز .

[188]

ابتلي النّاس بها فتنة ، فما أخذوه منها لها أخرجوا منه و حوسبوا عليه ، و ما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه و أقاموا فيه ، فإنّها عند ذوي العقول كفيء الظّلّ ، بينا تراه سابغا (576) حتّى قلص (577) ، و زائدا حتّى نقص .

64 و من خطبة له عليه السلام في المبادرة إلى صالح الأعمال

فاتّقوا اللّه عباد اللّه ، و بادروا آجالكم بأعمالكم (578) ، و ابتاعوا (579) ما يبقى لكم بما يزول عنكم ، و ترحّلوا (580) فقد جدّ بكم (581) و استعدّوا للموت فقد أظلّكم (582) ، و كونوا قوما صيح بهم فانتبهوا ،

و علموا أنّ الدّنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا ، فإنّ اللّه سبحانه لم يخلقكم عبثا ، و لم يترككم سدى (583) ، و ما بين أحدكم و بين الجنّة أو النّار إلاّ الموت أن ينزل به . و إنّ غاية تنقصها اللّحظة ، و تهدمها السّاعة ، لجديرة بقصر المدّة . و إنّ غائبا يحدوه (584) الجديدان : اللّيل و النّهار ، لحري (585) بسرعة الأوبة (586) . و إنّ قادما يقدم بالفوز أو الشّقوة لمستحقّ لأفضل العدّة . فتزوّدوا في الدّنيا ، من الدّنيا ، ما تحرزون به أنفسكم غدا (587) . فاتّقى عبد ربّه ، نصح نفسه ، و قدّم توبته ، و غلب شهوته ، فإنّ أجله مستور عنه ، و أمله خادع له ، و الشّيطان

[189]

موكّل به ، يزيّن له المعصية ليركبها ، و يمنّيه التّوبة ليسوّفها (588) ،

إذا هجمت منيّته عليه أغفل ما يكون عنها . فيا لها حسرة على كلّ ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجّة ، و أن تؤديه أيّامه إلى الشّقوة نسأل اللّه سبحانه أن يجعلنا و إيّاكم ممّن لا تبطره نعمة (589) ، و لا تقصّر به عن طاعة ربّه غاية ، و لا تحلّ به بعد الموت ندامة و لا كآبة .

65 و من خطبة له عليه السلام و فيها مباحث لطيفة من العلم الالهي

الحمد للّه الّذي لم تسبق له حال حالا ، فيكون أوّلا قبل أن يكون آخرا ، و يكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا ، كلّ مسمّى بالوحدة غيره قليل ، و كلّ عزيز غيره ذليل ، و كلّ قويّ غيره ضعيف ، و كلّ مالك غيره مملوك ، و كلّ عالم غيره متعلّم ، و كلّ قادر غيره يقدر و يعجز ، و كلّ سميع غيره يصمّ (590) عن لطيف الأصوات ، و يصمّه كبيرها ، و يذهب عنه ما بعد منها ، و كلّ بصير غيره يعمى عن خفيّ الألوان و لطيف الأجسام ، و كلّ ظاهر غيره باطن ، و كلّ باطن غيره غير ظاهر . لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ، و لا تخوّف من عواقب زمان ، و لا استعانة على ندّ (591) مثاور (592) ، و لا شريك مكاثر (593) ،

و لا ضدّ منافر (594) ، و لكن خلائق مربوبون (595) ، و عباد داخرون (596) ،

[190]

لم يحلل في الأشياء فيقال : هو كائن ، و لم ينأ (597) عنها فيقال :

هو منها بائن (598) . لم يؤده (599) خلق ما ابتدأ ، و لا تدبير ما ذرأ (600) ،

و لا وقف به عجز عمّا خلق ، و لا و لجت (601) عليه شبهة فيما قضى و قدّر ، بل قضاء متقن ، و علم محكم ، و أمر مبرم (602) . المأمول مع النّقم ، المرهوب مع النّعم

66 و من كلام له عليه السلام في تعليم الحرب و المقاتلة و المشهور أنه قاله لأصحابه ليلة الهرير أو أول اللقاء بصفين

معاشر المسلمين : استشعروا الخشية (603) ، و تجلببوا (604) السّكينة ،

و عضّوا على النّواجذ (605) ، فإنّه أنبي (606) للسّيوف عن الهام (607) .

و أكملوا اللأمة (608) ، و قلقلوا (609) السّيوف في أغمادها (610) قبل سلّها .

و الحظوا الخزر (611) ، و اطعنوا الشّزر (612) ، و نافحوا بالظّبا (613) ، و صلوا السّيوف بالخطا (614) ، و اعلموا أنّكم بعين اللّه ، و مع ابن عمّ رسول اللّه . فعاودوا الكرّ ، و استحيوا من الفر (615) ، فإنّه عار في الأعقاب (616) ،

و نار يوم الحساب . و طيبوا عن أنفسكم نفسا ، و امشوا إلى الموت مشيا سجحا (617) ، و عليكم بهذا السّواد الأعظم ، و الرّواق المطنّب (618) ،

فاضربوا ثبجه (619) ، فإنّ الشّيطان كامن في كسره (620) ، و قد قدّم للوثبة يدا ، و أخر للنّكوص رجلا . فصمدا صمدا (621) حتّى ينجلي

----

(232) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 4 ، كتاب التوحيد ، ص 308 .

[192]

لكم عمود الحقّ « و أنتم الأعلون ، و اللّه معكم ، و لن يتركم أعمالكم » (622) .

إيضاح

قال بعض الشارحين : هذا الكلام خطب به أمير المؤمنين عليه السلام في اليوم الّذي كانت عشيّته ليلة الهرير في كثير من الروايات . و في رواية نصر بن مزاحم : أنّه خطب به أوّل أيّام الحرب بصفّين و ذلك في صفر من سنة سبع و ثلاثين 233 و « المعشر » الجماعة . و « استشعار الخشية » أن يجعلوا الخوف من اللّه عزّ و جلّ ملازما لهم كالشعار و هو من اللباس ما يلي شعر الجسد ، و يحتمل على بعد أن يراد به إخفاء الخوف عن العدوّ إذا لم يمكن سلبه عن النفس . و « الجلباب » بالكسر ،

القميص أو ثوب واسع للمرأة دون الملحفة ، أو الملحفة أو الخمار أو ثوب كالمقنعة تغطّي به المرأة رأسها و ظهرها و صدرها و « تجلبب » أي اتّخذ . و « السكينة » الوقار و التأنّي في الحركة و السير .

و « النواجذ » أقاصي الأضراس و هي أربعة بعد الأرحاء ، و قيل : هي الضواحك الّتي تبدو عند الضحك ، و قيل : أنياب ، و قيل : الّتي يليها ، و قيل : الأضراس كلّها .

« نبا السيف عن الضريبة » إذا لم يعمل فيها . و « الهام » جمع هامة و هي رأس كلّ شيء . و الأمر إمّا محمول على الحقيقة لأنّ هذا العضّ تصلّب الأعصاب و العضلات فيكون تأثير السيف في الرأس أقلّ ، أو كناية عن شدّة الاهتمام بأمر الحرب ، أو الصبر و تسكين القلب و ترك الاضطراب فإنّه أشدّ إبعادا لسيف العدو عن الرأس و أقرب إلى النصر . و الضمير في قوله « و إنّه » يعود إلى المصدر الّذي دلّ عليه « عضّوا » كقولك : من أحسن كان خيرا له . و « اللأمة »

بفتح اللام و الهمزة السّاكنة ، الدرع ، و قيل : جميع آلات الحرب و السلاح ، و « إكمال اللأمة » على الأوّلى أن يزاد عليها البيضة و السواعد و نحوهما و اتّخاذها كاملة شاملة للجسد . و « القلقلة » التحريك . و « الغمد » بالكسر ،

جفن السيف . و « سلّ السيف » إخراجه عن الغمد ، و قيل : « سلّها » أي قبل وقت الحاجة إلى سلّها .

و « اللحظ » النظر بمؤخّر العين . و « الخزر » بسكون الزّاي ، النظر بلحظ العين .

----

(233) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 5 ، ص 175 ، ط بيروت .

[193]

و « الشزر » بالفتح ، الطعن عن اليمين و الشمال ، و قيل : أكثر ما يستعمل في الطعن عن اليمين خاصّة ، و قال ابن الأثير في النّهاية في حديث عليّ عليه السلام : « الحظوا الشزر ، و اطعنوا اليسر » و « الشزر » النّظر بمؤخر العين و هو نظر الغضبان ، و « اليسر » بالفتح ، الطعن حذاء الوجه ، و الخزر و الشزر صفتان لمصدرين محذوفين أي الحظوا لحظا خزرا ، و اطعنوا طعنا شزرا ، و اللام للعهد . و فائدة الأمر الأوّل واضحة فإنّ النظر بمؤخّر العين يهيّج الحميّة و الغضب و يدفع طمع العدوّ و يغفله عن التعرّض ، و بملأ العين يورث الجبن و علامة له عند العدوّ و يصير سببا لتحرّزه و أخذا هبته و التوجّه إلى القرن . و أمّا الأمر الثّاني فقيل : إنّه يوسّع المجال على الطاعن ، و أكثر المناقشة للخصم في الحرب تكون عن يمينه و عن شماله ، و يمكن أن تكون الفائدة أنّ احتراز العدوّ عن الطعن حذاء الوجه أسهل و الغفلة عنه اقلّ ، هذا على ما في الأصل ، و ما في النهاية يخالفه .

و « المنافحة » المضاربة و المدافعة . و « الظبى » جمع « ظبة » بالضمّ فيهما ، و هي طرف السيف وحدّه ، و يطلق على حدّ السيف و السنان ، قيل : المعنى : قاتلوا بالسّيوف ، و أصله أن يقرب أحد المتقابلين إلى الآخر بحيث يصل نفح كلّ منهما أي ريحه و نفسه إلى صاحبه ، و قيل : أي ضاربوا بأطراف السيوف ، و فائدته أنّ مخالطة العدوّ و القرب الكثير منه يشغل عن التمكّن من حربه ، و أيضا لا يؤثّر الضرب كما ينبغي مع القرب المفرط .

قوله عليه السلام « وصلوا السيوف بالخطا » وصل الشيء بالشيء جعله متّصلا به . و « الخطى » جمع « خطوة » بالضمّ فيهما ، و المعنى : إذا قصرت السيوف عن الضريبة فتقدّموا تلحقوا و لا تصبروا حتّى يلحقكم العدوّ ، و هذا التقدّم يورث إلقاء الرعب في قلب العدو .

و روي أنّه قيل له عليه السلام في بعض الغزوات : ما أقصر سيفك فقال :

أطوله بخطوة . و في رواية ابن الأثير « صلّوا السيوف بالخطى ، و الرّماح بالنبل » أي إذا لم تلحقهم بالرماح فارموهم بالسهام . و المراد بكونهم بعين الله أنّه سبحانه يريهم و يعلم أعمالهم ، و الباء مثلها في قولك : « أنت بمرأى منّي و مسمع » أي بحيث أراك و أسمع كلامك ، فيكون تمهيدا للنهي عن الفرار و أنّه سبحانه يحفظهم و ينصرهم

[194]

لكونهم على الحقّ كما يناسب كونهم مع ابن عمّ الرسول صلى الله عليه و آله .

و « الكرّ » الرجوع و الحملة ، و معاودته عند التحرّف للقتال أو التحيّز إلى فئة أو عند الفرار جبنا لو كان ، أو المراد : لا تقصروا على حملة لليأس عن حصول الغرض بل عاودوا و احملوا كرّة بعد أخرى .

و « الأعقاب » جمع « عقب » بالضمّ و بضمّتين ، أي العاقبة ، و المعنى أنّ الفرار عار في عاقبة أمركم و ما يتحدّث به النّاس في مستقبل الزمان على ما قيل ، أو جمع « عقب » ككتف أو « عقب » بالفتح ، أي الولد و ولد الولد ، و المعنى أنّ الفرار ممّا يعيّر به أولادكم . و « طاب نفسي بالشيء و طيب به نفسا » إذا لم يكرهك عليه أحد ،

و التعدية ب « عن » لتضمين معنى التجافي و التجاوز ، و « نفسا » منصوب على التمييز ، و إفراده مع عدم اللبس أولى ، و لعلّ المعنى : و طنّوا أنفسكم على بذلها في سبيل الله ، و ارضوا به للحياة الباقية و اللّذات الدائمة . و « السّجح » بضمّتين ، السهل . و « سواد النّاس » عامّتهم ،

و المراد معظم القوم المجتمعين على معاوية . و « الرواق » ككتاب الفصطاط و القبّة ،

و قيل : هو ما بين يدي البيت . و « المطنّب » المشدود بالأطناب ، و المراد مضرب معاوية و كان في قبّة عالية و حوله صناديد أهل الشّام . و « ثبج الشيء » بالتحريك ، وسطه و معظمه . و « كمن » كنصر و سمع أي استخفى . و « كسر الخبأ » بالكسر ، الشقة السفلى يرفع أحيانا و يرخى اخرى . و « الوثبة » الطفرة . و « نكص » كنصر و ضرب أي رجع .

و « الشيطان » هو إبليس لا معاوية كما قيل لأنّه كان بارزا في الصدر لا كامنا في الكسر إلاّ أن يكون ذلك لبيان جبنه . و تقديم اليد للوثبة و تأخير الرجل للنكوص لا ينافي إرادة إبليس فإنّه كان من رفقاء معاوية و أصحابه يثبت بوثوبهم و يرجع برجوعهم ، و يمكن أن يراد بوثبته طمعه في غلبة أصحاب معاوية و تحريصهم على القتال و بالنكوص ما يقابله ، و يحتمل أن يراد بالشيطان عمرو بن العاص ، و الأوّل أظهر ، و حمله على القوّة الوهميّة كما قيل من الأوهام الفاسدة . و « الصمد » بالفتح ،

القصد ، و ناصبه محذوف ، و التأكيد للتحريض على قصد العدوّ و الصبر على الجهاد ،

أو التقرب إلى اللّه تعالى و إخلاص النيّة في الأعمال الّتي من جملتها الجهاد .

و « انجلى الشيء و تجلّى » أي انكشف و ظهر . و « عمود الحقّ » لعلّه للتشبيه بالفجر الأوّل ، و فيه إشعار بعدم الظهور لأكثر القوم كما ينبغي . « و أنتم الأعلون » الواو للحال ، أي الغالبون على الأعداء بالظفر أو بأنّكم على الحقّ . « و اللّه معكم » أي بالنصر و الحياطة أو لأنّكم أنصاره . و « لن يتركم » أي لا ينقصكم اللّه جزاء أعمالكم بل يوفّيكم أجوركم ، و قيل : أي لا يضيع أعمالكم ، من « وترت الرّجل » إذا قتلت له حميما . و لعلّ حاصل المعنى : اقصدوا ربّكم بأعمالكم الّتي منها جهاد أعدائكم ، و اخلصوا نيّاتكم حتّى ينجلي لكم أنّكم على الحقّ كما قال تعالى : وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ 234 . و الجملة الحاليّة تفيد أنّهم على الحقّ و من أنصار اللّه و حزبه ، أو اقصدوا أعداءكم بتصميم العزم حتّى يظهر آية النّصر و ينجز اللّه لكم ما وعد من الظفر ، و وعده الحقّ ، و يمكن أن يراد بالحقّ الطريقة المستقيمة و أن يكون الظفر سببا لظهوره للقوم . 235

67 و من كلام له عليه السلام

قالوا : لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة (623) بعد وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم ، قال عليه السلام :

ما قالت الانصار ؟ قالوا : قالت : منا أمير و منكم أمير ، قال عليه السلام :

فهلاّ احتججتم عليهم بأنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وصّى بأن يحسن إلى محسنهم ، و يتجاوز عن مسيئهم ؟

قالوا : و ما في هذا من الحجة عليهم ؟

----

(234) العنكبوت : 69 .

----

(235) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 507 ، ط كمپاني و ص 471 ، ط تبريز .

فقال عليه السلام :

لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصيّة بهم ثم قال عليه السلام :

فماذا قالت قريش ؟ قالوا : احتجت بأنها شجرة الرسول صلى اللّه عليه و سلم ، فقال عليه السلام : احتجّوا بالشّجرة ، و أضاعوا الثّمرة .

بيان

قوله عليه السلام « احتجّوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة » المراد بالثمرة إمّا الرسول صلى اللّه عليه و آله و « الاضاعة » عدم اتّباع نصبه ، أو أمير المؤمنين و أهل البيت عليهم السلام تشبيها له صلى اللّه عليه و آله بالأغصان أو اتّباع الحقّ الموجب للتمسّك به دون غيره ، كما قيل . و الغرض الزام قريش بما تمسّكوا به من قرابته صلى اللّه عليه و آله فإن تمّ فالحقّ لمن هو أقرب و أخصّ و إلاّ فالأنصار على دعواهم . 236

68 و من كلام له عليه السلام لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه و قتل

و قد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة ، و لو ولّيته إيّاها لمّا خلّى لهم العرصة (624) ، و لا أنهزهم الفرصة ، بلا ذمّ لمحمّد بن أبي بكر ،

و لقد كان إليّ حبيبا ، و كان لي ربيبا .

----

(236) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 177 ، ط كمپاني و ص 171 ، ط تبريز .

بيان

« لمّا قلد » أي جعله و اليها كأنّ ولايتها قلادة في عنقه لأنّه مسؤول عن خيرها و شرّها ، و يقال : « ملكه عليه » أي أخذه منه قهرا و استولى عليه . و « انهاز الفرصة » إمّا تأكيد لتخلية العرصة ، و المراد بهماتمكين العدوّ و عدم التدبير في دفعه كما ينبغي ، أو التخلية كناية عن الفرار و الانهاز عن تمكين الأعداء . و عدم استحقاق الذمّ لكون هذا التمكين عن عجزه لا عن التقصير و التواني . و « كان إليّ حبيبا » أي كنت أحبّه ، و مجبوبه عليه السلام لا يستحقّ الذمّ . و « ربيب الرجل » ابن امرأته من غيره . و أمّ محمّد أسماء بنت عميس كانت عند جعفر بن أبي طالب و هاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبد اللّه ، و لمّا استشهد جعفر تزوّجها أبوبكر فولدت له محمّدا ثمّ تزوّجها أمير المؤمنين عليه السلام و نشأ محمّد في حجره و رضع الولاء و التشيّع ،

و كان جاريا عنده عليه السلام مجرى بعض ولده . و أمّا هاشم فهو ابن عتبة أبي وقّاص و هو المرقال ، سمّي به لأنّه كان يرقل في الحرب أي يسرع ، قتل بصفّين رضي اللّه عنه . 237

69 و من كلام له عليه السلام في توبيخ بعض أصحابه

كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة (625) ، و الثّياب المتداعية (626) كلّما حيصت (627) من جانب تهتكت (628) من آخر ، كلّما أطلّ عليكم منسر (629) من مناسر أهل الشّام أغلق كلّ رجل منكم بابه ، و انجحر (630) انجحار الضّبّة في جحرها ، و الضّبع في وجارها (631) . الذّليل و اللّه من

----

(237) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 655 ، ط كمپاني و ص 604 ، ط تبريز .

نصرتموه و من رمي بكم فقد رمي بأفوق ناصل (632) . إنّكم و اللّه لكثير في الباحات (633) ، قليل تحت الرّايات ، و إنّي لعالم بما يصلحكم ، و يقيم أودكم (634) ، و لكنّي لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي . أضرع اللّه خدودكم (635) ، و أتعس جدودكم (636) لا تعرفون الحقّ كمعرفتكم الباطل ، و لا تبطلون الباطل كإبطالكم الحقّ

إيضاح

« البكار » بالكسر ، جمع « بكر » بالفتح ، و هو الفتى من الإبل .

و « العمدة » بكسر الميم ، من « العمد » الورم و الدبر ، و قيل : « العمدة » الّتي كسرها ثقل حملها ، و قيل : الّتي قد انشدخت أسنمتها من داخل و ظاهرها صحيح . و « الثياب المتداعية » الخلقة الّتي تتخرّق فكأنّه يدعو الباقي إلى الانحراق . و « حاص الثوب يحوصه حوصا » خاطه . و « تهتّكت » أي تخرّقت . و « أطلّ عليكم » أي أقبل إليكم و دنامنكم ،

و في بعض النسخ بالمهملة أي أشرف . و « المنسر » كمجلس و كمنبر القطعة من الجيش تمرّ قدّام الجيش الكثير . و « الجحر » بالضمّ ، كلّ شيء يحتفره السباع و الهوامّ لأنفسها ، و « جحر الضبّ » كمنع أي دخله ، و « جحره غيره » أدخله فانجحر و تجحر و كذلك « أجحره » . و « الضبع » مؤنثة . و « وجارها » بالكسر ، جحرها .

و « الأفوق » العكسور الفوق . و « النّاصل » المنزوع النصل . و « الباحة » الساحة .

و « الراية » العلم . و « الأود » بالتحريك ، العوج . و المراد بما يصلحهم إقامة مراسم السياسة من القتل و التعذيب و الحيل و التدابير المخالفة لأمر اللّه تعالى .

و « الضراعة » الذلّ و الاستكانة . و « التعس » الهلاك و الانحطاط . و « الجدّ » البخت و الحظّ و الغرض الدعاء عليهم بالخزي و الخيبة .

قوله عليه السلام « لا تعرفون الحقّ » المراد بالحقّ إمّا أوامر اللّه تعالى و أمور الآخرة ، و بالباطل زخارف الدنيا ، أو الحقّ متابعته عليه السلام و نصره ،

و الباطل عصيانه و ترك نصرته ، أو الحقّ الدلائل الدالّة على فرض طاعته ، و الباطل الشّبه الفاسدة كشبهتهم في خطر قتال أهل القبلة . و المعرفة إمّا العلم أو العمل بما يقتضيه

[199]

من نصرة الحقّ و إنكار المنكر . 238

70 و قال عليه السلام في سحرة (637) اليوم الذي ضرب فيه

ملكتني عيني (638) و أنا جالس ، فسنح (639) لي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، فقلت : يا رسول اللّه ، ماذا لقيت من أمّتك من الأود و اللّدد ؟ فقال : « ادع عليهم » فقلت : أبدلني اللّه بهم خيرا منهم ، و أبدلهم بي شرّا لهم منّي . قال الشريف : يعني بالأود الاعوجاج ، و باللدد الخصام . و هذا من أفصح الكلام .

بيان

« السحرة » بالضمّ ، السحر الأعلى . و « ملك العين » كناية عن غلبه النوم . و « سنح لى » أي رأيته في المنام ، أو مر بي معترضا . و بناء التفضيل في « شرّا » على اعتقاد القوم فإنّهم لمّا لم يطيعوه حقّ الطاعة فكأنّهم زعموا فيه شرّا . 239

71 و من خطبة له عليه السلام في ذم أهل العراق و فيها يوبخهم على ترك القتال و النصر يكاد يتم ، ثم تكذيبهم له

أمّا بعد يا أهل العراق ، فإنّما أنتم كالمرأة الحامل ، حملت فلمّا

----

(238) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 685 ، ط كمپاني و ص 634 ، ط تبريز .

----

(239) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 685 ، ط كمپاني و ص 634 ، ط تبريز .

أتمّت أملصت (640) و مات قيّمها (641) ، و طال تأيّمها (642) ، و ورثها أبعدها . أما و اللّه ما أتيتكم اختيارا ، و لكن جئت إليكم سوقا . و لقد بلغني أنّكم تقولون : عليّ يكذب ، قاتلكم اللّه تعالى فعلى من أكذب ؟ أعلى اللّه ؟ فأنا أوّل من آمن به أم على نبيّه ؟ فأنا أوّل من صدقه كلا و اللّه ، و لكنّها لهجة غبتم عنها ، و لم تكونوا من أهلها . و يل امّه (643) كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء . « و لتعلمنّ نبأه بعد حين » .

توضيح

« املصت » ألقت ولدها ميّتا ، و « المملاص » معتادته . و « قيّم المرأة » زوجها لأنّه يقوم بأمرها . و « تأيّم المرأة » خلوّها من الزوج . و « أبعدها » من لم يكن قرابة الولد و نحوه ، و التشبيه بالمرأة الموصوفة لأنّهم تحمّلوا مشاقّ الحرب فلمّا قرب الظفر رضوا بالتحكيم و حرموا الظفر و صار بعضهم خوارج و بعضهم شكّاكا . و المراد بالسوق الاضطرار ، كأنّ القضاء ساقه عليه السلام إليهم فإنّه عليه السلام خرج لقتال أهل الجمل و احتاج إلى الاستنصار بأهل الكوفة و اتصلت تلك الفتنة بفتنة أهل الشام فاضطر إلى المقام بينهم ، و في بعض النسخ « و لا جئتكم شوقا » .

و « قاتلكم اللّه » أي قتلكم اللّه و لعنكم اللّه . و « كلاّ » للردع و الإنكار أو بمعنى حقّا . و « اللهجة » اللّسان أو يتجوّز بها عن الكلام ، و المراد ما لهجته عليه السلام أي ما أخبركم به أمور غابت عقولكم الضعيفة عن إدراكها و لستم أهلا لفهمها ، أو لهجة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أي سمعت كلامه صلّى اللّه عليه و آله و لم تسمعوه ، و لو سمعتموه لم تكونوا من أهله .

و « الويل » حلول الشر و كلمة عذاب أو واد في جهنّم ، و إضافته إلى الأمّ دعاء عليها بأن تصاب بأولادها من قبيل ثكلته امّه ، و الضمير راجع إلى المكذّب ، و قيل : إلى ما دلّ عليه الكلام من العلم الذي خصّه به الرسول صلى اللّه عليه و آله ، و قال

هذه الكلمة قد تطلق للتعجّب للتعجّب و الاستعظام ، يقال : « ويل امّه فارسا » و مرادهم التعظيم و المدح . و « كيلا » انتصب لأنّه مصدر في موضع الحال التمييز ، أي أنا أكيل لكم العلم و الحكمة كيلا و لا أطلب لذلك ثمنا لو وجدت حاملا للعلم ، و قيل : الكلمة تستعمل للترحّم و التعجّب و الضمير راجع إلى الجاهل المكذّب فالمفاد و الترحّم عليهم لجهلهم أو التعجّب من قوّة جهلهم أو من كثرة كيله للحكم عليهم مع إعراضهم عنها . و قال في النهاية قديرد الويل بمعنى التعجّب و منه الحديث : « ويل امّه مسعر حرب » تعجّبا من شجاعته و جرأته و إقدامه ، و منه حديث عليّ عليه السلام : « ويل امّه كيلا بغير ثمن لو أنّ له وعاء » أي يكيل العلوم الجمّة بلا عوض إلاّ أنّه لا يصادف واعيا ،

و قيل « وي » كلمة مفردة ، و لامّة مفردة ، و هي كلمة تفجّع و تعجّب و حذفت الهمزة من امّة تخفيفا و ألقيت حركتها على اللام و ينصب ما بعدها على التمييز . انتهى .

و « الحين » بالكسر ، الدهر أو وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر ،

و المعنى : لتعلمنّ ثمرة تكذيبكم و إعراضكم عمّا أبيّن لكم ، إنّي صادق فيما أقول . 240

72 و من خطبة له عليه السلام علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى اللّه عليه و آله و فيها بيان صفات اللّه سبحانه و صفة النبي و الدعاء له

القسم الأول صفات اللّه

اللّهمّ داحي المدحوّات (644) ، و داعم المسموكات (645) ، و جابل القلوب (646) على فطرتها (647) : شقيّها و سعيدها .

القسم الثاني صفة النبي

اجعل شرائف (648) صلواتك ، و نوامي (649) بركاتك ، على محمّد

----

(240) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 690 ، ط كمپاني و ص 639 ، ط تبريز .

[202]

عبدك و رسولك الخاتم (650) لما سبق ، و الفاتح لما انغلق (651) ،

و المعلن الحقّ بالحقّ ، و الدّافع جيشات الأباطيل (652) ، و الدّامغ صولات الأضاليل (653) ، كما حمّل فاضطلع (654) ، قائما بأمرك ،

مستوفزا (655) في مرضاتك ، و غير ناكل (656) عن قدم (657) ، و لا واه (658) في عزم ، واعيا (659) لوحيك ، حافظا لعهدك ، ماضيا على نفاذ أمرك ،

حتّى أورى قبس القابس (660) ، و أضاء الطّريق للخابط (661) ، و هديت به القلوب بعد خوضات (662) الفتن و الآثام ، و أقام بموضحات الأعلام (663) ، و نيّرات الأحكام ، فهو أمينك المأمون ، و خازن علمك المخزون (624) ، و شهيدك (665) يوم الدّين ، و بعيثك (666) بالحقّ ،

و رسولك إلى الخلق .

القسم الثالث الدعاء للنبي

اللّهمّ افسح له مفسحا في ظلّك (667) ، و اجزه مضاعفات الخير (668) من فضلك . اللّهمّ و أعل على بناء البانين بناءه ، و أكرم لديك منزلته ،

و أتمم له نوره ، و اجزه من ابتعاثك له مقبول الشّهادة ، مرضيّ المقالة ، ذا منطق عدل ، و خطبة فصل . اللّهمّ اجمع بيننا و بينه في برد العيش و قرار النّعمة (669) ، و منى الشّهوات (670) ، و أهواء اللّذّات ،

و رخاء الدّعاء (671) ، و منتهى الطّمأنينة ، و تحف الكرامة (672) .

[203]

تبيين

« الختام لما سبق » أي الوحي و الرسالة . و « الفاتح لما انغلق » يقال :

« انغلق و استغلق » إذا عسر فتحه ، أي فتح ما انغلق و أبهم على الناس من مسائل الدين و التوحيد و الشرائع ، و السبيل إلى اللّه تعالى . و « المعلن الحقّ بالحقّ » أي مظهر الدين بالمعجزات ، أو بالحرب و الخصومة ، يقال : « حاق فلانا فحقه » أي خاصمه فغلبه ، أو بالبيان الواضح ، أو بعضه ببعض ، فإنّ بالأصول تظهر الفروع ، أو بمعونة الحقّ تعالى . و « الجيشات » جمع « جيشة » من « جاشت القدر » إذا ارتفع غليانها .

و « الأباطيل » جمع « باطل » على غير قياس ، أي دافع ثوران الباطل و فتن المشركين و ما كانت عادة لهم من الغارات و الحروب . و « الدامغ » المهلك ، من « دمغه » إذا شجّه حتّى بلغ الدماغ ، و فيه الهلاك . و « الأضاليل » أيضا جمع « ضالّ » على غير قياس .

و « الصولة » الحملة و الوثبة و السطوة . قوله عليه السلام « كما حمل » الكاف للتعليل ، أي صلّ عليه لذلك أو للتشبيه ، أي صلاة تشبه و تناسب ما فعل . قوله « فاضطلع » أي قوى على حمله ، من الضلاعة ، و هي القوّة . قوله « مستوفزا » أي مستعجلا ، و « النكول » الرجوع . و « القدم » بالضمّ ، التقدّم و الإقدام ، أي لم يرجع عن التقدّم في الجهاد و غيره من امور الدين . و « الوهي » الضعف . و تقول : « وعيت الحديث » إذا حفظته و فهمته . و « مضى في الأمر » نفذ ، أي كان مصرّا في إنفاذ أمرك و إجرائه . و يقال : « ورى الزند » أي خزجت ناره ، و أوريته أنا . و « القبس » الشعلة و « القابس » الّذي يطلب النار ، و المراد بالقبس هنا نور الحقّ ، أي أشعل أنوار الدين حتّى ظهر الحقّ للمقتبسين . و قوله « للخابط » أي الّذي يخبط لولا ضوء نوره . قوله « بعد خوضات الفتن » . « خاض الماء » دخله ، أي بعد أن خاضوا في الفتن أطوارا .

و « الأعلام » جمع « علم » و هو ما يستدلّ به على الطريق من منار و جبل و نحوهما .

و « الموضوحات » يحتمل الفتح و الكسر كما لا يخفى . و « نيّرات الأحكام » أي الأحكام الواضحة الحقّة ، و « المأمون » تأكيد ، و المراد بالعلم المخزون الامور الّتي لا تتعلّق بالتكاليف لأنّها لا يخزن عن المكلّفين . قوله عليه السلام « و شهيدك » أي شاهدك على الخلق .

قوله « و بعيثك » أي مبعوثك بالدين الثابت . 241

----

(241) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 16 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلى اللّه عليه و آله ، ص 378 .

73 و من كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

قالوا : أخذ مروان بن الحكم أسيرا يوم الجمل ، فاستشفع (673) الحسن و الحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين ؟ عليه السلام ، فكلماه فيه ، فخلى سبيله ، فقالا له : يبايعك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام :

أو لم يبايعني بعد قتل عثمان ؟ لا حاجة لي في بيعته إنّها كفّ يهوديّة (674) ، لو بايعني بكفّه لغدر بسبّته (675) . أما إنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه ، و هو أبو الأكبش الأربعة (676) ، و ستلقى الأمّة منه و من ولده يوما أحمر

توضيح

« كف يهودية » أي من شأنها الغدر و المكر ، فإنّه من شأنهم . و « السبّة » الإست . و « الإمرة » بالكسر ، الولاية . و « كبش القوم » رئيسهم ، و التشبيه لمدّة ملكه بلعقة الكلب أنفه للتنبيه على قصر أمرها ، و كانت مدّة إمرته أربعة أشهر و عشرا ، و روي ستّة أشهر ، و « الأكبش الأربعة » أربعة ذكور لصلبه ، و هم عبد الملك و ولي الخلافة ، و عبد العزيز و ولي مصر ، و بشر و ولي العراق ، و محمّد و ولي الجزيرة ،

و يحتمل أن يريد بالأربعة أولاد عبد الملك ، و هم الوليد و سليمان و يزيد و هشام لعنهم اللّه ، و كلّهم ولي الخلافة و لم يلها أربعة إخوة إلاّ هم . و « اليوم الأحمر » كناية عن شدّته ، و من لسان العرب وصف الأمر الشديد بالأحمر ، و لعلّه لكون الحمرة وصف الدم كنّي به عن القتل ، و يروى : موتا أحمر . 242

----

(242) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 41 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 355 .

[205]

[هذا بيان آخر في شرح الكلام :] إيضاح

الحكم بن أبي العاص أبو مروان هو الّذي طرده رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و آواه عثمان كما مر . و الضمير في « إنّها » يعود إلى الكفّ المفهوم من البيعة لجريان العادة بأن يضع المبايع كفّه في كفّ المبتاع ، و النسبة إلى اليهود لشيوع الغدر فيهم . و « السبّة » بالفتح ، الإست ، أي لو بايع في الظاهر لغدر في الباطن ، و ذكر السبّة إهانة له . و « الإمرة » بالكسر ، مصدر كالإمارة ، و قيل : اسم . و « لعقه » كسمعه لحسه ، و الغرض قصر مدّة إمارته ، و كانت تسعة أشهر ، و قيل : ستّة أشهر ، و قيل : أربعة أشهر و عشرة أيّام . و « الكبش » بالفتح ، الحمل إذا خرجت رباعيّته ، و « كبش القوم » رئيسهم . و فسّر الأكثر الأكبش ببني عبد الملك : الوليد و سليمان و يزيد و هشام ، و لم يل الخلافة من بني أميّة و لا من غيرهم أربعة إخوة إلا هؤلاء و قيل هم بنومروان لصلبه :

عبد الملك الّذي ولي الخلافة ، و عبد العزيز الّذي ولي مصر ، و بشر الّذي ولي العراق ،

و محمّد الّذي ولي الجزيرة ، و لكلّ منهم آثار مشهورة . و « الولد » بالتحريك ، مفرد و جمع .

و « اليوم الأحمر » الشديد ، و في بعض النسخ : « موتا أحمر » و هو كناية عن القتل . 243

74 و من خطبة له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان

لقد علمتم أنّي أحقّ النّاس بها من غيري ، و و اللّه لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ، و لم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصّة ، التماسا لأجر ذلك و فضله ، و زهدا فيما تنافستموه من زخرفه و زبرجه (677)

بيان

قوله عليه السلام « أنّي أحقّ بها » أي بالخلافة ، و التفضيل كما في

----

(243) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 443 ، ط كمپاني و ص 412 ، ط تبريز .

[206]

قوله تعالى : قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ 244 . و « اجور عليه عليه السلام خاصّة » غصب حقّه ، و فيه دلالة على أنّ خلافة غيره جور مطلقا . و التسليم على التقدير المفروض و هو سلامة امور المسلمين و إن لم يتحقّق الفرض لرعاية مصالح الإسلام و التقيّة . و « التماسا » مفعولا له للتسليم . و « التنافس » الرغبة في النفيس المرغوب للانفراد به . و « الزخرف » بالضمّ ، الذهب و كمال حسن الشيء . و « الزبرج » بالكسر ،

الزينة . 245

75 و من كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان

أو لم ينه بني أميّة علمها بي عن قرفي (678) ؟ أو ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي و لما وعظهم اللّه به أبلغ من لساني . أنا حجيج المارقين (679) ، و خصيم النّاكثين المرتابين (680) ، و على كتاب اللّه تعرض الأمثال (681) ، و بما في الصّدور تجازى العباد

توضيح

« قرفه » كضربه أي اتّهمه . و « وزعه عنه » صرفه و كفّه .

و « السّابقة » الفضيلة و التقدّم ، و المراد باللسان القول . و « الحجيج » المغالب بإظهار الحجّة . و « المارقون » الخارجون من الدين . و « الخصيم » المخاصم . و « المرتابون » الشاكّون في الدين أو في إمامته أو في كلّ حقّ . و « المحاجّة » المخاصمة إمّا في الدنيا أو فيها و في الآخرة .

و قال بعض الشارحين [246] للنهج : روي عن النبيّ صلى اللّه عليه و آله أنّه

----

(244) الفرقان : 15 .

----

(245) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 178 ، ط كمپاني و ص 171 ، ط تبريز .

[246] المراد من « بعض الشارحين » هو ابن أبي الحديد في شرحه للنهج ، ج 6 ، ص 170 ، ط بيروت .

[207]

سئل عن قوله تعالى : هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ 247 فقال : عليّ و حمزة و عبيدة و عتبة و شيبة و الوليد . . . إلى آخر ما مرّ في الأخبار الكثيرة في و غزوة بدر .

قال : و كان عليّ عليه السلام يكثر من قوله « أنا حجيج المارقين » ، و يشير إلى هذا المعنى ، و أشار إلى ذلك بقوله « على كتاب اللّه تعرض الأمثال » يريد قوله [تعالى] : هَذَانِ خَصْمَانِ . . . الآية .

و قال بعضهم : لمّا كان في أقواله و أفعاله عليه السلام ما يشبه الأمر بالقتل أو فعله فأوقع في نفوس الجهّال شبهة القتل نحو ما روي عنه عليه السلام : اللّه قتله و أنامعه » ، و كتخلّفه في داره عن الخروج يوم قتل ، فقال : ينبغي أن يعرض ذلك على كتاب اللّه ، فإن دلّ على كون شيء من ذلك قتلا فليحكم به و إلاّ فلا .

و يحتمل أن يراد بالأمثال الحجج أو الأحاديث كما ذكرها في القاموس ، أي ما أحتجّ به في مخاصمة المارقين و المرتابين ما يختصمون به في مخاصمتي ينبغي عرضها على كتاب اللّه حتّى يظهر صحتهما أو فسادهما ، أو ما يسندون إليّ في أمر عثمان و ما يروى في أمري و أمر عثمان يعرض على كتاب اللّه .

و « بما في الصدور » اي بالنيّات و العقائد ، أو بما يعلمه اللّه من مكنون الضمائر لا على وفق ما يظهره المتخاصمان عند الاحتجاج يجازي اللّه العباد . 248

76 و من الخطبة له عليه السلام في الحث على العمل الصالح

رحم اللّه امرا سمع حكما (682) فوعى (683) ، و دعي إلى رشاد فدنا (684) ،

و أخذ بحجزة (685) هاد فنجا . راقب ربّه ، و خاف ذنبه ، قدّم خالصا ،

----

(247) الحجّ : 19 .

----

(248) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 376 ، ط كمپاني و ص 354 ، ط تبريز .

[208]

و عمل صالحا . اكتسب مذخورا (686) ، و اجتنب محذورا ، و رمى غرضا و أحرز عوضا . كابر هواه (687) ، و كذّب مناه . جعل الصّبر مطيّة نجاته ، و التّقوى عدّة وفاته . ركب الطّريقة الغرّاء (688) ، و لزم المحجّة (689) البيضاء . اغتنم المهل (690) ، و بادر الأجل ، و تزوّد من العمل .

توضيح

« سمع حكما » بالضم ، أي حكمة و علما نافعا . « فوعى » أي حفظ علما و عملا ، و « الرشاد » الصلاح و هو خلاف الغيّ و الضلال ، و هو إصابة الصواب .

و « رشد » كتعب و قتل و الاسم « الرشاد » كذا في المصباح . « فدنا » أي من الداعي أو الحقّ . و « الحجزة » بالضمّ ، موضوع شدّ الإزار ثمّ قيل للإزار : « حجزة » للمجاورة ، و الأخذ بالحجرة مستعار للاعتصام و الالتجاء و التمسّك بأحد . « فنجا » أي خلص من الضلالة و عواقبها . و « المراقبة » الترصّد و المحافظة ، و « مراقبة الربّ » الترصّد لأمره و العمل به و الإقبال بالقلب إليه .

« قدّم خالصا » أي عملا خالصا للّه لم يشبه رئاء و لا سمعة ، و « تقديمه » فعله قبل أن يخرج الأمر من يده و بعثه إلى دار الجزاء قبل الوصول إليه . و « الاكتساب » الكسب . و « المذخور » الشيء النفيس المعدّ لوقت الحاجة إليه ، و هو الإعمال الصالحة .

و « المحذور » ما يحترز منه من سيّئات الأعمال و الأخلاق . و « الغرض » الهدف و المراد رميه إصابة الحقّ كمن رمى الغرض في المراماة ففاز بالسبق ، و هو المراد باحراز العوض أي الفوز بالثواب ، و قيل : المراد به أن يقصد بفعله غرضا صحيحا . 249

77 و من كلام له عليه السلام و ذلك حين منعه سعيد بن العاص حقه

----

(249) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 99 ، كتاب الإيمان و الكفر ، ص 310 .

[209]

إنّ بني أميّة ليفوّقونني تراث محمّد صلّى اللّه عليه و آله تفويقا ،

و اللّه لئن بقيت لهم لأنفضنّهم نفض اللّحّام الوذام التّربة قال الشريف : و يروى « التراب الوذمة » ، و هو على القلب (691) . قال الشريف : و قوله عليه السلام « ليفوّقونني » أي : يعطونني من المال قليلا كفواق الناقة ، و هو الحلبة الواحدة من لبنها . و الوذام : جمع و ذمة ، و هي الحزّة (692) من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفض .

بيان

« الحزّة » بالضمّ ، هي القطعة من اللحم و غيره ، و قيل : خاصّة بالكبد ،

و قيل : قطعة من اللحم قطعت طولا . و « الكرش » ككتف كما في النسخ و بالكسر ، لكلّ مجتر بمنزلة المعدة للإنسان ، و هي مؤنّثة . و « نفض الثّوب و غيره » تحريكه ليسقط منه التراب و غيره .

و قال ابن الأثير في النهاية : « التّراب » جمع « ترب » تخفيف « ترب » يريد اللحوم الّتي تعفّرت بسقوطها في التراب . و « الوذمة » المنقطعة الأوذام ، و هي السيور الّتي يشدّبها عرى الدلو . قال الأصمعيّ : سألت شعبة عن هذا الحرف فقال : ليس هو هكذا ،

إنّما هو « نفض القصّاب الوذام التربة » و هي الّتي قد سقطت في التراب . و قيل :

الكروش كلّها تسمّى تربة ، لأنّها يحصل فيها التراب من المرتع . و « الوذمة » الّتي أخمل باطنها ، و الكروش و ذمة لأنّها مخملة ، و يقال : أخملها الوذم . و معنى الحديث : لئن وليتهم لأطهّرنّهم من الدنس ، و لأطيّبنّهم من [بعد] الخبث : و قيل : أراد بالقصاب السبع ،

و التراب أصل ذراع الشاة ، و السبع إذا أخذ الشّاة قبض على ذلك المكان ثم نفضها .

انتهى .

و الظاهر أنّ المراد من النفض منعهم من غضب الأموال و أخذ ما في أيديهم من الأموال المغصوبة و دفع بغيهم و ظلمهم و مجازاتهم بسيّئات أعمالهم .

و قال ابن أبي الحديد 250 : اعلم أنّ أصل هذا الخبر قد رواه أبو الفرج الإصفهانيّ في كتاب الأغاني بإسناد رفعه إلى الحرب بن حبيش ، قال : بعثني سعيد بن

----

(250) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 6 ، ص 174 ، ط بيروت .

العاص و هو يومئذ أمير الكوفة من قبل عثمان بهدايا إلى أهل المدينة و بعث معي هدية إلى عليّ عليه السلام و كتب إليه : إنّي لم أبعث إلى أحد أكثر ممّا بعثت به إليك إلاّ أمير المؤمنين . فلمّا أتيت عليّا عليه السلام و قرأ كتابه ، قال : لشدّما تخطر 251 عليّ بنو أميّة تراث محمّد صلى اللّه عليه و آله أما و اللّه لئن ولّيتها لأنفضها نفض القصاب التراب الوذمة .

قال أبو الفرج : و هذا خطأ ، و إنّما هو الوذام التربة .

قال : و حدّثني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن عمر بن شبة بإسناد ذكره في الكتاب : أنّ سعيد بن العاص حيث كان أمير الكوفة بعث مع ابن أبي عايشة مولاه إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام بصلة ، فقال عليّ عليه السلام : و اللّه لا يزال غلام من غلمان بني أميّة يبعث إلينا ممّا أفاء اللّه على رسوله بمثل قوت الأرملة ،

و اللّه لئن بقيت لأنفضنّها كما ينفض القصّاب التراب الوذمة . 252

78 و من دعاء له عليه السلام من كلمات كان ، عليه السلام ، يدعو بها

اللّهمّ اغفر لي ما أنت أعلم به منّي ، فإن عدت فعد عليّ بالمغفرة .

اللّهمّ اغفر لي ما و أيت (693) من نفسي ، و لم تجد له وفاء عندي .

اللّهمّ اغفر لي ما تقرّبت به إليك بلساني ، ثمّ خالفه قلبي . اللّهمّ اغفر لي رمزات الألحاظ (694) ، و سقطات الألفاظ (695) ، و شهوات الجنان (696) ، و هفوات اللّسان (697) .

----

(251) في المصدر . يحظر .

----

(252) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 371 ، ط كمپاني و ص 349 ، ط تبريز .

79 و من كلام له عليه السلام قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج ، و قد قال له : ان سرت يا أمير المؤمنين ، في هذا الوقت ، خشيت ألا تظفر بمرادك ، من طريق علم النجوم فقال عليه السلام

أتزعم أنّك تهدي إلى السّاعة الّتي من سار فيها صرف عنه السّوء ؟

و تخوّف من السّاعة الّتي من سار فيها حاق به الضّرّ (698) ؟ فمن صدّقك بهذا فقد كذّب القرآن ، و استغنى عن الاستعانة باللّه في نيل المحبوب و دفع المكروه ، و تبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربّه ، لأنّك بزعمك أنت هديته إلى السّاعة الّتي نال فيها النّفع ، و أمن الضّرّ ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال :

أيّها النّاس ، إيّاكم و تعلّم النّجوم ، إلاّ ما يهتدى به في برّ أو بحر ، فإنها تدعو إلى الكهانة ، و المنجم كالكاهن (699) ، و الكاهن كالسّاحر ، و السّاحر كالكافر و الكافر في النّار سيروا على اسم اللّه .

بيان

« فمن صدّقك بهذا » كأنّه أسقط السيّد [رحمه اللّه] من الرواية شيئا كما هو دأبه ، و قد مرّ تمامه . و على ما تقدم هذا إشارة إلى علم ما في بطن الدابّة ، و إن لم يكن سقط هنا شيء فيحتمل أن يكون إشارة إلى دعواه علم الساعتين المنافي لقوله عزّ و جلّ : وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً 253 و لقوله سبحانه : قُلْ

----

(253) لقمان : 34 .

[212]

لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرضِ الْغَيْبَ إِ اللَّهُ 254 و قوله جلّ و علا : وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ 255 و ما أفاد مثل هذا المعنى ، و يمكن حمل الكلام على وجه آخر و هو أنّ قول المنجّم بأنّ صرف السوء و نزول الضر تابع للساعة ، سواء قال بأنّ الأوضاع العلويّة مؤثرة تامّة في السفليّات و لا يجوز تخلّف الآثار عنها ، أو قال بأنها مؤثّرات ناقصة و لكن باقي المؤثّرات امور لا يتطرّق إليها التغير ، أو قال بأنّها علامات تدلّ على وقوع الحوادث حتما فهو مخالف لما ثبت من الدين من أنّه سبحانه يمحو ما يشاء و يثبت ،

و أنّه يقبض و يبسط و يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و لم يفرغ من الأمر ، و هو تعالى كلّ يوم في شأن ، و الظاهر من أحوال المنجّمين السابقين و كلماتهم ، جلّهم بل كلّهم ،

أنّهم لا يقولون بالتخلّف و قوعا أو إمكانا ، فيكون تصديقهم مخالفا لتصديق القرآن و ما علم من الدين و الإيمان من هذا الوجه ، و لو كان منهم من يقول بجواز التخلّف و وقوعه بقدرة اللّه و اختياره ، و إنّه تزول نحوسة الساعات بالتوكّل و الدعاء و التوسّل و التصدّق ،

و ينقلب السعد نحسا و النحس سعدا ، بأنّ الحوادث لا يعلم و قوعها إلاّ إذا علم أنّ اللّه سبحانه لم تتعلّق حكمته بتبديل أحكامها كان كلامه عليه السلام مخصوصا بمن لم يكن كذلك ، فالمراد بقوله « صرف عنه السوء و حاق به الضر » أي حتما . قوله عليه السلام « في قولك » أي على قولك ، أو بسبب قولك ، أو هي للظرفيّة المجازيّة .

« إلاّ ما يهتدى به » إشارة إلى قوله سبحانه وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لَتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ 256 . و « الكهانة » بالفتح ، مصدر قولك « كهن » بالضم ، أي صار كاهنا ، و يقال : « كهن يكهن كهانة » مثل كتب يكتب كتابة ، إذا تكهّن . و الحرفة الكهانة بالكسر ، و هي عمل يوجب طاعة بعض الجانّ به بحيث يأتيه بالأخبار الغائبة ، و هو قريب من السحر . قيل : قد كان في العرب كهنة كشقّ و سطيح و غيرهما ، فمنهم من يزعم أنّ له تابعا من الجنّ و رئيّا يلقي إليه الأخبار ، و منهم من كان يزعم أنّه يعرف الأمور بمقدّمات و أسباب يستدلّ بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله و هذا يخصّونه باسم العراف ، كالّذي يدّعي معرفة الشيء المسروق و مكان

----

(254) النمل : 65 .

----

(255) الأنعام : 59 .

----

(256) الأنعام : 97 .

[213]

الضالة و نحوهما . و دعوة علم النجوم إلى الكهانة إمّا لأنّه ينجرّ أمر المنجم إلى الرغبة في تعلّم الكهانة و التكسّب به ، أو ادّعاء ما يدّعيه الكاهن . و السحر قيل : هو كلام أو كتابة أو رقية أو أقسام و عزائم و نحوها يحدث بسببها ضرر على الغير و منه عقد الرجل عن زوجته ، و إلقاء البغضاء بين الناس ، و منه استخدام الملائكة و الجنّ و استنزال الشياطين في كشف الغائبات و علاج المصاب ، و استحضارهم و تلبسهم ببدن صبيّ أو امرأة و كشف الغائب على لسانه . [انتهى] . و الظاهر أنه لا يختصّ بالضرر ، و سيأتي بعض تحقيقه في باب هاروت و ماروت و تمام تحقيقه في باب الكبائر . و وجه الشبه في تشبيه المنجّم بالكاهن إمّا الاشتراك في الإخبار عن الغائبات ، أو في الكذب و الاخبار بالظنّ و التخمين و الاستناد إلى الأمارات الضعيفة و المناسبات السخيفة ، أو في العدول و الانحراف عن سبيل الحقّ و التمسّك في نيل المطالب و درك المآرب بأسباب خارجة عن حدود الشريعة و صدّهم عن التوسّل إلى اللّه تعالى بالدعاء و الصدقة و سائر أصناف الطاعة ، أو في البعد عن المغفرة و الرحمة . و يجري بعض هذه الوجوه في التشبيهين الأخيرين ، و المشبّه به في التشبيهات أقوى ، و نتيجة الجميع دخول النار .

و يمكن أن يكون قوله « و الكافر في النار » إشارة إلى وجه الشبه و إن كان بعيدا ، و المراد إمّا الخلود أو الدخول و الأخير أظهر و إن كان يحقّقه في الكافر في ضمن الخلود .

و قال ابن ميثم 257 رحمه اللّه في شرح هذا الكلام منه عليه السلام اعلم أنّ الّذي يلوح من سرّ نهي الحكمة النبويّة عن تعلّم 258 النجوم أمران :

أحدهما اشتغال متعلّميها 259 بها و اعتماد كثير من الخلق السامعين لأحكامها فيما يرجون و يخافون عليه فيما يسنده إلى الكواكب و الأوقات و الاشتغال بالفزع إليه و إلى ملاحظة الكواكب عن الفزع إلى اللّه تعالى و الغفلة عن الرجوع إليه فيما يهمّ من الأحوال و قد علمت أنّ ذلك يضادّ مطلوب الشارع ، إذ كان غرضه ليس إلاّ دوام

----

(257) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 216 220 ، ط بيروت .

----

(258) في (خ) : تعليم .

----

(259) في (خ) : متعلّمها .

[214]

التفاوت الخلق إلى اللّه و تذكرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم إليه .

الثاني أنّ الأحكام النجوميّة إخبارات عن أمور ، و هي تشبه الاطلاع على الأمور الغيبيّة ، و أكثر الخلق من العوام أو النساء و الصبيان لا يميّزون بينها و بين علم الغيب و الإخبار به ، فكان تعلّم تلك الأحكام و الحكم بها سببا لضلال كثير من الخلق و موهنا لاعتقاداتهم في المعجزات ، إذ الإخبار عن الكائنات منها ، و كذا في عظمة بارئهم و يشككهم في عموم صدق قوله تعالى : قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ 260] و قوله تعالى : [وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ 261 و قوله [تعالى :] إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ الآية 262 . فالمنجّم إذا حكم لنفسه بأنّه يصيب كذا فقد

ادّعى أنّ نفسه تعلم ما تكسب غدا و بأي أرض تموت ، و ذلك عين التكذيب للقرآن و كأنّ هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانة و السحر و العزائم و نحوها . و أمّا مطابقة لسان الشريعة للعقل في تكذيب هذه الأحكام فبيانها أنّ أهل النظر إمّا متكلّمون فإمّا معتزلة أو أشعريّة .

أما المعتزلة فاعتمادهم في تكذيب المنجّم على أحد الأمرين : أحدهما أنّ الشريعة كذّبته و عندهم أنّ كلّ حكم شرعي فيشتمل على وجه عقليّ و إن لم يعلم عين ذلك الوجه ، و الثاني مناقشة في ضبطه لأسباب ما أخبر عنه من كون أو فساد .

و أمّا الأشعريّة فهم و إن قالوا لا مؤثّر في الوجود إلاّ الله تعالى و زعم بعضهم أنّهم خلصوا بذلك من إسناد التأثيرات إلى الكواكب ، إلاّ أنّه لا مانع على مذهبهم أن يجعل الله تعالى اتّصال نجم بنجم أو حركته علامة على كون كائن أو فساده ، و ذلك ممّا لا يبطل على المنجّم قاعدة ، فيرجعون أيضا إلى بيان عدم إحاطته بأسباب كون ما أخبر عنه و مناقشته في ذلك .

و أمّا الحكماء فاعلم أنّه قد ثبت في أصولهم أنّ كلّ كائن فاسد في هذا العالم فلا بدّ له من أسباب أربعة : فاعلي و مادّيّ و صوريّ و غائيّ . أمّا السبب الفاعليّ القريب فالحركات السماويّة و الّذي هو أسبق منها فالمحرّك لها إلى أن ينتهي إلى الجود

----

(260) النمل : 65 .

----

(261) الأنعام : 59 .

----

(262) لقمان : 34 .

الإلهيّ المعطي لكلّ قابل ما يستحقّ ، و أمّا سببه المادّيّ فهو القابل لصورته ، و تنتهي القوابل إلى القابل الأوّل و هو مادّة العناصر المشتركة بينها ، و أمّا الصوريّ فصورته الّتي تقبلها مادّته ، و أمّا الغائيّ فهي الّتي لأجلها وجد . أمّا الحركات السماويّة فانّ من الكائنات ما يحتاج في كونه إلى دورة واحدة للفلك ، و منها ما يحتاج إلى بعض دورة ، و منها ما يحتاج إلى جملة من أدواره و اتّصالاته . و أمّا القوابل للكائنات فقد تقرّر عندهم أيضا أنّ قبولها لكلّ كائن معيّن مشروط باستعداد معيّن له ، و ذلك الاستعداد يكون بحصول صورة سابقة عليه ، و هكذا قبل كلّ [صورة] صورة معدّة لحصول الصورة بعدها و كلّ صورة منها أيضا يستند إلى الاتصالات و الحركات الفلكيّة ، و لكلّ استعداد معيّن زمان معيّن و حركة معيّنة و اتّصال معيّن يخصّه لا يفي بدركها القوّة البشرية .

إذا عرفت ذلك فنقول : الأحكام النجوميّة إمّا أن تكون جزئيّة أو كلّية .

أمّا الجزئية فأن يحكم مثلا بأنّ هذا الانسان يكون من حاله كذا و كذا ،

و ظاهر أنّ مثل هذا الحكم لا سبيل له إلى معرفته إذ العلم به إنما هو من جهة أسبابه ، أمّا الفاعليّة فأن يعلم أنّ الدورة المعيّنة أو الاتّصال المعيّن سبب الملك هذا الرجل البلد المعيّن مثلا و أنه لا سبب فاعليّ لذلك الاّ هو ، و الأوّل باطل لجواز أن يكون السبب غير ذلك الاتّصال أو هو مع غيره ، أقصى ما في الباب أن يقال : إنّما كانت هذه الدورة و هذا الاتّصال سببا لهذا الكائن لأنّها كانت سببا لمثله في الوقت الفلانيّ ، لكن هذا أيضا باطل لأنّ كونها سببا للكائن السابق لا يجب أن يكون لكونها مطلقا دورة و اتصالا ، بل لعلّه أن يكون لخصوصيّة كونها تلك المعيّنة الّتي لا تعود بعينها فيما بعد ، و حينئذ لا يمكن الاستدلال بحصولها على كون حادث لأنّ المؤثّرات المختلفة لا يجب تشابه آثارها ، و الثاني أيضا باطل لأن العقل يجزم بانّه لا اطلاع له على أنّه لا مقتضي لذلك الكائن من الأسباب الفاعلة إلا الاتّصال المعيّن ، و كيف و قد ثبت أنّ من الكائنات و ما يفتقر إلى أكثر من اتّصال واحد و دورة واحدة أو أقلّ . و أمّا القابليّة فأن يعلم أنّ المادّة قد استعدّت لقبول مثل هذا الكائن و استجمعت جميع شرائط قبوله الزمانيّة و المكانيّة و السماويّة و الأرضيّة ، و ظاهر أنّ الإحاطة بذلك غير ممكنة للانسان .

و أمّا أحكامهم الكلّية فكان [كما] يقال كلّما حصلت الدورة الفلانيّة كان كذا ، فالمنجّم إنّما يحكم بذلك الحكم عن جزئيّات من الدورات تشابهت آثارها فظنّها متكرّرة ، و لذلك يعدلون إذا حقّق القول عليهم إلى دعوى التجربة ، و قد علمت أنّ التجربة تعود إلى تكرّر مشاهدات يضبطها الحسّ و العقل يحصل منها حكما كلّيا كحكمه بأنّ كلّ نار محرقة ، فإنّه لمّا أمكن للعقل استثبات الإحراق بواسطة الحسّ أمكنه الجزم الكلّي بذلك .

فأمّا التشكّلات الفلكيّة و الاتّصالات الكوكبيّة المقتضية لكون ما يكون ،

فليس شيء منها يعود بعينه كما علمت و إن جاز أن يكون تشكّلات و عودات متقاربة الأحوال و متشابهة إلاّ أنّه لا يمكن للانسان ضبطها و لا الاطّلاع على مقدار ما بينها من المشابهة و التفاوت ، و ذلك أنّ حساب المنجم مبنيّ على قسمة الزمان بالشهور و الأيّام و الساعات و الدرج و الدقائق و أجزائها و تقسيم الحركة بإزائها و رفع بينهما نسبة عدديّة ،

و كلّ هذه أمور غير حقيقيّة و إنّما تؤخذ على سبيل التقريب ، أقصى ما في الباب أنّ التفاوت فيها لا يظهر في المدد المتقاربة ، لكنّه يشبه أن يظهر في المدد المتباعدة ، و مع ظهور التفاوت في الأسباب كيف يمكن دعوى التجربة و حصول العلم الكلّي الثابت الّذي لا يتغيّر باستمرار أثرها على و تيرة واحدة ؟

ثمّ لو سلّمنا أنّه لا يظهر تفاوت أصلا إلاّ أنّ العلم بعودتلك الدورة لا يقتضي بمجرّده العلم بعود الأثر السابق لتوقّف العلم بذلك على عود أمثال الأسباب الباقية للأثر السابق من الاستعداد و سائر أسبابه العلويّة و السفليّة ، و على ضبطها فإنّ العلم التجربيّ إنّما يحصل بعد حصرها ليعلم عودها و تكرّرها ، و كل ذلك ممّا لا سبيل للقوة البشريّة إلى ضبطه ، فكيف يمكن دعوى التجربة ؟

ثمّ قال : و اعلم أنّ الّذي ذكرناه ليس إلاّ بيان أنّ الاصول الّتي يبني عليها الأحكاميّون أحكامهم و ما يخبرون به في المستقبل أصول غير موثوق بها ، فلا يجوز الاعتماد عليها في تلك الأحكام و الجزم بها ، و هذا الاينا في كون تلك القواعد ممهّدة بالتقريب ،

كفسمة الزمان و حركة الفلك و السنة و الشهر و اليوم مأخوذا عنها حساب يبني عليه

[217]

مصالح إما دينيّة كمعرفة أوقات العبادات كالصوم و الحجّ و نحوهما أو دنيويّة كآجال المداينات و سائر المعاملات و كمعرفة الفصول الأربعة ليعمل في كلّ منها ما يليق به من الحراثة و السفر و أسباب المعاش ، و كذلك معرفة قوانين تقريبيّة من أوضاع الكواكب و حركاتها يهتدي بقصدها و على سمتها المسافرون في برّ أو بحر ، فإنّ ذلك القدر منها غير محرّم ، بل لعلّه من الأمور المستحبّة لخلو المصالح المذكورة فيه عن وجوه المفاسد الّتي تشتمل عليها الأحكام كما سبق ، و لذلك امتنّ اللّه تعالى على عباده بخلق الكواكب في قوله : هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ 263 و قوله لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ 264 أقول : و روى ابن أبي الحديد هذه الرواية [بوجه آخر] أبسط ممّا أورده السيّد رحمه اللّه نقلا من كتاب صفّين لابن ديزيل مرسلا ، قال : عزم عليّ عليه السلام على الخروج من الكوفة إلى الحروريّة و كان في أصحابه منجّم ، فقال له :

يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة و سر على ثلاث ساعات مضين من النهار ، فإنّك إن سرت في هذه الساعة أصابك و أصحابك أذى و ضر شديد ، و إن سرت في الساعة الّتي أمرتك بها ظفرت و ظفرت و أصبت ما طلبت .

فقال له عليّ عليه السلام : أتدري ما في بطن فرسي هذا أذكر أم أنثي ؟

قال : إن حسبت علمت .

فقال عليه السلام : فمن صدّقك بهذا فقد كذّب بالقرآن ، قال اللّه تعالى : إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ الاية 265 .

ثمّ قال عليه السلام : إنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله ما كان يدّعي علم ما ادّعيت علمه ، أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة الّتي يصيب النفع من سارفيها ،

و تصرف عن الساعة الّتي يحيق السوء بمن سار فيها ؟ فمن صدّقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة باللّه جلّ و عزّ في صرف المكروه عنه ، و ينبغي للموقن بأمرك أن يولّيك الحمد دون اللّه جلّ جلاله لأنّك بزعمك هديته إلى الساعة الّتي يصيب النفع من

----

(263) الأنعام : 97 .

----

(264) يونس : 5 .

----

(265) لقمان : 34 .

[218]

سارفيها و صرفته عن الساعة الّتي يحيق السوء بمن سارفيها ، فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتّخذ من دون اللّه ضدّا و ندّا . اللّهمّ لا طير إلاّ طيرك ، و لا ضير إلاّ ضيرك ، و لا إله غيرك .

ثمّ قال : بل نخالف و نسير في الساعة الّتي نهيتنا .

ثمّ أقبل على الناس فقال : أيّها الناس إيّاكم و التعلّم للنجوم إلاّ ما يهتدى به في ظلمات البرّ و البحر ، إنّما المنجّم كالكاهن ، و الكاهن كالكافر ، و الكافر في النار .

أما و اللّه إن بلغني أنّك تعمل بالنجوم لأخلّدنّك السجن أبدا ما بقيت ، و لأحرّمنّك العطاء ما كان لي سلطان .

ثمّ سار في الساعة الّتي نهاه عنه المنجّم فظفر بأهل النهر ، و ظهر عليهم ثمّ قال :

لو سرنا في الساعة الّتي أمرنا بها المنجّم لقال الناس : سار في الساعة الّتي أمر بها المنجّم و ظفر و ظهر . أما إنّه ما كان لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله منجّم و لا لنا من بعده حتّى فتح اللّه علينا بلاد كسرى و قيصر . أيّها الناس توكّلوا على اللّه و ثقوا به ، فإنّه يكفي ممّن سواه . 266 و أقول : قال السيّد الجليل عليّ بن طاووس رحمه اللّه في كتاب النجوم بعد ما أورد هذه الرواية نقلا من النهج : إنّني رأيت فيما وقفت عليه في كتاب عيون الجواهر تأليف أبي جعفر محمّد بن بابويه رحمه اللّه حديث المنجّم الّذي عرض لمولانا عليّ عليه السلام عند مسيره إلى النهروان مسندا عن محمّد بن عليّ ماجيلويه ، عن عمّه محمّد بن أبي القاسم ، عن محمّد بن عليّ القرشيّ ، عن نصر بن مزاحم المقري ، عن عمر ابن سعد ، عن يوسف بن يزيد ، عن عبد اللّه بن عوف بن الأحمر ، قال :

« لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى النهروان أتاه منجّم . . . » ثمّ ذكر حديثه .

فأقول : إنّ في هذا الحديث عدّة رجال لا يعمل علماء أهل البيت عليهم السلام على روايتهم ، و يمنع من يجوّز العمل بأخبار الآحاد من العمل بأخبارهم و

----

(266) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 2 ، ص 269 270 ، ط بيروت .

[219]

شهادتهم ، و فيهم عمر بن سعد ابن أبي وقّاص مقاتل الحسين عليه السلام ، فإنّ أخباره و رواياته مهجورة و لا يلتفت عارف بحاله إلى ما يرويه أو يسند إليه ، ثمّ طعن في الرواية بأنّها لو كانت صحيحة لكان عليه السلام قد حكم في هذا على صاحبه الّذي قد شهد مصنّف نهج البلاغة أنّه من أصحابه أيضا بأحكام الكفّار ، إمّا بكونه مرتدّا عن الفطرة فيقتله في الحال ، أو بردّة عن غير الفطرة فيتوبه ، أو يمتنع من التوبة فيقتل لأنّ الرواية قد تضمّنت أنّ المنجّم كالكافر . أو كان يجري عليه أحكام الكهنة أو السحرة لأنّ الرواية تضمّنت أنّه كالكاهن و الساحر .

و ما عرفنا إلى وقتنا هذا أنّه حكم على هذا المنجّم أحكام الكفّار و لا السحرة و لا الكهنة و لا أبعده و لا عزّره ، بل قال : سيروا على اسم اللّه . و المنجّم من جملتهم لأنّه صاحبه ، و هذا يدلّك على تباعد الرواية من صحّة النقل ، أو يكون لها تأويل غير ظاهرها موافق للعقل .

ثمّ قال : و ممّا نذكره من التنبيه على بطلان ظاهر الرواية بتحريم علم النجوم قول الرواي فيها « إنّ من صدّقك فقد كذّب القرآن و استغنى عن الاستعانة باللّه » و نعلم أنّ الطلائع للحروب يدلّون على السلامة من هجوم الجيوش و كثير من النحوس و يبشّرون بالسلامة ، ما ألزم من ذلك أن يولّيهم الحمد دون ربّهم .

ثمّ إنّنا وجدنا في الدعوات الكثيرة التعوّذ من أهل الكهانة و السحرة ، فلو كان المنجّم مثلهم كان قد تضمّن بعض الأدعية التعوّذ منه ، و ما عرفنا في الأدعية التعوّذ من النجوم و المنجّم إلى وقتنا هذا ، و من التنبيه على بطلان ظاهر هذه الرواية أنّ الدعوات تضمّن كثير منها و غيرها من صفات النبيّ صلّى اللّه عليه و آله أنّه لم يكن كاهنا و لا ساحرا ، و ما وجدنا إلى الآن و لا كان عالما بالنجوم ، فلو كان المنجّم كالكاهن و الساحر ما كان يبعد أن يتضمّنه بعض الروايات و الدعوات في ذكر الصفات . [انتهى] .

و أقول : أمّا قدحه في سند الرواية فهي من المشهورات بين الخاصّة و العامّة و لذا أورده السيّد في النهج ، إذ دأبه فيه أن يروي ما كان مقبول الطرفين ، و ضعف سند الرواية الّتي أورده الصدوق رحمه اللّه لا يدلّ على ضعف سائر الأسانيد ، و عمر بن

سعد الّذي يروي عنه نصر بن مزاحم ليس الملعون الّذي كان محارب الحسين عليه السلام كما يظهر من كتابه كتاب الصفّين الّذي عندنا فإنّ أكثر ما رواه فيه رواه عن هذا الرجل ، و في كثير من المواضع « عمرو » مكان « عمر » و لم يكن الملعون من جملة رواة الحديث و حملة الأخبار ، حتّى يروى عنه هذه الأخبار الكثيرة ، و أيضا رواية نصر عنه بعيدة جدّا ، فإنّ نصرا كان من أصحاب الباقر عليه السّلام و الملعون لم يبق بعد شهادة الحسين عليه السّلام إلاّ قليلا ، و الشواهد على كونه غيره كثيرة لا تخفى على المتدرّب في الأخبار العارف بأحوال الرجال ، و هذا من السيّد رحمه اللّه غريب .

و أمّا قوله « أنّه عليه السّلام لم يحكم بكفر المنجّم فيرد عليه » أنّ الظاهر من التشبيه بالكافر أنّه ليس بكافر ، و إنّما يدلّ على اشتراكه معه في بعض الصفات لا في جميع الأحكام حتّى يقتله في الحال أو بعد امتناعه من التوبة ، على أنّه عليه السّلام لم يشبّهه بالكافر بل بالمشبّه بالكافر . و أمّا قوله « و لا أبعده و لا عزّره » ففيه أنّه قد ظهر ممّا رواه ابن أبي الحديد الإيعاد بالحبس المؤبّد و التحريم من العطاء ، و لم يعلم أنّه أصرّ المنجّم على العمل بالنجوم بعد ذلك حتّى يستحقّ تعزيرا أو نكالا ، و عدم اشتمال رواية السيّد على هذه الزيادة لا يدلّ على عدمها ، فإنّ عادة السيّد الاقتصار على ما اختاره من كلامه عليه السّلام بزعمه لا استيفاء النقل و الرواية ، مع أنّ عدم النقل في مثل هذا لا يدلّ على العدم ، و كونه من أصحابه و بينهم لا يدلّ على كونه مرضيّا ، فإنّ جيشه عليه السّلام كان مشتملا على كثير من الخوارج و المنافقين كالأشعث أخي هذا المنجّم على ما ذكره السيّد و غيره أنّه كان عفيف بن قيس أخا الأشعث رأس المنافقين و مثير أكثر الفتن و أمّا قياسه على طلائع الحروب فالفرق بين الأمرين بيّن ، فإنّ ما يهدي إليه الطلائع و نحوهم ليست أمورا يترتّب عليها صرف السوء و نيل المحبوب حتما ، بل يتوقّف على اجتماع أمور كوجود الشرائط و ارتفاع الموانع ، و كلّ ذلك لا يتيسّر الظفر بها إلاّ بفضل مسبّب الأسباب بخلاف ما ادّعاه المنجّم من أنّ الظفر يترتّب حتما على الخروج في الساعة الّتي اختاره و أمّا عدم التعوّذ من النجوم و المنجّم فلأنّ المنجّم إنّما يعود

ضرره إلى نفسه بخلاف الساحر و الكاهن فإنّه يترتّب منهما ضرر كثير على الناس ، مع أن الدعاء الّذي رواه السيّد في كتاب الاستخارات و أوردناه في هذا الباب يتضمّن البراءة إلى اللّه من اللجأ إلى العمل بالنجوم و طلب الاختيارات منها و أمّا عدم وصف النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله بأنّه لم يكن منجما لأنّ الكفّار إنّما كانوا يصفونه صلّى اللّه عليه و آله بالسحر و الكهانة و الشعر ، فورد براءته عنها ردّا عليهم و لم يكونوا يصفونه بالنجوم ، مع أنّه كان عالما بالحقّ من علم النجوم و كان من فضائله . 267

80 و من خطبة له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل ، في ذم النساء ببيان نقصهن

معاشر النّاس ، إنّ النّساء نواقص الإيمان ، نواقص الحظوظ ،

نواقص العقول : فأمّا نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصّلاة و الصّيام في أيّام حيضهنّ ، و أمّا نقصان عقولهنّ فشهادة امرأتين كشهادة الرّجل الواحد ، و أمّا نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ على الأنصاف من مواريث الرّجال . فاتّقوا شرار النّساء ، و كونوا من خيارهنّ على حذر ، و لا تطيعوهنّ في المعروف حتّى لا يطمعن في المنكر .

توضيح

الغرض ذمّ عايشة و توبيخ من تبعها و إرشاد النّاس إلى ترك طاعة النساء . و « نقصان الايمان بالقعود عن الصلاة و الصيام » لعلّه مبنيّ على أنّ الأعمال أجزاء الإيمان و قعودهنّ و إن كان بأمر اللّه تعالى إلاّ أنّ سقوط التكليف لنوع من النقص فيهنّ ، و كذا الحال في الشهادة و الميراث . و « ترك طاعتهنّ في المعروف » إمّا

----

(267) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 58 ، كتاب السماء و العالم ، ص 258 268 .

بالعدول إلى فرد آخر منه ، أو فعله على وجه يظهر أنّه ليس لطاعتهنّ بل لكونه معروفا ،

أو ترك بعض المستحبّات فيكون التّرك حينئذ مستحبّا كما ورد تركها في بعض الأحوال كحال الملال . 268

81 و من كلام له عليه السلام في الزهد

أيّها النّاس ، الزّهادة قصر الأمل ، و الشّكر عند النّعم ، و التّورّع (700) عند المحارم ، فإن عزب (701) ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ،

و لا تنسوا عند النّعم شكركم ، فقد أعذر (702) اللّه إليكم بحجج مسفرة (703) ظاهرة ، و كتب بارزة العذر (704) واضحة .

82 و من كلام له عليه السلام في ذم صفة الدنيا

ما أصف من دار أوّلها عناء (705) ، و آخرها فناء في حلالها حساب ،

و في حرامها عقاب . من استغنى فيها فتن ، و من افتقر فيها حزن ،

و من ساعاها (706) فاتته ، و من قعد عنها واتته (707) ، و من أبصر بها بصّرته ، و من أبصر إليها أعمته .

----

(268) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 446 ، ط كمپاني و ص 414 ، ط تبريز .

قال الشريف : أقول : و إذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام : « و من أبصر بها بصّرته » وجد تحته من المعنى العجيب ، و الغرض البعيد ، ما لا تبلغ غايته و لا يدرك غوره ،

لا سيما إذا قرن إليه قوله : « و من أبصر إليها أعمته » فإنّه يجد الفرق بين « أبصر بها » و « أبصر إليها » واضحا نيرا ، و عجيبا باهرا صلوات اللّه و سلامه عليه .

83 و من خطبة له عليه السلام و هي الخطبة العجيبة و تسمى « الغراء »

و فيها نعوت اللّه جل شأنه ، ثم الوصية بتقواه ثم التنفير من الدنيا ، ثم ما يلحق من دخول القيامة ، ثم تنبيه الخلق إلى ما هم فيه من الاعراض ، ثم فضله عليه السلام في التذكير

القسم الأول صفته جل شانه

الحمد للّه الّذي علا بحوله (708) ، و دنا بطوله (709) ، مانح كلّ غنيمة و فضل ، و كاشف كلّ عظيمة و أزل (710) . أحمده على عواطف كرمه ، و سوابغ نعمه (711) ، و أومن به أوّلا باديا (712) ، و أستهديه قريبا هاديا ، و أستعينه قاهرا قادرا ، و أتوكّل عليه كافيا ناصرا ،

و أشهد أنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله عبده و رسوله ، أرسله لإنفاذ أمره ، و إنهاء عذره (713) و تقديم نذره (714) .

القسم الثاني الوصية بالتقوى

أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه الّذي ضرب الأمثال (715) ، و وقّت لكم الآجال (716) ، و ألبسكم الرّياش (717) ، و أرفع لكم المعاش (718) ، و أحاط

بكم الإحصاء (719) ، و أرصد لكم الجزاء (720) ، و آثركم بالنّعم السّوابغ ،

و الرّفد (721) الرّوافغ (722) ، و أنذركم بالحجج البوالغ (723) ،

فأحصاكم عددا ، و وظّف لكم مددا (724) ، في قرار خبرة (725) ، و دار عبرة ، أنتم مختبرون فيها ، و محاسبون عليها .

القسم الثالث التنفير من الدنيا

فإنّ الدّنيا رنق (726) مشربها ، ردغ (727) مشرعها ، يونق (728) منظرها ،

و يوبق (729) مخبرها . غرور حائل (730) ، وضوء آفل (731) ، و ظلّ زائل ،

و سناد مائل (732) ، حتّى إذا أنس نافرها ، و اطمأنّ ناكرها (733) ، قمصت بأرجلها (734) ، و قنصت بأحبلها (735) ، و أقصدت (736) بأسهمها ،

و أعلقت (737) المرء أوهاق المنيّة (738) قائدة له إلى ضنك المضجع (739) ،

و وحشة المرجع ، و معاينة المحلّ (740) و ثواب العمل (741) ، و كذلك الخلف بعقب السّلف (742) ، لا تقلع المنيّة اختراما (743) ، و لا يرعوي الباقون (744) اجتراما (745) ، يحتذون مثالا (746) ، و يمضون أرسالا (747) ، إلى غاية الانتهاء ، و صيّور الفناء (748) .

القسم الرابع بعد الموت البعث

حتّى إذا تصرّمت الأمور ، و تقضّت الدّهور ، و أزف النّشور (749) ،

أخرجهم من ضرائح (750) القبور ، و أوكار الطّيور ، و أوجرة (751)

[225]

السّباع ، و مطارح المهالك ، سراعا إلى أمره ، مهطعين (752) إلى معاده ،

رعيلا صموتا (753) ، قياما صفوفا ، ينفذهم البصر (754) ، و يسمعهم الدّاعي ، عليهم لبوس الاستكانة (755) ، و ضرع (756) الاستسلام و الذّلّة .

قد ضلّت الحيل ، و انقطع الأمل ، و هوت الأفئدة (757) كاظمة (758) ،

و خشعت الأصوات مهينمة (759) ، و ألجم العرق (760) ، و عظمّ الشّفق (761) ،

و أرعدت (762) الأسماع لزبرة الدّاعي (763) إلى فصل الخطاب (764) ،

و مقايضة (765) الجزاء ، و نكال (766) العقاب ، و نوال الثّواب .

القسم الخامس تنبيه الخلق

عباد مخلوقون اقتدارا ، و مربوبون اقتسارا (767) ، و مقبوضون احتضارا (768) ، و مضمّنون أجداثا (769) ، و كائنون رفاتا (770) ، و مبعوثون أفرادا ، و مدينون جزاء (771) ، و مميّزون حسابا (772) . قد أمهلوا في طلب المخرج ، و هدوا سبيل المنهج (773) ، و عمّروا مهل المستعتب (774) ،

و كشفت عنهم سدف الرّيب (775) ، و خلّوا لمضمار الجياد (776) ، و رويّة الارتياد (777) ، و أناة المقتبس المرتاد (778) ، في مدّة الأجل ، و مضطرب المهل (779) .

القسم السادس فضل التذكير

فيا لها أمثالا صائبة (780) ، و مواعظ شافية ، لو صادفت قلوبا زاكية ، و أسماعا واعية ، و آراء عازمة ، و ألبابا حازمة فاتّقوا الله

[226]

تقيّة من سمع فخشع ، و اقترف (781) فاعترف ، و وجل (782) فعمل ،

و حاذر فبادر (783) ، و أيقن فأحسن ، و عبّر فاعتبر (784) ، و حذّر فحذر ،

و زجر فازدجر (785) ، و أجاب فأناب (786) ، و راجع فتاب ، و اقتدى فاحتذى (787) ، و أري فرأى ، فأسرع طالبا ، و نجا هاربا ، فأفاد ذخيرة (788) ، و أطاب سريرة ، و عمّر معادا ، و استظهر زادا (789) ، ليوم رحيله و وجه سبيله (790) ، و حال حاجته ، و موطن فاقته ، و قدّم أمامه لدار مقامه . فاتّقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له ، و احذروا منه كنه ما حذّركم من نفسه ، و استحقّوا منه ما أعدّ لكم بالتّنجّز (791) لصدق ميعاده ، و الحذر من هول معاده .

القسم السابع التذكير بضروب النعم

و منها : جعل لكم أسماعا لتعي ما عناها (792) ، و أبصارا لتجلو (793) عن عشاها (794) ، و أشلاء (795) جامعة لأعضائها ، ملائمة لأحنائها (796) ،

في تركيب صورها ، و مدد عمرها ، بأبدان قائمة بأرفاقها (797) ، و قلوب رائدة (798) لأرزاقها ، في مجلّلات (799) نعمه ، و موجبات مننه ،

و حواجز (800) عافيته . و قدّر لكم أعمارا سترها عنكم ، و خلّف لكم عبرا من آثار الماضين قبلكم ، من مستمتع خلاقهم (801) ، و مستفسح خناقهم (802) . أرهقتهم المنايا (803) دون الآمال ، و شذّ بهم عنها (804) تخرّم (805) الآجال . لم يمهدوا (806) في سلامة الأبدان ، و لم يعتبروا في

[227]

أنف (807) الأوان . فهل ينتظر أهل بضاضة (808) الشّباب إلاّ حواني الهرم ؟ و أهل غضارة (809) الصّحّة إلاّ نوازل السّقم ؟ و أهل مدّة البقاء إلاّ آونة الفناء ؟ مع قرب الزّيال (810) ، و أزوف (811) الانتقال ،

وعلز (812) القلق ، و ألم المضض (813) ، و غصص الجرض (814) ، و تلفّت الاستغاثة بنصرة الحفدة و الأقرباء ، و الأعزّة و القرناء فهل دفعت الأقارب ، أو نفعت النّواحب (815) ، و قد غودر (816) في محلّة الأموات رهينا (817) ، و في ضيق المضجع وحيدا ، قد هتكت الهوامّ (818) جلدته ،

و أبلت النّواهك (819) جدّته ، و عفت (820) العواصف آثاره ، و محا الحدثان معالمه (821) ، و صارت الأجساد شحبة (822) بعد بضّتها (823) ،

و العظام نخرة (824) بعد قوّتها ، و الأرواح مرتهنة بثقل أعبائها (825) ،

موقنة بغيب أنبائها ، لا تستزاد من صالح عملها ، و لا تستعتب (826) من سيّىء زللها (827) أو لستم أبناء القوم و الآباء ، و إخوانهم و الأقرباء ؟ تحتذون أمثلتهم ، و تركبون قدّتهم (828) ، و تطؤون جادّتهم (829) ؟ فالقلوب قاسية عن حظّها ، لاهية عن رشدها ، سالكة في غير مضمارها كأنّ المعنيّ سواها (830) ، و كأنّ الرّشد في إحراز دنياها .

القسم الثامن التحذير من هول الصراط

و اعلموا أنّ مجازكم (831) على الصّراط و مزالق دحضه (832) ، و أهاويل

[228]

زلله ، و تارات أهواله (833) ، فاتّقوا الله عباد الله تقيّة ذي لبّ شغل التّفكّر قلبه ، و أنصب (834) الخوف بدنه ، و أسهر التّهجّد غرار (835) نومه ، و أظمأ الرّجاء هواجر (836) يومه ، و ظلف (837) الزّهد شهواته ،

و أوجف (838) الذّكر بلسانه ، و قدّم الخوف لأمانه ، و تنكّب (839) المخالج (840) عن وضح (841) السّبيل ، و سلك أقصد المسالك (842) إلى النّهج المطلوب ، و لم تفتله (843) فاتلات الغرور ، و لم تعم (844) عليه مشتبهات الأمور ، ظافرا بفرحة البشرى ، و راحة النّعمى (845) ، في أنعم نومه ، و آمن يومه . و قد عبر معبر العاجلة (846) حميدا ، و قدّم زاد الآجلة سعيدا ، و بادر من وجل (847) ، و أكمش (848) في مهل ،

و رغب في طلب ، و ذهب عن هرب ، و راقب في يومه غده ، و نظر قدما أمامه (849) . فكفى بالجنّة ثوابا و نوالا ، و كفى بالنّار عقابا و وبالا و كفى بالله منتقما و نصيرا و كفى بالكتاب حجيجا و خصيما (850)

القسم التاسع الوصية بالتقوى

أوصيكم بتقوى الله الّذي أعذر بما أنذر ، و احتجّ بما نهج ،

و حذّركم عدوّا نفذ في الصّدور خفيّا ، و نفث في الآذان نجيّا (851) ،

فأضلّ و أردى ، و وعد فمنّى (852) ، و زيّن سيّئات الجرائم ، و هوّن موبقات العظائم ، حتّى إذا استدرج قرينته (853) ، و استغلق رهينته (854) ،

[229]

أنكر ما ريّن (855) ، و استعظم ما هوّن ، و حذّر ما أمّن .

القسم العاشر و منها في صفة خلق الانسان

أم هذا الّذي أنشأه في ظلمات الأرحام ، و شغف الأستار (856) ،

نطفة دهاقا (857) ، و علقة محاقا (858) ، و جنينا (859) و راضعا ، و وليدا و يافعا (860) ، ثمّ منحه قلبا حافظا ، و لسانا لافظا ، و بصرا لاحظا ،

ليفهم معتبرا ، و يقصّر مزدجرا ، حتّى إذا قام اعتداله ، و استوى مثاله (861) ، نفر مستكبرا ، و خبط سادرا (862) ، ماتحا في غرب هواه (863) ، كادحا (864) سعيا لدنياه ، في لذّات طربه ، و بدوات (865) أربه ، ثمّ لا يحتسب رزيّة (866) ، و لا يخشع تقيّة (867) ، فمات في فتنته غريرا (868) ، و عاش في هفوته (869) يسيرا ، لم يفد (870) عوضا ،

و لم يقض مفترضا . دهمته (871) فجعات المنيّة في غبّر جماحه (872) ،

و سنن (873) مراحه ، فظلّ سادرا (874) ، و بات ساهرا ، في غمرات الآلام ، و طوارق الأوجاع و الأسقام ، بين أخ شقيق ، و والد شفيق ، و داعية بالويل جزعا ، و لادمة (875) للصّدر قلقا ، و المرء في سكرة ملهثة ، و غمرة (876) كارثة ، و أنّة (877) موجعة ، و جذبة مكربة (878) ،

و سوقة (879) متعبة . ثمّ أدرج في أكفانه مبلسا (880) ، و جذب منقادا

[230]

سلسا (881) ، ثمّ ألقي على الأعواد رجيع وصب (882) ، و نضو (883) سقم ،

تحمله حفدة (884) الولدان ، و حشدة (885) الإخوان ، إلى دار غربته ،

و منقطع زورته (886) ، و مفرد وحشته ، حتّى إذا انصرف المشيّع ،

و رجع المتفجّع ، أقعد في حفرته نجيّا لبهتة (887) السّؤال ، و عثرة (888) الامتحان . و أعظم ما هنالك بليّة نزول الحميم (889) ، و تصلية الجحيم (890) ، و فورات السّعير ، و سورات الزّفير (891) ، لا فترة (892) مريحة ، و لا دعة (893) مزيحة ، و لا قوّة حاجزة ، و لا موتة ناجزة (894) و لا سنة (895) مسلّية ، بين أطوار الموتات (896) ، و عذاب السّاعات إنّا باللّه عائذون عباد اللّه ، أين الّذين عمّروا فنعموا (897) ، و علّموا ففهموا ، و أنظروا فلهوا ، و سلّموا فنسوا أمهلوا طويلا ، و منحوا جميلا ، و حذّروا أليما ، و وعدوا جسيما احذروا الذّنوب المورّطة (898) ، و العيوب المسخطة .

أولي الأبصار و الأسماع ، و العافية و المتاع ، هل من مناص (899) أو خلاص ، أو معاذ أو ملاذ ، أو فرار أو محار (900) أم لا ؟ « فأنّى تؤفكون (901) » أم أين تصرفون أم بما ذا تغترّون و إنّما حظّ أحدكم

[231]

من الأرض ، ذات الطّول و العرض ، قيد قدّه (902) ، متعفّرا (903) على خدّه الآن عباد اللّه و الخناق (904) مهمل ، و الرّوح مرسل ، في فينة (905) الإرشاد ، و راحة الأجساد ، و باحة الاحتشاد (906) ، و مهل البقيّة ،

و أنف المشيّة (907) ، و إنظار التّوبة ، و انفساح الحوبة (908) ، قبل الضّنك (909) و المضيق ، و الرّوع (910) و الزّهوق (911) ، و قبل قدوم الغائب المنتظر (912) و إخذة العزيز المقتدر . قال الشريف : و في الخبر : أنه لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود ، و بكت العيون ، و رجفت القلوب . و من الناس من يسمي هذه الخطبة : « الغراء » .

بيان

« تصرّمت » تقطّعت . و « أزف » دنى و قرب . و « الأوجرة » جمع « وجار » و هو بيت السبع . و « الإهطاع » الإسراع في العدو . و « أهطع » إذا مدّ عنقه و صوّب رأسه .

« رعيلا » قال ابن الأثير : أي ركابا على الخيل . انتهى . و أصل الرعيل القطيع من الخيل ، و لعلّ الأظهر تشبيههم في اجتماعهم و صموتهم بقطيع الخيل .

و قال ابن الأثير : في حديث ابن مسعود : « إنّكم مجموعون في صعيد واحد ينفذكم البصر » . يقال : « نفذني بصره » إذا بلغني و جاوزني ، و قيل : المراد به ينفذهم بصر الرحمن حتّى يأتي عليهم كلّهم ، و قيل : أراد : ينفذهم بصر الناظر لاستواء الصعيد ،

قال أبو حاتم : أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة و إنّما هو بالمهملة ، أي يبلغ أوّلهم و آخرهم حتّى يراهم كلّهم و يستوعبهم من « نفد الشيء و أنفدته » . و حمل الحديث على بصر المبصر أولى من حمله على بصر الرحمن ، لأنّ اللّه يجمع الناس يوم القيامة في أرض يشهد جميع الخلائق فيها محاسبة العبد الواحد على انفراده و يرون ما يصير إليه .

و « اللّبوس » بالفتح ، ما يلبس . و « الضرع » بالتحريك ، ما يصير سببا لضراعتهم و خضوعهم .

قوله عليه السلام و « هوت الأفئدة كاظمة » مقتبس من آيتين : قوله

تعالى : وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ 269 و قوله تعالى : إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ 270 و قال الجزريّ : « الهينمة » الكلام الخفيّ الّذي لا يفهم ، و قال : فيه : « يبلغ العرق منهم ما يلجمهم » أي يصل إلى أفواههم فيصير لهم بمنزلة اللجام ، يمنعهم عن الكلام ، يعني في المحشر يوم القيامة . و « الشفق » الخوف . و يقال : « زبره زبرا و زبرة » أي انتهره . و يقال : « قايضه مقايضة في البيع » إذا أعطاه سلعة و أخذ عوضها سلعة منه . 271 توضيح : « وعاه يعيه » حفظه و جمعه . و « عناه الأمر يعنيه و يعنوه » أهمّه . و « العشا » بالفتح و القصر ، سوء البصر بالليل و النهار ، أو بالليل ، أو العمى . و « تجلو » بمعنى تكشف ، قيل : أقيم المجلوّ مقام المجلوّ عنه ، و التقدير : لتجلو عن قواها عشاها ، و قيل : كلمة « عن » زائدة أو بمعنى « بعد » و المفعول محذوف ، و التقدير : لتجلو الأذى بعد عشاها ، و هو بعيد ، و المراد جلاء العشا عن البصر الظاهر بأن ينظر إلى ما يعتبر به ، أو عن بصر القلب بأن يفرق بين الضارّ و النافع . و « الأشلاء » جمع « شلو » بالكسر ، و هو العضو و فسّره في القاموس بالجسد أيضا و جمعها للأعضاء على الثاني واضح ، و على الأوّل يمكن حملها على الأعضاء الظاهرة الجامعة للباطنة كما قيل .

و أقول : يمكن ان يكون المراد بالأعضاء أجزاء الأعضاء . و « الملاءمة » الموافقة . و « الأحناء » جمع « حنو » بالكسر ، و هو الجانب ، و في النهاية : « لأحنائها » أي معاطفها و الغرض الإشارة إلى الحكم و المصالح المرعيّة في تركيب الأعضاء و ترتيبها و جعل كلّ منها في موضع يليق بها كما بيّن بعضها في علم التشريح و كتب منافع الأعضاء ، و الظرف متعلّق بالملاءمة ، و قيل : كأنّه قال : مركّبة و مصوّرة ، فأتى بلفظة « في » كما تقول : « ركب في سلاحه أو بسلاحه » أي متسلّحا . و « الأرفاق » جمع « رفق »

----

(269) ابراهيم : 43 .

----

(270) الغافر : 18 .

----

(271) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 7 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 112 .

بالكسر ، و هو المنفعة ، و في القاموس : هو ما استعين به ، و الأرفاق على هذا عبارة عن الأعضاء و سائر ما يستعين به الإنسان ، و الباء للاستعانة أو السببيّة بخلاف الأوّل ، و روي « بأرماقها » و « الرمق » بقيّة الروح . و « الرود » الطلب . « في مجلّلات نعمه » بصيغة الفاعل ، أي النعم الّتي تجلّل الناس ، أي تغطّيهم كما يتجلّل الرجل بالثوب . و قيل : أي الّتي تجلّل الناس و تعمّهم من قولهم « سحاب مجلّل » أي يطبق الأرض ، و الظرف متعلّق بمحذوف و الموضع نصب على الحال . والمراد ب « موجبات المنن » على صيغة الفاعل ، النعم الّتي توجب الشكر ، و يروى على صيغة المفعول ، أي النعم الّتي أوجبها الله على نفسه لكونه الجواد المطلق ، و قيل : أي ما سقط من نعمه و أفيض على العباد من الوجوب بمعنى السقوط .

و « حواجز العافية » ما يدفع المضارّ ، و يروى « حواجز بليّته » أي ما يمنعها .

و الامتنان بستر الأعمار لكون الاطّلاع عليها و اشتغال الخاطر بخوف الموت ممّا يبطل نظام الدنيا ، و الغرض تنبيه الغافل عن انقضاء العمر لستر حدّه و انتهائه . و « خلف العبر » إبقاؤها بعد ارتحال الماضين كأنّها خليفة لهم .

« أم هذا الّذي . . . » قيل : « أم » ههنا إمّا استفهاميّة على حقيقتها كأنّه قال :

أعظكم و أذكّركم بحال الشيطان و إغوائه أم بحال الإنسان من ابتداء وجوده إلى حين مماته ، و إمّا أن تكون منقطعة بمعنى « بل » كأنّه قال عادلا و تاركا لما وعظهم به : بل أتلو عليكم بناء هذا الإنسان الّذي حاله كذا . و « الشغف » بضمّتين ، جمع « شغاف » بالفتح ، و هو في الأصل غلاف القلب و حجابه ، استعير هنا لوضع الولد . و « الدهاق » بكسر الدال ، الّذي أدهق ، أي أفرغ إفراغا [شديدا] ، و قيل : « الدهاق » المملوءة من قولهم « دهق الكأس » كجعله ملأها ، و يروى « دفاقا » من « دفقت الماء » أي صببته . و « المحق » المحو و الإبطال و النقص ، و سمّيت ثلاث ليال من آخر الشهر محاقا لأنّ القمر يقرب من الشمس فتمحقه ، و استعير للعلقة لأنّها لم تتصوّر [بعد] فأشبهت ما أبطلت صورته ، و في الأوصاف تحقير للإنسان كما أومي إليه بالإشارة . و « الراضع » الطفل يرضع أمّه كيسمع أي يتمصّ ثديها ، و الأمّ مرضعة . و « الوليد » المولود و

كأنّ المراد به الفطيم . و « اليافع » الغلام الّذي شارف الاحتلام و لمّا يحتلم ، يقال :

أيفع الغلام فهو يافع ، و هو من النوادر .

قال في « سرّ الأدب » في ترتيب أحوال الإنسان : هو ما دام في الرحم جنين ، فإذا ولد فوليد ، ثمّ ما دام يرضع فرضيع ، ثمّ إذا قطع منه اللبن فهو فطيم ، ثمّ إذا دبّ و نمى فهو دارج ، فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسيّ ، فإذا سقطت رواضعه فهو مثغور ، فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو متّغر ، فإذا تجاوز العشر أو جاوزها فهو مترعرع و ناشيء ، فإذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع و مراهق ، فإذا احتلم و اجتمعت قوّته فهو حرور ، و اسمه في جميع هذه الأحوال غلام ، فإذا اخضرّ شاربه قيل : قد بقل وجهه ،

فإذا صار ذا فتاء فهو فتى و شارخ ، فإذا اجتمعت لحيته و بلغ غاية شبابه فهو مجتمع ، ثمّ ما دام بين الثلاثين و الأربعين فهو شابّ ، ثمّ هو كهل إلى أن يستوفي الستّين ، و قيل :

إذا جاوز أربعا و ثلاثين إلى إحدى و خمسين ، فإذا جاوزها فهو شيخ .

« ثمّ منحه » أي أعطاه . و « اللافظ » الناطق ، و يقال : « لحظ » إذا نظر بمؤخّر عينيه و كأنّ المراد هنا مطلق النظر . و « يقصر » على بناء الإفعال ، أي ينتهي . و المعنى :

أعطاه القوى الثلاثة ليعتبر بحال الماضين و ما نزل بساحة العاصين ، و ينتهي عمّا يفضيه إلى أليم النكال و شديد الوبال ، أو ليفهم دلائل الصنع و القدرة ، و يستدلّ بشواهد الربوبيّة على وجوب الطاعة و الانتهاء عن المعصية ، فينزجر عن الخلاف و العصيان و يتخلّص عن الخيبة و الخسران . و « الاعتدال » التناسب و الاستقامة و التوسّط بين الحالين في كمّ أو كيف ، و « قيام الاعتدال » تمام الخلقة و الصورة و تناسب الأعضاء و خلوّها عن النقص و الزيادة ، و كمال القوى المحتاج إليها في تحصيل المآرب . و « استوى » أي اعتدل ، و « المثال » بالكسر ، المقدار وصفة الشيء ، و يقال : «

استوى الرجل » إذا بلغ أشدّه ، أي قوّته ، و هو ما بين ثمانية عشر إلى ثلاثين . و « نفرت الدابّة » كضرب أي فرّ و ذهب . 272 بيان : « بهته » أخذه بغتة ، و « بهت » أي دهش و تحيّر . و « فورة الحرّ »

----

(272) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 60 ، كتاب السماء و العالم ، ص 349 352 .

شدّته . 273 .

84 و من خطبة له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص

عجبا لابن النّابغة (913) يزعم لأهل الشّام أنّ فيّ دعابة (914) ، و أنّي امرؤ تلعابة (915) : أعافس و أمارس (916) لقد قال باطلا ، و نطق آثما .

أما و شرّ القول الكذب إنّه ليقول فيكذب ، و يعد فيخلف ،

و يسأل فيبخل ، و يسأل فيلحف (917) ، و يخون العهد ، و يقطع الإلّ (918) ، فإذا كان عند الحرب فأيّ زاجر و آمر هو ما لم تأخذ السّيوف مآخذها ، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم سبّته (919) . أما و اللّه إنّي ليمنعني من اللّعب ذكر الموت ، و إنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة ، إنّه لم يبايع معاوية حتّى شرط أن يؤتيه أتيّة (920) ، و يرضخ له على ترك الدّين رضيخة (921)

بيان

« نبغ الشيء » ظهر . قال بعض الشارحين : سمّيت أمّ عمرو النابغة لشهرتها بالفجور و تظاهرها به . 274 و سيأتي وصف نسبه لعنه اللّه . و « زعم » كنصر « زعما » مثلّثة ، أي قال حقّا أو باطلا ، و أكثر ما يستعمل في الباطل و ما يشكّ فيه . و « الدّعابة » بالضمّ ، المزاح ، و المراد هنا الدّعابة الخارجة عن الاعتدال . و روي

----

(273) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 6 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 243 .

----

(274) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 270 ، ط بيروت .

أنّه كان يقول لأهل الشام : إنّما أخّرنا عليّا عليه السلام لأنّ فيه هزلا لا جدّ معه ،

و تبع في ذلك أثر عمر . . . حيث قال يوم الشورى لمّا أراد صرف الأمر عنه عليه السلام : « أنت للّه لو لا أنّ فيك دعابة » . و « رجل تلعابة » بالكسر ، أي كثير اللعب . و « المعافسة و العفاس » بالكسر ، الملاعبة . و في بعض نسخ الاحتجاج :

« أعارس » مكان « أعافس » و لعلّه من « أعرس الرجل » إذا دخل بامرأته عند بنائها ،

و قد يطلق على الجماع . و « الممارسة » المزاولة . قال في النهاية و يطلق على الملاعبة و منه حديث عليّ عليه السلام : « زعم أنّي كنت أعافس و أمارس » أي ألاعب النساء . و « الحف » أي ألحّ . و « الإلّ » بالكسر ، العهد و القرابة و الحلف و الجار ،

ذكره الفيروزآباديّ ، و المراد بقطع الإلّ هنا قطع الرحم أو تضييع الحليف و الجار . و « المآخذ » على لفظ الجمع و في بعض النسخ على المفرد . و كلمة « كان » الأولى تامّة و الإشارة إلى أخذ السيوف مآخذها و هو التحام الحرب و مخالطة السيوف الرؤوس . و « أكبر » بالباء الموحّدة و هو أظهر ممّا في بعض النسخ من المثلّثة . و « المكيدة » المكر و الحيلة . و « يمنح » كيمنع أي يعطي . و « السبّة » الإست ، أي العجز أو حلقة الدبر ، و المراد بإعطاء القوم 275 سبّته ما ذكره أرباب السير و يضرب به المثل من كشفه سوأته شاغرا برجليه لمّا لقيه أمير المؤمنين عليه السلام في بعض أيّام صفّين و قد اختلطت الصفوف و اشتعل نار الحرب ، فحمل عليه السلام عليه فألقى نفسه عن فرسه رافعا رجليه كاشفا عورته فانصرف عليه السلام عنه لافتا وجهه . و في ذلك قال أبو فراس :

و لا خير في دفع الأذى بمذلّة
كما ردّها يوما بسوأته عمرو

و « الأتيّة » العطيّة . و « الرضخ » العطاء القليل . و المراد بالأتيّة و الرضيخة ولاية مصر ، و لعلّ التعبير عنها بالرضيخة لقلّتها بالنسبة إلى ترك الدين . 276

----

(275) في النهج : القرم .

----

(276) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 571 ، ط كمپاني و ص 526 ، ط تبريز .

85 و من خطبة له عليه السلام و فيها صفات ثمان من صفات الجلال

القسم الأول و فيها صفات ثمان من صفات الجلال

و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له : الأوّل لا شيء قبله ،

و الآخر لا غاية له ، لا تقع الأوهام له على صفة ، و لا تعقد (922) القلوب منه على كيفيّة ، و لا تناله التّجزئة و التّبعيض ، و لا تحيط به الأبصار و القلوب .

و منها : فاتّعظوا عباد اللّه بالعبر النّوافع ، و اعتبروا بالآي السّواطع (923) ، و ازدجروا بالنّذر البوالغ (924) ، و انتفعوا بالذّكر و المواعظ ، فكأن قد علقتكم مخالب المنيّة ، و انقطعت منكم علائق الأمنيّة ، و دهمتكم مفظعات الأمور (925) ، و السّياقة إلى الورد المورود (926) ،

ف « كلّ نفس معها سائق و شهيد » : سائق يسوقها إلى محشرها ، و شاهد يشهد عليها بعملها .

القسم الثاني و منها في صفة الجنة

درجات متفاضلات ، و منازل متفاوتات ، لا ينقطع نعيمها ،

و لا يظعن مقيمها ، و لا يهرم خالدها ، و لا يبأس ساكنها (927) .

86 و من خطبة له عليه السلام و فيها بيان صفات الحق جل جلاله ، ثم عظة الناس بالتقوى و المشورة

القسم الأول

قد علم السّرائر ، و خبر الضّمائر ، له الإحاطة بكلّ شيء ، و الغلبة لكلّ شيء ، و القوّة على كلّ شيء .

القسم الثاني عظة الناس

فليعمل العامل منكم في أيّام مهله ، قبل إرهاق أجله (928) ، و في فراغه قبل أوان شغله ، و في متنفّسه قبل أن يؤخذ بكظمه (929) ،

و ليمهّد لنفسه و قدمه ، و ليتزوّد من دار ظعنه لدار إقامته . فاللّه أيّها النّاس ، فيما استحفظكم من كتابه ، و استودعكم من حقوقه ،

فإنّ اللّه سبحانه لم يخلقكم عبثا ، و لم يترككم سدى ، و لم يدعكم في جهالة و لا عمى ، قد سمّى آثاركم (930) ، و علم أعمالكم ،

و كتب آجالكم ، و أنزل عليكم « الكتاب تبيانا لكلّ شيء » ، و عمّر فيكم نبيّه (931) أزمانا ، حتّى أكمل له و لكم فيما أنزل من كتابه دينه الّذي رضى لنفسه ، و أنهى إليكم على لسانه محابّة (932) من الأعمال و مكارهه ، و نواهيه و أوامره ، و ألقى إليكم المعذرة ، و اتّخذ عليكم الحجّة ، و قدّم إليكم بالوعيد ، و أنذركم بين يدي عذاب شديد . فاستدركوا بقيّة أيّامكم ، و اصبروا لها أنفسكم (933) ، فإنّها

[239]

قليل في كثير الأيّام الّتي تكون منكم فيها الغفلة ، و التّشاغل عن الموعظة ، و لا ترخّصوا لأنفسكم ، فتذهب بكم الرّخص مذاهب الظّلمة (934) ، و لا تداهنوا (935) فيهجم بكم الإدهان على المعصية . عباد اللّه ، إنّ أنصح النّاس لنفسه أطوعهم لربّه ، و إنّ أغشّهم لنفسه أعصاهم لربّه ، و المغبون (936) من غبن نفسه ، و المغبوط (937) من سلم له دينه ، « و السّعيد من وعظ بغيره » ، و الشّقيّ من انخدع لهواه و غروره .

و اعلموا أنّ « يسير الرّياء (938) شرك ، » و مجالسة أهل الهوى منساة للإيمان (939) ،

و محضرة للشّيطان (940) . جانبوا الكذب فإنّه مجانب للإيمان . الصّادق على شفا منجاة و كرامة ، و الكاذب على شرف مهواة و مهانة . و لا تحاسدوا ، فإنّ الحسد يأكل الإيمان « كما تأكل النّار الحطب » ، « و لا تباغضوا فإنّها الحالقة (941) » ، و اعلموا أنّ الأمل يسهي العقل ، و ينسي الذّكر . فأكذبوا الأمل فإنّه غرور ، و صاحبه مغرور .

87 و من خطبة له عليه السلام و هي في بيان صفات المتقين و صفات الفساق و التنبيه إلى مكان العترة الطيبة و الظن الخاطىء لبعض الناس

القسم الأول

عباد اللّه ، إنّ من أحبّ عباد اللّه إليه عبدا أعانه اللّه على نفسه ،

فاستشعر الحزن ، و تجلبب الخوف (942) ، فزهر مصباح الهدى (943) في

[240]

قلبه ، و أعدّ القرى (944) ليومه النّازل به ، فقرّب على نفسه البعيد ،

و هوّن الشّديد . نظر فأبصر ، و ذكر فاستكثر ، و ارتوى من عذب فرات سهّلت له موارده ، فشرب نهلا (945) ، و سلك سبيلا جددا (946) .

قد خلع سرابيل الشّهوات ، و تخلّى من الهموم ، إلاّ همّا واحدا انفرد به ، فخرج من صفة العمى ، و مشاركة أهل الهوى ، و صار من مفاتيح أبواب الهدى ، و مغاليق أبواب الرّدى . قد أبصر طريقه ، و سلك سبيله ، و عرف مناره ، و قطع غماره (947) ، و استمسك من العرى بأوثقها ، و من الحبال بأمتنها ، فهو من اليقين على مثل ضوء الشّمس ،

قد نصب نفسه للّه سبحانه في أرفع الأمور ، من إصدار كلّ وارد عليه ، و تصيير كلّ فرع إلى أصله . مصباح ظلمات ، كشّاف عشوات (948) ، مفتاح مبهمات ، دفّاع معضلات ، دليل فلوات (949) ،

يقول فيفهم ، و يسكت فيسلم . قد أخلص للّه فاستخلصه ، فهو من معادن دينه ، و أوتاد أرضه . قد ألزم نفسه العدل ، فكان أوّل عدله نفي الهوى عن نفسه ، يصف الحقّ و يعمل به ، لا يدع للخير غاية إلاّ أمّها (950) ، و لا مظنّة (951) إلاّ قصدها ، قد أمكن الكتاب من زمامه (952) ، فهو قائده و إمامه ، يحلّ حيث حلّ ثقله (953) ، و ينزل حيث كان منزله .

[241]

القسم الثاني صفات الفساق

و آخر قد تسمّى عالما و ليس به ، فاقتبس جهائل من جهّال ،

و أضاليل من ضلاّل ، و نصب للنّاس أشراكا من حبائل غرور ، و قول زور ، قد حمل الكتاب على آرائه ، و عطف الحقّ (954) على أهوائه ،

يؤمن النّاس من العظائم ، و يهوّن كبير الجرائم ، يقول : أقف عند الشّبهات ، و فيها وقع ، و يقول : أعتزل البدع ، و بينها اضطجع ،

فالصّورة صورة إنسان ، و القلب قلب حيوان ، لا يعرف باب الهدى فيتّبعه ، و لا باب العمى فيصدّ عنه . و ذلك ميّت الأحياء

القسم الثالث عترة النبي

« فأين تذهبون » ؟ « و أنّى تؤفكون (955) » و الأعلام (956) قائمة ، و الآيات واضحة ، و المنار (957) منصوبة ، فأين يتاه بكم (958) و كيف تعمهون (959) و بينكم عترة (960) نبيّكم و هم أزمّة الحقّ ، و أعلام الدّين ، و ألسنة الصّدق فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ، و ردوهم ورود الهيم العطاش (961) .

أيّها النّاس ، خذوها عن خاتم النّبيّين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم :

« إنّه يموت من مات منّا و ليس بميّت ، و يبلى من بلي منّا و ليس ببال » فلا تقولوا بما لا تعرفون ، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون ،

[242]

و اعذروا من لا حجّة لكم عليه و هو أنا ، أ لم أعمل فيكم بالثّقل الأكبر (962) و أترك فيكم الثّقل الأصغر قد ركزت فيكم راية الإيمان ، و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام ، و ألبستكم العافية من عدلي ، و فرشتكم (963) المعروف من قولي و فعلي ، و أريتكم كرائم الأخلاق من نفسي ، فلا تستعملوا الرّأي فيما لا يدرك قعره البصر ،

و لا تتغلغل إليه الفكر .

القسم الرابع ظن خاطىء

و منها : حتّى يظنّ الظّانّ أنّ الدّنيا معقولة على بني أميّة (964) ،

تمنحهم درّها (965) ، و توردهم صفوها ، و لا يرفع عن هذه الأمّة سوطها و لا سيفها ، و كذب الظّانّ لذلك . بل هي مجّة (966) من لذيذ العيش يتطعّمونها برهة ، ثمّ يلفظونها جملة

بيان

« فاستشعر الحزن » أي جعله شعارا له . و « تجلبب الخوف » أي جعله جلبابا ، و هو ثوب يشمل البدن . « فزهر » أي أضاء . و « القرى » الضيافة . « فقرّب على نفسه البعيد » أي مثّل الموت بين عينيه . و « هوّن الشديد » أي الموت و رضي به و استعدّ له ، أو المراد بالبعيد أمله الطويل ، و بتقريبه تقصيره له بذكر الموت ، و « هوّن الشديد » أي كلّف نفسه الرياضة على المشاقّ من الطاعات ، و قيل : أريد بالبعيد رحمة الله ، أي جعل نفسه مستعدّة لقبولها بالقربات و بالشديد عذاب الله فهوّنه بالأعمال الصالحة ، أو شدائد الدنيا باستحقارها في جنب ما أعدّ له من الثواب .

« نظر » أي بعينه فاعتبر ، أو بقلبه فأبصر الحقّ . « من عذب فرات » أي العلوم الحقّة و الكمالات الحقيقيّة ، و قيل : من حبّ الله . « فشرب نهلا » أي شربا أوّلا سابقا

[243]

على أمثاله . « سبيلا جددا » أي لا غبار فيه و لا وعث . و « السربال » القميص . و « الردى » الهلاك . و « قطع غماره » أي ما كان مغمورا فيه من شدائد الدنيا . « من إصدار كلّ وارد عليه » أي هداية الناس . « و أنّى تؤفكون » أي تصرفون . 277 بيان : « تاه فلان » تحيّر . و « العمه » التردّد على وجه التحيّر . و الواو في قوله « و بينكم » للحال . و « الأزمّة » جمع زمام و هو المقود ، أي هم القادة للحقّ يدور معهم حيث ما داروا . و « ألسنة الصدق » أي هم كاللسان للصدق لا يتكلّم إلاّ بهم أو هم المتكلّمون به و لا يظهر إلاّ منهم . « فأنزلوهم » أي أنزلوا العترة في صدوركم و قلوبكم بالتعظيم و الانقياد لأوامرهم و نواهيهم و التمسّك بهم « بأحسن المنازل » الّتي تنزلون القرآن أو بأحسن المنازل الّتي يدلّ عليها القرآن . و « ردوهم » من الورود و هو الحضور عند الماء للشرب . و « الهيم » الإبل العطاش . قوله عليه السلام « و أعذروا » قال ابن ميثم : طلب عليه السلام منهم العذر فيما يصيبهم و يلحقهم من عذاب الله بسبب تقصيرهم في إطاعته عليه السلام . قوله عليه السلام « فيما لا يدرك » أي فيما ذكره لهم من خصائص العترة الطاهرة و فضلها ، أي أمرنا صعب لا يهتدى إليه العقول .

و « التغلغل » الدخول . 278 بيان : « المنح » العطاء . و « الدّر » في الأصل اللبن ثمّ استعمل في كلّ خير .

و « مجّ الشراب » قذفه من فيه ، كنّى عليه السلام بكونها مطعومة لهم عن تلذّذهم بها مدّة ملكهم و بكونها ملفوظة من فيهم عن زوالها عنهم . و « البرهة » مدّة من الزمان لها طول . « ثمّ يلفظونها » أي يرمونها . 279

88 و من خطبة له عليه السلام و فيها بيان للاسباب التي تهلك الناس

أمّا بعد ، فإنّ الله لم يقصم (967) جبّاري دهر قطّ إلاّ بعد تمهيل

----

(277) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 2 ، كتاب العلم ، ص 57 .

----

(278) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 712 ، ط كمپاني و ص 660 ، ط تبريز .

----

(279) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 383 ، ط كمپاني و ص 311 ، ط تبريز .

[244]

و رخاء ، و لم يجبر (968) عظم أحد من الأمم إلاّ بعد أزل (969) و بلاء ،

و في دون ما استقبلتم من عتب (970) و ما استدبرتم من خطب معتبر و ما كلّ ذي قلب بلبيب ، و لا كلّ ذي سمع بسميع ، و لا كلّ ناظر ببصير . فيا عجبا و ما لي لا أعجب من خطإ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتصّون أثر نبيّ ، و لا يقتدون بعمل وصيّ ،

و لا يؤمنون بغيب ، و لا يعفّون (971) عن عيب ، يعملون في الشّبهات ،

و يسيرون في الشّهوات . المعروف فيهم ما عرفوا ، و المنكر عندهم ما أنكروا ، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم ، و تعويلهم في المهمّات على آرائهم ، كأنّ كلّ امرىء منهم إمام نفسه ، قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات ، و أسباب محكمات .

بيان

« القصم » الكسر . و « التمهيل » التأخير و كذلك الإرخاء . و « الرخاء » سعة العيش . و « الجبر » إصلاح الكسر ، كناية عن دفع الجبّارين و الظّالمين . و « الأزل » بالفتح ، الضيق و الشدّة . و « في دون » أي أقلّ من ذلك . « ما استقبلتم من خطب » أي شأن و أمر و داهية ، و روي « من عتب » أي مشقّة ، قيل : يعني ما لا قوّة في مستقبل زمانهم من الشيب و ولاة السوء و تنكّر الوقت . و « ما استدبرتم من خطب » يعني ما تقدّم من الحروب و الوقائع الّتي قضوها . و يروى « من خصب » و هو رخاء العيش ، فيمكن أن يراد بالأمور المستقبلة و المستدبرة جميعا المواضي باعتبارين .

قوله عليه السلام : « لا يعفّون » في بعض النسخ بالتشديد من العفّة ، فالمراد بالعيب عيوب أنفسهم ، و في بعضها بالتخفيف ، فالمراد عيوب غيرهم . « يعملون في الشبهات » في بمعنى الباء ، أو فيه توسّع . قوله عليه السلام : « ما عرفوا » أي بعقولهم و

أهوائهم . « قد أخذ منها » الضمير راجع إلى النفس أو إلى المبهمات و المعضلات . 280

89 و من خطبة له عليه السلام في الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و بلاغ الامام عنه

أرسله على حين فترة (972) من الرّسل ، و طول هجعة من الأمم ،

و اعتزام (973) من الفتن ، و انتشار من الأمور ، و تلظّ من الحروب (974) ،

و الدّنيا كاسفة النّور ، ظاهرة الغرور ، على حين اصفرار من ورقها ،

و إياس من ثمرها ، و اغورار (975) من مائها ، قد درست منار الهدى ،

و ظهرت أعلام الرّدى ، فهي متجهّمة (976) لأهلها ، عابسة في وجه طالبها .

ثمرها الفتنة (977) ، و طعامها الجيفة (978) ، و شعارها (979) الخوف ،

و دثارها (980) السّيف . فاعتبروا عباد اللّه ، و اذكروا تيك الّتي آباؤكم و إخوانكم بها مرتهنون (981) ، و عليها محاسبون . و لعمري ما تقادمت بكم و لا بهم العهود ، و لا خلت فيما بينكم و بينهم الأحقاب (982) و القرون ، و ما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلابهم ببعيد . و اللّه ما أسمعكم الرّسول شيئا إلاّ و ها أنا ذا مسمعكموه ، و ما أسماعكم اليوم بدون أسماعكم بالأمس ، و لا شقّت لهم الأبصار ، و لا جعلت لهم الأفئدة في ذلك الزّمان ، إلاّ و قد أعطيتم مثلها في هذا الزّمان . و و اللّه

----

(280) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 691 ، ط كمپاني و ص 639 ، ط تبريز .

[246]

ما بصّرتم بعدهم شيئا جهلوه ، و لا أصفيتم به (983) و حرموه ، و لقد نزلت بكم البليّة جائلا خطامها (984) ، رخوا بطانها (985) ، فلا يغرّنّكم ما أصبح فيه أهل الغرور ، فإنّما هو ظلّ ممدود ، إلى أجل معدود .

بيان

« الفترة » انقطاع الوحي بين الرسل . و « الهجعة النوم . و « الاعتزام » العزم ، كأنّ الفتنة مصمّمة للهرج و الفساد ، و في بعض النسخ بالراء المهملة ، أي كثرة و شدّة ، و في الكافي : « و اعتراض » من قولهم : « اعترض الفرس » إذا مشى على غير طريق . و « التلظّي » التلهّب . و « الاغورار » ذهاب الماء ، من « غار الماء » إذا ذهب ،

و منه قوله تعالى : إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً 281 . و « الدروس » الامّحاء . و « التجهّم » العبوس .

و المراد بالجيفة ما كانوا يكتسبونه بالمكاسب المحرّمة في الجاهليّة أو ما كانوا يأكلون من الحيوانات الّتي أرهقت روحها بغير التذكية . و في تشبيه الخوف بالشعار و السيف بالدثار وجوه من اللطف و البلاغة . 282

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة :] بيان

« الفترة بين الرسل » انقطاع الوحي و الرسالة . و « الهجعة » النومة من الليل أو من أوّله ، و المراد نوم غفلة الأمم . و « الاعتزام » العزم ، كأنّ الفتنة مصمّمة للفساد و الهرج ، و الاعتزام أيضا لزوم القصد في المشي ، فالمعنى أنّها مقتصدة في مشيها لاطمئنانها و أمنها . و يروى بالراء المهملة أي كثرة . و يروى « اعتراض » من « اعتراض الفرس في الطريق » إذا مشى عرضا . و « التلظّي » التلهّب . و في إضافة الكسف إلى النور توسّع . و « غار الماء » ذهب ، و كذا « اغوراره » ذهابه في الأرض . و « التجهّم » العبوس . و « طعامها الجيفة » أي الحرام لأنّهم كانوا يأخذونه بالنهب و الغارات ، أو الميتة لأنّهم لم يكونوا يذبحون الحيوانات . و لمّا كان الخوف باطنا شبّهه بالشعار ، و السيف ظاهرا شبّهه بالدثار . و « تيك » إشارة إلى الدنيا أو أعمالهم القبيحة . و « الأحقاب » جمع

----

(281) الملك : 30 .

----

(282) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 218 .

[247]

« حقب » بضمّتين ، و هو الدهر .

و « و اللّه ما بصّرتم » لما بيّن عليه السلام أوّلا أنّه لم تكن الهداية للسابقين أكمل من جهة الفاعل و لا القابل فقطع عذر الحاضرين من هذه ، و كان مظنّة أن يدّعي مدّع منهم العلم بأمر يقتضي العدول عن المتابعة لم يعلم به آباؤهم ، دفع عليه السلام ذلك التوهّم بهذا الكلام .

و « الصفى » ما يصفيه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة ، و لعلّ المراد بالبليّة فتنة معاوية . و قوله عليه السلام « جائلا خطامها » كناية عن خطرها و صعوبة حال من ركن إليها و ركبها ، أو عن كونها مالكة لأمرها فإنّ البعير إذا لم يكن له من يقوده يجول خطامه . و « الخطام » الزمام . و « البطان » الحزام الّتي تجعل تحت بطن البعير ، و رخاوتها مستلزمة لصعوبة ركوبها . و تشبيه الدنيا و زخارفها بالظلّ لعدم تأصّله في الوجود و لكونه زائلا بسرعة . و « الأجل » مدّة العمر ، و وصفها بالمعدود باعتبار أجزائه و كونه منتهى غاية المدّ على تقديم مضاف أي ممدود إلى انقضاء أجل معدود ، و يحتمل أن يكون المراد بالأجل غاية العمر ، و وصفه بالمعدود على المجاز . 283

90 و من خطبة له عليه السلام و تشتمل على قدم الخالق و عظم مخلوقاته ، و يختمها بالوعظ

الحمد للّه المعروف من غير رؤية ، و الخالق من غير رويّة (986) ،

الّذي لم يزل قائما دائما ، إذ لا سماء ذات أبراج ، و لا حجب ذات إرتاج (987) ، و لا ليل داج (988) ، و لا بحر ساج (989) ، و لا جبل ذو فجاج (990) ، و لا فجّ ذو اعوجاج ، و لا أرض ذات مهاد (991) ،

و لا خلق ذو اعتماد (992) : ذلك مبتدع (993) الخلق و وارثه (994) ، و إله

----

(283) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 722 ، ط كمپاني و ص 668 ، ط تبريز .

[248]

الخلق و رازقه ، و الشّمس و القمر دائبان (995) في مرضاته : يبليان كلّ جديد ، و يقرّبان كلّ بعيد .

قسم أرزاقهم ، و أحصى آثارهم و أعمالهم ، و عدد أنفسهم ،

و خائنة أعينهم (996) ، و ما تخفي صدورهم من الضّمير ، و مستقرّهم و مستودعهم من الأرحام و الظّهور ، إلى أن تتناهى بهم الغايات .

هو الّذي اشتدّت نقمته (997) على أعدائه في سعة رحمته ، و اتّسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته ، قاهر من عازّه (998) ، و مدمّر من شاقّه (999) ، و مذلّ من ناواه (1000) ، و غالب من عاداه . من توكّل عليه كفاه ، و من سأله أعطاه ، و من أقرضه قضاه (1001) ، و من شكره جزاه .

عباد اللّه ، زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا ، و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا ، و تنفّسوا قبل ضيق الخناق ، و انقادوا قبل عنف السّياق (1002) ، و اعلموا أنّه من لم يعن (1003) على نفسه حتّى يكون له منها واعظ و زاجر ، لم يكن له من غيرها لا زاجر و لا واعظ .

بيان

« من غير رويّة » أي تفكّر ، لأنّه يستلزم الجهل السابق و حدوث أمر فيه لم يكن و الاستكمال بعد النقص . « الّذي لم يزل قائما » أي بذاته أو بأحوال الخلق ،

و قد مرّ مرارا . « دائما » أي باقيا بذاته من غير علّة . « ذات أبراج » أي بروج أو كواكب نيّرة . و « الحجب » جمع الحجاب و المراد هنا ما سيأتي من الحجب النورانيّة الّتي تحت

[249]

العرش أو السماوات عبّر عنها بلفظين . و « الارتاج » في بعض النسخ بكسر الهمزة مصدر « أرتج الباب » أي أغلقه ، و في بعضها بالفتح جمع « رتج » بالتحريك ، أو « رتاج » بالكسر ، و الأوّل الباب العظيم ، و الثاني الباب المغلق أو الّذي عليه باب صغير .

و « الداجي » المظلم . و « الساجي » الساكن . و « الفجاج » جمع « الفجّ » بالفتح و هو الطريق الواسع بين الجبلين . و « المهاد » بالكسر ، الفراش . و « اعتمدت على الشيء » اتّكأت عليه ، و كلّ حيّ يعتمد على رجله في المشي و على غيرها ، و يمكن أن يراد به القوّة و التصرّف . و « أبدعت الشيء و ابتدعته » أي استخرجته و أحدثته ، و « الابتداع » الخلق على غير مثال . و « وارثه » أي الباقي بعد فنائهم و المالك لما ملكوا ظاهرا ، و لا يخفى صراحته في حدوث العالم . 284

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة :] بيان

« الرويّة » التفكّر ، و القائم في صفاته تعالى بمعنى الدائم الثابت الّذي لا يزول ، أو العالم بالخلق الضابط لأحوالهم أينما كانوا ، أو قيامه توكيله الحفظة عليهم ، أو حفظه للخلق و تدبيره لأمورهم ، أو مجازاته بالأعمال ، أو قهره لعباده و اقتداره عليهم . و « الأبراج » قيل : هو جمع « البرج » بالضمّ ، بمعنى الركن و أركانها أجزاؤها و تداويرها و خوارجها و متمّماتها ، أو البرج بالمعنى المصطلح أي البروج الإثنى عشر ،

و الأظهر عندي أنّه جمع « البرج » بالتحريك ، أي الكواكب . قال الفيروز آباديّ :

« البرج الجميل » الحسن الوجه ، أو المضيء البيّن المعلوم ، و الجمع أبراج .

قوله عليه السلام : « ذات ارتاج » إمّا بالكسر مصدر « أرتج » أي أغلق ،

أو بالفتح جمع « الرتاج » و هو الباب المغلق ، و فيه : أنّه قلّما يجمع فعال على أفعال . و روي : « ذات رتاج » على المفرد . و « الداجي » المظلم . و « الساجي » الساكن .

و « الفجاج » بالكسر ، جمع « فجّ » بالفتح و هو الطريق الواسع بين الجبلين . و « المهاد » الفراش ، أي أرض مبسوطة ممكّنة للتعيّش عليها كالمهاد .

قوله عليه السلام : « ذو اعتماد » أي ذو قوّة و بطش ، أو يسعى برجلين

----

(284) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 57 ، كتاب السماء و العالم ، ص 25 .

[250]

فيعتمد عليهما . و « دأب في عمله » أي جدّ و تعب ، و الشمس و القمر دائبان لتعاقبهما على حالة واحدة لا يفتران و لا يسكنان ، و روي : « دائبين » بالنصب على الحال ، و يكون خبرا لمبتدأ « يبليان » .

قوله عليه السلام : « و أحصى آثارهم » أي آثار أقدامهم و وطئهم في الأرض ، أو حركاتهم و تصرّفاتهم ، أو ما يبقى بعدهم من سنّة حسنة أو سيّئة ، كما فسّر به قوله تعالى : وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَارَهُمْ 285 . و روي : « عدد أنفاسهم » على الإضافة . و « خائنة الأعين » ما يسارق من النظر إلى ما لا يحلّ ، أو أن ينظر نظرة بريبة .

قوله عليه السلام : « من الأرحام » متعلّقه بمستقرّهم و مستودعهم ، بيانا لهما على اللفّ و النشر ، و لمّا كان تحقّق الغرض و كمال الذات و حلول الروح في الرحم عبّر عنه بالمستقرّ و عن الظهر بالمستودع ، و يكون الظرف أعني قوله « إلى أن تتناهى » متعلّقا بالأفعال السابقة أي قسّم و أحصى و عدّد ، و يكون تناهي الغاية بهم كناية عن موتهم ، و يحتمل أن يكون المراد : مستقرّهم و مأواهم على ظهر الأرض و مستودعهم في بطنها بعد الموت و يكون « من » بمعنى « مذ » أي مذ زمان كونهم في الأرحام و الظهور إلى أن تناهي الغاية أي إلى أن يحشروا في القيامة و صاروا إلى النعيم أو إلى الجحيم ، و يحتمل أن يكون المراد بالمستقرّ و المستودع من استقرّ فيه الإيمان و من استودع الإيمان ثمّ يسلب كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة ، و توجيه الظرفين بعد ما مرّ غير خفيّ .

قوله عليه السلام « في سعة رحمته » أي في حال سعة رحمته على أوليائه ،

و اتّسعت رحمته لأوليائه في حال شدّة نقمته على أعدائه ، فالمراد تنزيهه تعالى عن صفة المخلوقين فإنّ رحمتهم لا تكون في حال غضبهم و بالعكس ، أو اشتدّت نقمته على أعدائه في حال سعة رحمته عليهم فإنّ رحمته تعالى شاملة لهم في دنياهم و هم فيها يستعدّون للنقمة الشديدة ، و لا يخفى بعده . و « المعازّة » المغالبة . و « المدمّر » المهلك .

و « المشاقّة » المعاداة و المنازعة .

قوله عليه السلام « و تنفّسوا قبل ضيق الخناق » استعار لفظ التنفّس

----

(285) يس : 12 .

[251]

لتحصيل الراحة و البهجة في الجنّة بالأعمال الصالحة في الدنيا و استعار لفظ الخناق من الحبل المخصوص للموت ، أي انتهزوا الفرصة للعمل قبل تعذّره بزوال وقته .

قوله عليه السلام « قبل عنف السياق » أي السوق العنيف عند قبض الروح ، أو في القيامة إلى الحساب .

قوله عليه السلام « من لم يعن » على بناء المجهول ، أي لم يعنه اللّه على نفسه حتّى يجعل له منها واعظا و زاجرا لم يمنعه المنع و الزجر من غيرها ، أو على بناء المعلوم كما روي أيضا أي من لم يعن الواعظين له و المنذرين على نفسه لم ينتفع بالوعظ و الزجر لأنّ هوى نفسه يغلب وعظ كلّ واعظ . 286

91 و من خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الأشباح (1004) ، و هي من جلائل خطبه عليه السلام

روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة على منبر الكوفة ، و ذلك أن رجلا أتاه فقال له : يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا مثلما نراه عيانا لنزداد له حبا و به معرفة ، فغضب و نادى : الصلاة جامعة ،

فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله ، فصعد المنبر و هو مغضب متغير اللون ، فحمد اللّه و أثنى عليه و صلى على النبي صلى اللّه عليه و آله ، ثم قال :

القسم الأول وصف اللّه تعالى

الحمد للّه الّذي لا يفره المنع و الجمود (1005) ، و لا يكديه (1006) الإعطاء و الجود ، إذ كلّ معط منتقص سواه ، و كلّ مانع مذموم ما خلاه ، و هو المنّان بفوائد النّعم ، و عوائد المزيد و القسم ، عياله

----

(286) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 4 ، كتاب التوحيد ، ص 311 .

[252]

الخلائق ، ضمن أرزاقهم ، و قدّر أقواتهم ، و نهج سبيل الرّاغبين إليه ، و الطّالبين ما لديه ، و ليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل .

الأوّل الّذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله ، و الآخر الّذي ليس له بعد فيكون شيء بعده ، و الرّادع أناسيّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه (1007) ، ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ، و لا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال . و لو وهب ما تنفّست (1008) عنه معادن الجبال ، و ضحكت (1009) عنه أصداف البحار ، من فلزّ اللّجين و العقيان (1010) ، و نثارة الدّرّ (1011) و حصيد المرجان (1012) ، ما أثّر ذلك في جوده ، و لا أنفد سعة ما عنده ، و لكان عنده من ذخائر الأنعام ما لا تنفده (1013) مطالب الأنام ، لأنّه الجواد الّذي لا يغيضه (1014) سؤال السّائلين ، و لا يبخله (1015) إلحاح الملحّين .

القسم الثاني صفاته تعالى في القرآن

فانظر أيّها السّائل : فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به (1016) و استضىء بنور هدايته ، و ما كلّفك الشّيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فرضه ، و لا في سنّة النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و أئمّة الهدى أثره ، فكلّ (1017) علمه إلى اللّه سبحانه ، فإنّ ذلك منتهى حقّ اللّه عليك . و اعلم أنّ الرّاسخين في العلم هم الّذين أغناهم عن اقتحام

[253]

السّدد (1018) المضروبة دون الغيوب ، الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فمدح اللّه تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما ، و سمّى تركهم التّعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخا ، فاقتصر على ذلك ، و لا تقدّر عظمة اللّه سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين . هو القادر الّذي إذا ارتمت الأوهام (1019) لتدرك منقطع (1020) قدرته ، و حاول الفكر المبرّأ (1021) من خطرات الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته ، و تولّهت القلوب إليه (1022) ، لتجري في كيفيّة صفاته ، و غمضت (1023) مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصّفات لتناول علم ذاته ، ردعها (1024) و هي تجوب مهاوي (1025) سدف (1026) الغيوب ، متخلّصة إليه سبحانه فرجعت إذ جبهت (1027) معترفة بأنّه لا ينال بجور الاعتساف (1028) كنه معرفته ، و لا تخطر ببال أولي الرّويّات (1029) خاطرة من تقدير جلال عزّته . الّذي ابتدع الخلق (1030) على غير مثال امتثله (1031) ، و لا مقدار احتذى عليه (1032) ، من خالق معبود كان قبله ، و أرانا من ملكوت قدرته ، و عجائب ما نطقت به آثار حكمته ، و اعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمساك (1033) قوّته ، ما دلّنا باضطرار قيام الحجّة له على معرفته ، فظهرت البدائع الّتي أحدثتها آثار صنعته ، و أعلام

[254]

حكمته ، فصار كلّ ما خلق حجّة له و دليلا عليه ، و إن كان خلقا صامتا ، فحجّته بالتّدبير ناطقة ، و دلالته على المبدع قائمة . فأشهد أنّ من شبّهك بتباين أعصاء خلقك ، و تلاحم حقائق مفاصلهم (1034) المحتجبة (1035) لتدبير حكمتك ، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ،

و لم يباشر قلبه اليقين بأنّه لا ندّ لك ، و كأنّه لم يسمع تبرّؤ التّابعين من المتبوعين إذ يقولون : تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ كذب العادلون بك (1036) ، إذ شبّهوك بأصنامهم ،

و نحلوك حلية (1037) المخلوقين بأوهامهم ، و جزّأوك تجزئة المجسّمات بخواطرهم ، و قدّروك (1038) على الخلقة المختلفة القوى ، بقرائح عقولهم . و أشهد أنّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك ،

و العادل بك كافر بما تنزّلت به محكمات آياتك ، و نطقت عنه شواهد حجج بيّناتك ، و إنّك أنت اللّه الّذي لم تتناه في العقول ،

فتكون في مهبّ فكرها مكيّفا (1039) ، و لا في رويّات خواطرها فتكون محدودا مصرّفا (1040) و منها : قدّر ما خلق فأحكم تقديره ، و دبّره فألطف تدبيره ،

و وجّهه لوجهته فلم يتعدّ حدود منزلته ، و لم يقصر دون الانتهاء إلى غايته ، و لم يستصعب (1041) إذ أمر بالمضيّ على إرادته ، فكيف

[255]

و إنّما صدرت الأمور عن مشيئته ؟ المنشىء أصناف الأشياء بلا رويّة فكر آل إليها ، و لا قريحة غريزة (1042) أضمر عليها ، و لا تجربة أفادها (1043) من حوادث الدّهور ، و لا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور ، فتمّ خلقه بأمره ، و أذعن لطاعته ، و أجاب إلى دعوته ، لم يعترض دونه ريث المبطىء (1044) ، و لا أناة المتلكّىء (1045) ، فأقام من الأشياء أودها (1046) ، و نهج (1047) حدودها ، و لاءم بقدرته بين متضادّها ، و وصل أسباب قرائنها (1048) ، و فرّقها أجناسا مختلفات في الحدود و الأقدار ، و الغرائز (1049) و الهيئات ، بدايا (1050) خلائق أحكم صنعها ، و فطرها على ما أراد و ابتدعها

القسم الثالث و منها في صفة السماء

و نظم بلا تعليق رهوات فرجها (1051) ، و لاحم صدوع انفراجها (1052) ،

و وشّج بينها و بين أزواجها (1053) ، و ذلّل للهابطين (1054) بأمره ، و الصّاعدين بأعمال خلقه ، حزونة (1055) معراجها ، و ناداها بعد إذ هي دخان ،

فالتحمت عرى أشراجها (1056) ، و فتق بعد الارتتاق صوامت (1057) أبوابها ، و أقام رصدا (1058) من الشّهب الثّواقب (1059) على نقابها (1060) ،

و أمسكها من أن تمور (1061) في خرق الهواء بأيده (1062) ، و أمرها أن تقف مستسلمة لأمره ، و جعل شمسها آية مبصرة (1063) لنهارها ،

[256]

و قمرها آية ممحوّة (1064) من ليلها ، و أجراهما في مناقل (1065) مجراهما ،

و قدّر سيرهما في مدارج درجهما ، ليميّز بين اللّيل و النّهار بهما ،

و ليعلم عدد السّنين و الحساب بمقاديرهما ، ثمّ علّق في جوّها فلكها (1066) ،

و ناط (1067) بها زينتها ، من خفيّات دراريّها (1068) و مصابيح كواكبها ،

و رمى مسترقي السّمع بثواقب شهبها ، و أجراها على أذلال (1069) تسخيرها من ثبات ثابتها ، و مسير سائرها ، و هبوطها و صعودها ، و نحوسها و سعودها .

القسم الرابع و منها في صفة الملائكة

ثمّ خلق سبحانه لإسكان سمواته ، و عمارة الصّفيح (1070) الأعلى من ملكوته ، خلقا بديعا من ملائكته ، و ملأ بهم فروج فجاجها ،

و حشا بهم فتوق أجوائها (1071) ، و بين فجوات تلك الفروج زجل (1072) المسبّحين منهم في حظائر (1073) القدس (1084) ، و سترات (1075) الحجب ،

و سرادقات (1076) المجد ، و وراء ذلك الرّجيج (1077) الّذي تستكّ (1078) منه الأسماع سبحات (1079) نور تردع الأبصار عن بلوغها ، فتقف خاسئة (1080) على حدودها . و أنشأهم على صور مختلفات ، و أقدار متفاوتات ، « أولي أجنحة » تسبّح جلال عزّته ، لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ، و لا يدّعون أنّهم يخلقون شيئا معه ممّا انفرد به ،

[257]

بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ جعلهم اللّه فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه ، و حمّلهم إلى المرسلين ودائع أمره و نهيه ، و عصمهم من ريب الشّبهات ، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته . و أمدّهم بفوائد المعونة ، و أشعر قلوبهم تواضع إخبات (1081) السّكينة ، و فتح لهم أبوابا ذللا (1082) إلى تماجيده ،

و نصب لهم منارا (1083) واضحة على أعلام (1084) توحيده ، لم تثقلهم موصرات الآثام (1085) ، و لم ترتحلهم (1086) عقب (1087) اللّيالي و الأيّام ،

و لم ترم الشّكوك بنوازعها (1088) عزيمة إيمانهم ، و لم تعترك الظّنون على معاقد (1089) يقينهم ، و لا قدحت قادحة الإحن (1090) فيما بينهم ،

و لا سلبتهم الحيرة ما لاق (1091) من معرفته بضمائرهم ، و ما سكن من عظمته و هيبة جلالته في أثناء صدورهم ، و لم تطمع فيهم الوساوس فتقترع (1092) برينها (1093) على فكرهم . و منهم من هو في خلق الغمام الدّلّح (1094) ، و في عظم الجبال الشّمّخ ، و في قترة (1095) الظّلام الأيهم (1096) ، و منهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السّفلى ، فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق (1097) الهواء ، و تحتها ريح هفّافة (1098) تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية ، قد استفرغتهم (1099) أشغال عبادته ، و وصلت حقائق الإيمان بينهم و بين معرفته ، و قطعهم

[258]

الإيقان به إلى الوله (1100) إليه ، و لم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره . قد ذاقوا حلاوة معرفته ، و شربوا بالكأس الرّويّة (1101) من محبّته ، و تمكّنت من سويداء (1102) قلوبهم وشيجة (1103) خيفته ،

فحنوا بطول الطّاعة اعتدال ظهورهم ، و لم ينفد (1104) طول الرّغبة إليه مادّة تضرّعهم ، و لا أطلق عنهم عظيم الزّلفة ربق (1105) خشوعهم ،

و لم يتولّهم الإعجاب فيستكثروا ما سلف منهم ، و لا تركت لهم استكانة (1106) الإجلال نصيبا في تعظيم حسناتهم ، و لم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم (1107) ، و لم تغض (1108) رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربّهم ، و لم تجفّ لطول المناجاة أسلات (1109) ألسنتهم ، و لا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجؤار (1110) إليه أصواتهم ، و لم تختلف في مقاوم (1111) الطّاعة مناكبهم ، و لم يثنوا إلى راحة التّقصير في أمره رقابهم ، و لا تعدو (1112) على عزيمة جدّهم بلادة الغفلات ، و لا تنتضل في هممهم خدائع الشّهوات (1113) . قد اتّخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم (1114) ، و يمّموه (1115) عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم ، لا يقطعون أمد غاية عبادته ،

و لا يرجع بهم الاستهتار (1116) بلزوم طاعته ، إلاّ إلى موادّ (1117) من قلوبهم غير منقطعة من رجائه و مخافته ، لم تنقطع أسباب الشّفقة (1118)

[259]

منهم ، فينوا (1119) في جدّهم ، و لم تأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيك السّعي (1120) على اجتهادهم . لم يستعظموا ما مضى من أعمالهم ، و لو استعظموا ذلك لنسخ الرّجاء منهم شفقات وجلهم (1121) ، و لم يختلفوا في ربّهم باستحواذ الشّيطان عليهم . و لم يفرّقهم سوء التّقاطع ،

و لا تولاّهم غلّ التّحاسد ، و لا تشعّبتهم مصارف الرّيب (1122) ، و لا اقتسمتهم أخياف (1123) الهمم ، فهم أسراء إيمان لم يفكّهم من ربقته زيغ و لا عدول و لا ونى (1124) و لا فتور ، و ليس في أطباق السّماء موضع إهاب (1125) إلاّ و عليه ملك ساجد ، أو ساع حافد (1126) ، يزدادون على طول الطّاعة بربّهم علما ، و تزداد عزّة ربّهم في قلوبهم عظما

القسم الخامس و منها في صفة الارض و دحوها على الماء

كبس (1127) الأرض على مور (1128) أمواج مستفحلة (1129) ، و لجج بحار زاخرة (1130) ، تلتطم أواذيّ (1131) أمواجها ، و تصطفق متقاذفات أثباجها (1132) ، و ترغو زبدا كالفحول عند هياجها ، فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها ، و سكن هيج ارتمائه إذ وطئته بكلكلها (1133) ، و ذلّ مستخذيا (1134) ، إذ تمعّكت (1135) عليه بكواهلها ،

فأصبح بعد اصطخاب (1136) أمواجه ، ساجيا (1137) مقهورا ، و في حكمة (1138) الذّلّ منقادا أسيرا ، و سكنت الأرض مدحوّة (1139) في لجّة

[260]

تيّاره ، و ردّت من نخوة بأوه (1140) و اعتلائه ، و شموخ أنفه و سموّ غلوائه (1141) ، و كعمته (1142) على كظّة (1143) جريته ، فهمد بعد نزقاته (1144) ، و لبد (1145) بعد زيفان (1146) و ثباته . فلمّا سكن هيج الماء من تحت أكنافها (1147) ، و حمل شواهق الجبال الشّمّخ البذّخ (1148) على أكتافها ، فجّر ينابيع العيون من عرانين (1149) أنوفها ، و فرّقها في سهوب (1150) بيدها (1151) و أخاديدها (1152) ، و عدّل حركاتها بالرّاسيات من جلاميدها (1153) ، و ذوات الشّناخيب الشّمّ (1154) من صياخيدها (1155) ،

فسكنت من الميدان (1156) لرسوب الجبال في قطع أديمها (1157) ،

و تغلغلها (1158) متسرّبة (1159) في جوبات خياشيمها (1160) ، و ركوبها (1161) أعناق سهول الأرضين و جراثيمها (1162) ، و فسح بين الجوّ و بينها ،

و أعدّ الهواء متنسّما لساكنها ، و أخرج إليها أهلها على تمام مرافقها (1163) .

ثمّ لم يدع جرز (1164) الأرض الّتي تقصر مياه العيون عن روابيها (1165) ،

و لا تجد جداول الأنهار ذريعة (1166) إلى بلوغها ، حتّى أنشأ لها ناشئة سحاب تحيي مواتها (1167) ، و تستخرج نباتها . ألّف غمامها بعد افتراق لمعه (1168) ، و تباين قزعه (1169) ، حتّى إذا تمخّضت (1170) لجّة المزن فيه ، و التمع برقه في كففه (1171) ، و لم ينم وميضه (1172) في كنهور ربابه (1173) ، و متراكم سحابه ، أرسله سحّا (1174) متداركا ،

قد أسفّ هيدبه (1175) ، تمريه (1176) الجنوب درر (1177) أهاضيبه (1178) و دفع شآبيبه (1179) . فلمّا ألقت السّحاب برك بوانيها (1180) ، و بعاع (1181) ما استقلّت به من العبء (1182) المحمول عليها ، أخرج به من هوامد (1183) الأرض النّبات ، و من زعر (1184) الجبال الأعشاب ، فهي تبهج (1185) بزينة رياضها ، و تزدهي (1186) بما ألبسته من ريط (1187) أزاهيرها (1188) ،

و حلية ما سمطت (1189) به من ناضر أنوارها (1190) ، و جعل ذلك بلاغا (1191) للأنام ، و رزقا للأنعام ، و خرق الفجاج في آفاقها ،

و أقام المنار للسّالكين على جوادّ طرقها . فلمّا مهد أرضه ، و أنفذ أمره ، اختار آدم ، عليه السّلام ، خيرة من خلقه ، و جعله أوّل جبلّته (1192) ، و أسكنه جنّته ، و أرغد فيها أكله ، و أوعز إليه فيما نهاه عنه ، و أعلمه أنّ في الإقدام عليه التّعرّض لمعصيته ، و المخاطرة بمنزلته ، فأقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه فأهبطه بعد التّوبة ليعمر أرضه بنسله ، و ليقيم الحجّة به على عباده ، و لم يخلهم بعد أن قبضه ، ممّا يؤكّد عليهم حجّة ربوبيّته ، و يصل بينهم و بين معرفته ، بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه ، و متحمّلي ودائع رسالاته ، قرنا فقرنا ، حتّى تمّت بنبيّنا محمّد صلّى الله عليه و سلّم حجّته ، و بلغ المقطع (1193) عذره و نذره . و قدّر الأرزاق فكثّرها

و قلّلها ، و قسّمها على الضّيق و السّعة فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها و معسورها ، و ليختبر بذلك الشّكر و الصّبر من غنيّها و فقيرها . ثمّ قرن بسعتها عقابيل فاقتها (1194) ، و بسلامتها طوارق آفاتها ، و بفرج (1195) أفراحها غصص أتراحها (1196) . و خلق الآجال فأطالها و قصّرها ، و قدّمها و أخّرها ، و وصل بالموت أسبابها (1197) ، و جعله خالجا لأشطانها (1198) ،

و قاطعا لمرائر أقرانها (1199) . عالم السّرّ من ضمائر المضمرين ، و نجوى المتخافتين (1200) ، و خواطر رجم الظّنون (1201) ، و عقد عزيمات اليقين (1202) ، و مسارق إيماض الجفون (1203) و ما ضمنته أكنان القلوب (1204) و غيابات الغيوب (1205) ، و ما أصغت لاستراقه (1206) مصائخ (1207) الأسماع ، و مصائف الذّرّ (1208) ، و مشاتي (1209) الهوامّ ،

و رجع الحنين (1210) من المولهات (1211) ، و همس (1212) الأقدام ،

و منفسح (1213) الثّمرة من ولائج (1214) غلف الأكمام (1215) ،

و منقمع (1216) الوحوش من غير ان (1217) الجبال و أوديتها ، و مختبإ البعوض بين سوق (1218) الأشجار و ألحيتها (1219) ، و مغرز الأوراق من الأفنان (1220) ، و محطّ الأمشاج (1221) من مسارب الأصلاب (1222) ،

و ناشئة الغيوم و متلاحمها ، و درور قطر السّحاب في متراكمها ، و ما تسفي (1223) الأعاصير (1224) بذيولها ، و تعفو (1225) الأمطار بسيولها ،

[263]

و عوم بنات الأرض في كثبان (1226) الرّمال ، و مستقرّ ذوات الأجنحة بذرا (1227) شناخيب (1228) الجبال ، و تغريد ذوات المنطق في دياجير (1229) الأوكار ، و ما أوعبته الأصداف (1230) ، و حضنت (1231) عليه أمواج البحار ، و ما غشيته سدفة ليل (1232) ، أو ذرّ (1233) عليه شارق نهار ، و ما اعتقبت (1234) عليه أطباق الدّياجير (1235) ، و سبحات النّور (1236) ، و أثر كلّ خطوة ، و حسّ كلّ حركة ، و رجع كلّ كلمة ، و تحريك كلّ شفة ، و مستقرّ كلّ نسمة ، و مثقال كلّ ذرّة ، و هماهم (1237) كلّ نفس هامّة ، و ما عليها من ثمر شجرة ، أو ساقط ورقة ، أو قرارة (1238) نطفة ، أو نقاعة (1239) دم و مضغة ، أو ناشئة خلق و سلالة ، لم يلحقه في ذلك كلفة ، و لا اعترضته في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة (1240) ، و لا اعتورته (1241) ، في تنفيذ الأمور و تدابير المخلوقين ملالة و لا فترة ، بل نفذهم علمه ، و أحصاهم عدده ، و وسعهم عدله ، و غمرهم فضله ، مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله .

القسم السادس دعاء

اللّهمّ أنت أهل الوصف الجميل ، و التّعداد الكثير ، إن تؤمّل فخير مأمول ، و إن ترج فخير مرجوّ . اللّهمّ و قد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك ، و لا أثني به على أحد سواك ، و لا أوجّهه إلى معادن

[264]

الخيبة و مواضع الرّيبة ، و عدلت بلساني عن مدائح الآدميّين ،

و الثّناء على المربوبين المخلوقين . اللّهمّ و لكلّ مثن على من أثنى عليه مثوبة (1242) من جزاء ، أو عارفة من عطاء ، و قد رجوتك دليلا على ذخائر الرّحمة و كنوز المغفرة . اللّهمّ و هذا مقام من أفردك بالتّوحيد الّذي هو لك ، و لم ير مستحقّا لهذه المحامد و الممادح غيرك ، و بي فاقة إليك لا يجبر مسكنتها إلاّ فضلك ، و لا ينعش من خلّتها (1243) إلاّ منّك (1244) وجودك ، فهب لنا في هذا المقام رضاك ، و أغننا عن مدّ الأيدي إلى سواك ، « إنّك على كلّ شيء قدير » التوحيد : عن عليّ بن أحمد الدقاق ، عن محمّد بن جعفر الأسديّ ، عن محمّد بن اسماعيل البرمكيّ ، عن عليّ بن العبّاس ، عن اسماعيل بن مهران ، عن اسماعيل بن الحق الجهنيّ ، عن فرج بن فروة ، عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام : مثله مع الاختصار ، و قد مرّ في كتاب التوحيد . 287

بيان

قد مضى شرح أكثر أجزاء هذه الخطبة في كتاب التوحيد . و لعلّ غضبه عليه السلام لعلمه بأنّ غرض السائل وصفه سبحانه بصفات الأجسام ، أو لأنّه سأل بيان كنه حقيقته سبحانه ، أو وصفه بصفات أرفع و أبلغ ممّا نطق به الكتاب و الآثار لزعمه أنّه لا يكفي في معرفته سبحانه ، و يؤيّد كلاّ من الوجوه بعض الفقرات .

----

(287) كتاب التوحيد للصدوق ، ص 23 .

[265]

و « جامعة » منصوبة على الحاليّة ، أي عليكم الصلاة على رفع الصلاة كما حكي ، أو احضروا الصلاة على نصبها جامعة لكلّ الناس . و ربّما يقرء برفعهما على الابتداء و الخبريّة . و هذا النداء كان شائعا في الخطوب الجليلة و إن كان أصله للصلاة .

« لا يفره » أي لا يكثره « المنع » [288] أي ترك العطاء . « و لا يكديه الإعطاء » أي لا يجعله قليل الخير مبطئا فيه ، يقال : « كدت الأرض » إذا أبطأ نباتها ، و « أكدى » فلان الأرض » إذا جعلها كادية ، أو لا تردّه كثرة العطاء عن عادته فيه ، من قولهم « أكديت الرجل عن الشيء » أي رددته عنه ، ذكره الجوهريّ و قال : « الكدية » الأرض الصلبة ، و « أكدى الحافر » إذا بلغ الكدية فلا يمكنه أن يحفر ، و « أكدى الرجل » إذا قلّ خيره و انتقص ، يكون متعدّيا و لازما كنقص . و هذا في النسخ على بناء المفعول ،

و التعليل بالجملتين باللفّ و النشر المرتّب أو المشوّش لمطابقة الإعطاء و المنع في كلّ منهما ، و على التقديرين التعليل في الأولى ظاهر ، و الفقرة الثانية ليس في نسخ التوحيد و هو الصواب ، و على تقديرها ففي أصل الجملة و التعليل بها معا إشكال ، أمّا الأوّل فلأنّه

[288] قوله عليه الصلاة و السلام « لا يفره المنع » أي لا يكثره ترك الإعطاء و لا يزيد في ملكه . « و لا يكديه الإعطاء » أي لا يفقره و لا ينتقص من ملكه « إذ كلّ معط منتقص سواه و كلّ مانع مذموم ما خلاه » . حسن الإعطاء و الجود و قبح المنع و البخل من أحكام العقل العمليّ ، و ملاك الحكم أنّه يرى الإنسان محتاجا إلى بني نوعه مفتقرا إلى التعاون و التعاضد معهم حتّى يسعد في حياته و يبلغ غاية مناه ، فلكلّ فرد من أفراد المجتمع قدم إلى تشكيله و أثر في ابقائه ، و حقّ على زملائه و حقّ عليهم جميعا أن يتحفّظوا على الاجتماع و يراقبوا ثغوره و يذبّوا عن حدوده ، فحقّ على الأغنياء المثرين أن يبذلوا على الفقراء المعدمين و لا يدعوهم مفتقرين حتّى يهلكوا و يفقد المجتمع بعض أعضائه فينتقض الغرض و يخيب المسعى .

و من الواضح عدم وجود هذا الملاك في الحقّ سبحانه لتعاليه عن الحاجة و ترفّعه عن النقصان و تنزّهه عن الغرض الزائد على الذات ، لكن حيث إنّ له تعالى مطلق الكمال و الجمال و له الأسماء الحسنى و الصفات العليا ، كان ذاته المتعالية و صفاته الجميلة الغير الزائدة عليها مقتضية لصدور الأفعال الحسنة و كان كلّ أفعاله لا محالة حسنة جميلة ، لكن ليس للعقل أن يحكم عليه بوجوب فعل الخير و ترك الشرّ إلاّ بمعنى إدراكه لاقتضاء ذاته سبحانه لهما ، و على هذا فلو صدر عنه سبحانه منع أيضا كان حسنا لأنّه ليس لأحد عليه تعالى حقّ حتّى يحسن إعطاؤه و يقبح منعه ، و لا يسأل عمّا يفعل و هم يسألون . و هذا هو المراد بقول الإمام الثامن عليه السلام : « فهو الجواد إن أعطى ، و هو الجواد إن منع ، لأنّه إن أعطى عبدا أعطاه ما ليس له و إن منعه منعه ما ليس له » .

[266]

إن أريد بالمنع ما كان مستحسنا أو الأعمّ فكيف يصحّ الحكم بكونه مذموما ، و إن أريد به ما لم يكن مستحسنا فلا يستقيم الاستثناء .

و يمكن أن يجاب باختيار الثاني من الأوّل أي الأعمّ و يقال : المراد بالمذموم من أمكن أن يلحقه الذمّ ، فيصير حاصل الكلام أنّ كلّ مانع غيره يمكن أن يلحقه الذمّ بخلافه سبحانه ، فإنّه لا يحتمل أن يلحقه بالمنع ذمّ أو يقال المانع لا يصدق على غيره تعالى إلاّ إذا بخل بما افترض عليه ، و إذا أطلق عليه سبحانه يراد به مقابل المعطي ، و المراد بالعنوان المعنى الشامل لهما . و يدلّ عليه ما مرّ مرويّا عن الرضا عليه السلام أنّه سئل عن الجواد فقال عليه السلام : إنّ لكلامك وجهين : فان كنت تسأل عن المخلوق فإنّ الجواد هو الّذي يؤدّي ما افترض اللّه سبحانه عليه و البخيل هو الّذي يبخل بما افترض اللّه عليه ، و إن أردت الخالق فهو الجواد إن أعطى ،

و هو الجواد إن منع ، لأنّه إن أعطى عبدا أعطاه ما ليس له ، و إن منعه منعه ما ليس له .

و أمّا الثاني فيحتمل أن تكون جملة مستقلّة غير داخلة تحت التعليل مسوقة لرفع توهّم ينشأ من التعليل بعدم الانتقاص بالإعطاء ، فإنّ لمتوهّم أن يقول : إذا لم ينقص من خزائنه شيء بالإعطاء فيجب أن لا يتّصف بالمنع أصلا ، و لو اتّصف به لكان مذموما ،

مع أنّ من أسمائه تعالى المانع . فردّ ذلك الوهم بأنّ منعه سبحانه ليس للانتقاص بالإعطاء ، بل لقبح الإعطاء و عدم اقتضاء المصلحة له ، و مثل ذلك المنع لا يستتبع الذمّ و استحقاقه . و لو حملت على التعليل فيمكن أن يكون من قبيل

الاستدلال بعدم المعلول على عدم العلّة ، فإنّ الوفور بالمنع أو إكداء الإعطاء 289 علّة للبخل التابع للخوف من الفاقة ، و هو علّة لترتّب الذمّ من حيث إنّه نقص أو لاقتضائه المنع و ردّ السائل ، و نفي الذمّ يدلّ على عدم الوفور أو الإكداء المدّعى في الجملتين المتقدّمتين .

« المنّان بفوائد النعم » المنّ يكون بمعنى الانعام و بمعنى تعديد النعم و الأوّل هنا أظهر ، و ربّما يحمل على الثاني فإنّ منّه سبحانه حسن و إن كان في المخلوق صفة ذمّ . و « الفائدة » الزيادة تحصل للإنسان من مال أو غيره . و « العائد » المعروف

----

(289) في (ظ) : أو الإكداء بالإعطاء .

[و العطف] ، و قيل : « عوائد المزيد و القسم » معتادهما ، و « المزيد » الزيادة و لعلّ المراد به ما لا يتوهّم فيه استحقاق العبد . و « القسم » جمع « القسمة » و هي الاسم من « قسمه [كضربه] و قسّمه » بالتشديد ، أي جزّأه . و « عيال الرجل » بالكسر ، أهل بيته و من يمونهم ، جمع « عيل » و جمعه « عيائل » .

« ضمن أرزاقهم » أي كفلها . « و قدّر أقواتهم » أي جعل لكلّ منهم من القوت قدرا تقتضيه الحكمة و المصلحة . و « نهج سبيل الراغبين إليه » ، « نهجت الطريق » أبنته و أوضحته و نهج السبيل لصلاح المعاد كما أنّ ضمان الأرزاق لصلاح المعاش ، و يحتمل الأعمّ . « ليس بما سئل الخ » عدم الفرق بينهما بالنظر إلى الجود لا ينافي الحثّ على السؤال لأنّه من معدّات السائل لاستحقاق الانعام ، لأنّ نسبته سبحانه إلى الخلق على السواء ، و إن استحقّ السائل ما لا يستحقّه 290 غيره بخلاف المخلوقين فإنّ السؤال يهيج جودهم بالطبع مع قطع النظر عن الاستعداد .

« الأوّل الّذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله » قيل : وجوده سبحانه ليس بزمانيّ فلا يطلق عليه القبليّة و البعديّة كما يطلق على الزمانيّات ، فمعناه : الأوّل الّذي لا يصدق عليه القبليّة ليمكن أن يكون شيء [ما] قبله ، و الآخر الّذي لا يصدق عليه البعديّة الزمانيّة ليمكن أن يكون شيء ما بعده . و قد يحمل على وجه آخر و هو أنّه لم يكن سبقه عدم فيقال إنّه مسبوق بشيء من الأشياء إمّا المؤثّر فيه أو الزمان المقدّم عليه ، و أنّه ليس بذات يمكن فناؤها و عدمها فيكون بعده شيء من الأشياء إمّا الزمان أو غيره .

و يمكن أن يكون المراد بالقبل الزمان المتقدّم سواء كان أمرا موجودا أو موهوما ،

و بالشيء موجودا من الموجودات أي ليس قبله زمان حتّى يتصوّر تقدّم موجود عليه ،

و كذا بقاء موجود بعده .

« و الرادع أناسيّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه » ، « الأناسيّ » بالتشديد ، جمع « إنسان » و إنسان العين المثال الّذي يرى في السواد ، و لا يجمع على « أناس » كما يجمع الإنسان بمعنى البشر عليه . و قيل : « الأناسيّ » جمع « إنسان العين » مشدّد ، و الآخر يشدّد

----

(290) في بعض النسخ : ما لم يستحقّه .

و يخفّف و قرء « أناسي كثيرا » بالتخفيف . و « ردعها » أي منعها كناية عن عدم إمكان إحساسها له لأنّه سبحانه ليس بجسم و لا جسمانيّ و لا في جهة . و « نلت الشيء » أصبته و أدركته ، أي تبعته فلحقته ، و المراد بالنيل الإدراك التامّ و بالإدراك غيره ، و يحتمل العكس و أن يكون العطف لتغاير اللفظين أو يكون إشارة إلى جهتين لامتناع الرؤية ، فالنيل إشارة إلى استلزام كونه ذا جهة و جسمانيّا ، و الإدراك إلى أنّه يستلزم وجود كنه ذاته في الأذهان و هو ممتنع كما أشرنا إليه في كتاب التوحيد .

« ما اختلف عليه دهر » ظاهره نفي الزمانيّة عنه تعالى ، و يحتمل أن يراد به جريانه على خلاف مراده أحيانا و على وفق إرادته أحيانا حتّى يلحقه ما يلحق الخلق من الشدّة و الرخاء و النعم و البؤس و الصحّة و السقم و نحو ذلك .

« و لو وهب ما تنفّست » استعار التنفّس هنا لإبراز المعادن ما يخرج منهما كما يخرج الهواء من تنفّس الحيوان . « و ضحكت عنه » أي تفتّحت و انشقّت حتّى ظهر و يقال للطلع حين تنشقّ « الضحك » بفتح الضاد ، و قد مرّ بيان لطف تلك التشبيهات .

« و الفلزّ » بكسر الفاء و اللام و تشديد الزاي ، الجواهر المعدنيّة كالذهب و الفضّة ، و في الصحاح : ما ينقّيه [291] الكير ممّا يذاب من جواهر الأرض . « و اللّجين » مصغّرا ، الفضّة ، « و العقيان » بالكسر ، الذهب الخالص . و « نثرت الشيء » كنصرت رميته متفرّقا ، و « نثارة الدّر » بالضمّ ، ما تناثر منه ، و « الدّر » جمع « درّة » و هي اللؤلؤة العظيمة أو مطلقا . و « حصد الزرع » قطعه بالمنجل ، و « الحصيد » المحصود ،

و المراد بالمرجان إمّا صغار اللؤلؤ و وصفه بالحصيد 292 لعلّه يناسب ما يذكره التجّار أنّ الصدف كثيرا ما يغرز عرقه في أرض البحر فتحصده الغوّاصون ، و لذا قيل : إنّه حيوان يشبه النبات . و قال بعض شارحي النهج : كأنّ المراد المتبدّد من المرجان كما يتبدّد الحبّ المحصود ، و يجوز أن يعنى المحكم من قولهم « شيء مستحصد » أي مستحكم ،

[291] في النسخة المطبوعة بمصر : « ينفيه » و ما في المتن أظهر . و « الكير » كما نقل في الصحاح عن أبي عمرو هو كير الحدّاد و هو زقّ أو جلد غليظ ذو حافات . و في القاموس : « الفلزّ » بكسر الفاء و اللام و شدّ الزاي و كهجفّ و عتلّ ، نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغة ، أو خبث الحديد ، أو الحجارة ، أو جواهر الأرض كلّها ، أو ما ينفيه الكير من كلّ ما يذاب منها . . . الخ .

----

(292) في بعض النسخ : بالحصد .

قال : و يروى « و حصباء المرجان » و « الحصباء » الحصا ، و قال قوم : هو البسد يعني الحجر الأحمر ، و « أنفده » أي أفناه . و « ذخائر الأنعام » ما بقي عنده من نعمه الجسام بعد العطايا المفروضة . و « المطالب » جمع « المطلب » بمعنى المصدر . « لا يغيضه » جاء متعدّيا كما جاء لازما . « و لا يبخّله » أي لا يجعله بخيلا ، و يقال أيضا : « بخّله تبخيلا » إذا رماه بالبخل و روي على صيغة الإفعال أي لا يجده بخيلا . و التعليل بقوله « لأنّه الجواد » إمّا للجملة الشرطيّة بتواليها فالوجه في التعليل بنفي التبخيل ظاهر ، إذ لو أثّر العطاء المفروض في جوده لبخّله الإلحاح ، فإنّه في الحقيقة منع 293 التأثير في الجود ، فنفيه يدلّ على نفيه ، و إمّا لبقاء ما لا ينفده المطالب فوجه التعليل أنّ العادة قد جرت بلحوق البخل لمن ينفد ما عنده بالطلب و إن أمكن عقلا عدمه بأن يسمح بكلّ ما عنده ، فنفي التبخيل يدلّ على نفي الإنفاد .

« فانظر أيّها السائل الخ » ، « الايتمام » الاقتداء . و « الأثر » بالتحريك ، نقل الحديث و روايته . و « وكل الأمر إليه وكلا و وكولا » سلّمه و تركه ، و يدلّ على المنع من الخوض في صفاته سبحانه و من البحث عمّا لم يرد منها في الكتاب و السنّة .

« و اعلم أنّ الراسخين في العلم » إلى آخره . « الراسخ في العلم » الثابت فيه .

« و اقتحم المنزل » أي دخله بغتة و من غير رويّة . و « السدد » جمع « سدّة » و هي باب الدار ، و « ضرب الباب » نصبه ، و « دون الشيء » ما قرب منه قبل الوصول إليه .

و « المتعمّق في الأمر » الّذي يبالغ فيه و يطلب أقصى غايته . و « قدر الشيء » مبلغه ،

و « تقديره » أن تجعل له قدرا و تقيسه بشيء ، و المعنى : لا تقس عظمة اللّه بمقياس عقلك و مقداره . و الظاهر أنّ المراد بإقرار الراسخين في العلم و مدحهم ما تضمّنه قوله سبحانه : فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشابَهَ مِنْهُ . . . إلى قوله : وَ مَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ أُولُو الْأَلْبَابِ 294 فإقرارهم قولهم « آمنّا به كلّ من عند ربّنا » و مدح اللّه تعالى إيّاهم ذكر كلامهم المتضمّن للإيمان و التسليم في مقام المدح ، أو تسمية ترك

----

(293) في المخطوطة : معنى التأثير .

----

(294) آل عمران : 7 .

[270]

تعمّقهم رسوخا في العلم ، فالعطف في قوله « و سمّى » للتفسير أو الإشارة إلى أنّهم أولوا الألباب بقوله وَ مَا يَتَذَكَّرُ إلاَّ أُولُو الْأَلْبَابِ ، و حينئذ فالمراد بالمتشابه ما يشمل كنه ذاته و صفاته سبحانه ممّا استأثر الله بعلمه ، و على هذا فمحلّ الوقف في الآية « إلاّ الله » كما هو المشهور بين المفسّرين و القرّاء ، فتفيد اختصاص علم المتشابه [295] به سبحانه ، و قوله « و الرّاسخون » مبتدأ و « يقولون » خبره ، و هو بظاهره مناف لما دلّت عليه الأخبار المستفيضة من أنّهم عليهم السلام يعلمون ما تشابه من القرآن كما مرّ في كتاب الإمامة ، و على هذا فالوقف على « العلم » ، و إليه ذهب أيضا جماعة من المفسّرين ، فقوله « يقولون » حال من الراسخين أو استئناف موضح لحالهم ، و يمكن الجمع بينها بوجوه :

الأوّل : أن يكون ما ذكره عليه السلام هنا مبنيّا على ما اشتهر بين المخالفين إلزاما عليهم .

الثاني : أن يكون للآية ظهر و بطن أحدها أن يكون المراد بالمتشابه مثل العلم بكنه الواجب و ما استأثر الله عزّ و جلّ بعلمه من صفاته و كنه ذاته و أمثال ذلك ممّا تفرّد سبحانه بعلمه ، و إليه يشير ظاهر هذا الكلام ، و ثانيهما أن يراد به ما علم الراسخون في العلم تأويله و إليه أشير في سائر الأخبار ، فيكون القاريء مخيّرا في الوقف على كلّ من الموضعين .

الثالث : ما قيل إنّه يمكن حمل حكاية قول الراسخين على اعترافهم و تسليمهم قبل أن يعلمهم الله تأويل ما تشابه من القرآن فكأنّه سبحانه بيّن أنّهم لمّا آمنوا بجملة ما أنزل من المحكمات و المتشابهات و لم يتّبعوا ما تشابه منه كالّذين في قلوبهم زيغ

[295] بل تفيد اختصاص العلم بتأويل القرآن به سبحانه ، فتأمل في قوله و ما يعلم تأويله إلاّ الله ، و الضمير في قوله « تأويله » راجع إلى « الكتاب » ، و لا ينافي علمهم عليهم السلام بمتشابهات القرآن ، بل لا ينافي علمهم بتأويله ، فإنّ ظاهر الآية و إن كان الانحصار لكنّه لا يأبى عن الاستثناء ، كما أنّ ظاهر بعض الآيات اختصاص علم الغيب به سبحانه لكنّه تعالى استثنى عنه من ارتضى من رسول في قوله : عَالِمُ الْغَيْبِ ، فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ (الجنّ : 26 27) . و دليل علمهم بتأويل القرآن قوله تعالى : لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (الواقعة : 79) .

و إن أردت توضيح ما ذكر فراجع إلى تفسير « الميزان » ، سورة آل عمران .

[271]

بالتعلّق بالظاهر أو بتاويل باطل فآتاهم الله علم التأويل و ضمّهم إلى نفسه في الاستثناء . و الاستئناف في قوّة رفع الاستبعاد عن مشاركتهم له تعالى في ذلك العلم ، و بيان أنّهم إنّما استحقّوا إفاضة ذلك العلم باعترافهم بالجهل و قصورهم عن الإحاطة بالمتشابهات من تلقاء أنفسهم ، و إن علموا التأويل بتعليم إلهيّ . و قد ورد عنه عليه السلام أنّه لمّا أخبر ببعض الغيوب قال له رجل : أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب ؟ فقال عليه السلام : ليس هو بعلم غيب ، و إنّما هو تعلّم من ذي علم . و قد مرّ بعض الكلام فيه في كتاب التوحيد .

« إذا ارتمت » يقال : « ارتمى القوم » إذا تراموا بالنبال . و « الأوهام » خطرات القلب ، و في اصطلاح المتكلّمين إحدى القوى الباطنة ، شبّه عليه السلام جولان الأفكار و تعارضها بالترامي . و « المنقطع » موضع الانقطاع ، و يحتمل المصدر . و « حاولت الشيء » أردته ، و « الخطر » بالتسكين ، مصدر « خطر له خاطر » أي عرض في قلبه و روي « من خطرات الوساوس » و « الوسوسة » حديث النفس و الشيطان بما لا خير فيه و لا نفع ، و الاسم الوسواس .

و « الملكوت » العزّ و السلطان . و « تولّهت إليه » أي اشتدّ عشقها و حنّت إليه و « الوله » بالتحريك ، التحيّر و ذهاب العقل من حزن أو فرح . « لتجري في كيفيّة صفاته » أي لتجد مجرى و مسلكا في ذلك . و « غمض الشيء » بالفتح و الضمّ ، أي خفي مأخذه . و « الغامض من الكلام » خلاف الواضح ، و « مداخل العقول » طرق الفكر ، و فاعل « تنال » ضمير العقول ، أي إذا دقّت و غمضت طرق العقول و وصلت إلى حدّ لا تبلغ الصفات لدقّة تلك الطرق و خفائها ، أو إذا

دقّت و انتهت العقول إلى أنّها لا تعتبر مع ملاحظة الحقّ صفة من صفاته كما قيل طالبة بذلك أن تصل إلى علم ذاته ، و في بعض النسخ : « علم ذلك » و الأوّل أظهر .

« ردعها » ، « الردع » الردّ و الكفّ ، و الجملة جزاء للشرط السابق ، و الضمير المنصوب راجع إلى الأوهام أو غيرها ممّا سبق . « و هي تجوب » أي تقطع ، و الواو للحال . و « المهاوي » جمع « مهواة » و هي الحفرة أو ما بين الجبلين ، و المراد هنا المهلكة .

[272]

و « السدف » جمع « سدفة » و هي القطعة من الليل المظلم ، و يطلق على الضياء أيضا .

و « خلّصته تخليصا » نحّيته فتخلّص فقوله « متخلّصة إليه » أي متوجّهة إليه بكلّيّتها متنحيّة عن غيره . و « جبهه » كمنعه أي ضرب جبهته فردّه . و « الجور » العدول عن الطريق ، و « الاعتساف » قطع المسافة على غير جادّة معلومة ، و المراد بجور اعتسافها شدة جولانها في ذلك المسلك الّذي لا جادّة له ، و لا يفضي إلى المقصود . و « الخاطرة المنفيّة » [296] ما يكون مطابقا للواقع .

« الّذي ابتدع الخلق » ، « الابتداع » الإنشاء و الإحداث . و « مثال الشيء » بالكسر ، صورته و صفته و مقداره ، و « امتثله » أي تبعه و لم يتجاوز عنه . و « احتذى عليه » أي اقتدى به . و قوله « من خالق » متعلّق بمحذوف [و] هو صفة لمقدار أو لمثال أيضا كناشيء ، و المراد بنفي امتثال المثال أنّه لم يمثّل لنفسه مثالا قبل شروعه في خلق العالم ليخلق العالم على هيئته ، و بنفي احتذاء المقدار أنّه لم يقتد بخالق كان قبله ،

فالظرف صفة للمقدار فقط . و يحتمل أن يكون الثاني كالتأكيد للأوّل فالظرف صفة للمثال و المقدار معا ، و يكون المراد بالأوّل نفي الاقتداء بالغير في التصوير و بالثاني في التقدير ، أو يكون المراد بالمثال ما يرتسم في الخيال من صورة المصنوع و هيئته ، و لم يكن على حذو فعل فاعل آخر لتنزّهه عن الصور و الخواطر ، فالظرف صفة لمقدار . و وصف الخالق بالمعبود لأنّه من لوازمه ، أو لأنّه لو كان كذلك لكان هو المعبود .

« و المساك » بالكسر ما يمسك به ، و فيه دلالة على احتياج الباقي في بقائه إلى المؤثّر . و قوله « ما دلّنا » مفعول ثان ل « أرانا » ، و اضطرار قيام الحجّة عبارة عن إفادتها العلم القطعيّ بعد تحقّق الشروط و ارتفاع الموانع ، و الظرف في قوله « على معرفته » متعلّق بقوله « دلّنا » و أعلام الحكمة ما يدلّ عليها ، و الضمير في قوله « فحجّته » يحتمل عوده إلى الخلق الصامت ، كالضمير في « دلالته » أو إلى اللّه سبحانه . « فأشهد و في

[296] الّتي نفيت بقوله عليه السلام « و لا تخطر ببال أولي الروايات خاطرة . . . » ، و مراده رحمه اللّه أنّه ربما يخطر بالبال خواطر من تقدير جلاله تبارك و تعالى لكنّها ليست مطابقة للواقع فلا تخطر خاطرة مطابقة للواقع ببال أولي الروايات من تقدير الجلال و اكتناه سائر صفاته سبحانه .

[273]

بعض النسخ بالواو بتباين » المشبّه به في الحقيقة هو الخلق ، و إنّما أدخل الباء على التباين تنبيها على وجه الخطاء في التشبيه . و « التلاحم » التلاصق . و « الحقاق » بالكسر ، جمع « حقّة » بالضمّ و هي في الأصل وعاء من خشب ، و « حقاق المفاصل » النقر الّتي ترتكز فيها العظام ، و احتجابها استتارها بالجلد و اللحم . و قوله « لتدبير » متعلّق بالمحتجبة ، أي المستورة للتدبير الّذي اقتضته الحكمة . قيل : و من حكمة احتجابها أنّها لو خلقت ظاهرة ليبست رباطاتها فيتعذّر تصرّف الحيوان و كانت معرضة للآفات أو بالتباين و التلاحم . و قال بعض شارحي النهج : و من روى « المحتجّة » أراد أنّها كالمستدلّ 297 على التدبير الحكميّ من لدنه سبحانه . و « العقد » الشدّ ، و فاعل الفعل الموصول المشبّه ، و « غيب » منصوب على المفعوليّة ، و هو كلّ ما غاب ، و « الضمير » اسم من « أضمرت في نفسي شيئا » أو إضافة الغيب [إلى الضمير] من إضافة الصفة إلى الموصوف ، و المراد بغيب الضمير حقيقة عقيدته و باطنها لا ما يظهره منها لغيره أو يظهر له بحسب توهّمه . و في بعض النسخ : « لم يعتقد » على صيغة المجهول و « غيب » بالرفع .

و « المباشرة » لمس البشرة ، و الفاعل « اليقين » ، و في بعض النسخ : « قلبه » بالرفع على أنّه الفاعل و « اليقين » بالنصب ، و الأوّل أظهر . و « الندّ » المثل . و « إن » في الآية مخفّفة من المثقّلة . و يظهر من كلامه عليه السلام أنّ التسوية في الآية يشمل هذا التشبيه ، و لا يخصّ التسوية في استحقاق العبادة . « كذب العادلون بك » أي المسوّون بك

غيرك . و « نحلوك » أي أعطوك حلية المخلوقين أي صفاتهم ، و التعبير بالنحلة و الحلية لزعم هؤلاء أنّها كمال له عزّ و جلّ . و « جزّؤوك » أي أثبتوا لك أجزاء ،

و « خواطرهم » ما يخطر ببالهم من الأوهام الفاسدة . « و قدّروك على الخلقة » أي جعلوا لك قدرا في العظمة المعنوية كقدر الخلق فأثبتوا لك صفاتهم . و « قرائح عقولهم » ما يستنبطونه بآرائهم ، و القريحة في الأصل أوّل ما يستنبط من البئر . و « محكمات الآيات » نصوص الكتاب . و « شواهد الحجج » الأدلّة العقليّة ، و نطقها دلالتها القطعيّة ، أو الشواهد الهداة المبيّنون للحجج الّتي هي الأدلّة ، و كأنّه ضمّن النطق معنى الكشف

----

(297) في بعض النسخ : كالمستدلّة .

[274]

فعدّى ب « عن » ، و إضافة الحجج إلى البيّنات للمبالغة .

« لم يتناه في العقول » أي لم تقدّرك العقول بالنهاية و الكنه بحيث لا تكون لك صفة وراء ما أدركته ، أو لم تحط بك العقول فتكون محدودا متناهيا فيها . و « مهبّ الفكر » هبوبها ، و لعلّه عليه السلام شبّه الحركات الفكريّة بهبوب الرياح و الأفكار بما تجمعها و تذروها من الحشايش إشعارا بضعفها و سفالة ما يحصل منها . و قيل : التناهي في العقل هو أن يدرك العقل الشيء مرسّما في القوى الجزئيّة و هي مهابّ الفكر الّتي ترتسم فيها الصور و تزول كالريح الهابّة تمرّ بشيء . و قيل : مهابّ الفكر جهاتها .

و « رويّات الخواطر » ما يخطر بالبال بالنظر و الفكر ، و « المحدود » المحاط بالحدود ، و المراد بالحدود ما يلزم الإحاطة التامّة ، أو الصفات و الكيفيّات الّتي لا يتعدّاها المعلوم . و « المصرّف » القابل للتغيّر و الحركة أو المحكوم عليه بالتجزئة و التحليل و التركيب .

« قدّر ما خلق فأحكم تقديره » أي جعل لكلّ شيء مقدارا مخصوصا بحسب الحكمة ، أو هيّأ كلّ شيء لما أراد منه من الخصائص و الأفعال ، أو قدّره للبقاء إلى أجل معلوم ، « فأحكم » أي أتقن . و « التدبير في الأمر » النظر إلى ما تؤول إليه عاقبته ،

« فألطف تدبيره » أي أعمل فيه تدبيرات دقيقة لطيفة ، أو كانت تدبيراته مقرونة باللطف و الرفق و الرحمة على عباده . « و وجّهه لوجهته » أي جعل كلاّ منها مهيّأة و ميسّرة لما خلق له كالحبوب للأكل و الدوابّ للركوب ، و كلّ صنف من الإنسان لأمر من الأمور المصلحة للنظام . و يحتمل أن يكون إشارة إلى أمكنتها ، و الأوّل أعمّ و أظهر .

و « الوجهة » بالكسر ، الناحية و كلّ أمر استقبلته . و « قصر السهم عن الهدف » إذا لم يبلغه ، و « قصرت عن الشيء » أي عجزت عنه . و « استصعب الأمر علينا » أي صعب و « الصعب » غير المنقاد ، و « مضى الشيء مضيّا و مضوّا » أي نفذ و لم يمتنع . و « صدر » كعقد رجع و انصرف كرجوع الشاربة عن الماء و المسافرين عن مقصدهم ، و لمّا كانت الأمور لإمكانها محتاجة في الوجود إلى مشيّته فكأنّما توجّهت إليها فرجعت فائزة بمقصدها ، و « المشيّة » الإرادة ، و أصلها المشيئة بالهمز .

[275]

« آل إليها » أي رجع ، و « الغريزة » الطبيعة 298 ، و « قريحة الغريزة » ما يستنبطه الذهن ، و قيل : قوّة الفكر للعقل . « أضمر عليها » أي أخفاه في نفسه محتويا عليها و « التجربة » الاختبار مرّة بعد أخرى . و يقال : « أفدته مالا » أي أعطيته و « أفدت منه مالا » أخذته . و حكى الجوهريّ عن أبي زيد : « أفدت المال » أعطيته غيري ، و « أفدته » استفدته . 299 و « ابتداع الخلائق » إحداثها . « فتمّ خلقه » يمكن أن يراد بالخلق المعنى المصدريّ ، و يكون الضمير راجعا إليه سبحانه كالضمير في « طاعته » و « دعوته » أو إلى « ما خلق » المذكور سابقا ، و على الأوّل يكون في « أذعن » و « أجاب » راجعين إلى الخلق على الاستخدام ، أو إلى « ما خلق » و يمكن أن يراد به المخلوق ، و تمام مخلوقاته بإفاضته عليها ما يليق بها و تستعدّ له . و إذعان ما خلق لطاعته و إجابته إلى دعوته إمّا بمعنى استعداده لما خلق له أو تهيّؤه لنفوذ تقديراته و إرادته سبحانه فيه ، و فيه إشارة إلى قوله تعالى : أَتَيْنَا طَائِعِينَ 300 . و ربّما تحمل أمثالها على ظاهره بناء على أنّ لكلّ مخلوق شعورا كما هو ظاهر قوله تعالى : وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ 301 .

و « اعترض الشيء دون الشيء » أي حال بينه و بينه ، و « دونه » أي قبل الوصول إليه ، و الضمير في « دونه » أيضا راجع إليه سبحانه و يحتمل أن يكون راجعا إلى مصدر « أذعن » و « أجاب » . و « الريث » البطؤ . و « الأناة » كقناة الاسم من « تأنّي في الأمر » أي تمكّث و لم يعجل . و « تلكّأ » توقّف و أبطأ .

« فأقام من الأشياء أودها » ، « الأود » بالتحريك ، الاعوجاج ، و إقامته إعداد كلّ شيء لما ينبغي له ، أو دفع المفاسد الّتي تقتضيه الأشياء لو خلّيت و طباعها . و « نهج » أي أوضح ، و « حدّ الشيء » منتهاه ، و أصل الحدّ المنع و الفصل بين الشيئين و « نهج الحدود » قيل : إيضاحه لكلّ شيء غايته و تيسيرها له ، أو المعنى : جعل لكلّ شخص و نوع مشخّصا و مميّزا واضحا يمتاز به عن غيره ، فإنّ من أعاظم 302 المصالح و

----

(298) في بعض النسخ : الطبع .

----

(299) الصحاح ، ج 1 ، ص 518 .

----

(300) فصّلت : 11 .

----

(301) الإسراء . 44 .

----

(302) في بعض النسخ : « من أعظم » و هو الأظهر .

[276]

أعزّها امتياز الأنواع و الأشخاص بعضها عن بعض .

أقول : و يحتمل أن يكون المراد بالحدود حدود أمكنتها كمكان العناصر فإنّ لكلّ منها حدّا لا تتجاوزه ، و لعلّه أنسب بما بعده .

و « لاءم » أي جمع « بين متضادّاتها » كجمع العناصر المتباينة في الكيفيّات و الصفات لحصول المزاج و كالألفة بين الروح و البدن .

« و وصل أسباب قرائنها » السبب في الأصل الحبل ، و يقال لكلّ ما يتوصّل به إلى شيء ، و « القرينة » فعيلة بمعنى مفعولة ، و « قرائن الأشياء » ما اقترن منها بعضها ببعض ، و وصل أسبابها ملزوم لاتّصالها . و قال ابن ميثم : « القرائن » النفوس المقرونة بالأبدان و اعتدال المزاج بسبب بقاء الروح ، أي وصل أسباب أنفسها بتعديل أمزجتها ،

و المراد بالأجناس هنا أعمّ ممّا هو مصطلح المنطقيّين ، و كذا المراد بالحدود غير ما هو المعروف عندهم ، و إن كان المقام لا يأباهما .

و « الغرائز » الطبائع و القوى النفسانيّة . و « البدايا » جمع « بداية » و هي الحالة العجيبة ، يقال : « أبدأ الرجل » إذا أتى بالأمر المعجب و « البديئة » أيضا الحالة المبتدأة المبتكرة ، أي عجائب مخلوقات ، أو مخلوقات مبتدأة بلا اقتفاء مثال ، و هو خبر مبتدأ محذوف ، أي هي بدايا . و « الفطر » الابتداء و الاختراع و « الابتداع » كالتفسير له .

و « نظم » أي جمع . « ألّف بلا تعليق » أي من غير أن يعلّق بعضها ببعض بخيط أو نحوه ، و « رهوات فرجها » ، « الرهوة » المكان المرتفع و المنخفض أيضا ، فنظمها تسويتها . و قال في النهاية : في حديث عليّ 303 : « و نظم رهوات فرجها » أي المواضع المنفتحة منها . 304 و هو مأخوذ من قولهم « رها رجليه رهوا » أي فتح ، و فيه دلالة على أنّ السماء كانت ذات فرج و صدوع فنظمها سبحانه ، و هو مناسب لما مرّ من أنّ مادّتها الدخان المرتفع من الماء ، إذ مثل

ذلك تكون قطعا و ذات فرج . و أوّل بعض الشارحين بتباين أجزاء المركّب لو لا التركيب و التأليف ، أو بالفواصل الّتي كانت بين

----

(303) في المصدر : و في حديث عليّ رضي الله عنه يصف السماء . . .

----

(304) النهاية ، ج 2 ، ص 116 .

السموات لو لا أنّ الصانع خلقها أكرا [305] متماسّة . و إنّما اضطرّه إلى ذلك الاعتقاد بقواعد الفلاسفة و تقليدهم .

و « ملاحمة الصدوع » إلصاق الأجزاء ذوات الصدوع بعضها ببعض ، و إضافة الصدوع إلى الانفراج من إضافة الخاصّ إلى العامّ . و « وشّج » بالتشديد ، أي شبّك و الضمير في « بينها » راجع إلى ما يرجع إليه الضمائر السابقة .

و قال ابن ميثم : المراد بأزواجها نفوسها الّتي هي الملائكة السماويّة بمعنى قرائنها و كلّ قرين زوج ، أي ربط ما بينها و بين نفوسها بقبول كلّ جرم سماويّ لنفسها الّتي لا يقبلها غيره .

و أقول : القول بكون السماوات حيوانات ذوات نفوس مخالف للمشهور بين أهل الإسلام ، بل نقل السيّد المرتضى رضي الله عنه إجماع المسلمين على أنّ الافلاك لا شعور لها و لا إرادة ، بل هي أجسام جماديّة يحرّكها خالقها . [306] و يمكن أن يراد بالأزواج الملائكة الموكّلون بها أو القاطنون فيها ، أو المراد أشباهها من الكواكب و الأفلاك الجزئيّة ، و يمكن حمل الفقرات السابقة أيضا على هذين الوجهين الأخيرين و يمكن أن

[305] « الأكر » بضمّ الهمزة و فتح الكاف ، جمع « كرة » و هي كلّ جسم مستدير .

[306] البحث عن الأفلاك و ماهيّتها بحث هيويّ اختلف فيه أقوال قدماء الهيويّين من يونان و المتأخّرين من علماء أروبا . و فيه فرضية مشهورة من بطلميوس و هو من أقدم فلكيي يونان ، و هي أنّ الأفلاك كرات يحتوي بعضها على بعض ، منها كلّيّة و منها جزئية و أنّ الأفلاك الكلّيّة تسعة و زعم أنّ لها أحكاما يختصّ بها من بين الأجسام ، منها استحالة الخرق و الالتئام و أحكام أخرى لا يسع ذكرها المقام . و قد أبطلها علماء الهيئة الحديثة و هدموا أساسها و نقضوا حدودها و خرقوا كلّيها و جزئيها ، و كيف كان فالبحث عن هذه المسألة شأن العالم الهيويّ ، لا الفقيه و الأصوليّ و المحدّث و المنطقيّ ، و ليس الاعتقاد بوجود هذه الأفلاك أو عدمها من أصول الدين و فروعه و لا ممّا ورد في كتاب الله أو سنّة رسوله ، اللّهمّ إلاّ ما ذكر في القرآن الكريم و الأحاديث الشريفة من السماوات و الأرض و الكواكب و النجوم و أنّ كلّ كوكب يسبّح في فلك . إلى غير ذلك ، لكن لا يجد المتتبّع الخبير من كتاب الله آية و لا ممّا صدر عن معادن علم الله رواية تدلّ على إثبات الأفلاك البطلميوسيّة و تصديق ما يستلزمه تلك الفرضيّة إن لم يجد ما يكذبها و يبطلها و دعوى الإجماع من المسلمين في مثل المسألة كما تعلم من أنّ فرض إجماع المسلمين في زمان أو في جميع الأزمنة على أمر ليس من دينهم و لا من واجب اعتقادهم و لا ممّا يرتبط بأفعالهم ، فأيّ دليل على حجّته ؟ و من أين يمكن القول بوجوب اتّباعه و الاعتقاد بمعتقده ؟ هذا حال أصل الأفلاك ، فما ترى في البحث عن كونها ذوات نفوس مدركة أو جمادات فاقدة للشعور و الإرادة ؟ و لا يخفى أنّ دعوى الإجماع على أحد طرفي المسألة ممنوعة ، و حجّيّته على فرض وجوده غير مسلّمة ، بل لا ينبغي الشكّ في عدم حجّيّته .

يكون المراد بأزواجها أشباهها في الجسميّة و الإمكان من الأرضيّات و يناسب ما جرى على الألسن من تشبيه العلويّات بالآباء و السفليّات بالأمّهات .

« و ذلّل للهابطين » يقال : « ذلّل البعير » أي جعله ذلولا و هو ضدّ الصعب الّذي لا ينقاد من « الذّل » بالكسر و هو اللين . و « الحزونة » خلاف السهولة ، و « المعراج » السلّم و المصعد . و « نداء السماء » إشارة إلى ما مرّ من قوله سبحانه : فَقَالَ لَهَا وَ لِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً 307 .

« فالتحمت عرى أشراجها » ، « التحمت » أي التزقت و التأمت ، و « عرى العيبة » هي الحلق الّتي تضمّ بعضها إلى بعض و تشدّ و تقفل ، و « الشرج » بفتحتين ،

عرى العيبة و الجمع « أشراج » و قيل : قد تطلق الأشراج على حروف العيبة الّتي تخاط .

و لعلّ هذا الالتحام كناية عن تمام خلقها و فيضان الصور السماويّة عليها .

« و فتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها » ، « فتق الثوب فتقا » نقضت خياطته حتّى انفصل بعضه عن بعض ، و « رتقت الفتق رتقا » أي سددته فارتتق ، و « الأبواب الصامتة و المصمتة » المغلقة منها ، و فتق صوامت الأبواب إمّا كناية عن إيجاد الأبواب فيها و خرقها بعد ما كانت رتقا لا باب فيها ، أو فتح الأبواب المخلوقة فيها حين إيجادها و هذه الأبواب هي الّتي منها عروج الملائكة و هبوطها و صعود أعمال العباد و أدعيتهم و أرواحهم ، كما قال تعالى : لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ 308 و الّتي 309 تنزل منها الأمطار كما أشار إليه بقوله : فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ 310 .

« و أقام رصدا » هو بالتحريك جمع « راصد » كخدم و خادم ، أو اسم جمع كما قيل و يكون مصدرا كالرصد بالفتح ، و « الراصد » القاعد على الطريق منتظرا لغيره للاستلاب أو المنع ، و « المرصاد » الطريق و المكان يرصد فيه العدوّ و « أرصدت له » أعددت . و « الثواقب » الّتي تثقب الشياطين أو الهواء ، أو يثقب الجوّ بضوئها ،

و « النقاب » بالكسر جمع « نقب » بالفتح و هو الثقب و الخرق ، و المراد إقامة الشهب

----

(307) فصّلت : 11 .

----

(308) الأعراف : 40 .

----

(309) في المخطوط : أو الّتي .

----

(310) القمر : 11 .

الثواقب لطرد الشياطين عن استراق السمع كما أشار إليه سبحانه بقوله : وَ إِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً 311 . و لا صراحة فيه بكون ذلك المنع مقارنا لإيجاد السماء حتّى ينافي ما دلّ على حدوثها و يحتمل تخلّل الرخصة بين المنعين أيضا .

« و أمسكها من أن تمور » أي تموج و تضطرب ، و « الخرق » يكون بمعنى الثقب في الحائط و الشقّ في الثوب و غيره ، و هو في الأصل مصدر « خرقته » إذا قطعته و مزقته و يكون بمعنى القفر و الأرض الواسعة ، « تنخرق فيها الرياح » أي تهبّ و تشتدّ . و « الهواء » يقال للجسم الّذي هو أحد العناصر ، و يقال لكلّ خال هواء كما قال سبحانه :

و أَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ 312 أي خالية من العقل أو الخير ، و المراد بالمور في خرق الهواء إمّا الحركة الطبيعية أو القسريّة في الفواصل الّتي تحدث بحركتها في الجسم الّذي هو أحد العناصر ، إذ لا دليل على انحصاره في الّذي بين السماء و الأرض أو حركتها في المكان الخالي الموهوم أو الموجود طبعا أو قسرا ، أو حركة أجزائها فيما بين السماء و الأرض . و « الأيد » بالفتح ، القوّة ، و الظرف متعلّق بالإمساك . و « الاستسلام » الانقياد ، و يحتمل أن يكون الأمر كناية عن تعلّق الإرادة كما مرّ .

« آية مبصرة » ، « الآية » العلامة ، [و] « المبصر » المدرك بالبصر ، و فسّرت المبصرة في قوله تعالى : وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً 313 بالبيّنة الواضحة و بالمضيئة الّتي يبصر بها و بالمبصرة للناس من « أبصرته فبصر » و بالمبصر أهله كقولهم « أجبن الرجل » إذا كان أهله جبناء . و « المحو » إذهاب الأثر و طمس النور ، و فسّر محو القمر بكونه

مظلما في نفسه غير مضيء بذاته كالشمس و بنقصان نوره بالنظر 314 إلى الشمس و بنقصان 315 نوره شيئا فشيئا إلى المحاق .

و روي أنّ ابن الكوّاء سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن اللطحة الّتي في وجه القمر فقال : ذاك محو آية الليل . و يمكن أن يكون لها مدخل في نقصان ضوء القمر

----

(311) الجنّ : 9 .

----

(312) إبراهيم : 43 .

----

(313) الإسراء : 12 .

----

(314) في بعض النسخ : بالنسبة .

----

(315) في المخطوط : بنقص .

من ليلها . قيل : « من » لابتداء الغاية أو لبيان الجنس و يتعلّق ب « ممحوّة » أو « يجعل » و قيل : أراد من آيات ليلها .

و « المنقل » في الأصل الطريق في الجبل . و « المدرج » المسلك ، و « درج » أي مشى ، و « الدرج » بالتحريك ، الطريق ، و « درجيهما » في بعض النسخ على لفظ التثنية و في بعضها مفرد ، و « مناقلهما و مدارجهما » منازلهما و بروجهما ، و الظاهر أنّ التمييز و العلم غايتان لمجموع الأفعال السابقة ، فيكون إشارة إلى قوله تعالى : وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ 316 و إلى قوله عزّ و جلّ : هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ 317 ، و يحتمل أن يكون التمييز غاية للأوّل و العلم غاية للأخير أو الأخيرين ، فيكون نشرا على ترتيب اللّفّ . و ظاهر كلامه عليه السلام تفسير الآيتين المفردتين في الآية الأولى بالشمس و القمر لا بالليل و النهار ، و إن كان المراد بالآيتين أوّلا الليل و النهار ، و قيل : المراد : جعلنا هما ذوي آيتين ، فتكون الشمس و القمر مقصودين بهما في الموضعين ، و المراد بالحساب حساب الأعمار و الآجال الّتي يحتاج إليه الناس في أمور دينهم و دنياهم . و « مقاديرهما » مقادير سيرهما و تفاوت أحوالهما .

« ثمّ علّق في جوّها فلكها » الظاهر أنّ كلمة « ثمّ » هنا للترتيب الذكريّ و لعلّ المعنى أنّه أقرّ فلكها في مكانه من الجوّ بقدرته و لا ينافي نفي التعليق في نظم الأجزاء كما سبق ، و « الجوّ » الفضاء الواسع ، أو ما بين السماء و الأرض ، و « الفلك » بالتحريك ،

مدار النجوم ، و قيل : أراد بالفلك دائرة معدّل النهار ، و قيل : أراد به الجنس و هو أجسامها المستديرة الّتي يصدق عليها هذا الاسم ، و قيل : الفلك هنا عبارة عن السماء الدنيا ، فيكون على وفق قوله سبحانه : إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ 318 و التوجيه مشترك ، و على المشهور من عدم كون جميعها في السماء الدنيا لعلّ الأظهر أن يراد بالفلك ما ارتكز فيه كوكب يتحرّك بحركته و بالجوّ الفضاء الواسع الموهوم ، أو الموجود الّذي

----

(316) الإسراء : 12 .

----

(317) يونس : 5 .

----

(318) الصافّات : 6 .

[281]

هو مكان الفلك ، و وجه إضافته إليها واضح فإنّ الفلك من جملتها ، و كذا إضافة الفلك إليها ، و يحتمل حينئذ أن يراد بفلكها المحيط المحرّك لجملتها . و يمكن على طريقة الاستخدام أو بدونه أن يراد بضمير السماء الّذي أحاط بجميع ما ارتكزت فيه الكواكب المدير لها فكون فلكها في جوّها ظاهر ، أو يراد بالسماء الأفلاك الكلّية و بالفلك الأفلاك الجزئيّة الواقعة في جوفها . و في بعض النسخ : « علّق في جوّها فلكا » بدون الضمير و هو يناسب كون الكواكب كلّها في فلك واحد .

و « ناط » أي علّق ، و « الدراريّ » جمع « درّيّ » و هو المضيء ، [و] كأنّه نسب إلى الدّر تشبيها به لصفائه ، و قال الفرّاء : الكواكب الدرّيّ عند العرب هو العظيم المقدار و قيل : هو أحد الكواكب [السبعة السيّارة ، و في النهاية الكواكب] الخمسة السيّارة و لا يخفى أنّ وصف الدراريّ بالخفيّات ينافي القولين ظاهرا . و « استراق السمع » الاستماع مختفيا ، و « بثواقب شهبها » أي بشهبها الثاقبة تلميحا إلى قوله سبحانه :

إلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ 319 و قوله : إلاّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ 320 . و « الأذلال » جمع « ذلّ » بالكسر ، يقال : « أمور اللّه جارية أذلالها بالنصب و على أذلالها » أي مجاريها . و يقال : « دعه على أذلاله » أي على حاله . و ثبات الثوابت بالنسبة إلى سير السيّارات ، و المراد بالهبوط إما مقابل الشرف كما هو مصطلح المنجّمين ، أو التوجّه إلى حضيض الحامل ، أو التدبير أو التوجّه إلى الغروب فإنّه الهبوط حسّا و يقابله الصعود ، و « النحوس » ضدّ السعود .

« ثمّ خلق » الظاهر أنّ كلمة « ثمّ » هنا للترتيب الحقيقيّ ، و سيأتي بعض الأخبار الدالّة على تقدّم خلق الملائكة على السماوات ، و يمكن الجمع بالتخصيص ههنا بسكّان السماوات الّذين لا يفارقونها . و « عمارة المنزل » جعله آهلا ضدّ الخراب الّذي لا أهل له . و « الصفيح » السطح و وجه كلّ شيء عريض . و الصفيح أيضا اسم من أسماء السماء ، و المراد هنا سطح كلّ سماء ، و يقابله الصفيح الأسفل و هو الأرض أو فوق السماء السابعة أو فوق الكرسيّ . و « الملكوت » كرهبوت العزّ و السلطان . و « الفروج »

----

(319) الحجر : 18 .

----

(320) الصافّات : 10 .

[282]

الأماكن الخالية ، و « الفجّ » الطريق الواسع بين الجبلين . و « حشوت الوسادة بالقطن » جعلتها مملوّة منه ، و « الفتق » الشقّ ، و « الجوّ » الفضاء الواسع و ما بين السماء و الأرض ،

و هذا الكلام صريح في عدم تلاصق السماوات و في تجسّم الملائكة و أنّ ما بين السماوات مملوّة منهم ، و به تندفع شبهة لزوم الخلأ كما ستعرف . و « الفجوة » الفرجة و الموضع المتّسع بين الشيئين . و « زجل المسبّحين » صوتهم الرفيع العالي ، و « الحظيرة » في الأصل الموضع الّذي يحاط عليه لتأوي إليه الغنم و الإبل يقيها الحرّ و البرد و الريح .

و « القدس » بالضمّ و بضمّتين ، الطهر ، اسم و مصدر . و « السترات » بضمّتين ، جمع « سترة » بالضمّ ، و هو ما يستتر به كالستارة . و « الحجاب » ما احتجب به ، و « السرادق » الّذي يمدّ فوق صحن البيت من الكرسف ، و « المجد » الشرف و العظمة ، و « الرجيج » الزلزلة و الاضطراب ، و منه رجيج البحر .

« تستكّ منه الأسماع » أي تصمّ ، و فسّروا السبحات بالنور و البهاء و الجلال و العظمة ، و قيل : « سبحات الوجه » محاسنه ، لأنّك إذا رأيت الوجه الحسن قلت :

سبحان اللّه ، و لعلّ المراد بها الأنوار الّتي تحجب [بها] الأبصار و يعبّر عنها بالحجب ،

و « ردعه » كمنعه ، كفّه و ردّه . و « الخاسيء من الكلاب و غيرها » المبعد لا يترك أن يدنو من الناس ، يقال : « خسأت الكلب » أي طردته و أبعدته . و الضمير في « حدودها » راجع إلى السحاب ، و قيل : أي تقف الأبصار حيث تنتهي قوّتها لأنّ قوّتها متناهية فإذا بلغت حدودها وقفت .

« اولي أجنحة تسبّح جلال عزّته » إشارة إلى قوله تعالى : أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَ ثُلاَثَ وَ رُبَاعَ 321 . و « تسبّح » في أكثر النسخ بالتشديد من التسبيح ، و هو التنزيه و التقديس من النقائص ، و « الجلال » العظمة ، و « العزّة » القوّة و الشدّة و الغلبة ،

و الجملة صفة لأولي أجنحة ، و في بعض النسخ : « تسبح » بالتخفيف من السباحة .

و « خلال » بالخاء المعجمة المكسورة ، و هو وسط الشيء أو جمع « خلل » بالتحريك و هو الفرجة بين الشيئين ، و في بعضها : « خلال بحار عزّته » و لعلّ المراد بسباحتهم سيرهم

----

(321) فاطر : 1 .

في أطباق السماوات و فوقها ، أو عروجهم و نزولهم لأداء الرسالات و غيرها أو سيرهم في مراتب القرب بالعبادة و التسبيح .

« لا ينتحلون » ، « انتحل الشيء و تنحلّه » إذا ادّعاه لنفسه و هو لغيره ، أي لا يدّعون الربوبيّة لأنفسهم كما يدّعيه البشر لهم و لأنفسهم ، فتكون هذه الفقرة لنفي ادّعاء الاستبداد و الثانية لنفي ادّعاء المشاركة ، أو الأولى لنفي ادّعائهم الخالقيّة فيما لهم مدخل في وجوده بأمره تعالى و الثانية لنفي ذلك فيما خلقه اللّه سبحانه بمجرّد أمره و إرادته . « مكرمون » بالتخفيف من الإكرام ، و قريء بالتشديد من التكريم ، و اللام في قوله « بالقول » عوض عن المضاف إليه ، أي لا يسبقون اللّه بقولهم بل هم تابع 322 لقوله سبحانه كما أنّ علمهم تابع لأمره . « جعلهم فيما هنالك » لعلّه مخصوص ببعض الملائكة كما قال عزّ و جلّ : اَللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً 323 و يكفي للنسبة إلى الجميع كون بعضهم كذلك ، و ما هنالك عبارة عن مراتب الملائكة أو الأشغال و الأمور المفوّضة إليهم ، أو عن أربابها و أصحابها ، و في قوله « حملهم » تضمين معنى البعث أو الارسال و نحوه . « و عصمهم » هذا يشمل جميعهم ، و « الريب » الشكّ أو التهمة .

و « الزيغ » العدول عن الحقّ ، و « المرضاة » ضدّ السخط . و « الإمداد » الإعانة و التقوية ،

و « الفائدة » ما استفدته من طريفة مال أو علم أو غيرهما ، و « المعونة » مفعلة بضمّ العين ،

من « استعان به فأعانه » و قيل : الميم أصليّة ، مأخوذة من « الماعون » و لعلّ المعنى تأييدهم بأسباب الطاعات و القربات و المعارف و الألطاف الصارفة لهم عن المعاصي .

« و أشعر قلوبهم » أي ألزمهم 324 ، مأخوذ من الشعار ، و هو ما يلبس تحت الدثار ،

و قيل : من الشعور بمعنى الإدراك ، يقال : « أشعره الأمر و به » أي أعلمه . و « التواضع » التخاشع و التذلّل ، و « أخبت الرجل » خضع للّه و خشع قلبه ، و « السكينة » الطمأنينة و الوقار و الرزانة و المهابة ، و الحاصل عدم انفكاكهم عن الخوف و الخشوع . و « الذلل » بضمّتين ، جمع « ذلول » ضدّ الصعب ، و « مجّده » أثنى عليه و عظّمه ، و الجمع للدلالة على

----

(322) كذا .

----

(323) الحجّ : 75 .

----
(324) في بعض النسخ : « ألزمها » و هو الأظهر .

الأنواع ، و فتح الأبواب كناية عن إلهامها و تسهيلها عليهم لعدم معارضة شيطان أو نفس أمّارة بالسوء بل خلقهم خلقة يلتذّون بها كما ورد أنّ شرابهم التسبيح و طعامهم التقديس . و « المنار » جمع المنارة و هي العلامة ، و أصله النور و لذا أنّثت « الواضحة » .

و « الأعلام » جمع « علم » بالتحريك و هو الجبل الطويل أو ما يعلم به الشيء و نصب المنار لهم على الأعلام عبارة عن غاية ظهورها لعدم معارضته الشكوك و الشبهات الّتي تكون للبشر و لوفور الدلائل لهم لقربهم من ساحة عزّه و ملكوته و مشاهدتهم ما يخفى علينا من آثار ملكه و جبروته . و « المؤصرات » المثقلات ، و عدمها لعصمتهم و عدم خلق الشهوات فيهم .

و « رحّل البعير و ارتحله » حطّ عليه الرحل و هو مركب للبعير ، و في الحديث :

« ارتحلني ابني الحسن » أي جعلني كالراحلة و ركب على ظهري ، و الارتحال أيضا الإزعاج و الإشخاص . و « العقبة » بالضمّ ، النوبة ، و الجمع « عقب » كغرفة و غرف و العقبة الليل و النهار لأنّهما يتعاقبان ، قيل : أي لم يؤثّر فيهم ارتحال الليالي و الأيّام كما يؤثّر ارتحال الإنسان البعير في ظهره حملا على الوجه الأوّل ، و على الثاني فالمعنى : لم يزعجهم تعاقب الليالي و الأيّام و لم يوجب رحيلهم عن دارهم و الغرض تنزيههم عمّا يعرض للبشر من ضعف القوى أو القرب من الموت بكرور الأزمنة . و « النوازع » في بعض النسخ بالعين المهملة من « نزع في القوس » إذا جذبها و مدّها ، و « نوازع الشكوك » الشبهات ، و قيل : أي شهواتها ، و « النازعة » المحرّكة . و في بعضها بالغين المعجمة كما في النهاية من « نزغ الشيطان بين القوم » أي أفسد ، و يقال : « نزغه الشيطان » أي وسوس إليه ، و « العزيمة » ما وكدت رأيك و عزمك عليه . و « المعترك » موضع القتال ، و « الاعتراك » الازدحام ، و « الظنّ » يكون بمعنى الاعتقاد الراجح غير الجازم ، و بمعنى الشكّ و يطلق على ما يشملهما و لعلّ الأخير هنا أظهر ، و « معقد الشيء » موضع شدّة ، يقال : « عقدت الحبل و البيع و العهد » و يكون مصدرا ،

و الحاصل نفي تطرّق الشبه و الشكوك إلى عقائدهم اليقينيّة .

« و لا قدحت » يقال : « قدح بالزند » كمنع أي رام الإيراء [325] به ، و هو

[325] من « ورت النار وريا » إذا اتّقدت .

استخراج النار ، و ربما يحمل على القدح بمعنى الطعن و هو بعيد . و « الإحن » جمع « إحنة » و هي الحقد و الغضب ، أي لا يثير الغضب و العداوة الكامنة فتنة فيما بينهم . و « الحيرة » عدم الاهتداء إلى وجه الصواب ، و « لاق الشيء بغيره » أي لزق و منه الليقة للصوق المداد بها ، و الغرض نفي الحيرة عنهم في عقائدهم ، و يحتمل أن يكون المراد بالحيرة الوله لشدّة الحبّ و كمال المعرفة كما سيأتي ، و في الصحيفة السجّاديّة : « و لا يغفلون عن الوله إليك » ، فالمعنى أنّ شدّة ولههم لا توجب نقصا في معرفتهم و غفلة عن ملاحظة العظمة و الجلال كما في البشر . و « أثناء الشيء » تضاعيفه و « جاء في أثناء الأمر » أي في خلاله جمع « ثنى » بالكسر .

« فتقترع » في بعض النسخ بالقاف من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة و الاختبار فالغرض نفي تناوب الوساوس و تواردها عليهم ، و في بعضها بالفاء من « فرعه » أي علاه و الأوّل أنسب بالطمع ، و « الرين » بالنون كما في بعض النسخ ، الطبع و الدنس و التغطية ، و « ران ذنبه على قلبه رينا » أي غلب ، و في بعضها بالباء الموحّدة . و « الفكرة » إعمال النظر في الشيء . « منهم » أي من مطلق الملائكة ، و « الغمام و الغمائم » جمع « الغمامة » و هي السحابة ، و « الدلح » جمع « الدالح » و هو الثقيل من السحاب لكثرة مائه ، و « الدلح » أن يمشي البعير بالحمل و قد أثقله . و « الشامخ من الجبال » المرتفع العالي ، و « القترة » بالضمّ ، بيت الصائد الّذي يتستّر به عند تصيّده من جصّ و نحوه ،

و يجمع على « قتر » مثل غرفة و غرف ، و يطلق على حلقة الدرع . و « الكوّة » النافذة ،

و « الظلام » ذهاب النور ، و « الأيهم » الّذي لا يهتدي فيه ، و منه فلاة يهماء ، قيل : هذا النوع من الملائكة خزّان المطر و زواجر السحاب و لعلّه شامل لمشبعي 326 الثلج و البرد و الهابطين مع قطر المطر إذا نزل و إن كان السحاب مكانهم قبل النزول و الموكّلون 327 بالجبال للحفظ و سائر المصالح و الساكنون في الظلمات لهداية الخلق و حفظهم أو غير ذلك .

----

(326) في المخطوطة : لمشيعي .

----

(327) كذا في النسخ ، و الصحيح « الموكّلين » و كذا « الساكنين » .

[286]

و أقول : يحتمل أن يكون المراد تشبيههم في لطافة الجسم بالسحاب و في عظم الخلقة بالجبال و في السواد بالظلمة ، بل هو عندي أظهر .

و « تخوم الأرض » بضم التّاء ، معالمها و حدودها ، و هي جمع « تخوم » بالضمّ أيضا و قيل : واحدها « تخم » بالضمّ و الفتح ، و قيل : « التخم » حدّ الأرض ، و الجمع « تخوم » نحو فلس و فلوس . و قال ابن الأعرابيّ و ابن السكّيت : الواحد « تخوم » و الجمع « تخم » مثل رسول و رسل ، و في النسخ بالضمّ . و « الراية » علم الجيش و « مخارق » المواضع الّتي تمكّنت فيها تلك الرايات بخرق الهواء ، و « الريح الهفّافة » الطيّبة الساكنة ، و قيل : أي ليست بمضطربة فتموج تلك الرايات بل هي ساكنة تحبسها حيث انتهت .

« قد استفرغتهم أشغال عبادته » أي جعلتهم فارغين عن غيرها ، و « حقائق الإيمان » العقائد اليقينيّة الّتي تحقّ أن تسمّى إيمانا ، أو البراهين الموجبة له ، و في بعض النسخ « وسّلت » بالسين المشدّدة ، يقال : « وسّل إلى اللّه توسيلا و توسّل » أي عمل عملا تقرّب به إليه . « و قطعهم الإيقان به » أي صرفهم عمّا سوى الوله و وجّهم إليه ،

و هو في الأصل التحيّر من شدّة الوجد أو ذهاب العقل ، و المراد عدم الالتفات إلى غيره سبحانه . و « الرغبة » الإرادة و السؤال و الطلب و الحرص على الشيء و الطمع فيه ،

و المعنى أنّ رغباتهم و طلباتهم مقصورة على ما عنده سبحانه من قربه و ثوابه و كرامته ، و لعلّ الضمائر في تلك الفقرات راجعة إلى مطلق الملائكة كالفقرات الآتية ،

و الباء في قوله عليه السلام « بالكأس » إمّا للاستعانة أو بمعنى « من » و ربما يضمن في الشرب معنى الالتذاذ ليتعدّى بالباء ، و « الكأس » الإناء يشرب فيه أو ما دام الشراب فيه ، و هي مؤنّثة ، و « الرويّة » المروية الّتي تزيل العطش . و « سويداء القلب و سوداؤه » حبّته ، و « الوشيجة » في الأصل عرق الشجرة ، يقال : « وشجت العروق و الأغصان » أي اشتبكت ، و « حنيت الشيء » أي عطفته . و « أنفد الشيء » أفناه ، و « مادّة التضرّع » ما يدعو إليه . و « أطلق عن الأسير » إذا حلّ أسره و « الربقة » بالكسر ، في الأصل عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها ، و عدم نفاد مادّة التضرّع فيهم لعدم تطرّق

[287]

النقص إلى علمهم بعظمة اللّه و بحاجتهم إليه و عدم الشواغل لهم عن ذلك و عدم انتهاء مراتب العرفان و القرب الداعيين لهم إلى التضرّع و العبادة و مع ذلك لا يتطرّق الضعف إلى قواهم فبقدر صعودهم في مدارج الطاعة يزاد قربهم و كلّما ازداد قربهم تضاعف علمهم بعظمته سبحانه كما سيأتي الإشارة إليه . و يقال : « تولاّه » أي اتّخذه وليّا ،

و « تولّى الأمر » أي تقلّده ، و عدم تولّي الإعجاب كناية عن عدم الاستيلاء ،

و « الإعجاب » استعظام ما يعدّه الإنسان فضيلة لنفسه ، و يقال : « أعجب زيد بنفسه » على البناء للمفعول ، إذا ترفّع و سرّ بفضائله ، و « أعجبني حسن زيد » إذا عجبت منه .

و « استكثره » عدّه كثيرا ، و « ما سلف منهم » طاعاتهم السالفة . و « الاستكانة » الذلّ و الخضوع ، و استكانة الإجلال خضوعهم الناشيء عن ملاحظة جلال اللّه و عظمته .

و « الفترة » مرّة من الفتور و هو السكون بعد حدّة و اللين بعد شدّة ، و « دأب في أمره كمنع دؤوبا » جدّ و تعب . و « غاض الماء غيضا و مغاضا » قلّ و نقص . و « المناجاة » المخاطبة سرّا ، و « أسلة اللسان » طرفه و مستدقّه . و « الهمس » الصوت الخفيّ ،

و « الجؤار » كغراب ، رفع الصوت بالدعاء و التضرّع ، أي ليست لهم أشغال خارجة عن العبادة فتكون لأجلها أصواتهم المرتفعة خافية ساكنة ، و في بعض النسخ : « بهمس الخير » و في بعضها : « بهمس الحنين » . و توجيههما لا يخلو من تكلّف . و « مقاوم الطاعة » صفوف العبادة جمع « مقام » و عدم اختلاف المناكب عبارة عن عدم تقدّم بعضهم على بعض أو عدم انحرافهم . و « ثنيت الشيء ثنيا » عطفته أثناء ، أي كفّه و « ثنيته » أيضا ،

صرفته إلى حاجته ، و « راحة التقصير » الراحة الحاصلة بإقلال العبادة أو تركها بعد التعب . و « عدا عليه » أي قهره و ظلمه ، و « التبلّد » ضدّ التجلّد و التحيّر ، و « بلد الرجل بلادة فهو بليد » [أي] غير ذكيّ و لا فطن . و « انتضل القوم و تناضلوا » إذا رموا للسبق ،

و « الهمّة » ما همّ به من أمر ليفعل ، و « خدائع الشهوات » وساوسها الصارفة عن العبادة ،

و انتضالها تواردها و تتابعها . و « الفاقة » الفقر و الحاجة و يوم فاقتهم يوم قبض أرواحهم كما يظهر من بعض الأخبار ، و لا يبعد أن يكون لهم نوع من الثواب على طاعتهم بازدياد القرب و إفاضة المعارف و ذكره سبحانه لهم و تعظيمه إيّاهم و غير ذلك ، فيكون

[288]

إشارة إلى يوم جزائهم . و « يمّموه » أي قصدوه ، و « الانقطاع إلى أحد » صرف الوجه عن غيره و التوجّه 328 إليه و الضمير في « رغبتهم » إمّا راجع إلى الملائكة كضمير « فاقتهم » أو إلى الخلق أو إليهما على التنازع . و « الأمد » المنتهى ، و قد يكون بمعنى امتداد المسافة ،

و « يرجع » يكون لازما و متعديّا ، تقول : رجع زيد و رجعته أنا . و « اهترّ فلان بكذا و استهتر فهو مهترّ به و مستهتر » على بناء المفعول ، أي مولع به لا يتحدّث بغيره و لا يفعل غيره ، و « المادّة » الزيادة المتّصلة ، و كلّ ما أعنت به قوما في حرب أو غيره فهو مادّة لهم ،

و لعلّ المراد هنا بها المعين و المقوّي ، و كلمة « من » في قوله « من قلوبهم » ابتدائيّة أي إلى موادّ ناشئة من قلوبهم غير منقطعة ، و في قوله « من رجائه » بيانيّة فالمراد الخوف و الرجاء الباعثان لهم على لزوم الطاعة ، و يحتمل أن تكون الأولى بيانيّة أو ابتدائيّة و الثانية صلة للانقطاع ، و الغرض إثبات دوام خوفهم و رجائهم الموجبين لعدم انفكاكهم عن الطاعة بل لزيادتها كما يشعر به لفظ « الموادّ » . و « السبب » كلّ ما يتوصّل به إلى غيره ،

و « الشفقة » الخوف ، و « الونى » الضعف و الفتور ، و « لم تأسرهم » أي لم تجعلهم أسراء ،

و « الإيثار » الاختيار ، و « الوشيك » القريب و السريع ، و المعنى : ليسوا مأمورين في ربقة الطمع حتّى يختاروا السعي القريب في تحصيل المطموع في الدنيا الفانية على اجتهادهم الطويل في تحصيل السعادة الباقية كما هو شأن البشر .

و « استعظام العمل » العجب المنهيّ عنه ، و نسخ الشيء إزالته و إبطاله و تغييره و المراد بالرجاء هنا ما تجاوز الحدّ المطلوب منه ، و يعبّر عنه بالاغترار ، و « شفقات الوجل » تارات الخوف و مرّاته . « لم يختلفوا في ربّهم » أي في الإثبات و النفي ، أو في التعيين ، أو في الصفات كالتجرّد و التجسّم و كيفيّة العلم و غير ذلك ، و قيل : أي في استحقاق كمال العبادة ، و يقال : « استحوذ عليه » أي استولى ، و هو ممّا جاء على الأصل من غير إعلال . و « التقاطع » التعادي و ترك البرّ و الإحسان ، و « تولّيت الأمر » أي قمت به ، و « تولّيت فلانا » اتّخذته وليّا أي محبّا و ناصرا ، و « الغلّ » الحقد .

و « الشعبة من كلّ شيء » الطائفة منهم ، و « شعّبتهم » أي فرّقتهم ، و في بعض النسخ :

----
(328) في المخطوطة : التوجيه .

[289]

« تشعّبتهم » على التفعّل و الأوّل أظهر . و « الريب » جمع « ريبة » بالكسر و هو الشكّ أو هو مع التهمة ، و « مصارفها » وجوهها و طرقها من الأمور الباطلة الّتي تنصرف إليها الأذهان عن الشبه ، أو وجوه انصراف الأذهان عن الحقّ بالشبه أو الشكوك و الشبه أنفسها .

و « اقتسموا المال بينهم » أي تقاسموه ، و « أخياف الهمم » مختلفها و أصله من « الخيف » بالتحريك و هو زرقة إحدى العينين و سواد الأخرى في الفرس و غيره و منه قيل لإخوة الأمّ « أخياف » لأنّ آباءهم شتّى . و « الهمّة » بالكسر ، ما عزمت عليه لتفعله ، و قيل : أوّل العزم . و الغرض نفي الاختلاف بينهم و التعادي و التفرّق بعروض الشكوك و اختلاف العزائم ، أو نفي الاختلاف عنهم و بيان أنّهم فرقة واحدة لبراءتهم عن الريبة و اختلاف الهمم .

و « الزيغ » الجور و العدول عن الحقّ ، و في التفريع دلالة على أنّ الصفات السابقة من فروع الإيمان أو لوازمه ، و « الطبق » محرّكة في الأصل الشيء على مقدار الشيء مطبقا له من جميع جوانبه كالغطاء له ، و منه « الحمّى المطبقة » و « الجنون المطبق » و « السماوات أطباق » لأنّ كلّ سماء طبق لما تحتها . و « الإهاب » ككتاب الجلد .

و « الحافد » المسرع و الخفيف في العمل ، و يجمع على « حفد » بالتحريك و يطلق على الخدم لإسراعهم في الخدمة . و « العزّة » القوّة و الغلبة ، و « العظم » كعنب خلاف الصغر مصدر « عظم » و في بعض النسخ بالضمّ و هو اسم من « تعظّم » أي تكبّر .

و « دحوها على الماء » أي بسطها . و « كبس الرجل رأسه في قميصه » إذا أدخله فيه ، و « كبس البئر و النهر » طمّهما بالتراب و ملأهما ، قال بعض شارحي النهج : « كبس الأرض » أي أدخلها الماء بقوّة و اعتماد شديد . و « مور الأمواج » أي تحرّكها و اضطرابها و « استفحل الأمر » أي تفاقم و اشتدّ ، و قيل : « أمواج مستفحلة » أي هائجة هيجان الفحول ، و قيل : أي صائلة . و « اللّجّة » بالضمّ ، معظم الماء ، و منه « بحر لجّيّ » ، و « زخر البحر » مدّ و كثر ماؤه و ارتفعت أمواجه . و « اللطم » ضرب الخدّ بالكفّ مفتوحة ،

و « التطمت الأمواج و تلاطمت » ضرب بعضها بعضا ، و « الآذيّ » بالمدّ و التشديد ،

الموج الشديد ، و الجمع « أواذي » . و « الصفق » الضرب يسمع له صوت و « الصفق »

[290]

الردّ ، و « اصطفقت الأمواج » أي ضرب بعضها بعضا و ردّها ، و « التقاذف » الترامي بقوّة ، و « الثبج » بتقديم الثاء المثلّثة على الباء الموحّدة و « ثبج البحر » بالتحريك ، معظمه و وسطه ، و قيل : أصله ما بين الكاهل إلى الظهر ، و المراد أعالي الأمواج . و « الرغا » بالضمّ ، صوت الإبل . و « الزبد » بالتحريك ، الّذي يعلو السيل ، و قيل : « زبدا » منصوب بمقدّر ، أي ترغو قاذفة زبدا .

و أقول : الظاهر أنّ « ترغو » من « الرغوة » مثلّثة و هي الزبد يعلو الشيء عند غليانه ، يقال : « رغى اللبن » أي صارت له رغوة ، ففيه تجريد و لا ينافيه التشبيه بالفحل ،

و « الفحل » الذكر من كلّ حيوان ، و أكثر ما يستعمل في الإبل ، و « هاج الفحل » ثار و اشتهى الضراب . و « خضع » أي ذلّ ، و « جماح الماء » غليانه من « جمح الفرس » إذا غلب فارسه و لم يملكه . و « هيج الماء » ثورانه و فورته ، و « الارتماء » الترامي و التقاذف ،

و « ارتماء الماء » تلاطمه ، و أصل « الوطء » الدوس بالقدم ، و « الكلكل » الصدر .

و « ذلّ » أي صار ذليلا أو ذلولا ، ضدّ الصعب ، و في بعض النسخ : « كلّ » أي عرض له الكلال ، من « كلّ السيف » إذا لم يقطع . و « المستخذي » بغير همز كما في النسخ ،

الخاضع و المنقاد ، و قد يهمّز على الأصل . و « تمعّكت » مستعار من « تمعّكت الدابّة » أي تمرّغت في التراب ، و « الكاهل » ما بين الكتفين . « فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجيا » ، « الاصطخاب » افتعال من الصخب ، و هو كثرة الصياح و اضطراب الأصوات ، و « الساجي » الساكن . و « الحكمة » محرّكة ، حديدة في اللجام [و] تكون على حنك الفرس تمنعه عن مخالفة راكبه .

ثم إنّه أورد هنا 329 إشكال ، و هو أنّ كلامه عليه السلام يشعر بأنّ هيجان الماء و غليانه و موجه سكن بوضع الأرض عليه ، و هذا خلاف ما نشاهده و يقتضيه العقل لأنّ الماء الساكن إذا جعل فيه جسم ثقيل اضطرب و تموّج و صعد علوّا فكيف الماء المتموّج يسكن بطرح الجسم الثقيل فيه ؟

و أجيب بأنّ الماء إذا كان تموّجه من قبل ريح هائجة جاز أن يسكن هيجانه

----

(329) في بعض النسخ : ههنا .

[291]

بجسم يحول بينه و بين تلك الريح ، و لذلك إذا جعلنا في الاناء ماء و روّحنا بمروحة فإنّه يتحرّك ، فإن جعلنا على سطح الماء جسما يملأ حافات الإناء و روّحناه بالمروحة فإنّ الماء لا يتحرّك ، لأنّ ذلك الجسم قد حال بين الهواء المجتلب بالمروحة و بين سطح الماء ، فمن الجائز أن يكون الماء في الأوّل هائجا لأجل ريح محرّكة له فإذا وضعت الأرض عليه حال بين سطح الماء و بين تلك الريح و سيأتي في كلامه عليه السلام ذكر هذه الريح حيث قال : اعتقم مهبّها . . . إلى آخر ما سيأتي . و الأولى أن يقال : إنّ غرضه عليه السلام ليس نفي التموّج مطلقا بل نفي التموّج الشديد الّذي كان للماء إذ حمله سبحانه على متن الريح العاصفة و الزعزع القاصفة بقدرته الكاملة و أنشأ ريحا لمخضه مخض السقاء ، فكانت كرة الماء تندفق من جميع الجوانب و تردّ الريح أوّله على آخره و ساجيه على مائره ، كما سيأتي في كلامه عليه السلام . ثمّ لمّا كبس الأرض بحيث لم يحط الماء بجميعها فلا ريب في انقطاع الهبوب و التمويج 330 من ذلك الجانب المماسّ للأرض من الماء ، و أيضا لمّا منعت الأرض سيلان الماء من ذلك الجانب إذ ليست الأرض كالهواء المنفتق المتحرّك الّذي كان ينتهي إليه ذلك الحدّ من الماء كان ذلك أيضا من أسباب ضعف التموّج و قلّة التلاطم ، و أيضا لمّا تفرّقت كرة الماء في أطراف الأرض و مال الماء بطبعه إلى المواضع المنخفضة من الأرض و صار البحر الواحد المجتمع بحارا متعدّدة و إن اتّصل بعضها ببعض و أحاطت السواحل بأطراف البحار بحيث منعت الهبوب إلاّ من جهة السطح الظاهر سكنت الفورة الشديدة بذلك التفرّق و قلّة التعمّق و انقطاع الهبوب فكلّ ذلك من أسباب السكون الّذي أشار إليه عليه السلام .

و أقول : ممّا يبيّن ذلك أنّه إذا فرضنا حوضا يكون فرسخا في فرسخ و قدّرنا بناء عمارة عظيمة في وسطه فلا ريب في أنّه يقلّ بذلك أمواجه ، و كلّما وصل موج من جانب من الجوانب إليه يرتدع و يرجع . ثمّ إنّ هذه الوجوه إنّما تبدى جريا على قواعد الطبيعيّين و خيالاتهم الواهية ، و إلاّ فبعد ما ذكره عليه السلام لا حاجة لنا إلى إبداء وجه ، بل يمكن أن يكون لخلق الأرض و كبسها في الماء نوع آخر من التأثير في سكونه لا تحيط به

----

(330) في المخطوطة : « التموّج » و هو الأظهر .

[292]

عقولنا الضعيفة .

و قال ابن ميثم : مقتضى الكلام أنّ الله تعالى خلق الماء قبل الأرض و سكن بها مستفحل أمواجه ، و هذا ممّا شهد به البرهان العقليّ فإنّ الماء لمّا كان حاويا لأكثر الأرض كان سطحه الباطن المماسّ لسطحه الظاهر مكانا لها ، و ظاهر أنّ للمكان تقدّما طبيعيّا باعتبار ما على المتمكّن فيه و إن كان اللفظ يعطي تقدّم خلق الماء على خلق الأرض تقدّما زمانيّا كما هو المقبول عند السامعين . 331 انتهى .

و لا يخفى بعد أمثال تلك التأويلات الباردة في تلك العبارات الظاهرة الدلالة على التقدّم و الحدوث الزمانيّين كما ستعرف إن شاء الله تعالى .

« و سكنت الأرض مدحوّة » أي مبسوطة ، و لا ينافي الكرويّة ، و قيل : هو من « الدحو » بمعنى القذف و الرمي ، و « اللجّة » معظم الماء كما مرّ ، و « التيّار » الموج و قيل :

أعظم الموج ، و « لجّته » أعمقه . و « النخوة » الافتخار و التعظّم و الأنفة و الحميّة ،

و « البأو » الرفعة و التعظّم و الكبر ، و « الاعتلاء » التيه و الترفّع . و « شمخ بأنفه » أي تكبّر من « شمخ الجبل » إذا ارتفع ، و « السموّ » العلوّ ، و « غلواء الشباب » أوّله و شرته ،

و الغرض بيان سكون الأرض في الماء المتلاطم و منعها إيّاه عن تموّجه و هيجانه .

و « كعمت البعير » أي شددت فمه إذا هاج بالكعام ككتاب و هو شيء يجعل في فيه ، و « الكظّة » بالكسر ، ما يعتري الممتليء من الطعام ، و « الجرية » بالكسر ، حالة الجريان ، أو مصدر ، و « كظّة الجرية » ما يشاهد من الماء الكثير في جريانه من الثقل .

و « همدت الريح » سكنت . و « همود النار » خمودها ، و « نزق الفرس كسمع و نصر و ضرب نزقا و نزوقا » نزى و وثب ، و « النزقات » دفعاته و « نزق الغدير » امتلأ إلى رأسه ، و على هذا فالهمود بمعنى الغور و الأوّل أظهر . و « الزيفان » بالتحريك ، التبختر في المشي ، من « زاف البعير يزيف » إذا تبختر ، و في بعض النسخ : « و لبد بعد زيفان و ثباته » ، يقال : « لبد بالأرض » كنصر إذا لزمها و أقام و منه « اللبد » ككتف لمن لا يبرح منزله و لا يطلب معاشا ، و يروى : « و لبد بعد زفيان » بتقديم الفاء على الياء ،

----

(331) شرح النهج لابن ميثم ، ج 2 ، ص 372 ، ط بيروت .

[293]

و هو شدّة هبوب الريح ، يقال : « زفت الريح السحاب » إذا طردته ، و « الزفيان » بالفتح ، القوس السريعة الإرسال للسهم ، و « الوثبة » الطفرة . و « هيج الماء » ثورانه و فورته ، و « أكنافها » أي جوانبها و نواحيها ، و « شواهق الجبال » عواليها ، و « الباذخ » العالي . و « الينبوع » ما انفجر من الأرض من الماء و لعلّه اعتبر فيه الجريان بالفعل فيكون من إضافة الخاصّ إلى العامّ أو التكرير للمبالغة ، و قيل : « الينبوع » الجدول الكثير الماء فلا يحتاج إلى تكلّف ، و « عرنين الأنف » أوّله تحت مجتمع الحاجبين ، و الظاهر أنّ ضمير « أنوفها » راجع إلى الأرض كالضمائر السابقة و اللاحقة ، و استعار لفظ « العرنين » و « الأنف » لأعالي رؤوس الجبال ، و إنّما خصّ الجبال بتفجّر العيون منها لأنّ العيون أكثر ما يتفجّر من الجبال ، و الأماكن المرتفعة ، و أثر القدرة فيها أظهر و نفعها أتمّ . و « السهب » الفلاة البعيدة الأكناف و الأطراف ، و « البيد » بالكسر ، جمع بيداء و هي الفلاة الّتي يبيد سالكها أي يهلكه ، و « الأخاديد » جمع « أخدود » و هو الشقّ في الأرض ،

و المراد بأخاديدها مجاري الأنهار . و لعلّ تعديل الحركات بالراسيات أي الجبال الثابتات جعلها عديلا للحركات بحيث لا تغلبه أسباب الحركة فيستفاد سكونها ، فالباء صلة لا سببيّة ، أو المعنى سوى الحركات في الجهات أي جعل الميول متساوية بالجبال فسكنت لعدم المرجّح ، فالباء سببيّة ، و يحتمل أن يكون المراد أنّه جعلها بالجبال بحيث قد تتحرّك للزلازل و قد لا تتحرّك ، و لم يجعل الحركة غالبة على السكون مع احتمال كونها دائما متحرّكة بحركة ضعيفة غير محسوسة و من ذهب إلى استناد الحركة السريعة إلى الأرض لا يحتاج إلى تكلّف . و « الجلاميد » جمع « جلمد و جلمود » أي الصخور ، و « الشناخيب » جمع « شنخوب » بالضمّ ، أي رؤوس الجبال العالية و « الشمّ » المرتفعة العالية ،

و « الصياخيد » جمع « صيخود » و هي الصخرة الشديدة . و « الميدان » بالتحريك ، التحرّك و الاضطراب ، و « رسب في الماء كنصر و كرم رسوبا » ذهب سفلا ، و « جبل راسب » أي ثابت ، و « القطع » كعنب جمع « قطعة » بالكسر ، و هي الطائفة من الشيء ، و يروى بسكون الطاء و هو طنفسة الرحل ، قيل : كأنّه جعل الأرض ناقة و جعل لها قطعا ، و جعل الجبال في ذلك القطع . و « الأديم » الجلد المدبوغ ، و « أديم السماء

[294]

و الأرض » ما ظهر منهما و رسوب الجبال في قطع أديمها دخولها في أعماقها .

و « التغلغل » الدخول ، و « السرب » بالتحريك ، بيت في الأرض لا منفذ له يقال : « تسرّب الوحش و انسرب في جحره » أي دخل ، و « الجوبة » الحفرة و الفرجة و « الخيشوم » أقصى الأنف ، و « السهل من الأرض » ضدّ الحزن ، و « جرثومة الشيء » بالضمّ ، أصله ، و قيل : التراب المجتمع في أصول الشجر ، و هو أنسب . و لعلّ المراد بجراثيمها المواضع المرتفعة منها ، و مفاد الكلام أنّ الأرض كانت متحرّكة مضطربة قبل خلق الجبال فسكنت بها ، و ظاهره أنّ لنفوذ الجبال في أعماق الأرض و ظهورها و ارتفاعها عن الأرض كليهما مدخلا في سكونها ، و قد مرّ بعض القول في ذلك في كتاب التوحيد و سيأتي بعضه في الأبواب الآتية إن شاء اللّه .

و « فسح له » كمنع أي وسّع ، و لعلّ في الكلام تقدير مضاف أي بين منتهى الجوّ و بينها ، أو المراد بالجوّ منتهاه أعني السطح المقعّر للسماء . و « المتنسّم » موضع التنسّم و هو طلب النسيم و استنشاقه ، و فائدته ترويح القلب حتّى لا يتأذّى بغلبة الحرارة . و « مرافق الدار » ما يستعين به أهلها و يحتاج إليه في التعيّش ، و إخراج أهل الأرض على تمام مرافقها إيجادهم و إسكانهم فيها بعد تهيئة ما يصلحهم بمعاشهم و التزوّد إلى معادهم . و « الجرز » بضمّتين ، الأرض الّتي لا نبات بها و لا ماء ، و « الرابية » ما ارتفع من الأرض و كذلك « الربوة » بالضمّ 332 ، و « الجدول » كجعفر النهر الصغير ، و « الذريعة » الوسيلة . و « ناشئة السحاب » أوّل ما ينشأ منه ، أي يبتديء ظهوره ، و يقال : « نشأت السحاب » 333 إذا ارتفعت ، و « الغمام » جمع « الغمامة » 334 فالفتح فيهما ، و هي السحابة البيضاء ، و « اللمع » كصرد جمع « لمعة » بالضمّ و هي في الأصل قطعة من النبت إذا أخذت في اليبس كأنّها تلمع و تضيء من بين سائر البقاع ، و « القزع » جمع « قزعة » بالتحريك فيهما ، و هي القطعة من الغيم ، و « تباين القزع » تباعدها . و « المخض » بالفتح ، تحريك السقاء [335] الّذي فيه اللبن ليخرج زبده و

----

(332) بل بالتثليث .

----

(333) في المخطوطة : السحابة .

----

(334) في بعض النسخ : غمامة .

[335] « السقاء » بكسر السين و تخفيف القاف ، وعاء من الجلد للماء و اللبن .

« تمخّضت » أي تحرّكت ، و « اللّجّة » معظم الماء ، و « المزن » جمع « المزنة » بالضمّ فيهما ،

و هي الغيم ، و قيل : السحابة البيضاء ، و ضمير « فيه » راجع إلى المزن أي تحرّكت فيه اللجّة المستودعة فيه و استعدّت للنزول . و « التمع البرق و لمع » أي أضاء و « كففه » حواشيه و جوانبه ، و طرف كلّ شيء « كفّة » بالضمّ ، و عن الأصمعيّ : كلّ ما استطال كحاشية الثوب و الرمل فهو « كفّة » بالضمّ ، و كلّ ما استدار ككفّة الميزان فهو « كفّة » بالكسر و يجوز فيه الفتح . و « و ميض البرق » لمعانه ، و « لم ينم » أي لم ينقطع و لم يفتر ،

و « الكنهور » كسفرجل قطع من السحاب كالجبال ، و قيل : المتراكم منه ،

و « الرباب » كسحاب الأبيض منه ، و قيل : السحاب الّذي تراه كأنّه دون السحاب و قد يكون أسود و قد يكون أبيض جمع « ربابة » . و « المتراكم و المرتكم » المجتمع ، و قيل : الميم بدل من الباء كأنّه ركب بعضه بعضا ، و « السحّ » الصبّ و السيلان من فوق ، و « المتدارك » من « الدرك » بالتحريك ، و هو اللحاق ، يقال : « تدارك القوم » إذا لحق آخرهم أوّلهم . و « أسفّ الطائر » إذا دنا من الأرض ، و « هيدبه » ما تهدّب منه أي تدلّى كما تتدلّى هدب العين ، و « مرى الناقة يمريها » أي مسح ضرعها حتّى درّ لبنها و عدّي ههنا إلى مفعولين ، و روي : « تمرى » بدون الضمير ، و « الجنوب » بالفتح ، الريح مهبّها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريّا ، و هي أدرّ للمطر ، و « الدرر » كعنب جمع « درّة » بالكسر ، أي الصبّ و الاندفاق ، و قيل : « الدرر » الدارّ كقوله تعالى :

قِيَماً 336 أي قائما ، و « الهضب » المطر ، و يجمع على أهضاب ثمّ على أهاضيب كقول و أقوال و أقاويل ، و « الدفعة من المطر » بالضمّ ، ما انصبّ مرّة ، و « الشآبيب » جمع « شؤب » و هو ما ينزل من المطر دفعة بشدّة .

و « البرك » الصدر ، و « البواني » قوائم الناقة و أركان البنية . و قال بعض شرّاح النهج : « بوانيها » بفتح النون ، تثنية « بوان » على فعال بكسر الفاء ، و هي عمود الخيمة ،

و الجمع « بون » و من روى « بوانيها » أراد لواصقها من قولهم قوس بانية إذا التصقت بالوتر ، و الرواية الأولى أصحّ . [انتهى .] و في النسخ القديمة المصحّحة على صيغة الجمع ،

----

(336) الأنعام : 161 .

[296]

و في النهاية فسّر البواني على أركان البنية ، و في القاموس بقوائم الناقة ، و على التقادير الإضافة لأدنى ملابسة . و في الكلام تشبيه السحاب بالناقة المحمول عليها ، و الخيمة الّتي جرّ عمودها . و « البعاع » كسحاب ثقل السحاب من المطر ، و « استقلّت » أي نهضت و ارتفعت ، و « استقلّت به » حملته و رفعته ، و « العبء » الحمل و الثقل بكسر الجميع . و « الهوامد من الأرض » الّتي لا نبات بها ، و « الزعر » بالتحريك ، قلّة الشعر في الرأس ، يقال : رجل أزعر ، و « الأزعر » الموضع القليل النبات ، و الجمع « زعر » بالضمّ ،

كأحمر و حمر و المراد هيهنا القليلة 337 النبات من الجبال تشبيها بالرؤوس القليلة الشعر ،

و « العشب » بالضمّ ، الكلأ الرطب . و « بهج » كمنع و فرح [سرّ] و قال بعض الشرّاح : من رواه بضمّ الهاء أراد : يحسن و يملح من البهجة أي الحسن ، و « الروضة من العشب » الموضع الّذي يستنقع فيه الماء ، و « استراض الماء » أي استنقع ، و « تزدهي » أي تتكبّر و تفتخر ، افتعال من « الزهو » و هو الكبر و الفخر ، و « الريط » جمع « ريطة » بالفتح فيهما ، كلّ ملاءة ليست بلفقين أي قطعتين كلّها نسج واحد و قطعة واحدة ،

و قيل : كلّ ثوب رقيق ليّن . و « الأزاهير » جمع « أزهار » جمع « زهرة » بالفتح ، و هي النبات و نوره ، و قيل : الأصفر منه ، و أصل الزهرة الحسن و البهجة ، و « الحيلة » بالكسر ،

ما يتزيّن به من مصوغ الذهب و الفضّة و المعدنيّات . « ما سمّطت به » أي أعلقت 338 على بناء المجهول من التفعيل ، و في بعض النسخ الصحيحة بالشين المعجمة ، و « الشميط من النبات » ما خالط سواده النور الأبيض ، و أصله « الشمط » بالتحريك ، و هو بياض الرأس يخالط سواده و « النضارة » الحسن و الطراوة ، و « النور » بالفتح ، الزهر أو الأبيض منه ، و « البلاغ » بالفتح ، ما يتبلّغ به و يتوسّل إلى الشيء المطلوب ، و « الفجّ » الطريق الواسع بين الجبلين ، و « الفجاج » جمعه ، و « خرقها » خلقها على الهيئة المخصوصة ،

و « الآفاق » النواحي ، و « المنار » جمع « منارة » و هي العلامة ، و المراد هيهنا 339 ما يهتدي

----

(337) في المخطوطة : القليل .

----

(338) في بعض النسخ : علقت .

----

(339) في المخطوطة : هنا .

[297]

به السالكون من الجبال و التلال أو النجوم ، و الأوّل هنا أظهر و « الجادّة » وسط الطريق و معظمه .

و « مهّد الشيء » وسّعه و بسطه ، و « مهّد الأمر » سوّاه و أصلحه ، و لعلّ المراد هنا إتمام خلق الأرض على ما تقتضيه المصلحة في نظام أمور ساكنيها ، و قيل : يحتمل أن يراد بتمهيد الأرض جعلها مهادا أي فراشا كما قال جلّ و علا : أَ لَمْ

نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً 340 ، أو جعلها مهدا أي مستقرّا كالمهد للصبيّ كما قال سبحانه : الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً . 341
و « إنفاذ الأمر » إمضاؤه و إجراؤه ، و « الخيرة » كعنبة المختار ، و « الجبلّة » بكسر الجيم و الباء و تشديد اللام ، الخلقة و الطبيعة ، و قيل في قوله تعالى : وَ الْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ 342 أي ذوي الجبلّة ، و يحتمل أن يكون من قبيل الخلق بمعنى المخلوق ، و قيل : « الجبلّة » الجماعة من الناس ، و المراد بأوّل الجبلّة أوّل شخص من نوع الإنسان ردّا على من قال بقدم الأنواع المتوالدة . و « أرغد اللّه عيشه » أي جعله واسعا طيّبا ، و « الأكل » بضمّتين ، الرزق و الحظّ ، قال اللّه تعالى : وَ كُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا 343 . و « أوعزت إلى فلان في فعل أو ترك » أي تقدّمت ،

و المراد النهي عن الأكل من الشجرة ، و « خاطر بنفسه و ماله » أي أشفاهما على خطر و ألقاهما في مهلكة ، و الضمير في « منزلته » راجع إلى آدم ، و يحتمل رجوعه إليه سبحانه كضمير « معصيته » على الظاهر .

قوله عليه السلام « موافاة » قال ابن أبي الحديد : لا يجوز أن ينتصب لأنّه مفعول له ليكون عذرا و علّة للفعل ، بل على المصدريّة المحضة كأنّه قال : فوافا بالمعصية موافاة و طابق بها سابق العلم مطابقة . « فأهبطه بعد التوبة » هو صريح في أنّ الإهباط كان بعد التوبة فما يظهر من كثير من الآيات و الأخبار من عكس ذلك لعلّه محمول على التوبة الكاملة أو على القبول و يقال بتأخّره عن التوبة . و قد تقدّم تأويل تلك المعصية و أضرابها في المجلّد الخامس .

----

(340) *النبأ : 6 .*

----

(341) *طه : 53 .*

----

(342) *الشعراء : 184 .*

----

(343) *البقرة : 35 .*

[298]

« ممّا يؤكّد عليهم » لعلّ التعبير بلفظ التأكيد لكون معرفة الربّ سبحانه فطريّة أو لوضوح آيات الصنع في الدلالة على الخالق جلّ ذكره أو للأمرين . و قال في المغرب : « تعهّد الضيعة و تعاهدها » أتاها و أصلحها ، و حقيقته جدّد العهد بها .

و « القرن » أهل كلّ زمان ، مأخوذ من الاقتران ، فكأنّه المقدار الّذي يقتون فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم و أحوالهم ، فقيل : أربعون سنة ، و قيل : ثمانون سنة و قيل : مائة .

و قال الزجّاج : الّذي عندي و اللّه أعلم أنّ القرن أهل كلّ مدّة كان فيها نبيّ أو طبقة من أهل العلم سواء قلّت السنون أو كثرت . و « مقطع الشيء » آخره كأنّه قطع من هناك ، و « عذر اللّه » ما بيّن للمكلّفين من الأعذار في عقوبته لهم إن عصوه ،

و « نذره » ما أنذرهم به من الحوادث و من أنذره على لسانه من الرسل كذا قيل و قيل :

هما مصدران بمعنى الإعذار و الإنذار و المراد ختم الرسالة بنبيّنا صلّى اللّه عليه و آله .

« و قدّر الأرزاق » لمّا كان المتبادر من القسمة البسط على التساوي ، بيّن ما أراده بذكر الكثير و القليل ، ثمّ لمّا كان ذلك موهما للجور دفع الوهم بذكر العدل و نبّه على وجه الحكمة بذكر الابتلاء و الاختبار ، و روي : « فعدّل » بالتشديد و « التعديل » التقويم ، و المآل واحد . و « الابتلاء » الامتحان ، و « الميسور و المعسور » مصدران بمعنى العسر و اليسر كالمفتون بمعنى الفتنه ، و يمتنع عند سيبويه مجيء المصدر على مفعول ، قال :

« الميسور » الزمان الّذي يوسر فيه . و الاختبار فيه سبحانه صورته . و « غنيّها و فقيرها » نشر على ترتيب اللفّ على الظاهر ، و الضمير فيهما إلى الأرزاق ، و في الإضافة توسّع ، و يحتمل عوده إلى الأشخاص المفهوم من المقام أو إلى الدنيا ، أو إلى الأرض ،

و لعلّ إحديهما أنسب ببعض الضمائر الآتية .

و « العقابيل » جمع « عقبول و عقبولة » بالضمّ ، و هي قروح صغار تخرج بالشفة غبّ الحمّى و بقايا المرض ، و في تشبيه الفاقة و هي الفقر و الحاجة و آثارها 344 بالعقابيل من اللطف ما لا يخفى لكونها ممّا يقبح في المنظر و تخرج في العضو الّذي لا يتيسّر سترها عن الناس و تشتمل على فوائد خفيّة و كذلك الفقر و ما يتبعه ، و أيضا تكون غالبا

----

(344) في بعض النسخ : أو آثارها .

[299]

بعد التلذّذ بالنعم . و « طوارق الآفات » متجدّدات المصائب و ما يأتي منها بغتة من « الطروق » و هو الإتيان بالليل . و « الفرج » جمع « فرجة » و هي التفصّي من الهمّ و فرجة الحائط أيضا ، و « الفرح » السرور و النشاط ، و « الغصّة » بالضمّ ، ما اعترض في الحلق ، و « الترح » بالتحريك ، الهمّ و الهلاك و الانقطاع أيضا .

و « الأجل » محرّكة ، مدّة الشيء ، و غاية الوقت في الموت ، و حلول الدين ،

و تعليق الإطالة و التقصير على الأوّل واضح ، و أمّا التقديم و التأخير ، فيمكن أن يكون باعتبار أنّ لكلّ مدّة غاية و حينئذ يرجع التقديم إلى التقصير و الإطالة إلى التأخير و يكون العطف للتفسير تأكيدا ، و يحتمل أن يكون المراد بالتقديم جعل بعض الأعمار سابقا على بعض و تقديم بعض الأمم على بعض مثلا فيكون تأسيسا ، و يمكن أن يراد بتقديم الآجال قطع بعض الأعمار لبعض الأسباب كقطع الرحم مثلا كما ورد في الأخبار و بتأخيرها مدّها لبعض الأسباب فيعود الضمير في « قدّمها و أخّرها » إلى الآجال بالمعنى الثاني على وجه الاستخدام أو نوع من التجوّز في التعليق كما مرّ . و « السبب » في الأصل الحبل يتوسّل به إلى الماء و نحوه ثم توسّعوا فيه ، و اتّصال أسباب الآجال أي أسباب انقضائها أو أسباب نفسها 345 على المعنى الثاني بالموت [346] واضح ، و يحتمل أن تكون الأسباب عبارة عن الآجال بالمعنى الأوّل . و « خالجا » أي جاذبا ، و « الشطن » بالتحريك ، الحبل ، و أشطان الآجال الّتي يجذبها الموت هي الأعمار شبّهت بالأشطان لطولها و امتدادها . و « المرائر » جمع « مرير و مريرة » و هي الحبال المفتولة على أكثر من طاق ، ذكره في النهاية ، و قيل : الحبال الشديدة الفتل ، و قيل : الطول الدقاق منها .

و « الأقران » جمع « قرن » بالتحريك ، و هو في الأصل حبل يجمع به البعيران و لعلّ المراد بمرائر أقران الآجال ، الأعمار الّتي يرجى امتدادها لقوّة المزاج و البنية و نحو ذلك .

و كلمة « من » في قوله « من ضمائر المضمرين » بيانيّة ، و « الضمائر » الصور الذهنية المكنونة في المدارك . و « النجوى » اسم يقام مقام المصدر ، و هو المسارّة .

----

(345) في المخطوطة : أنفسها .

[346] الجارّ و المجرور متعلّق بقوله « اتّصال » .

[300]

و « الخواطر » ما يخطر في القلب من تدبير أمر و نحو ذلك . و « رجم الظنون » كلّ ما يسبق إليه الظنّ من غير برهان أو مسارعته ، و « الحديث المرجم » الّذي لا يدرى أحقّ هو أم باطل . و « عقدة كلّ شيء » بالضمّ ، الموضع الّذي عقد منه و أحكم . و « مسارق العيون » النظرات الخفيّة كأنّها تسترق النظر لإخفائها ، و « أو مضت المرأة » إذا سارقت النظر ، و « أومض البرق » إذا لمع خفيفا و لم يعترض في نواحي الغيم ، و « الجفن » بالفتح ،

غطاء العين من أعلى و أسفل و جمعه « جفون و أجفن و أجفان » و المقصود إحاطة علمه سبحانه بكلّ معلوم جزئيّ و كلّيّ ردّا على من قصّر علمه على البعض كالكلّيّات .

و « الأكنان و الأكنّة » جمع « الكنّ » بالكسر ، و هو اسم لكلّ ما يستتر فيه الإنسان لدفع الحرّ و البرد من الأبنية و نحوها ، و ستر كلّ شيء و وقاؤه كما قال تعالى : وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبالِ أَكْناناً 347 . و قال ابن أبي الحديد : و يروى : « أكنّة القلوب » و هي غلفها و أغطيتها [و] قال اللّه تعالى : وَ جَعَلْنا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ 348 .

و « غيابة البئر » قعره . و « أصغى » أي استمع ، و « أصغى إليه » أي مال بسمعه نحوه و « استراق السمع » الاستماع في خفية ، و « صاخ و أصاخ له » أي استمع و « مصائخ الأسماع » خروقها الّتي يستمع بها . و « الذرّ » صغار النمل ، و « مصائفها » المواضع الّتي تصيف فيها أي تقيم فيها بالصيف . و « مشاتي الهوامّ » مواضع إقامتها بالشتاء ، و « الهامّة » كلّ ذات سمّ يقتل ، و ما لا يقتل فهو السامّة كالعقرب ، و قد يقع الهوامّ على ما يدبّ من الحيوان كالحشرات . و « الحنين » شدّة البكاء و صوت الطرب عن حزن أو فرح ، و « رجعه » ترجيعه و ترديده ، و قيل : أصل الحنين ترجيع الناقة صوتها أثر ولدها ، و « المولهات » النوق ، و كلّ أنثى حيل بينها و بين أولادها ، و في بعض النسخ :

« الموالهات » و أصل الوله زوال العقل و التحيّر من شدّة الوجد . و « الهمس » أخفى ما يكون من صوت القدم أو كلّ صوت خفيّ . و « المنفسح » موضع السعة ، و « منفسح

----

(347) النحل : 81 .

----

(348) الأنعام : 25 .

الثمرة » موضع نموّها في الأكمام ، و يروى : « متفسّخ » بالخاء المعجمة و تشديد السين و التاء ، مصدرا من « تفسّخت الثمرة » إذا انقطعت ، و « الوليجة » الدخيلة و البطانة . و قال ابن أبي الحديد : « الولائج » المواضع الساترة و الواحد 349 « وليجة » و هي كالكهف يستتر فيها المارّة من مطر أو غيره . و « الغلف » بضمّة و بضمّتين 350 ، جمع « غلاف » ككتاب و يوجد في النسخ على الوجهين ، و « الكمّ » بالكسر ، وعاء الطلع و غطاء النّور و جمعه « أكمام و أكمّة و كمام » ، و كلمة « من » على ما في الأصل بيانيّة أو تبعيضيّة ، و على الرواية صلة أو بيانيّة . و « المنقمع » على زنة المفعول من باب الانفعال ،

موضع الاختفاء ، كما في أكثر النسخ و في بعضها من باب التفعّل بمعناه ، و « الغيران » جمع « غار » و هو ما ينحت في الجبل شبه المغارة ، فإذا اتّسع قيل : كهف ، و قيل : « الغار » الجحر يأوي إليه الوحش ، أو كلّ مطمئنّ في الأرض أو المنخفض من الجبل .

و « البعوض » البقّ ، و قيل : صغارها ، و الواحدة بهاء 351 و « مختبأ البعوض » موضع اختفائه ، و « السوق » جمع ساق ، و « الألحية » جمع « اللحاء » ككساء و هو قشر الشجر . و « غرزه في الأرض » كضربه ، أدخله و ثبّته ، و « مغرز الأوراق » موضع وصلها ، و « الأفنان » جمع « فنن » بالتحريك ، و هو الغصن . و « الحطّ » الحدر من علو إلى سفل . و « الأمشاج » قيل : مفرد ، و قيل : جمع « مشج » بالفتح أو بالتحريك أو « مشيج » على فعيل أي المختلط . قيل في قوله تعالى : مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ 352 : أي أخلاط من الطبائع من الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة ، و قيل : من الأجزاء المختلفة في الاستعداد ، و قيل : « أمشاج » أي أطوار : طورا نطفة ، و طورا علقة ، و هكذا ، و قيل : أي أخلاط من ماء الرجل و ماء المرأة و سيأتي الكلام فيه . و كلامه عليه السلام يؤيّد بعض الوجوه الأوّلة كما لا يخفى .

و « المسارب » المواضع الّتي ينسرب فيه المنيّ أي يسيل ، أو ينسرب فيها المنيّ

----

(349) في المخطوطة : الواحدة .

----

(350) في بعض النسخ : أو ضمّتين .

----

(351) يعني : يزاد في آخرها هاء فيقال : بعوضة .

----

(352) الدهر : 2 .

[302]

أي يختفي ، من قولهم « انسرب الوحشيّ » إذ دخل في جحره و اختفى ، أو مجاري المنيّ من السرب بمعنى الطريق ، و المراد أوعيتها من الأصلاب أو مجاريها ، و تفسير المسارب بالأخلاط الّتي يتولّد منها المنيّ كما احتمله ابن ميثم بعيد ، و المراد بمحطّ الأمشاج مقرّ النطفة من الرحم أو من الأصلاب على بعض الوجوه في المسارب فتكون كلمة « من » تبعيضيّة ، و لعلّ الأوّل أظهر .

و « الناشئة من السحاب » أوّل ما ينشأ منه و لم يتكامل اجتماعه أو المرتفع منه ، و « متلاحم الغيوم » ما التصق منها بعضها ببعض . و « الدرور » السيلان ، و « القطر » بالفتح ، المطر ، و الواحدة « قطرة » ، و « السحائب » جمع سحابة ، و « متراكمها » المجتمع المتكاثف منها ، و في بعض النسخ : « و تراكمها » .

و « سفت الريح التراب تسفيه » أي ذرته و رمت به أو حملته ، و « الأعاصير » جمع « الإعصار » و هو بالكسر الريح الّتي تهبّ صاعدا من الأرض نحو السماء كالعمود ،

و قيل : الّتي فيها نار ، و قيل : الّتي فيها العصار و هو الغبار الشديد ، و « ذيولها » أطرافها الّتي تجرّها على الأرض ، و لطف الاستعارة ظاهر . و « عفت الريح الأثر » إذا طمسته و محته ،

و « عفي الأثر » إذا انمحى ، يتعدّى و لا يتعدّى . و « العوم » السباحة و سير السفينة و الإبل ،

و « بنات الأرض » بتقديم الباء على ما في أكثر النسخ ، الحشرات و الهوامّ الّتي تكون في الرمال و غيرها كاللحكة و العصابة و غيرهما ، و حركتها في الرمال لعدم استقرارها تشبه السباحة ، و في بعض النسخ بتقديم النون ، فالمراد حركة عروقها في الرمال كأرجل السابحين و أيديهم في الماء ، و « الكثبان » بالضمّ ، جمع « الكثيب » و هو التلّ من الرمل .

و « المستقرّ » موضع الاستقرار ، و يحتمل المصدر . و « ذروة الشيء » بالضمّ و الكسر ،

أعلاه . و « غرد الطائر » كفرح و « غرّد تغريدا » رفع صوته و طرب به و ذوات المنطق من الطيور ماله صوت و غناء كأنّ غيره أبكم لا يقدر على المنطق . و « الدياجير » جمع « ديجور » و هو الظلام و المظلم و الإضافة على الثاني من إضافة الخاصّ إلى العامّ ،

و « الوكر » بالفتح ، عشّ الطائر . و « ما أوعته الأصداف » أي ما حفظته و جمعته من اللئالي . و « الحضن » بالكسر ، ما دون الإبط إلى الكشح أو الصدر ، أو العضدان و

[303]

ما بينهما ، و « حضن الصبيّ » كنصر جعله في حضنه ، و « ما حضنته الأمواج » العنبر و المسك و غيرهما . و « ما غشيته » أي غطّته ، و « السدفة » بالضمّ ، الظلمة . و « ذرّت الشمس » أي طلعت ، و « شرقت الشمس و أشرقت » أي أضاءت . و « ما اعتقبت » أي تعاقبت و جاءت واحدة بعد أخرى ، و « الأطباق » جمع « طبق » بالتحريك ، و هو غطاء كلّ شيء و تارات 353 الظلمة تستر الأشياء كالأغطية . و « سبحات النور » مرّاته ،

و « سبحات وجه اللّه » أنواره ، و قال ابن أبي الحديد : ليس يعني بالسبحات ههنا ما يعني به في قوله « سبحات وجه ربّنا » لأنّه هناك بمعنى الجلالة ، و ههنا بمعنى ما يسبح عليه النور أي يجري ، من « سبح الفرس » و هو جريه ، و « المتعاقبان » النور و الظلمة أي ما تغطّيه ظلمة بعد نور و نور بعد ظلمة ، و يحتمل أن يراد تعاقب أفراد كلّ منهما .

و « أثر القدم » علامته الّتي تبقى في الأرض ، و « الخطوة » المشية . و « الحسّ » الصوت الخفيّ . و « رجع الكلمة » ما ترجع به من الكلام إلى نفسك و تردّده في فكرك أو جواب الكلمة أو ترديد الصوت و ترجيعه عند التلفّظ بالكلمة ، أو إرجاع النفس للتلفّظ بكلمة بعد الوقف على كلمة ، و الرجع يكون لازما و متعدّيا . و « النسمة » محرّكة ،

الإنسان أو كلّ دابّة فيها روح ، و « مستقرّ النسمة » إمّا الصلب أو الرحم أو القبر أو مكانه في الدنيا أو في الآخرة أو الأعمّ . و « مثقال الذرّة » وزنها لا المثقال المعروف كما قال تعالى : إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ 354 . و « الهمهمة » الصوت الخفيّ أو ترديد الصوت في الحلق أو تردّد الصوت في الصدر من الهمّ . « كلّ نفس هامّة » أي ذات همّة تعزم على أمر ، و الوصف للتعميم ، و « ما عليها » أي على الأرض بقرينة المقام كقوله تعالى : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ 355 . و « النطفة » ماء الرجل ، و الماء الصافي قلّ أو كثر و يطلق على قليل ماء في دلو أو قربة ، و الأوّل أظهر في المقام . و « قرارتها » موضعها الّذي تستقرّ فيه ، و أصل القرارة المطمئنّ من الأرض يستقرّ فيه ماء المطر و جمعها « القرار » .

و « نقاعة كلّ شيء » بالضمّ ، الماء الّذي ينقع فيه ، و قال الشرّاح : « النقاعة » نقرة يجتمع فيها الدم . و « المضغة » بالضمّ ، القطعة من اللحم قدر ما يمضغ . و « ناشئة الخلق »

----

(353) في بعض النسخ : دثارات .

----

(354) النساء : 40 .

----

(355) الرحمن : 26 .

[304]

الصورة ينشئها سبحانه في البدن أو الروح الّتي ينفخها فيه ، و « السلالة » بالضمّ ، ما استلّ و استخرج من شيء ، و في الكلام إشارة إلى قوله سبحانه : وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ . . . إلى قوله : ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ 356 ، ثمّ الغرض من ذكره هذه الأشياء التنصيص على عموم علمه سبحانه مع الإشارة إلى أصناف خلقه و أنواع بريّته و عجائب ربوبيّته ، فإنّ الدليل على علمه بها خلقه لها و حفظه و تربيته لكلّ منها و إظهار بدائع الحكمة في كلّ صفة من أوصافها و حال من أحوالها كما قال سبحانه : أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ 357 .

« لم يلحقه في ذلك » المشار إليه إمّا العلم بالجزئيّات المذكورة و إمّا خلق الأشياء المذكورة قبل تفصيل المعلومات أو فيها أيضا كما قلنا انّ الغرض ليس محض تعلّق العلم بها ، « كلفة » أي مشقّة . « و لا اعترضته » أي منعته ، و « العارضة » ما يستقبلك من شيء يمنعك عن مسيرك . « و لا اعتورته » قيل : « اعتورته » أحاطت به ، و في اللغة :

« اعتوروا الشيء » أي تداولوه و تناوبوه ، و « في تنفيذ الأمور » أي إجرائها و إمضائها و « التدبير » النظر في عاقبة الأمر أو الفعل عن رويّة ، و المراد هنا إمضاء الأمور على وفق المصلحة و العلم بالعواقب ، و « الملالة » السأمة و الضجر ، و « فتر عن العمل » انكسر حدّته و لان بعد شدّته . « بل نفذ فيهم علمه » أي أحاط علمه بظواهرهم و بواطنهم و في بعض النسخ : « نفذهم » على الحذف و الإيصال . و « العدّ » مصدر « عددته » و في بعض النسخ : « عدده » . و « غمرهم » أي غطّاهم و سترهم و شملهم فضله . و « كنه الشيء » نهايته و حقيقته .

و « الوصف الجميل » ذكر الفضائل ، و « التعداد » بالفتح ، مصدر للمبالغة و التكثير ، و قال الكوفيّون : أصله التفعيل الّذي يفيد المبالغة ، قلبت ياؤه ألفا و بالكسر شاذّ . و « الأمل » ضدّ اليأس ، و « خير » خبر مبتدأ محذوف ، و كذلك « أكرم » . و

----

(356) *المؤمنون : 14 .*

----

(357) *الملك : 14 .*

[305]

« البسط » النشر و التوسيع ، و كلمة « في » إمّا زائدة أو للظرفيّة المجازيّة و المفعول محذوف أي بسطت لي القدرة أو الكلام فيما لا أمدح به غيرك ، و الغرض شكره سبحانه على فضيلة البلاغة و العلم به سبحانه و مدائحه و التوفيق على قصر المدح على اللّه جلّ شأنه . و « الخيبة » الحرمان ، و المخلوقون هم معادنها لأنّ عطاياهم قليلة فانية مع أنّهم لا يعطون غالبا ، و هم مواضع الريبة أي التهمة و الشكّ لعدم الوثوق بإعطائهم و عدم الاعتماد عليهم في رعاية مصلحة في المنع و اللّه سبحانه لا يمنع إلاّ لمصلحة تعود إلى السائل و يدّخر مع ذلك له أضعاف ما سأل في الدار الباقية .

و « المثوبة » الثواب ، و « الجزاء » المكافاة على الشيء ، و « العارفة » الإحسان .

« دليلا على ذخائر الرحمة » أي هاديا إلى أسبابها بالتوفيق و التأييد ، و « ذخائر الرحمة » عظائم العطايا ، و أصل الذخيرة المختار من كلّ شيء أو ما يعدّه الرجل ليوم حاجته .

« و هذا مقام » اسم مكان ، و يحتمل المصدر . و « المحمدة » بفتح الميم و كسرها ، مصدر « حمده » كسمعه . و « الفاقة » الفقر ، و « الجبر » في الأصل إصلاح العظم المكسور ،

و « المسكنة » الخضوع و الذلّة و قلّة المال و سوء الحال . و « نعشه » رفعه ، و « الخلّة » بالفتح ، الفقر و الحاجة ، و ضميرا « مسكنتها » و « خلّتها » راجعان إلى الفاقة و في الإضافة توسّع . و « المنّ » العطاء ، و « مدّ الأيدي » كناية عن الطلب و إظهار الحاجة ،

و « القدير » مبالغة في القادر .

و إنّما بسطنا الكلام بعض البسط في شرح هذه الخطبة لكونها من جلائل الخطب ، و ذكرنا جميعها لذلك و لكون أكثرها متعلّقا بمطالب هذا المجلّد ، و تفريقها على الأبواب كان يوجب تفويت نظام البلاغة و كمالها كما فوّت السيّد رحمه اللّه كثيرا من فوائد الخطبة باختصارها و اختيارها ، و أمّا دلالتها على حدوث السماء و الأرض و الملائكة و غير ذلك فغير خفيّ على المتأمّل فيها . 358 [هذا بيان آخر في شرح بضعة كلمات للخطبة :] بيان : « العقابيل » بقايا المرض ، واحدها « عقبول » . و « الأتراح » الغموم .

----

(358) *بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 57 ، كتاب السماء و العالم ، ص 115 158 .*

[306]

و « الخلج » الجذب . و « الشطن » الحبل . و « المرائر » الحبال المفتولة على أكثر من طاق . و « الأقران » الحبال . 359

92 و من كلام له عليه السلام لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان رضي اللّه عنه

دعوني و التمسوا غيري ، فإنّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان ، لا تقوم له القلوب ، و لا تثبت عليه العقول (1245) . و إنّ الآفاق قد أغامت (1246) ، و المحجّة (1247) قد تنكّرت (1248) . و اعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، و لم أصغ إلى قول القائل و عتب العاتب ، و إن تركتموني فأنا كأحدكم ، و لعلّي أسمعكم و أطوعكم لمن ولّيتموه أمركم ، و أنا لكم وزيرا ، خير لكم منّي أميرا

تبيين

المخاطبون بهذا الخطاب الطّالبون للبيعة بعد قتل عثمان ، و لمّا كان النّاس نسوا سيرة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و اعتادوا بما عمل فيهم خلفاء الجور من تفضيل الرؤساء و الأشراف لانتظام أمورهم و أكثرهم إنّما نقموا على عثمان استبداده بالأموال كانوا يطمعون منه عليه السلام أن يفضّلهم أيضا في العطاء و التشريف و لذا نكث طلحة و الزبير في اليوم الثاني من بيعته ، و نقموا عليه التسوية في العطاء و قالوا : آسيت بيننا و بين الأعاجم و كذلك عبد اللّه بن عمر ، و سعيد بن العاص ، و مروان و أضرابهم ، و لم يقبلوا ما قسم لهم ، فهؤلاء القوم لمّا طلبوا البيعة بعد قتل عثمان قال عليه السلام لهم : « دعوني و التمسوا غيري » إتماما للحجّة عليهم

----

(359) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 5 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 148 .

[307]

باستقبال أمور لها وجوه و ألوان لا يصبرون عليها و أنّه بعد البيعة لا يجيبهم إلى ما طمعوا فيه و لا يصغي إلى قول القائل و عتب العاتب بل يقيمهم على المحجّة البيضاء و يسير فيهم بسيرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله .

« و إنّ الآفاق قد أغامت » أي أظلمت بغيم سير أرباب البدع ، و خفاء شمس الحقّ تحت سحاب شبه أهل الباطل . و « المحجّة » جادّة الطريق . « و تنكّرها » تغيّرها و خفاؤها . قوله عليه السلام « ركبت بكم » أي جعلتكم راكبين . و تركهم إيّاه عدم طاعتهم له و اختيار غيره للبيعة حتّى لا تتمّ شرائط الخلافة لعدم الناصر كقوله عليه السلام في الشقشقيّة : « لو لا حضور الحاضر و قيام الحجّة بوجود الناصر لألقيت حبلها على غاربها » . و ليس الغرض ردعهم عن البيعة الواجبة بل إتمام للحجّة و إبطال لما علم عليه السلام من ادّعائهم الإكراه على البيعة كما فعل طلحة و الزبير بعد النكث ، مع أنّ المرء حريص على ما منع و الطبع نافر عمّا سورع إلى إجابته . و « الوزير » من يحمل عن الملك ثقل التدبير .

و قال ابن أبي الحديد كما هو دأبه أن يأتي بالحقّ ثمّ عنه يحيد : هذا الكلام يحمله أصحابنا على ظاهره و يقولون : إنّه عليه السلام لم يكن منصوصا عليه بالإمامة ، و إن كان أولى النّاس بها لأنّه لو كان منصوصا عليه لما جاز أن يقول : دعوني و التمسوا غيري .

ثمّ ذكر تأويل الإماميّة بأنّ الخطاب للطالبين منه عليه السلام أن يسير فيهم بسيرة الخلفاء و يفضّل بعضهم على بعض في العطاء ، أو بأنّ الكلام خرج مخرج التضجّر و التسخّط لأفعال الّذين عدلوا عنه عليه السلام قبل ذلك للأغراض الدنيويّة ، أو بأنّه خرج مخرج التهكّم كقوله تعالى : ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ 360 أي بزعمك .

ثمّ قال : و اعلم أنّ ما ذكروه ليس ببعيد لو دلّ عليه دليل ، فأمّا إذا لم يدلّ عليه دليل فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره . 361

----

(360) الدخان : 49 .

----

(361) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 7 ، ص 33 35 ، ط بيروت .

[308]

و لا يخفى على اللبيب أنّه بعد الإغماض عن الأدلّة القاهرة و النصوص المتواترة لا فرق بين المذهبين في وجوب التأويل ، و لا يستقيم الحمل على ظاهره إلاّ على القول بأنّ إمامته عليه السلام كان مرجوحا و أنّ كونه وزيرا أولى من كونه أميرا ، و هو ينافي القول بالتفضيل الّذي قال به ، فإنّه عليه السلام إذا كان أحقّ بالإمامة و بطل تفضيل المفضول على ما هو الحقّ و اختاره أيضا ، كيف يجوز للنّاس أن يعدلوا عنه إلى غيره ؟

و كيف يجوز له عليه السلام أن يأمر الناس بتركه و العدول عنه إلى غيره مع عدم ضرورة إلى ترك الإمامة ، و مع وجود الضرورة كما جاز ترك الإمامة الواجبة بالدليل جاز ترك الإمامة المنصوص عليها ، فالتأويل واجب على التقديرين ، و لا

نعلم أحدا قال بتفضيل غيره عليه ، و رجحان العدول إلى أحد سواه في ذلك الزمان ، على أنّ للظّاهر للمتأمّل في أجزاء الكلام حيث علّل الأمر بالتماس الغير باستقبال أمر لا تقوم له القلوب و تنكّر المحجّة ، و إنّه إن أجابهم حملهم على محض الحقّ هو أنّ السبب في ذلك وجود المانع دون عدم النصّ و أنّه لم يكن متعيّنا للإمامة أو لم يكن أحقّ و أولى به و نحو ذلك . و لعلّ الوجه في قوله عليه السلام « لعلّي أسمعكم و أطوعكم » هو أنّه إذا تولّى الغير أمر الإمامة و لم تتمّ الشرائط في خلافته عليه السلام لم يكن عليه السلام ليعدل عن مقتضى التقيّة بخلاف سائر الناس حيث يجوز الخطاء عليهم .

و أمّا قوله عليه السلام « فأنا لكم وزيرا ، خير لكم منّي أميرا » فلعلّ المراد بالخيريّة فيه موافقة الغرض أو سهولة الحال في الدنيا فإنّه عليه السلام على تقدير الإمامة و بسط اليد يجب عليه العمل بمحض الحقّ و هو يصعب على النفوس و لا يحصل به آمال الطامعين بخلاف ما إذا كان وزيرا فإنّ الوزير يشير بالرأي مع تجويز التأثير في الأمير و عدم الخوف و نحوه من شرائط الأمر بالمعروف . و لعلّ الأمير الّذي يولّونه الأمر يرى في كثير من الأمور ما يطابق آمال القوم و يوافق أطماعهم و لا يعمل بما يشير به الوزير فيكون وزارته أوفق لمقصود القوم . فالحاصل أنّ ما قصدتموه من بيعتي لا يتمّ لكم ، و وزارتي أوفق لغرضكم ، و الغرض إتمام الحجّة كما عرفت . 362

----

(362) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 397 ، ط كمپاني و ص 372 ، ط تبريز .

[309]

بيان

« الخبّ » الخداع ، و « الصبابة » الشوق ، و في بعض النسخ بالهمز فيهما فالخبء ، السرّ ، و هو أيضا كناية عن الغدر و الحيلة ، و « صبأ كمنع و كرم صبأ » خرج من دين إلى آخر ، و « عليهم العدوّ » دلّهم ، قاله الفيروزآبادي . 386 و قال : أصابه سهم غرب و يحرّك و سهم غرب نعتا أي لا يدري راميه . 387 و « الفضّ » الكسر بالتفرقة ، و النفر المتفرّقون . و « البضّ » الرخص الجسد الرقيق الجلد الممتلىء . و « التارّ » المسترخي .

أقول : أوردت تمام تلك الخطبة برواية سليم بن قيس 388 في كتاب الفتن . 389

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة :] إيضاح

قال ابن أبي الحديد : هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة و هي متداولة منقولة مستفيضة خطب بها عليّ عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان و فيها ألفاظ لم يوردها الرضيّ رحمه اللّه .

ثمّ ذكر بعض الألفاظ المتروكة ، منها قوله عليه السلام « و لم يكن ليجتريء عليها غيري ، و لو لم أك فيكم ما قوتل أهل الجمل و النهروان ، و ايم اللّه لو لا أن تتّكلوا فتدعوا العمل لحدّثتكم بما قضى اللّه عزّ و جلّ على لسان نبيّكم صلّى اللّه عليه و آله لمن قاتلهم مبصرا لضلالتهم عارفا للهدى الّذي نحن عليه . سلوني قبل أن تفقدوني فإنّي ميّت عن قريب أو مقتول بل قتلا ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه بدم هذه و ضرب بيده على لحيته » .

----

(385) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 7 ، ص 47 58 ، ط بيروت .

----

(386) القاموس ، ج 1 ، ص 20 .

----

(387) القاموس ، ج 1 ، ص 111 .

----

(388) راجع كتاب سليم بن قيس ، ص 85 90 .

----

(389) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 41 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 349 355 .

[317]

و منها في ذكر بني أميّة : « يظهر أهل باطلها على أهل حقّها حتّى يملأ الأرض عدوانا و ظلما و بدعا إلى أن يضع اللّه جبروتها و يكسر عمدها و ينزع أوتادها .

ألا و إنّكم مدركوها فانصروا قوما كانوا أصحاب رايات بدر و حنين توجروا ،

و لا تمالؤوا عليهم عدوّهم فتصرعكم البليّة و تحلّ بكم النّقمة » .

و منها : « إلاّ مثل انتصار العبد من مولاه إذا رآه أطاعه و إذا توارى عنه شتمه .

و ايم اللّه لو فرّقوكم تحت كلّ حجر لجمعكم اللّه لشرّ يوم لهم » .

و منها : « فانظروا أهل بيت نبيّكم فإن لبدوا فالبدوا ، و إن استنصروكم فانصروهم فليفرّجنّ اللّه الفتنة برجل منّا أهل البيت . بأبي ابن خيرة الإماء ، لا يعطيهم إلاّ السيف هرجا هرجا ، موضوعا على عانقه ثمانية [أشهر] حتّى تقول قريش : لو كان هذا ولد فاطمة لرحمنا ، يغريه اللّه ببني أميّة حتّى يجعلهم حطاما و رفاتا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا و قتّلوا تقتيلا ، سنّة اللّه في الّذين خلوا من قبل و لن تجد لسنّة اللّه تبديلا 390 » .

ثمّ قال : فإن قيل فمن هذا الرجل الموعود به ؟ قيل : أمّا الإماميّة فيزعمون أنّه إمامهم الثّاني عشر و أنّه ابن أمة اسمها نرجس . و أمّا أصحابنا فيزعمون أنّه فاطميّ يولد في مستقبل الزمان لامّ ولد و ليس بموجود الآن . فإن قيل : فمن يكون من بني أميّة في ذلك الوقت موجودا حتّى ينتقم منهم ؟ قيل : أمّا الإماميّة فتقول بالرجعة و يزعمون أنّه سيعاد قوم بأعيانهم من بني أميّة و غيرهم إذا ظهر إمامهم المنتظر ، و إنّه يقطع أيدي أقوام و أرجلهم ، و يسمل عيون بعضهم ، و يصلب قوما آخرين ، و ينتقم من أعداء آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله المتقدّمين و المتأخّرين . و أمّا أصحابنا فيزعمون أنّه سيخلق اللّه تعالى في آخر الزمان رجلا من ولد فاطمة عليها السلام يستولي على السفيانيّ و أشياعه من بني أميّة .

ثمّ قال : فإن قيل : لما ذا خصّ عليه السلام أهل الجمل و أهل النهروان بالذكر و لم يذكر صفّين ؟ قيل : لأنّ الشبهة كانت في أهل الجمل و أهل النهروان ظاهرة

----

(390) اقتباس من القرآن ، الأحزاب : 61 62 .

[318]

الالتباس ، و أمّا أهل الجمل لحسن ظنّهم بطلحة و الزبير ، و كون عايشة زوجة الرسول صلّى اللّه عليه و آله معهم . و أمّا أهل النهروان فكانوا أهل قرآن و عبادة و اجتهاد و عزوف عن الدنيا ، و هم كانوا قرّاء العراق و زهّادها . و أمّا معاوية فكان فاسقا مشهورا بقلّة الدين و الانحراف عن الإسلام ، و كذلك ناصره عمرو بن العاص و من اتّبعهما من طغام أهل الشام و أجلافهم و جهّال الأعراب ، فلم يكن أمرهم خافيا في جواز قتالهم و محاربتهم . انتهى .

قوله عليه السلام « فأنا فقأت » يقال : « فقأت العين » أي شققتها أو قلعتها بشحمها أو أدخلت الإصبع فيها . و « فقأ عين الفتنة » كسر ثورانها . و حذف المضاف أي عين أهلها بعيد . و عدم اجتراء غيره عليه السلام على إطفاء تلك الفتنة لأنّ الناس كانوا يهابون قتال أهل القبلة و يقولون : كيف نقاتل من يؤذّن كأذاننا و يصلّي بصلاتنا ؟ و « الغيهب » الظلمة . و تموّجها عمومها و شمولها تشبيها لها بالبحر . و « الكلب » بالتحريك ، داء يعرض الإنسان من عضّ الكلب و العطش ، و المراد شرّها و أذاها . و « الفئة » الطّائفة و الجماعة لا واحد لها من لفظها . و « ناعقها » الدّاعي لها أو إليها . و « المناخ » بضمّ الميم ، موضع الإناخة . و « الركاب » الإبل الّتي يسار عليها ،

و الواحدة « راحلة » . و « الرحل » بالفتح ، كلّ شيء يعدّ للرحيل . و « حططت الرجل » أنزلته عن الإبل ، و « المحطّ » اسم مكان ، و قيل : هو و المناخ مصدران . و « الكريهة » النّازلة و « كرائه الأمور » المصائب الّتي تكرهها النفوس .

و « الحوازب » جمع « حازب » و هو الأمر الشديد ، و « حزبه أمر » اشتدّ عليه و دهمه . و « الخطب » بالفتح ، الشأن و الحال و الأمر الّذي تقع فيه المخاطبة . و « الإطراق » السكوت ، و إطراق السّائل لصعوبة الأمر و شدّته حتّى أنّه يبهته عن السؤال و يتحيّر كيف يسأل . و « الفشل » الجبن و الضعف .

قوله عليه السلام « و ذلك » أي النزول أو الإطراق و الفشل . و « قلّصت » بالتشديد ، أي اجتمعت و انضمّت . و الحرب إذا كانت في موضع واحد يكون أشدّ و أصعب ، و يكون التشديد للمبالغة ، و هي بالتخفيف بمعنى ارتفعت فالمراد شدّتها و كثرتها ، و يقال : بالتشديد بمعنى استمرّت في المضيّ ، و يقال : « قلص قميصه فقلّص

تقليصا » أي شمّر لازم و متعدّ ، و في بعض النسخ : « قلّصت حربكم عن ساق » بدون كلمة « شمّرت » ، و يروى : « إذا قلصت عن حربكم » بالتخفيف ، أي إذا انكشفت كرائه الأمور و حوازب الخطوب عن حربكم . و « شمّرت عن ساق » أي كشفت عن شدّة و مشقّة ، كما قيل في قوله تعالى : يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ 391 و قيل : كشف السّاق مثل في اشتداد الأمر و صعوبة الخطب ، و أصله تشمير المخدّرات عن سوقهنّ في الهرب . و قيل : « يكشف عن ساق » أي عن أصل الأمر و حقيقته بحيث يصير عيانا ،

و يحتمل أن يكون الغرض تشبيه الحرب بالجدّ في أمر ، فإنّ الإنسان إذا جدّ في السّعي شمّر عن ساقه و رفع ثوبه لئلاّ يمنعه . و استطالة الأيّام عدّها طويلة ، و يوم البؤس و الشدّة يطول على الإنسان ، و لعلّ المراد ببقيّة الأبرار أولادهم و إن لم يكونوا أبرارا في أنفسهم إن كان إشارة إلى دولة بني العبّاس و إلاّ ظهر أنّه أراد القائم صلوات اللّه عليه .

قوله عليه السلام « شبّهت » على المعلوم ، جعلت نفسها أو الأمور الباطلة شبيهة بالحقّ ، أو على المجهول ، أي أشكل أمرها و التبس على النّاس . قوله عليه السلام « نبّهت » أي أيقظت القوم من النوم و أظهرت بطلانها عليهم .

« ينكرن » أي لا يعرف حالهنّ . و « حام الطّائر حول الماء » إذا طاف و دار لينزل عليه و « حوم الرياح » أي كحومها . و « الخطّة » بالضمّ ، شبه القصّة و الأمر و الخطب ، و عموم خطّة تلك البليّة لكونها رياسة عامّة و سلطنة شاملة ، و خصوص البليّة لكون حظّ أهل البيت عليهم السلام و شيعتهم منها أوفر ، و إصابة البلاء من أبصر فيها لحزن المبصر من مشاهدة أفعالهم الشنيعة و قصدهم إيّاه بأنواع الأذى بخلاف الجاهل المنقاد لهم . و يطلق الربّ على المالك و السيّد و المدبر و المربّي و المنعم . و « الناب » النّاقة المسنّة . و « الضروس » السيّئة الخلق تعضّ حالبها . و « عذم الفرس » كضرب إذا أكل بجفاء أو عضّ . و « خبط البعير » إذا ضرب بيده الأرض شديدا . و « الزّبن » الدفع ، و « زبنت الناقة » إذا ضربت بثفنات رجلها عند الحلب . و « الدرّ » اللبن ، و يقال لكلّ خير على

----

(391) القلم : 42 .

التوسّع .

قوله عليه السلام « لا يزالون بكم » أي لا يزالون يؤذونكم بأنواع الأذى حتّى لا يبقى منكم إلاّ من ينفعهم في مقاصدهم ، أو لا يضرّهم بإنكار المنكرات عليهم .

و « الضائر » المضرّ . و « الانتصار » الانتقام . و « الصاحب » التابع . و « المستصحب » المتبوع ، و الغرض إمّا نفي إمكان الانتصار ، أو إثبات انتصار الأذلاّء و المقهورين كالغيبة و الذّم مع الأمن من الوصول إلى المغتاب . و « الشوهاء » القبيحة . و « المخشيّة » المخوفة .

و « الجاهليّة » الحالة الّتي كانت العرب عليها قبل الإسلام . و « المنجاة » موضع النجاة ،

و الغرض خلاصهم من لحوق الآثام و المتابعة في الدعوة إلى الباطل لا الخلاص من الأذيّة . و « الأديم » الجلد و وجه الشبه انكشاف الجلد عمّا تحته من اللحم ، و يحتمل أن يكون المراد بالأديم الجلد الّذي يلفّ الإنسان فيه للتعذيب لأنّه يضغطه شديدا إذا جفّ ،

و في تفريحه راحة . و « يسومهم » أي يكلّفهم و يلزمهم . و « الخسف » النقصان و الذلّ و الهوان . و « المصبّرة » الممزوجة بالصبر المرّ ، و قيل : أي المملوّة إلى أصبارها أي جوانبها .

و « الحلس » بالكسر ، كساء رقيق يكسى على ظهر البعير تحت البرذعة ، و « أحلس البعير » ألبسه الحلس . و يحتمل أن يكون من الحلس الّذي يبسط تحت حرّ الثياب إشعارا بأنّهم في بيوتهم أيضا خائفون و هو اشارة إلى ظهور دولة بني العبّاس .

و « الجزور » النّاقة الّتي تجزر . قوله عليه السلام « ما أطلب اليوم بعضه » أي الطّاعة و الانقياد ، أي يتمنّون أن يروني فيطيعوني إطاعة كاملة و قد رضيت منهم اليوم بأن يطيعوني إطاعة ناقصة فلم يقبلوا . و قد روي في السير : أنّ مروان بن محمّد و هو آخر ملوك بني أميّة قال يوم الزاب ممّا شاهد عبد اللّه بن محمّد بن عليّ بن عبد اللّه بن العبّاس بازائه في صفّ خراسان : لوددت أنّ عليّ بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلا من هذا الفتى [العي] . و يحتمل أن يكون التمنّي عند قيام القائم عليه السلام . 392

----

(392) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 693 ، ط كمپاني و ص 641 ، ط تبريز .

94 و من خطبة له عليه السلام و فيها يصف اللّه تعالى ثم يبين فضل الرسول الكريم و أهل بيته ثم يعظ الناس

القسم الأول اللّه تعالى

فتبارك اللّه الّذي لا يبلغه بعد الهمم ، و لا يناله حدس الفطن ،

الأوّل الّذي لا غاية له فينتهي ، و لا آخر له فينقضي .

القسم الثاني و منها في وصف الانبياء

فاستودعهم في أفضل مستودع ، و أقرّهم في خير مستقرّ ، تناسختهم (1271) كرائم الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام ، كلّما مضى منهم سلف ،

قام منهم بدين اللّه خلف .

القسم الثالث رسول اللّه و آل بيته

حتّى أفضت كرامة اللّه سبحانه و تعالى إلى محمّد ، صلّى اللّه عليه و آله ، فأخرجه من أفضل المعادن منبتا (1272) ، و أعزّ الأرومات (1273) مغرسا (1274) ، من الشّجرة الّتي صدع (1275) منها أنبياءه ، و انتجب (1276) منها أمناءه . عترته خير العتر (1277) ، و أسرته خير الأسر ، و شجرته خير الشّجر ، نبتت في حرم ، و بسقت (1278) في كرم ، لها فروع طوال ، و ثمر لا ينال ، فهو إمام من اتّقى ، و بصيرة من اهتدى ،

سراج لمع ضوؤه ، و شهاب سطع نوره ، و زند برق لمعه ، سيرته

القصد (1279) ، و سنّته الرّشد ، و كلامه الفصل ، و حكمه العدل ، أرسله على حين فترة (1280) من الرّسل ، و هفوة (1281) عن العمل ، و غباوة من الأمم .

القسم الرابع عظة الناس

اعملوا ، رحمكم اللّه ، على أعلام (1282) بيّنة ، فالطّريق نهج (1283) يدعو إلى دار السّلام ، و أنتم في دار مستعتب (1284) على مهل و فراغ ،

و الصّحف منشورة ، و الأقلام جارية ، و الأبدان صحيحة ، و الألسن مطلقة ، و التّوبة مسموعة ، و الأعمال مقبولة .

بيان

قوله عليه السلام « في أفضل مستودع » الظاهر أنّ المراد بالمستودع و المستقرّ الأصلاب و الأرحام ، فيكون ما بعده بيانا له ، و يحتمل أن يكون المراد محلّ أرواحهم في عالم الذرّ . قوله « تناسختهم » أي تناقلتهم . قوله « حتّى أفضت » أي انتهت .

و « الأرومة » الأصل ، و يحتمل أن يكون المراد بأفضل المعادن و أعزّ الأرومات شجرة النبوّة ، و قيل : مكّة شرّفها اللّه ، و قيل : نسبه و عشيرته . و « الصدع » الشقّ . و « العترة » أخصّ من الأسرة . و « الأسرة » الرهط الأدنون ، و قيل : أراد بالشجر في الموضعين إبراهيم عليه السلام و قيل : أراد هاشما بقرينة قوله « نبتت في حرم » أي مكّة ، كذا قيل ،

و الأظهر أن تحمل الشجرة ثانيا على نفسه و أهل بيته كما ورد في أخبار كثيرة في تفسير الشجرة الطيّبة . و المراد بالفروع الأئمّة ، و طولها كناية عن بلوغهم في الشرف و الفضل الغاية البعيدة . و المراد بالثمر علومهم و معارفهم ، و عدم النيل لغموض أسرارها بحيث لا تصل العقول إليها . و « الزند » العود الّذي يقدح به النار . و « القصد » الوسط و الاعتدال في الأمور من غير إفراط و تفريط . و « الفصل » الفاصل بين الحقّ و الباطل .

[323]

و « الهفوة » الزلّة . و « الغباوة » الجهل و قلّة الفطنة . 393

95 و من خطبة له عليه السلام يقرر فضيلة الرسول الكريم

بعثه و النّاس ضلاّل في حيرة ، و حاطبون (1285) في فتنة ، قد استهوتهم الأهواء ، و استزلّتهم (1286) الكبرياء ، و استخفّتهم (1287) الجاهليّة الجهلاء (1288) ، حيارى في زلزال من الأمر ، و بلاء من الجهل ،

فبالغ صلّى اللّه عليه و آله في النّصيحة ، و مضى على الطّريقة ، و دعا إلى الحكمة ، و الموعظة الحسنة .

بيان

« الحاطب » هو الّذي يجمع الحطب ، و يقال : حاطب ليل لمن يجمع بين الصواب و الخطأ ، و يتكلّم بالغثّ و السمين .

أقول : و يحتمل أن يكون عليه السلام استعار الحطب لما يكتسبونه من الأعمال ، لأنّها كانت ممّا يحرقهم في النار ، و في بعض النسخ : « خابطون » أي كانت حركاتهم على غير نظام . قوله عليه السلام « استهوتهم الأهواء » أي دعتهم و جذبتهم إلى أنفسها ، أو إلى مهاوي الهلاك ، و يقال : « استخفّه » أي وجده خفيفا و خفّ عليه تحريكه ، و « الزلزال » بالفتح اسم ، و بالكسر مصدر . 394

----

(393) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 16 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 380 .

----

(394) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 219 .

[324]

96 و من خطبة له عليه السلام في اللّه و في الرسول الأكرم

القسم الأول اللّه تعالى

الحمد للّه الأوّل فلا شيء قبله ، و الآخر فلا شيء بعده ، و الظّاهر فلا شيء فوقه ، و الباطن فلا شيء دونه .

القسم الثاني و منها في ذكر الرسول صلى اللّه عليه و آله

مستقرّه خير مستقرّ ، و منبته أشرف منبت ، في معادن الكرامة ،

و مماهد (1289) السّلامة ، قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار ، و ثنيت إليه أزمّة (1290) الأبصار ، دفن اللّه به الضّغائن (1291) ، و أطفأ به الثّوائر (1292) ،

ألّف به إخوانا ، و فرّق به أقرانا ، أعزّ به الذّلّة ، و أذلّ به العزّة .

كلامه بيان ، و صمته لسان .

بيان

يحتمل زائدا على ما تقدّم أن يكون المراد بالمستقرّ المدينة ، و بالمنبت مكّة زادهما اللّه تعالى شرفا . قوله عليه السلام « و مماهد السلامة » قال ابن ميثم :

« المهاد » الفراش ، و لمّا قال : « في معادن » و هي جمع « معدن » قال بحكم القرينة و الإزدواج : « و مماهد » و إن لم يكن الواحد منها ممهدا ، كما قالوا : الغدايا و العشايا و مأجورات و مأزورات و نحو ذلك . و يعني بالسلامة ههنا البراءة من العيوب ، أي في نسب طاهر غير مأبون و لا معيب ، و يحتمل أن يراد بمعادن الكرامة و مماهد السلامة مكّة و المدينة ، فإنّهما محلّ العبادة و السلامة من عذابه و الفوز بكرامته ، و يحتمل أن يراد بمماهد السلامة ما نشأ عليه من مكارم الأخلاق الممهّدة للسّلامة من سخط اللّه . قوله

[325]

« و ثنيت » أي عطفت و صرفت . قوله « دفن به » أي أخفى و أذهب ، و « الضغائن » جمع « ضغينة » و هي الحقد . و « النوائر » جمع « نائرة » و هي العداوة ، و المراد بالذلّة ذلّة الإسلام ، و بالعزّة عزّة الشرك . قوله عليه السلام « و صمته لسان » فيه وجهان :

أحدهما أنّه كان يسكت عمّا لا ينبغي من القول ، فيعلم الناس السكوت عمّا لا يعنيهم ،

و ثانيهما أنّ سكوته صلّى اللّه عليه و آله عن بعض أفعال الصحابة و عدم النهي عنها كان تقريرا لها ، و دليلا على الإباحة . 395

97 و من خطبة له عليه السلام في اصحابه و أصحاب رسول اللّه

القسم الأول أصحاب علي

و لئن أمهل الظّالم فلن يفوت أخذه ، و هو له بالمرصاد (1293) على مجاز طريقه ، و بموضع الشّجا (1294) من مساغ ريقه (1295) . أما و الّذي نفسي بيده ، ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم ، ليس لأنّهم أولى بالحقّ منكم ، و لكن

لإسراعهم إلى باطل صاحبهم ، و إبطائكم عن حقّي . و لقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها ، و أصبحت أخاف ظلم رعيّتي . استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا ، و أسمعتكم فلم تسمعوا ،

و دعوتكم سرّا و جهرا فلم تستجيبوا ، و نصحت لكم فلم تقبلوا ،

أ شهود كغيّاب (1296) ، و عبيد كأرباب أتلو عليكم الحكم فتنفرون

----

(395) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 16 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 380 .

[326]

منها ، و أعظكم بالموعظة البالغة فتتفرّقون عنها ، و أحثّكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سبا (1297) .

ترجعون إلى مجالسكم ، و تتخادعون عن مواعظكم ، أقوّمكم غدوة ،

و ترجعون إليّ عشيّة ، كظهر الحنيّة (1298) ، عجز المقوّم ، و أعضل المقوّم (1299) .

أيّها القوم الشّاهدة أبدانهم ، الغائبة عنهم عقولهم ، المختلفة أهواؤهم ، المبتلى بهم أمراؤهم . صاحبكم يطيع اللّه و أنتم تعصونه ،

و صاحب أهل الشّام يعصي اللّه و هم يطيعونه . لوددت و اللّه أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدّينار بالدّرهم ، فأخذ منّي عشرة منكم و أعطاني رجلا منهم يا أهل الكوفة ، منيت منكم بثلاث و اثنتين : صمّ ذوو أسماع ،

و بكم ذوو كلام ، و عمي ذوو أبصار ، لا أحرار صدق عند اللّقاء ،

و لا إخوان ثقة عند البلاء تربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلّما جمعت من جانب تفرّقت من آخر ، و اللّه لكأنّي بكم فيما إخالكم (1300) : أن لو حمس الوغى (1301) ، و حمي الضّراب ، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها (1302) . و إنّي لعلى بيّنة من ربّي ، و منهاج من نبيّي ، و إنّي لعلى الطّريق الواضح ألقطه

[327]

لقطا (1303) .

القسم الثاني أصحاب رسول اللّه

انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم (1304) ، و اتّبعوا أثرهم ،

فلن يخرجوكم من هدى ، و لن يعيدوكم في ردى ، فإن لبدوا فالبدوا (1305) ، و إن نهضوا فانهضوا . و لا تسبقوهم فتضلّوا ، و لا تتأخّروا عنهم فتهلكوا . لقد رأيت أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله ، فما أرى أحدا يشبههم منكم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا (1306) ، و قد باتوا سجّدا و قياما ، يراوحون (1307) بين جباههم و خدودهم ، و يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأنّ بين أعينهم ركب المعزى (1308) من طول سجودهم إذا ذكر اللّه هملت أعينهم حتّى تبلّ جيوبهم ، و مادوا (1309) كما يميد الشّجر يوم الرّيح العاصف ، خوفا من العقاب ، و رجاء للثّواب

تبيان

« فلن يفوت » المفعول محذوف أي فلن يفوته . و « الأخذ » التناول و العقوبة . و « المرصاد » الطريق يرصد بها . و « الشجا » ما ينشب في الحلق من عظم و غيره . و موضع الشجا هو الحلق . و « مساغ ريقه » موضع إساغته . و « ساغ

الشراب » سهل في الحلق ، و « سغت الشراب » يتعدّى و لا يتعدّى . و هذا إمّا تهديد لأهل الشام أو لأصحابه كما سيأتي نسبة الظلم إليهم . و « ظهر عليه » غلب . و « راعي القوم » من ولى عليهم . و « الاستنفار » الاستنجاد و الاستنصار ، أو طلب النفور و الإسراع إلى القتال .

قوله عليه السلام « و عبيد كأرباب » أي أخلاقكم أخلاق العبيد من

[328]

الخلاف و النفاق و دناءة الأنفس ، و فيكم مع ذلك كبر السادات و تيههم و عدم إطاعتهم ، أو حكمكم حكم العبيد في وجوب الإطاعة و تأبون عنها كالسادة و هذا أنسب بالفقرة السّابقة . و « أيادي سبأ » مثل يضرب للمتفرّقين ، و أصله قوله تعالى عن أهل سبأ : وَ مَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ 396 . و سبأ مهموز يصرف و لا يصرف ، و يمدّ و لا يمدّ ،

و هو بلدة بلقيس ، و لقب ابن يشجب بن يعرب ، يقال : « ذهبوا أيدي سبأ ، و أيادي سبأ » الياء ساكنة و كذلك الألف ، هكذا نقل المثل ، أي متفرّقين و هما اسمان جعلا واحدا مثل معدى كرب ، ضرب المثل بهم لأنّهم لمّا غرق مكانهم و ذهبت جنّاتهم تبدّدوا في البلاد ، و لهم قصّة غريبة مذكورة في كتب الأمثال .

قوله عليه السلام « و تتخادعون » المخادعة هي الاستغفال عن المصلحة ، أي إذا رجعتم عن مجلس الوعظ أخذ كلّ منكم يستغفل صاحبه و يشغله بالأحاديث و إن لم يكن عن قصد خداع بل يقع منهم صورة المخادعة ، كذا ذكره ابن ميثم ، و قال ابن أبي الحديد : « تتخادعون عن مواعظكم » أي تمسكون عن الاتّعاظ من قولهم : كان فلان يعطي ثمّ خدع أي أمسك و أقلع ، و يجوز أن يريد تتلوّنون و تختلفون في قبول الوعظ ، من قولهم : « خلق فلان خلق خادع » أي متلوّن ، و « سوق خادعة » أي متلوّنة مختلفة . و لا يجوز أن يراد المعنى المشهور منها لأنّه إنّما يقال : « فلان يتخادع فلانا » إذا كان يريد أن ينخدع له و ليس بمنخدع في الحقيقة ، و هذا لا يناسب المقام .

و « الحنيّة » على فعيلة ، القوس ، أي ترجعون معوجا كاعوجاج ظهر القوس و « أعضل » أشكل . و كأنّ غيبة عقولهم كناية عن تركهم العمل بما تقتضيه ، أو عن ذهابها . قوله عليه السلام « منيت » أي ابتليت . و إنّما لم يجمع الخمس لكون الثلاث من جنس و الاثنتين من آخر ، أو لأنّ الثلاث إيجابيّة دون الاثنتين . و « الحرّ » خلاف العبد ، و الخيار من كلّ شيء . و « اللقاء » ملاقاة الأحباب أو العدوّ . و قوله عليه السلام « تربت أيديكم » كلمة يدعى على الانسان بها ، أي لا أصبتم خيرا ،

و أصل ترب إصابة التراب ، فكأنّه يدعى عليه بأن يفتقر .

----

(396) السبأ : 19 .

[329]

و قال في النهاية : هذه الكلمة جارية على ألسن العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب و لا وقوع الأمر بها 397 كما يقولون : قاتله اللّه و قيل : معناها : للّه درّك . قال : و كثيرا ترد للعرب ألفاظ ظاهرها الذّم و إنّما يريدون بها المدح كقولهم : لا أب لك ، و لا أمّ لك ، و هوت أمّه ، و لا أرض لك ، و نحو ذلك . و قال المطرّزيّ : في قولهم « كأنّ بك تنحطّ » الأصل كأنّي أبصرك تنحطّ ، ثمّ حذف الفعل و زيدت الباء . و يحتمل أن يكون الباء متعلّقا بملتصق و نحوه ، نحو « به داء » ، أو بمعنى في . و « خال الشيء يخاله » أي ظنّه ، و تقول : « خلت إخال » بالكسر 398 ، و بالفتح لغة بني أسد كما في النسخ ، و « ما » مصدريّة أي في ظنّي . و « حمس » كفرح أي اشتدّ . و « حمي » كرضي اشتدّ حرّه . و « انفراجهم » تفرّقهم . قال ابن ميثم : شبّه انفراجهم عنه بانفراج المرأة عن قبلها ليرجعوا إلى الأنفة . و تسليم المرأة قبلها 399 و انفراجها عنه إمّا وقت الولادة أو وقت الطعان .

قوله عليه السلام « ألقطه » كأنّه إشارة إلى أنّ الضلال غالب على الهدى فيحتاج السالك إلى التقاط طريق الهدى من بين طريق الضلالة . و في بعض النسخ :

« ألفظه لفظا » أي ابيّنه بيانا . و « السمت » الجهة و الطريق و هيئة أهل الخير . « فإن لبدوا » أي قعدوا عن طلب الخلافة و الجهاد و لزموا البيوت فتابعوهم ، و إن قاموا بها فانصروهم . يقال : « لبد الشيء بالأرض » كنصر أي التصق بها . و « لا تسبقوهم » أي لا تفعلوا ما لم يأمروكم به ، و « لا تتأخّروا عنهم » أي لا تخالفوهم فيما يأمرونكم به .

« يراوحون » أي يسجدون بالجبهة مرّة و بالخدود أخرى . و وقوفهم على مثل « الجمر » جمع « جمرة » و هي النّار المتّقدة ، كناية عن قلقهم و اضطرابهم من خوف المعاد . و « المعزى » بالكسر ، خلاف الضأن كالمعز ، و المراد ببين أعينهم جباههم مجازا . « هملت » أي سالت . و « مادوا » أي تحرّكوا و اضطربوا . 400 .

----

(397) في المصدر : به ، فالضمير راجع إلى المخاطب .

----

(398) هذا بالسماع ، و القياس الفتح .

----

(399) في المصدر : لقبلها .

----

(400) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 686 ، ط كمپاني و ص 634 ، ط تبريز .

[هذا بيان آخر في شرح جزء من الخطبة :] بيان : « شعثا غبرا » إمّا لفقرهم فالمدح للصبر على الفقر ، أو لتركهم زينة الدنيا و لذّاتها على ما ذكره الأكثر فينبغي التقييد بعدم القدرة ، أو التخصيص ببعض الأفراد ،

أو لتقشّف العبادة و قيام الليل و صوم النهار و هجر الملاذّ فالغبرة كناية عن صفرة اللّون ، و « السجّد » جمع « ساجد » كالقيام جمع قائم أو القيام مصدر أجري مجراه ،

و التخصيص باللّيل لكون العبادة فيه أحمز و أبعد عن الرئاء . و « المراوحة بين الجبهة و الخدّ » وضع كلّ على الأرض حتّى يستريح الآخر ، أو كأنّه يستريح و ليس الغرض الاستراحة ، و ذلك في سجدة الشكر و إن كان وضع الجبهة شاملا لسجود الصلاة . و « الجمر » بالفتح ، جمع « جمرة » و هي النار المتّقدة ، و وقوفهم على مثل الجمر قلقهم و اضطرابهم من خوف المعاد و عذاب النار ، و المراد بين أعينهم جباههم مجازا . أو الموضع حقيقة للارغام في السجود ، و الأوّل أظهر . « و هملت » كضربت و نصرت أي سالت و فاضت ، و « جيب القميص » و نحوه بالفتح ، طوقه . و « مادوا » تحرّكوا و اضطربوا ، و « الريح العاصف و العاصفة » الشديدة . و « خوفا » مفعول له لقوله عليه السلام « مادوا » فقط فسيلان العين للحبّ و الشوق أو للفعلين جميعا أو للجميع على بعد ، و يدلّ على أنّ الخوف من العقاب و الرجاء للثواب لا ينافيان الاخلاص . 401

98 و من كلام له عليه السلام يشير فيه إلى ظلم بني أمية

و اللّه لا يزالون حتّى لا يدعوا للّه محرّما إلاّ استحلّوه (1310) ، و لا عقدا إلاّ حلّوه ، و حتّى لا يبقى بيت مدر و لا وبر (1311) إلاّ دخله

----

(401) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 69 ، كتاب الإيمان و الكفر ، ص 307 .

ظلمهم و نبا به (1312) سوء رعيهم ، و حتّى يقوم الباكيان يبكيان :

باك يبكي لدينه ، و باك يبكي لدنياه ، و حتّى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيّده ، إذا شهد أطاعه ، و إذا غاب اغتابه ، و حتّى يكون أعظمكم فيها عناء أحسنكم باللّه ظنّا ، فإن أتاكم اللّه بعافية فاقبلوا ، و إن ابتليتم فاصبروا ، فإنّ « العاقبة للمتّقين » .

بيان

« لا يزالون » أي بنو أميّة ، فحذف الخبر و سدّت حتّى و ما بعدها مسدّ الخبر .

و يقال : « نبا به منزله » إذا ضرّه و لم يوافقه . و « سوء رعتهم » أي سوء ورعهم و تقواهم .

يقال : ورع يرع بالكسر فيهما و رعا ورعة . و يروى : « سوء رعيهم » . قوله عليه السلام « نصرة أحدكم » ، أي انتقامه من أحدهم بإضافة المصدر إلى الفاعل ،

و قيل : المصدر مضاف إلى المفعول في الموضعين ، و تقدير الكلام : حتّى يكون نصرة أحد هؤلاء الولاة لأحدكم . و « من » في الموضعين داخلة على محذوف تقديره : من جانب أحدهم ، و من جانب سيّده ، و هو ضعيف و لا حاجة إلى التقدير بل هو معنى الابتدائيّة . 402 و قال ابن ميثم رحمه اللّه : قد جاء في بعض خطبه عليه السلام ما يجري مجرى الشرح لهذا الوعد ، قال عليه السلام :

اعلموا علما يقينا أنّ الّذي يستقبل قائما من أمر جاهليّتكم و ذلك أنّ الأمّة كلّها يومئذ جاهليّة إلاّ من رحم اللّه فلا تعجلوا فيعجّل الخوف بكم ، و اعلموا أنّ الرفق يمن و الأناة راحة و بقاء ، و الإمام أعلم بما ينكر و يعرف ، لينزعنّ عنكم قضاء السوء ،

و ليقبضنّ عنكم المراضين ، و ليعزلنّ عنكم أمراء الجور و ليطهّرنّ الأرض من كلّ غاشّ ، و ليعملنّ بالعدل ، و ليقومنّ فيكم بالقسطاس المستقيم ، و ليتمنّينّ أحياؤكم

----

(402) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 383 ، ط كمپاني و ص 361 ، ط تبريز .

رجعة الكرّة عمّا قليل فتعيّشوا إذن ، فإنّ ذلك كائن .

للّه أنتم بأحلامكم ، كفّوا ألسنتكم ، و كونوا من وراء معايشكم ، فإنّ الحرمان سيصل إليكم ، و إن صبرتم و احتسبتم و استيقنتم أنّه طالب و تركم و مدرك آثاركم و آخذ بحقّكم ، و أقسم باللّه قسما حقّا إنّ اللّه مع الّذين اتّقوا و الّذينهم محسنون . 403 أقول : و قال ابن أبي الحديد 404 في شرح خطبة أوردها السيّد الرّضي في نهج البلاغة و هي مشتملة على ذكر بني أميّة : هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السير و هي متداولة منقولة مستفيضة و فيها ألفاظ لم يوردها الرضيّ .

ثمّ قال : و منها :

فانظروا أهل بيت نبيّكم فان لبدوا فالبدوا . و إن استنصروكم فانصروهم ليفرّجنّ اللّه برجل منّا أهل البيت بأبي ابن خيرة الإماء لا يعطيهم إلاّ السيف هرجا هرجا موضوعا على عاتقه ثمانية حتّى تقول قريش : لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا فيغريه اللّه ببني أميّة حتّى يجعلهم حطاما و رفاتا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا و قتّلوا تقتيلا سنّة اللّه في الّذين خلوا من قبل و لن تجد لسنّة اللّه تبديلا .

ثمّ قال ابن أبي الحديد : فإن قيل : من هذا الرجل الموعود ؟

قيل : أمّا الاماميّة ، فيزعمون أنّه إمامهم الثاني عشر و أنّه ابن أمة اسمها نرجس و أمّا أصحابنا ، فيزعمون أنّه فاطميّ يولد في مستقبل الزمان لأمّ ولد و ليس بموجود الآن .

فإن قيل : فمن يكون من بني أميّة في ذلك الوقت موجودا حتّى يقول عليه السلام في أمرهم ما قال من انتقال هذا الرّجل منهم ؟

قيل : أمّا الاماميّة ، فيقولون بالرجعة و يزعمون أنّه سيعاد قوم بأعيانهم من بني أميّة و غيرهم إذا ظهر إمامهم المنتظر و أنّه يقطع أيدي أقوام و أرجلهم و يسمل عيون بعضهم و يصلب قوما آخرين و ينتقم من أعداء آل محمّد عليهم السلام المتقدّمين و المتأخّرين . و أمّا أصحابنا ، فيزعمون أنّه سيخلق اللّه تعالى في آخر الزمان رجلا من ولد فاطمة عليها السلام ليس موجودا الآن و ينتقم [به] و أنّه يملأ الأرض عدلا كما

----

(403) شرح النهج لابن ميثم ، ج 3 ، ص 9 ، ط بيروت .

----

(404) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 7 ، ص 58 59 ، ط بيروت . و قد تقدّم مثل هذا الشرح في الخطبة رقم 93 .

ملئت جورا و ظلما من الظالمين و ينكل بهم أشدّ النكال و أنّه لأمّ ولدكما قد ورد في هذا الأثر و في غيره من الآثار و أنّ اسمه كاسم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أنّه يظهر بعد أن يستولي على كثير من الاسلام ملك من أعقاب بني أميّة و هو السفيانيّ الموعود به في الصحيح من ولد أبي سفيان بن حرب بن أميّة و أنّ الإمام الفاطميّ يقتله و أشياعه من بني أميّة و غيرهم و حينئذ ينزل المسيح عليه السلام من السماء و تبدو أشراط الساعة و تظهر دابّة الأرض و يبطل التكليف و يتحقّق قيام الأجساد عند نفخ الصّور كما نطق به الكتاب العزيز . 405

99 و من خطبة له عليه السلام في التزهيد من الدنيا

نحمده على ما كان ، و نستعينه من أمرنا على ما يكون ، و نسأله المعافاة في الأديان ، كما نسأله المعافاة في الأبدان .

عباد اللّه ، أوصيكم بالرّفض لهذه الدّنيا التّاركة لكم و إن لم تحبّوا تركها ، و المبلية لأجسامكم و إن كنتم تحبّون تجديدها ،

فإنّما مثلكم و مثلها كسفر (1313) سلكوا سبيلا فكأنّهم قد قطعوه ، و أمّوا (1314) علما فكأنّهم قد بلغوه . و كم عسى المجري إلى الغاية (1315) أن يجري إليها حتّى يبلغها و ما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه ، و طالب حثيث من الموت يحدوه (1316) و مزعج في الدّنيا حتّى يفارقها رغما فلا تنافسوا في عزّ الدّنيا و فخرها ، و لا تعجبوا

----

(405) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 51 ، كتاب تاريخ الإمام الثاني عشر عليه السلام ، ص 120 .

بزينتها و نعيمها ، و لا تجزعوا من ضرّائها و بؤسها ، فإنّ عزّها و فخرها إلى انقطاع ، و إنّ زينتها و نعيمها إلى زوال ، و ضرّاءها و بؤسها إلى نفاد (1317) ، و كلّ مدّة فيها إلى انتهاء ، و كلّ حيّ فيها إلى فناء .

أ و ليس لكم في آثار الأوّلين مزدجر (1318) ، و في آبائكم الماضين تبصرة و معتبر ، إن كنتم تعقلون أ و لم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون ،

و إلى الخلف الباقين لا يبقون أ و لستم ترون أهل الدّنيا يصبحون و يمسون على أحوال شتّى : فميّت يبكى ، و آخر يعزّى ، و صريع مبتلى ، و عائد يعود ، و آخر بنفسه يجود (1319) ، و طالب للدّنيا و الموت يطلبه ، و غافل و ليس بمغفول عنه ، و على أثر الماضي ما يمضيء الباقي ألا فاذكروا هاذم اللّذّات ، و منغّص الشّهوات ، و قاطع الأمنيات ،

عند المساورة (1320) للأعمال القبيحة ، و استعينوا اللّه على أداء واجب حقّه ، و ما لا يحصى من أعداد نعمه و إحسانه .

100 و من خطبة له عليه السلام في رسول اللّه و أهل بيته

الحمد للّه النّاشر في الخلق فضله ، و الباسط فيهم بالجود يده . نحمده

في جميع أموره ، و نستعينه على رعاية حقوقه ، و نشهد أن لا إله غيره ، و أنّ محمّدا عبده و رسوله ، أرسله بأمره صادعا (1321) ، و بذكره ناطقا ، فأدّى أمينا ، و مضى رشيدا ، و خلّف فينا راية الحقّ ، من تقدّمها مرق (1322) ، و من تخلّف عنها زهق (1323) ، و من لزمها لحق ،

دليلها مكيث الكلام (1324) ، بطيء القيام (1325) ، سريع إذا قام .

فإذا أنتم ألنتم له رقابكم ، و أشرتم إليه بأصابعكم ، جاءه الموت فذهب به ، فلبثتم بعده ما شاء اللّه حتّى يطلع اللّه لكم من يجمعكم و يضمّ نشركم (1326) ، فلا تطمعوا في غير مقبل (1327) ، و لا تيأسوا من مدبر (1328) ، فإنّ المدبر عسى أن تزلّ به إحدى قائمتيه (1329) ، و تثبت الأخرى ، فترجعا حتّى تثبتا جميعا .

ألا إنّ مثل آل محمّد ، صلّى اللّه عليه و آله ، كمثل نجوم السّماء :

إذا خوى نجم (1330) طلع نجم ، فكأنّكم قد تكاملت من اللّه فيكم الصّنائع ، و أراكم ما كنتم تأملون .

توضيح

« النشر » التفريق و البسط . و بسط اليد كناية عن العطاء ، و قيل :

« اليد » هنا النعمة . « في جميع أموره » أي ما صدر عنه من النعم و البلايا . و « رعاية حقوق اللّه » شكره و طاعته بأمره . « صادعا » أي مظهرا و مجاهرا . و « الرشد » إصابة الصواب ، و قيل : الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه . و « رأية الحقّ » الثقلان المخلّفان . و « مرق السهم من الرمية » إذا خرج عن المرميّ به ، و المراد هنا خروج من

تقدّمها و لم يعتدّ بها من الدين . و « زهق الشيء » كمنع بطل و هلك . و « اللحوق » إصابة الحقّ . و أراد بالدليل نفسه عليه السلام ، و الضمير راجع إلى الراية . « مكيث الكلام » أي بطيئه ، أي لا يتكلّم من غير رويّة . بطء القيام كناية عن ترك العجلة و الطيش . و إلانة الرقاب كناية عن الإطاعة . و الإشارة بالأصابع عن التعظيم و الإجلال .

قال ابن أبي الحديد : نقل أنّ أهل العراق لم يكونوا أشدّ اجتماعا عليه من الشهر الّذي قتل عليه السلام فيه ، اجتمع له مائة ألف سيف ، و أخرج مقدّمة يريد الشام فضربه اللعين و انفضّت تلك الجموع كالغنم فقدت رعاتها ، و أشار بمن يجمعهم إلى المهديّ عليه السلام . و « النشر » المنشور المتفرّق . قوله « فلا تطمعوا » أي من لم يقبل على طلب هذا الأمر ممّن هو أهله فلا تطمعوا فيه فإنّ ذلك لاختلال بعض شرائط الطلب كما كان شأن أكثر أئمّتنا عليهم السلام ، و قيل : أراد بغير المقبل من انحرف عن الدين بارتكاب منكر فإنّه لا يجوز الطمع في أن يكون أميرا لكم . و في بعض النسخ :

« فلا تطعنوا في عين » أي من أقبل على هذا الأمر من أهل البيت فلا تدفعوه عمّا يريد .

و قوله عليه السلام « و لا تأيسوا » أي من أدبر عن طلب الخلافة ممّن هو أهل لها فلا تأيسوا من عوده و إقباله على الطلب فإنّ إدباره يكون لفقد بعض الشروط كقلّة الناصر . و « زوال إحدى القائمتين » كناية عن اختلال بعض الشروط و ثبات الأخرى عن وجود بعضها . و قوله « فترجعا حتّى تثبتا » عن استكمال الشرائط ، و لا ينافي النّهي عن الإياس النهي عن الطمع لأنّ عدم اليأس هو التجويز ، و الطمع فوق التجويز ، و لأنّ النهي عن الطمع في حال عدم الشروط و الإعراض عن الطلب لذلك ، و النهي عن الإياس لجواز حصول الشرائط .

و قيل : « لا تيأسوا من مدبر » أي إذا ذهب من بينكم إمام و خلفه إمام أخرى فاضطرب أمره فلا تشكّوا فيهم فإنّ المضطرب الأمر ستنظم أموره ، و حينئذ يكون قوله عليه السلام « ألا إنّ مثل آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله » كالبيان لهذا . « إذا خوى نجم » أي مال للمغيب . و « الصنائع » جمع « صنيعة » و هي الإحسان ، أي

[337]

لا تيأسوا عسى أن يأتي اللّه بالفرج عن قريب ، و المتحقّق الوقوع قريب و إن كان بعيدا . و يمكن أن يكون إراءة 406 المخاطبين ما يأملون في الرجعة . 407

101 و من خطبة له عليه السلام و هي إحدى الخطب المشتملة على الملاحم

الحمد للّه الأوّل قبل كلّ أوّل ، و الآخر بعد كلّ آخر ، و بأوّليّته وجب أن لا أوّل له ، و بآخريّته وجب أن لا آخر له ، و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه شهادة يوافق فيها السرّ الإعلان ، و القلب اللّسان .

أيّها النّاس ، لا يجرمنّكم (1331) شقاقي (1332) ، و لا يستهوينّكم (1333) عصياني ، و لا تتراموا بالأبصار (1334) عند ما تسمعونه منّي . فو الّذي فلق الحبّة (1335) ، و برأ النّسمة (1336) ، إنّ الّذي أنبّئكم به عن النّبيّ الأمّيّ صلّى اللّه عليه و آله ، ما كذب المبلّغ ، و لا جهل السّامع .

لكأنّي أنظر إلى ضلّيل (1337) قد نعق (1338) بالشّام ، و فحص براياته (1339) في ضواحي كوفان (1340) . فإذا فغرت فاغرته (1341) ، و اشتدّت شكيمته (1342) ،

و ثقلت في الأرض وطأته ، عضّت الفتنة أبناءها بأنيابها ، و ماجت الحرب بأمواجها ، و بدا من الأيّام كلوحها (1343) ، و من اللّيالي

----

(406) في المتن : « أراكم » على صيغة المجرّد ، فمصدره « رؤية » لا « الإراءة » ، أي أراكم تدركون ما تأملون . فتأمّل .

----

(407) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 713 ، ط كمپاني و ص 661 ، ط تبريز .

[338]

كدوحها (1344) . فإذا أينع زرعه ، و قام على ينعه (1345) ، و هدرت شقاشقه (1346) ، و برقت بوارقه (1347) ، عقدت رايات الفتن المعضلة ،

و أقبلن كاللّيل المظلم ، و البحر الملتطم . هذا ، و كم يخرق الكوفة من قاصف (1348) و يمرّ عليها من عاصف (1349) و عن قليل تلتفّ القرون بالقرون (1350) ، و يحصد القائم (1351) ، و يحطم المحصود (1352)

بيان

الغرض إثبات الأوّليّة و الآخريّة الحقيقيّتين له سبحانه ، و ظاهر الأوّل حدوث ما سواه ، و استدلّ بالثاني على ما ذهب إليه كثير من المتكلّمين من انعدام العالم بأسره قبل قيام الساعة ، و يمكن أن يكون الآخريّة باعتبار أنّ كلّ ما عداه في التغيّر و التحوّل من حال إلى حال ، كما ورد في الرواية ، و قيل : أوّليّته بحسب الخارج ،

و آخريّته بحسب الذهن ، أو الآخر في سلسلة الافتقار لاحتياج الكلّ إليه سبحانه . 408 بيان : قيل : المراد بالضلّيل معاوية ، و قيل : السفيانيّ .

و قال ابن أبي الحديد : هذا كناية عن عبد الملك بن مروان ، لأنّ هذه الصفات كانت فيه أتمّ منها في غيره ، لأنّه أقام بالشام حين دعا إلى نفسه ، و هو معنى نعيقه و فحصت راياته بالكوفة تارة حين شخص بنفسه إلى العراق و قتل مصعبا ، و تارة لمّا استخلف الأمراء على الكوفة ، فلمّا كمل أمر عبد الملك و هو معنى « أينع زرعه » هلك و عقدت رايات الفتن المعضلة بعده ، كحروب أولاده مع بني المهلّب ، و مع زيد بن عليّ عليه السلام و أيّام يوسف بن عمر و غير ذلك . 409 و « الضواحي » النواحي البارزة القريبة . قوله « فغرت فاغرته » أي فتح فاه .

و « الشكيمة » في الأصل حديدة معترضة في اللّجام في فم الدابّة ، و « فلان شديد الشكيمة » إذا كان عسر الانقياد شديد النفس . و « ثقلت في الأرض وطأته » أي عظم

----

(408) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 57 ، كتاب السّماء و العالم ، ص 26 .

----

(409) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 7 ، ص 99 100 ، ط بيروت .

جوره و ظلمه . و « الكلوح » بالضمّ ، تكشّر في العبوس . 410 و « الكدوح » الخدوش .

و « أينع الزرع » أدرك و نضج ، و « الينع » جمع « يانع » ، و يجوز أن يكون مصدرا .

و « هدرت » أي صوّتت . و « الشقاشق » جمع « شقشقة » و هي بالكسر شيء كالراية يخرج من فم البعير إذا هاج . و « برقت بوارقه » أي سيوفه و رماحه . و « المعضلة » العسرة العلاج . و « القاصف » الريح القويّة تكسر كلّما تمرّ عليه ، و « القرون » الأجيال من الناس ، واحدها « قرن » بالفتح ، و هذا كناية عن الدولة العبّاسيّة الّتي ظهرت على دولة بني أميّة في الحرب ، ثمّ قتل المأسورين منهم صبرا ، فحصد القائم قبل المحاربة و حطم الحصيد بالقتل صبرا . و المراد بالتفاف بعضهم ببعض اجتماعهم في بطن الأرض ،

و بحصدهم قتلهم أو موتهم ، و بحطم محصودهم تفرّق أوصالهم في التراب ، أو التفافهم كناية عن جمعهم في موقف الحساب أو طلب بعضهم مظالمهم من بعض ، و حصدهم عن إزالتهم عن موضع قيامهم أي الموقف ، و سوقهم إلى النار و حطمهم عن تعذيبهم في نار جهنّم .

أقول : سيأتي كثير من الأخبار في كتاب الفتن . 411

102 و من خطبة له عليه السلام تجري هذا المجرى و فيها ذكر يوم القيامة و أحوال الناس المقبلة

القسم الأول يوم القيامة

و ذلك يوم يجمع اللّه فيه الأوّلين و الآخرين لنقاش الحساب (1353) و جزاء الأعمال ، خضوعا ، قياما ، قد ألجمهم العرق (1354) ، و رجفت

----

(410) و الصحيح أن يقال : « كلح كلوحا » بالضمّ ، تكشّر في عبوس . و « تكشّر » أي كشف عن أسنانه .

----

(411) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 41 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 356 .

بهم الأرض (1355) ، فأحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا ، و لنفسه متّسعا .

القسم الثاني صفة العالم

و منها : العالم من عرف قدره ، و كفى بالمرء جهلا ألاّ يعرف

----

(419) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 446 ، ط كمپاني و ص 415 ، ط تبريز .

[343]

قدره ، و إنّ من أبغض الرّجال إلى اللّه تعالى لعبدا وكله اللّه إلى نفسه ، جائرا عن قصد السّبيل ، سائرا بغير دليل ، إن دعي إلى حرث (1371) الدّنيا عمل ، و إن دعي إلى حرث الآخرة كسل كأنّ ما عمل له واجب عليه ، و كأنّ ما ونى (1372) فيه ساقط عنه

القسم الثالث آخر الزمان

و منها : و ذلك زمان لا ينجو فيه إلاّ كلّ مؤمن نومة (1373) ، « إن شهد لم يعرف ، و إن غاب لم يفتقد ، أولئك مصابيح الهدى ، » و أعلام السّرى (1374) ، ليسوا بالمساييح (1375) ، و لا المذاييع (1376) البذر (1377) ، أولئك يفتح اللّه لهم أبواب رحمته ، و يكشف عنهم ضرّاء نقمته .

أيّها النّاس ، سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الإسلام ، كما يكفأ الإناء بما فيه . أيّها النّاس ، إنّ اللّه قد أعاذكم من أن يجور عليكم ، و لم يعذكم من أن يبتليكم (1378) ، و قد قال جلّ من قائل : إِنَّ في ذلِكَ لَآيَاتٍ وَ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ . قال السيد الشريف الرضي : أما قوله عليه السلام : « كلّ مؤمن نومة » فإنّما اراد به الخامل الذكر القليل الشر ، و المساييح : جمع مسياح ، و هو الذي يسيح بين الناس بالفساد و النمائم ، و المذاييع : جمع مذياع ، و هو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ،

و نوّه بها ، و البذر : جمع بذور و هو الذي يكثر سفهه و يلغو منطقه .

[344]

بيان

قال ابن ميثم : « من عرف قدره » أي مقداره و منزلته بالنسبة إلى مخلوقات اللّه تعالى ، و أنّه أيّ شيء منها ، و لأيّ شيء خلق ، و ما طوره المرسوم في كتاب ربّه و سنن أنبيائه . 420 « و كأنّ ما ونى فيه » أي ما فتر فيه و ضعف عنه . 421

104 و من خطبة له عليه السلام

أمّا بعد ، فإنّ اللّه سبحانه بعث محمّدا ، صلّى اللّه عليه و آله ،

و ليس أحد من العرب يقرأ كتابا ، و لا يدّعي نبوّة و لا وحيا ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه ، يسوقهم إلى منجاتهم ، و يبادر بهم السّاعة أن تنزل بهم ، يحسر الحسير (1379) ، و يقف الكسير (1380) ، فيقيم عليه حتّى يلحقه غايته ، إلاّ هالكا لا خير فيه ، حتّى أراهم منجاتهم و بوّأهم محلّتهم ، فاستدارت رحاهم (1381) ، و استقامت قناتهم (1382) و ايم اللّه ، لقد كنت من ساقتها حتّى تولّت بحذافيرها ، و استوسقت في قيادها ، ما ضعفت ، و لا جبنت ، و لا خنت ، و لا وهنت ، و ايم اللّه ، لأبقرنّ (1383) الباطل حتّى أخرج الحقّ من خاصرته قال السيد الشريف الرضي : و قد تقدم مختار هذه الخطبة ، إلا أنني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة و نقصان ، فأوجبت الحال إثباتها ثانية .

إيضاح

قوله « و ليس أحد من العرب يقرأ كتابا » أي في زمانه صلّى اللّه

----

(420) شرح النهج لابن ميثم ، ج 3 ، ص 19 ، ط بيروت .

----

(421) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 2 ، كتاب العلم ، ص 58 .

[345]

عليه و آله و ما قار به ، فلا ينافي بعثة هود و صالح و شعيب عليهم السلام في العرب ، و أمّا خالد بن سنان فلو ثبت بعثته فلم يكن يقرأ كتابا و يدّعي شريعة ، و إنّما نبوّته كانت مشابهة لنبوّة جماعة من أنبياء بني إسرائيل لم يكن لهم كتب و لا شرائع ، مع أنّه يمكن أن يكون المراد الزمان الّذي بعده .

قوله عليه السلام « و يبادر الساعة أن تنزل بهم » أي يسارع إلى هدايتهم و تسليكهم لسبيل اللّه كيلا تنزل بهم الساعة على عمى منهم عن صراط اللّه . قوله عليه السلام « يحسر الحسير » ، « الحسير » الّذي أعيى في طريقه ، و الغرض وصفه صلّى اللّه عليه و اله بالشفقة على الخلق في حال أسفارهم معه في الغزوات و نحوها ،

أي أنّه كان يسير في آخرهم ، و يفتقد المنقطع منهم عن عياء أو انكسار مركوب فلا يزال يلطف به حتّى يبلغه أصحابه إلاّ ما لا يمكن إيصاله و لا يرجى ، أو المراد من وقف قدم عقله في السلوك إلى اللّه أو انكسر لضلاله كان صلّى اللّه عليه و آله هو المقيم له على المحجّة البيضاء و يهديه حتّى يوصله إلى الغاية المطلوبة إلاّ من لا يرجى في الخير كأبي جهل و أبي لهب و أضرابهما . و « منجاتهم » نجاتهم ، أو محلّ نجاتهم ، و « محلّتهم » منزلهم .

و « استدارة رحاهم » كناية عن اجتماعهم و اتّساق أمورهم . 422 [هذا بيان آخر في شرح الخطبة :] بيان : « المنجاة » مصدر أو اسم مكان . و « يبادر بهم السّاعة » أي يسارع إلى هدايتهم و إرشادهم حذرا من أن تنزل بهم الساعة فتدركهم على الضلالة . و « الحسير » المعيى ، و إقامته على الحسير و الكسير مراقبته من تزلزل عقائده ليدفع شبهه حتّى يبلّغه الغاية الّتي خلق لأجلها إلاّ من لم يكن قابلا للهداية . و منهم من حمله على ظاهره من شفقته صلّى اللّه عليه و آله على الضعفاء في الأسفار و الغزوات . « حتّى أراهم منجاتهم » أي نجاتهم أو محلّ نجاتهم . و « محلّتهم » منزلهم و غاية سفرهم الصوريّ أو المعنوي . و « استدارة الرحا و استقامة القناة » كنايتان عن انتظام الأمر كما مرّ .

و « الساقة » جمع « سائق » و الضمير لغير مذكور ، و المراد الجاهليّة ، شبّهها عليه السلام

----

(422) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 220 .

[346]

بكتيبة مصادفة لكتيبة الإسلام فهزمها . و في القاموس : « الحذفور » كعصفور الجانب كالحذفار ، و الشريف ، و الجمع الكثير ، و « أخذه بحذافيره » بأسره أو بجوانبه أو بأعاليه ، و « الحذافير » المتهيّؤون للحرب ، و « اشدد حذافيرك » تهيّأ . و « استوثقت » أي اجتمعت و انتظمت يعني الملّة الإسلاميّة أو الدعوة أو ما يجري هذا المجرى ، أي لمّا ولّت الجاهليّة استوثقت هذه في قيادها كالإبل المقودة إلى أعطانها 423 . و يحتمل عوده إلى الجاهليّة أي تولّت بحذافيرها و اجتمعت تحت ذلّ المقادة . و « البقر » الشقّ .

و « الخاصرة » ما بين أسفل الأضلاع و عظم الورك ، شبّه عليه السلام الباطل بحيوان ابتلع الحقّ . 424

105 و من خطبة له عليه السلام في بعض صفات الرسول الكريم و تهديد بني أمية و عظة الناس

القسم الأول الرسول الكريم

حتّى بعث اللّه محمّدا ، صلّى اللّه عليه و آله ، شهيدا ، و بشيرا ،

و نذيرا ، خير البريّة طفلا ، و أنجبها كهلا ، و أطهر المطهّرين شيمة (1384) ، و أجود المستمطرين ديمة (1385) .

القسم الثاني بنو أمية

فما احلولت لكم الدّنيا في لذّتها ، و لا تمكّنتم من رضاع أخلافها (1386) إلاّ من بعد ما صادفتموها جائلا خطامها (1387) ، قلقا وضينها (1388)

----
(423) « الأعطان » جمع « العطن » بالتحريك ، المناخ حول الورد .

----
(424) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 714 ، ط كمپاني و ص 662 ، ط تبريز .

قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السّدر المخضود (1389) ، و حلالها بعيدا غير موجود ، و صادفتموها ، و اللّه ، ظلاّ ممدودا إلى أجل معدود .

فالأرض لكم شاغرة (1390) ، و أيديكم فيها مبسوطة ، و أيدي القادة عنكم مكفوفة ، و سيوفكم عليهم مسلّطة ، و سيوفهم عنكم مقبوضة .

ألا و إنّ لكلّ دم ثائرا ، و لكلّ حقّ طالبا . و إنّ الثّائر في دمائنا كالحاكم في حقّ نفسه ، و هو اللّه الّذي لا يعجزه من طلب ، و لا يفوته من هرب . فأقسم باللّه ، يا بني أميّة ، عمّا قليل لتعرفنّها في أيدي غيركم و في دار عدوّكم ألا إنّ أبصر الأبصار . ما نفذ في الخير طرفه ألا إنّ أسمع الأسماع ما وعى التّذكير و قبله

القسم الثالث وعظ الناس

أيّها النّاس ، استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متّعظ ، و امتاحوا (1391) من صفو عين قد روّقت (1392) من الكدر .

عباد اللّه ، لا تركنوا إلى جهالتكم ، و لا تنقادوا لأهوائكم ، فإنّ النّازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار (1393) ، ينقل الرّدى (1394) على ظهره من موضع إلى موضع ، لرأي يحدثه بعد رأي ، يريد أن يلصق ما لا يلتصق ، و يقرّب ما لا يتقارب فاللّه اللّه أن تشكوا إلى من لا

يشكي (1395) شجوكم (1396) ، و لا ينقض برأيه ما قد أبرم لكم . إنه ليس على الإمام إلاّ ما حمّل من أمر ربّه : الإبلاغ في الموعظة ،

و الاجتهاد في النّصيحة ، و الإحياء للسّنّة ، و إقامة الحدود على مستحقّيها ،

و إصدار السّهمان (1397) على أهلها . فبادروا العلم من قبل تصويح (1398) نبته ، و من قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار (1399) العلم من عند أهله ، و انهوا عن المنكر و تناهوا عنه ، فإنّما أمرتم بالنّهي بعد التّناهي

بيان

« الشيمة » بالكسر ، الخلق و الطبيعة ، و « الاستمطار » طلب المطر ،

و طلب العطاء الكثير مجازا ، و « الديمة » بالكسر ، المطر الدائم ، فيمكن أن يقرء على بناء المفعول ، أي أجود من طلب منه العطاء الدائم الكثير ، أو على بناء الفاعل إشارة إلى استجابة دعائه في الاستسقاء فيحتمل أن يكون أجود مأخوذا من الجود بمعنى المطر الكثير ، و اللّه يعلم . 425 [هذا بيان آخر في شرح الخطبة :] بيان : « شهيدا » أي على أوصيائه و أمّته و على الأنبياء و أممهم .

و « الكهل » من جاوز الثلاثين ، و قيل : من بلغ الأربعين ، و قيل : من جاوز أربعا و ثلاثين إلى إحدى و خمسين . و « الشيمة » بالكسر ، الطبيعة و الجبلّة . و « الجود » بالفتح ،

المطر الغزير . و « الديمة » بالكسر ، المطر الدائم في سكون . و « احلولى الشيء » صار حلوا ضدّ المرّ . و « الرضاع » بالفتح ، مصدر « رضع الصبيّ أمّه » بالكسر ، أي امتصّ ثديها .

و « الأخلاف » جمع « خلف » بالكسر ، و هي حلمة ضرع النّاقة أو الضرع لكلّ ذات خفّ و ظلف ، و الجملتان كنايتان عن انتفاعهم و تمتّعهم بالدنيا . و « صادفته » أي

----
(425) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 16 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 284 .

[349]

وجدته . و « الجائل » الدائر المتحرّك ، و الّذي يذهب و يجيء . و « خطام البعير » بالكسر ،

الحبل الّذي يقاربه . و « القلق » المتحرّك الّذي لا يستقرّ في مكانه . و « الوضين » بطان منسوج بعضه على بعض يشدّ به الرحل على البعير كالحزام للسرج ، و الغرض عدم تمكّنهم من الانتفاع بالدّنيا و صعوبتها عليهم و عدم انقيادها لهم كما يستصعب الناقة على راكبها إذا كانت جائلة الخطام ليس زمامها في يد راكبها ، قلقة الوضين لا يثبت رحلها تحت راكبها ، و يحتمل أن يكون كناية عن استقلال الدّنيا و استبدادها في غرور الناس و إقبالها على أهلها من غير أن يزجرها و يمنعها أحد .

و « السدر المخضود » الّذي انثنت أغصانه من كثرة الحمل أو الّذي قطع شوكه و نزع و هو كناية عن أكلهم الحرام برغبة كاملة و ميل شديد . و « الظلّ الممدود » الدائم الّذي لا تنسخه الشمس . و « شغرت الأرض » كمنعت أي لم يبق بها أحد يحميها و يضبطها ، و « بلدة شاغرة برجلها » إذا لم تمنع من غارة أحد . و في النهاية : قيل : « الشغر » البعد ، و قيل : الاتّساع . و منه حديث عليّ عليه السلام : « فالأرض لكم شاغرة » أي واسعة . و « القادة » ولاة الأمر المستحقّون للإمارة و الرئاسة . و « تسلّط السيوف » إشارة إلى واقعة الحسين عليه السلام و ما كان من بني اميّة و غيرهم من القتل و سفك الدماء . و « الثار » طلب الدم . و المراد بكونه هنا كالحاكم في حقّ نفسه استيفاؤه الحقّ بنفسه من غير افتقار إلى بيّنة و حكم حاكم . و الضمير في « تعرفتّها » راجع إلى الإمارة أو إلى الدنيا كالضمائر المتقدّمة و هو إخبار بانتقال الدولة عن بني أميّة إلى بني العبّاس .

و « الطرف » بالفتح ، نظر العين ، يطلق على الواحد و غيره . و نفوذه في الخير رؤية المحاسن و اتّباعها . و « وعى الحديث » كرمى أي حفظه و تدبّره . و « الامتياح » نزول البئر و ملأ الدلو منها . و « الترويق » التصفية ، و المراد بالواعظ و العين [يعني] نفسه صلوات اللّه عليه .

و « ركن » كعلم و نصر و منع مال . و « الهوى » إرادة النفس . و « الشفا » شفير الشيء و جانبه . و « الجرف » بالضمّ و بضمّتين ، ما تجرّفته السيول و أكلته من الأرض . و « الهار » الساقط الضعيف . و « الردى » جمع « رداة » بالفتح فيهما ، و هي

[350]

الصخرة ، أي هو في تعب دائما ، و فسّر هنا بالهلاك أيضا . و إلصاق ما يلتصق و تقريب ما لا يتقارب إثبات الباطل بحجج باطلة . و « أشكاه » أزال شكايته . و « الشجو » الهمّ و الحزن . و « أبرم الأمر » أي أحكمه ، و الحبل أي جعله طاقين ثم فتله ، و الغرض النهي عن اتّباع إمام لا يقدر على كشف المعضلات و حلّ المشكلات في المعاش و المعاد لقلّة

البصيرة ، و في بعض النسخ : « و من ينقض » بدون لا ، فالمعنى : لا تتّبعوا من ينقض برأيه الفاسد ما أحكمه الشرع . و « السهمان » بالضمّ ، جمع « سهم » و هو الحظّ و النصيب ،

و إيصالها إليهم . و « صوّح النبات » أي يبس و تشقّق ، أو جفّ أعلاه ، و هو كناية عن ذهاب رونق العلم أو اختفائه و مغلوبيّته . و « المستثار » مصدر بمعنى الاستثارة و هي الإنهاض و التهييج و الترتيب بين الأمر بالتناهي لا بين النهي و التناهي ، و لا يبعد حمله على ظاهره . 426

106 و من خطبة له عليه السلام و فيها يبين فضل الاسلام و يذكر الرسول الكريم ثم يلوم أصحابه

القسم الأول دين الاسلام

الحمد للّه الّذي شرع الإسلام فسهّل شرائعه لمن ورده ، و أعزّ أركانه على من غالبه ، فجعله أمنا لمن علقه (1400) ، و سلما لمن دخله ، و برهانا لمن تكلّم به ، و شاهدا لمن خاصم عنه ، و نورا لمن استضاء به ، و فهما لمن عقل ، و لبّا لمن تدبّر ، و آية لمن توسّم ،

و تبصرة لمن عزم ، و عبرة لمن اتّعظ ، و نجاة لمن صدّق ، و ثقة لمن توكّل ، و راحة لمن فوّض ، و جنّة (1401) لمن صبر . فهو أبلج المناهج (1402)

----

(426) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 718 ، ط كمپاني و ص 665 ، ط تبريز .

و أوضح الولائج (1403) ، مشرف المنار (1404) ، مشرق الجوادّ (1405) ،

مضيء المصابيح ، كريم المضمار (1406) ، رفيع الغاية ، جامع الحلبة (1407) ، متنافس السّبقة (1408) ، شريف الفرسان . التّصديق منهاجه ، و الصّالحات مناره ، و الموت غايته ، و الدّنيا مضماره ، و القيامة حلبته ، و الجنّة سبقته .

القسم الثاني و منها في ذكر النبي صلى اللّه عليه و آله و سلم

حتّى أورى (1409) قبسا لقابس (1410) ، و أنار علما لحابس (1411) ،

فهو أمينك المأمون ، و شهيدك يوم الدّين ، و بعيثك (1412) نعمة ،

و رسولك بالحقّ رحمة . اللّهمّ اقسم له مقسما (1413) من عدلك ، و اجزه مضعّفات الخير من فضلك . اللّهمّ أعل على بناء البانين بناءه و أكرم لديك نزله (1414) ، و شرّف عندك منزله ، و آته الوسيلة ، و أعطه السّناء (1415) و الفضيلة ، و احشرنا في زمرته غير خزايا (1416) ، و لا نادمين ، و لا ناكبين (1417) ، و لا ناكثين (1418) ، و لا ضالّين ، و لا مضلّين ، و لا مفتونين . قال الشريف : و قد مضى هذا الكلام فيما تقدم ، إلا أننا كررناه هاهنا لما في الروايتين من الاختلاف .

القسم الثالث و منها في خطاب أصحابه

و قد بلغتم من كرامة اللّه تعالى لكم منزلة تكرم بها إماؤكم ،

و توصل بها جيرانكم ، و يعظّمكم من لا فضل لكم عليه ، و لا يد لكم عنده ، و يهابكم من لا يخاف لكم سطوة ، و لا لكم عليه إمرة .

و قد ترون عهود اللّه منقوضة فلا تغضبون و أنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون و كانت أمور اللّه عليكم ترد ، و عنكم تصدر ، و إليكم ترجع ، فمكّنتم الظّلمة من منزلتكم ، و ألقيتم إليهم أزمّتكم ،

و أسلمتم أمور اللّه في أيديهم ، يعملون بالشّبهات ، و يسيرون في الشّهوات ، و ايم اللّه ، لو فرّقوكم تحت كلّ كوكب ، لجمعكم اللّه لشرّ يوم لهم و قال رحمه اللّه في موضع آخر : و سأله عليه السلام رجل أن يعرّفه ما الإيمان ؟

فقال : إذا كان غد فأتني حتّى أخبرك على أسماع الناس ، فان نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك ، فإنّ الكلام كالشارة يثقفها هذا و يخطئها هذا .

و قد ذكرنا ما أجابه به فيما تقدّم من هذا الباب و هو قوله عليه السلام :

الإيمان على أربع شعب . 427

القسم الثالث و منها في خطاب أصحابه

و قد بلغتم من كرامة اللّه تعالى لكم منزلة تكرم بها إماؤكم ،

[352]

و توصل بها جيرانكم ، و يعظّمكم من لا فضل لكم عليه ، و لا يد لكم عنده ، و يهابكم من لا يخاف لكم سطوة ، و لا لكم عليه إمرة .

و قد ترون عهود اللّه منقوضة فلا تغضبون و أنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون و كانت أمور اللّه عليكم ترد ، و عنكم تصدر ، و إليكم ترجع ، فمكّنتم الظّلمة من منزلتكم ، و ألقيتم إليهم أزمّتكم ،

و أسلمتم أمور اللّه في أيديهم ، يعملون بالشّبهات ، و يسيرون في الشّهوات ، و ايم اللّه ، لو فرّقوكم تحت كلّ كوكب ، لجمعكم اللّه لشرّ يوم لهم و قال رحمه اللّه في موضع آخر : و سأله عليه السلام رجل أن يعرّفه ما الإيمان ؟

فقال : إذا كان غد فأتني حتّى أخبرك على أسماع الناس ، فان نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك ، فإنّ الكلام كالشارة يثقفها هذا و يخطئها هذا .

و قد ذكرنا ما أجابه به فيما تقدّم من هذا الباب و هو قوله عليه السلام :

الإيمان على أربع شعب . 427

القسم الثالث و منها في خطاب أصحابه

و قد بلغتم من كرامة اللّه تعالى لكم منزلة تكرم بها إماؤكم ،

[352]

و توصل بها جيرانكم ، و يعظّمكم من لا فضل لكم عليه ، و لا يد لكم عنده ، و يهابكم من لا يخاف لكم سطوة ، و لا لكم عليه إمرة .

و قد ترون عهود اللّه منقوضة فلا تغضبون و أنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون و كانت أمور اللّه عليكم ترد ، و عنكم تصدر ، و إليكم ترجع ، فمكّنتم الظّلمة من منزلتكم ، و ألقيتم إليهم أزمّتكم ،

و أسلمتم أمور اللّه في أيديهم ، يعملون بالشّبهات ، و يسيرون في الشّهوات ، و ايم اللّه ، لو فرّقوكم تحت كلّ كوكب ، لجمعكم اللّه لشرّ يوم لهم و قال رحمه اللّه في موضع آخر : و سأله عليه السلام رجل أن يعرّفه ما الإيمان ؟

فقال : إذا كان غد فأتني حتّى أخبرك على أسماع الناس ، فان نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك ، فإنّ الكلام كالشارة يثقفها هذا و يخطئها هذا .

و قد ذكرنا ما أجابه به فيما تقدّم من هذا الباب و هو قوله عليه السلام :

الإيمان على أربع شعب . 427

بيان

أقول : إنّما أوردنا هذه الفصول متّصلة لما يظهر من سائر الروايات اتّصالها ، و إنّما فرّقها و حذف أكثرها على عادته قدّس سرّه و أخّرنا شرح ما أورده منها إلى ذكر سائر الروايات لكونها أجمع و أفيد ، و سنشير إلى الاختلاف بينها و بينها .

قوله « فاذا كان غد » كان ههنا تامّة أي إذا حدث غد و وجد ، و تقول إذا كان غدا فأتني بالنصب باعتبار آخر أي إذا كان الزمان غدا أي موصوفا بأنّه الغد ، و من النحويّين من يقدّره إذا كان الكون غدا لأنّ الفعل يدلّ على المصدر ، و الكون هو التجدّد

----

(427) نهج البلاغة ، تحت الرقم 266 من الحكم .

و الحدوث . و « الشاردة » النافرة ، و « ثقفه » كعلمه أي صادفه أو أخذه أو ظفر به .

و « يخطئها » أي لا يدركها و لا يفهمها أو لا يحفظها و ينساها .

كا : عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، و محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، و عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، جميعا عن الحسن بن محبوب عن يعقوب السرّاج ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام ، و بأسانيد مختلفة عن الأصبغ ابن نباتة قال : خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام في داره أو قال في القصر و نحن مجتمعون ثمّ أمر صلوات اللّه عليه فكتب في كتاب و قريء على الناس ، و روى غيره أنّ ابن الكوّا سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن صفة الإسلام و الإيمان و الكفر و النفاق فقال :

أمّا بعد ، فإنّ اللّه تبارك و تعالى شرع الاسلام ، و سهّل شرائعه لمن ورده ، و أعزّ أركانه لمن جاربه ، و جعله عزّا لمن تولاّه ، و سلما لمن دخله ، و هدى لمن ائتمّ به ، و زينة لمن تجلّله ، و عذرا لمن انتحله ، و عروة لمن اعتصم به ، و حبلا لمن استمسك به ، و برهانا لمن تكلّم به ، و نورا لمن استضاء به ، و شاهدا لمن خاصم به ، و فلجا لمن حاجّ به ،

و علما لمن وعاه ، و حديثا لمن روى ، و حكما لمن قضى ، و حلما لمن جرّب ، و لباسا لمن تدبّر [428] و فهما لمن تفطّن ، و يقينا لمن عقل ، و بصيرة لمن عزم ، و آية لمن توسّم ، و عبرة لمن اتّعظ ، و نجاة لمن صدّق ، و تؤدة لمن أصلح ، و زلفى لمن اقترب ، و ثقة لمن توكّل ،

و رجاء لمن فوّض ، و سبقة لمن أحسن ، و خيرا لمن سارع ، و جنّة لمن صبر ، و لباسا لمن اتّقى ، و ظهيرا لمن رشد ، و كهفا لمن آمن ، و أمنة لمن أسلم ، و رجاء لمن صدق ، و غنى لمن قنع .

فذلك الحقّ سبيله الهدى ، و مأثرته المجد ، و صفته الحسنى ، فهو أبلج المنهاج ، مشرق المنار ، ذاكي المصباح ، رفيع الغاية ، يسير المضمار ، جامع الحلبة ، سريع السبقة ، أليم النقمة ، كامل العدة ، كريم الفرسان .

----

(428) في نسخة النهج : « و لبّا لمن تدبّر » و هو الصحيح ، و بين النسخ كما سيأتي من المصنّف اختلافات . و الصحيح في بعض نسخ الكافي و في بعض نسخ النهج .

فالإيمان منهاجه ، و الصالحات مناره ، و الفقه مصابيحه ، و الدّنيا مضماره ، و الموت غايته ، و القيامة حلبته ، و الجنّة سبقته ، و النار نقمته ، و التقوى عدّته ، و المحسنون فرسانه ، فبالإيمان يستدلّ على الصالحات ، و بالصالحات يعمر الفقه ، و بالفقه يرهب الموت ، و بالموت يختم الدّنيا ، و بالدّنيا تجوز القيامة ، و بالقيامة تزلف الجنّة ، و الجنّة حسرة أهل النار ، و النار موعظة للمتّقين ، و التقوى سنخ الايمان . 429 كا : بالاسناد المتقدّم 430 عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الايمان فقال :

إنّ اللّه عزّ و جلّ جعل الايمان على أربع دعائم : على الصبر ، و اليقين ، و العدل ،

و الجهاد .

فالصبر من ذلك على أربع شعب : على الشوق ، و الإشفاق ، و الزهد ، و الترقّب ، فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشهوات ، و من أشفق عن النار رجع عن المحرّمات ، و من زهد في الدّنيا هانت عليه المصيبات ، و من راقب الموت سارع إلى الخيرات .

و اليقين على أربع شعب : تبصرة الفطنة ، و تأوّل الحكمة ، و معرفة العبرة ، و سنّة الأوّلين ، فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة ، و من تأوّل الحكمة عرف العبرة و من عرف العبرة عرف السنّة ، و من عرف السنّة فكأنّما كان مع الأوّلين و اهتدى إلى الّتي هي أقوم ، و نظر إلى من نجا بما نجا ، و من هلك بما هلك ، و إنّما أهلك اللّه من هلك بمعصيته ، و أنجا من أنجا بطاعته .

و العدل على أربع شعب : غامض الفهم ، و غمر العلم ، و زهرة الحكم ، و روضة الحلم ، فمن فهم فسّر جميع العلم ، و من علم عرف شرائع الحكم ، و من حلم لم يفرط في أمره ، و عاش في الناس حميدا .

و الجهاد على أربع شعب : على الأمر بالمعروف ، و النهي عن المنكر ، و الصدق في المواطن ، و شنآن الفاسقين ، فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمن ، و من نهى عن المنكر

----

(429) الكافي ، ج 2 ، ص 49 50 .

----

(430) في المصدر : بالإسناد الأوّل ، عن ابن محبوب ، عن يعقوب السرّاج ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام .

أرغم أنف المنافق و أمن كيده ، و من صدق في المواطن قضى الّذي عليه ، و من شنيء الفاسقين غضب للّه و من غضب للّه غضب اللّه له .

فذلك الايمان و دعائمه و شعبه . 431 جا ، ما : عن المفيد ، عن المرزبانيّ ، عن أحمد بن سليمان الطوسيّ ، عن الزبير بن بكّار ، عن عبد اللّه بن وهب ، عن السدّيّ ، عن عبد خير ، عن جابر الأسدي قال : قام رجل إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فسأله عن الإيمان فقام عليه السلام خطيبا فقال :

الحمد للّه الّذي شرع الاسلام . . .

و ساق نحوه إلى قوله :

غضب للّه ، و من غضب للّه تعالى فهو مؤمن حقّا فهذه صفة الايمان و دعائمه .

فقال له السائل : لقد هديت يا أمير المؤمنين و أرشدت فجزاك اللّه عن الدين خيرا . 432 و لنوضّح هذه الرواية الشريفة مشيرا إلى اختلاف النسخ في الكتب :

« أمّا بعد » أي بعد الحمد و الصلاة . « فسهّل شرائعه لمن ورده » ، « الشرع و الشريعة » بفتحهما ، ما شرع الله لعباده من الدّين ، أي سنّه و افترضه عليهم ، و « شرع الله لنا كذا » أي أظهره و أوضحه ، و « الشريعة » مورد الابل على الماء الجاري و كذلك المشرعة قال الأزهريّ : و لا تسمّيها العرب مشرعة إلاّ إذا كان الماء غير منقطع كماء الأنهار و يكون ظاهرا معينا و لا يستقى منه برشاء ، فإن كان من ماء الأمطار فهو « الكرع » بفتحتين . و « وردت الماء » كوعدت إذا حضرته لتشرب ، و قيل :

----

(431) الكافي ، ج 2 ، ص 50 51 و في النهج ، تحت الرقم 31 من الحكم .

----

(432) أمالي المفيد ، ص 170 و أمالي الطوسيّ ، ج 1 ، ص 35 .

« الشريعة » مورد الشاربة و يقال لما شرع الله تعالى لعباده ، إذ به حياة الأرواح كما بالماء حياة الأبدان . « و أعزّ أركانه لمن حاربه » ، « ركن الشيء » جانبه أو الجانب الأقوى منه ، و « العزّ » المنعة و ما يتقوّى به من ملك و جند و غيره ، كما يستند إلى الركن من الحائط عند الضعف ، و « العزّ » القوّة و الشدّة و الغلبة ، و « أعزّه » أي جعله عزيزا ،

أي جعل أصوله و قواعده أو دلائله و براهينه قاهرة غالبة منيعة قويّة لمن أراد محاربته أي هدمه و تضييعه ، و قيل : محاربته كناية عن محاربة أهله ، و في بعض النسخ : « جاربه » كسأل بالجيم و الهمز ، أي استغاث به و لجأ إليه ، و في النهج : « على من غالبه » أي حاول أن يغلبه و لعلّه أظهر ، و في تحف العقول [433] على من جانبه .

« و جعله عزّا لمن تولاّه » أي جعله سببا للعزّة و الرفعة و الغلبة لمن أحبّه و جعله وليّه في الدنيا من القتل و الأسر و النهب و الذلّ ، و في الآخرة من العذاب و الخزي ، و في مجالس الشيخ : « لمن والاه » و في النهج مكانه : « فجعله أمنا لمن علقه » أي نشب و استمسك به . « و سلما لمن دخله » و « السلم » بالكسر ، كما في النهج ، و بالفتح أيضا ،

الصلح ، و يطلق على المسالم أيضا و بالتحريك الاستسلام ، إذ من دخله يؤمن من المحاربة و القتل و الأسر . « لمن تجلّله » كأنّه على الحذف و الإيصال أي تجلّل به ، أو علاه الاسلام و ظهر عليه ، أو أخذ جلاله و عمدته . قال الجوهريّ : « تجليل الفرس » أن تلبسه الجلّ ، و « تجلّله » أي علاه ، و « تجلّله » أي أخذ جلاله . انتهى . و ربّما يقرأ بالحاء المهملة ، و يفسّر بأن جعله حلّة على نفسه و لا يخفى ما فيه ، و في المجالس و التحف : « لمن تحلّى به » و هو أظهر .

« و عذرا لمن انتحله » ، « الانتحال » أخذه نحلة و دينا ، و يطلق غالبا على ادّعاء أمر لم يتّصف به ، فعلى الثاني المراد أنّه عذر ظاهرا في الدنيا . و يجري به عليه أحكام المسلمين ، و إن لم ينفعه في الآخرة . و « العروة من الدلو و الكوز » المقبض و كلّ ما يتمسّك

[433] راجع تحف العقول ، ص 158 . و قد مرّ مرارا الإشارة إلى أنّ هذه التعليقات الواردة ههنا منقولة عن شرح المؤلّف العلاّمة على الكافي المسمّى بمرآة العقول ، و لذلك ترى أنّه قدّس سرّه يذكر النسخة الّتي لم ينقل بعد هنا .

به ، شبّه الاسلام تارة بالعروة الّتي في الحبل يتمسّك بها في الارتقاء إلى مدارج الكمال ،

و النجاة من مهاوي الحيرة و الضلال ، كما قال تعالى : فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا 434 و تارة بالحبل المتين يصعد بالتمسّك به إلى درجات المقرّبين ،

و الحبل يطلق على الرسن و على العهد و على الذمّة و على الأمان . و الكلّ مناسب ، و قيل :

شبّهه بالعروة لأنّ من أخذ بعروة الشيء كالكوز مثلا ملك كلّه ، و كذلك من تمسّك بالإسلام استولى على جميع الخيرات .

« و برهانا لمن تكلّم به » ، « البرهان » الحجّة و الدليل ، أي الاسلام إذا أحاط الإنسان بأصوله و فروعه يحصل منه براهين ساطعة على من أنكرها إذ لا تحصل الاحاطة التامّة إلاّ بالعلم بالكتاب و السنّة و فيهما برهان كلّ شيء . « و نورا لمن استضاء به » شبّهه بالنور للاهتداء به إلى طرق النجاة ، و رشّحه بذكر الاستضاءة . [435] « و شاهدا لمن خاصم به » إذ باشتماله على البراهين الحقّة يشهد بحقّيّته من خاصم به . « و فلجا لمن حاجّ به » ، « الفلج » بالفتح ، الظفر و الفوز كالإفلاج ، و الاسم بالضمّ و المحاجّة المغالبة بالحجّة . « و علما لمن وعاه » أي سببا لحصول العلم و إن كان مسبّبا عنه أيضا في الجملة ، إذ العلم به يزداد و يتكامل . و « حديثا لمن روى » أي يتضمّن الإحاطة بالاسلام أحاديث و أخبارا لمن أراد روايتها ، ففي الفقرة السابقة حثّ على الدّراية و في هذه الفقرة حثّ على الرواية . « و حكما لمن قضى » أي يتضمّن ما به يحكم بين المتخاصمين لمن قضى بينهما ، و في المجالس رواه : و قضى به . « و حلما لمن جرّب » ، « الحلم » بمعنى العقل أو بمعنى الأناة و ترك السفه ، و كلاهما يحصلان باختيار الإسلام و تجربة ما ورد فيه من المواعظ و الأحكام ، و اختصاص التجربة بالإسلام لأنّ

----

(434) البقرة : 256 .

[435] الترشيح من توابع الاستعارة بالكناية ، و هي أن تثبت أحد لوازم المشبّه به للمشبّه لينتقل السامع إلى حقيقة التشبيه كما في المثال المعروف : مخالب المنيّة نشبت بفلان . فقد شبّه المنيّة بالسبع ، ثمّ أثبت للمشبّه و هو المنيّة أحد لوازم المشبّه به و هي المخالب بالكناية ، فيكون ذكر النشوب ترشيحا و تزيينا لهذه الاستعارة ، و ههنا استعير السراج للإسلام لكنّه لم يذكر المشبّه به الّذي هو المستعار منه كما في المثال المعروف بل كنى عنها بذكر النور الّذي هو من لوازم السراج ، فيكون ذكر الاستضاءة ترشيحا لها .

فافهم .

من سفه و بادر بسبب غضب عرض له ، يلزمه في دين الاسلام أحكام من الحدّ و التعزير و القصاص من جرّبها و اعتبر بها تحمله التجربة على العفو و الصفح و عدم الانتقام لا سيّما مع تذكّر العقوبات الأخرويّة على فعلها ، و المثوبات الجليلة على تركها ،

و كلّ ذلك يظهر من دين الاسلام .

« و لباسا لمن تدبّر » أي لباس عافية لمن تدبّر في العواقب أو في أوامره و نواهيه بتقريب ما مرّ ، أو لباس زينة ، و الأوّل أظهر ، و قد يقرأ « تدثّر » بالثاء المثلّثة ، أي لبسه و جعله مشتملا على نفسه كالدثار ، و هو تصحيف لطيف ، و في النهج و الكتابين 436 :

« و لبّا لمن تدبّر » ، و « اللبّ » بالضمّ ، العقل و هو أصوب . « و فهما لمن تفطّن » ، « الفهم » العلم وجودة تهيّؤ الذهن لقبول ما يرد عليه ، و « الفطنة » الحذق ، و « التفطّن » طلب الفطانة أو إعماله . و ظاهر أنّ الإسلام و الانقياد للرسول و الأئمة عليهم السلام يصير سببا للعلم و جودة الذهن لمن أعمل الفطنة فيما يصدر عنهم من المعارف و الحكم ، و في المجالس : لمن فطن .

« و يقينا لمن عقل » أي يصير سببا لحصول اليقين لمن تفكّر و تدبّر ، يقال :

« عقلت الشيء عقلا » كضربت أي تدبّرته ، و « عقل » كعلم لغة فيه ، و يمكن أن يراد بمن عقل من كان من أهل العقل ، و هو قوّة بها يكون التمييز بين الحسن و القبيح و قيل : غريزة يتهيّأ بها الانسان لفهم الخطاب . « و بصيرة لمن عزم » و في النهج و المجالس :

و تبصرة . قال الراغب : يقال لقوّة القلب المدركة : بصيرة ، و بصر ، و منه : أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ 437 أي على معرفة و تحقّق ، و قوله « تبصرة » أي تبصيرا و تبيينا ، يقال :

بصّرته تبصيرا و تبصرة ، كما يقال : ذكّرته تذكيرا و تذكرة . و قال : « العزم و العزيمة » عقد القلب على إمضاء الأمر ، يقال : عزمت الأمر و عزمت عليه و اعتزمت . انتهى . أي تبصرة لمن عزم على الطاعة كيف يؤدّيها أو في جميع

الأمور فإنّ في الدين كيفيّة المخرج في جميع أمور الدين و الدنيا ، و أيضا من كان ذا دين لا يعزم على أمر إلا على وجه البصيرة .

----

(436) المراد بالكتابين أمالي الطوسيّ و أمالى المفيد .

----

(437) يوسف : 108 .

[359]

« و آية لمن توسّم » أي الاسلام مشتمل على علامات لمن تفرّس و نظر بنور العلم و اليقين إشارة إلى قوله تعالى : إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ 438 . قال الراغب 439 : « الوسم » التأثير ، و « السمة » الأثر ، قال تعالى : سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ 440 و قال : تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ 441 و قوله تعالى : إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ أي للمعتبرين العارفين المتفطّنين ، و هذا التوسّم هو الّذي سمّاه قوم الذكاء ، و قوم الفطنة ، و قوم الفراسة ، و قال صلّى اللّه عليه و آله : اتّقوا فراسة المؤمن ، و قال : المؤمن ينظر بنور اللّه . و « توسّمت » تعرّفت السمة .

« و عبرة لمن اتّعظ » ، « العبرة » بالكسر ما يتّعظ به الانسان و يعتبره ليستدلّ به على غيره ، و « الاتّعاظ » قبول الوعظ . و « نجاة لمن صدّق » بالتشديد ، و يحتمل التخفيف كما ورد في الخبر : من صدق نجا . و الأوّل هو المضبوط في نسخ النهج . « و تؤدة » كهمزة بالهمز « لمن أصلح » ، و في القاموس : « التؤدة » بفتح الهمزة و سكونها ،

الرزانة و التأنّي ، و قد اتّأد و توأد . 442 و في المصباح : « اتّأد في مشبه على افتعل اتّئادا » ترفّق و لم يعجّل ، و هو يمشي على « تؤدة » وزّان رطبة ، و « فيه تؤدة » أي تثبّت ،

و أصل التاء فيها واو . انتهى . أي يصير الاسلام سبب وقار و رزانة لمن أصلح نفسه بشرائعه و قوانينه ، أو أصلح أموره بالتأنّي أو يتأنّي في الاصلاح بين الناس أو بينه و بين الناس ، و في بعض النسخ : « و مودّة » و هو بالأخير أنسب . و في المجالس : « و مودّة من اللّه لمن أصلح » و في التحف : « و مودّة من اللّه لمن صلح » أي يودّه اللّه أو يلقي حبّه في قلوب العباد كما قال سبحانه : إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً 443 .

« و زلفى لمن اقترب » ، « الزلفى » كحبلى القرب و المنزلة و الحظوة ،

و « الاقتراب » الدنوّ ، و طلب القرب و كأنّ المعنى : الاسلام سبب قرب من اللّه تعالى لمن طلب ذلك بالأعمال الصالحة الّتي دلّ عليها دين الاسلام و شرائعه ، و في

----

(438) الحجر : 75 .

----

(439) المفردات ، ص 524 .

----

(440) الفتح : 29 .

----

(441) البقرة : 273 .

----

(442) القاموس ، ج 1 ، ص 343 .

----

(443) مريم : 96 .

[360]

بعض النسخ : « لمن اقترن » أي معه و لم يفارقه ، و كأنّه تصحيف ، و في المجالس و التحف : « لمن ارتقب » أي انتظر الموت أو رحمة اللّه ، أو حفظ شرائع الدين و ترصّد مواقيتها ، في القاموس : « الرقيب » الحافظ و المنتظر و الحارس و « رقبه » انتظره كترقّبه و ارتقبه ، و الشيء حرسه كراقبه مراقبة ، و « ارتقب » أشرف و علا .

« و ثقة لمن توكّل » ، « الثقة » من يؤتمن و يعتمد عليه ، يقال : « ثقت به أثق بكسرهما ثقة و وثوقا » أي ائتمنته ، و « وثق الشيء بالضمّ وثاقة فهو وثيق » أي ثابت محكم ، و « توكّل عليه » أي فوّض أمره إليه ، أي الاسلام ثقة مأمون لمن وكّل أموره إليه أي راعى في جميع الأمور قوانينه فلا يخدعه ، أو يصير الاسلام سببا لوثوق المرء على اللّه إذا توكّل عليه و يعلم به أنّ اللّه حسبه و نعم الوكيل .

« و رجاء لمن فوّض » أي الاسلام سبب رجاء لمن فوّض أموره إليه أو إلى اللّه على الوجهين السابقين ، و في بعض النسخ بالخاء المعجمة أي سعة عيش ، و في النهج و الكتابين : « و راحة » و هو أظهر . « و سبقة لمن أحسن » في القاموس : « سبقه يسبقه و يسبقه » تقدّمه ، و الفرس في الحلبة جلّى ، و « السبق » محرّكة و « السبقة » بالضمّ ، الخطر يوضع بين أهل السباق و هما « سبقان » بالكسر ، أي يستبقان 444 . انتهى . و الظاهر هنا « سبقة » بالضمّ ، أي الاسلام متضمّن لسبقة لمن أحسن المسابقة أو لمن أحسن إلى الناس فإنّه من الأمور الّتي تحسن المسابقة فيه أو لمن أحسن صحبته ، أو لمن أتى بأمر حسن فيشمل جميع الطاعات ، و لا يبعد أن يكون إشارة إلى قوله تعالى : وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ 445 بأن يكون المعنى :

اتّبعوهم في الاحسان . « و خيرا لمن سارع » على الوجوه المتقدّمة إشارة إلى قوله سبحانه في مواضع يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ 446 .

« و جنّة لمن صبر » ، « الجنّة » بالضمّ ، الترس و كلّ ما وقي من سلاح و غيره ،

فالاسلام يحثّ على الصبر و هو جنّة لمخاوف الدنيا و الآخرة ، و قيل : استعار لفظ الجنّة

----

(444) القاموس ، ج 3 ، ص 243 .

----

(445) التوبة : 100 .

----

(446) آل عمران : 114 و الأنبياء : 90 و المؤمنون : 61 .

[361]

للاسلام لأنّه يحفظ من صبر على العمل بقواعده و أركانه من العقوبة الدنيويّة و الاخرويّة ، و قيل : جنّة لمن صبر في المناظرة مع أعادي الدين . « و لباسا لمن اتّقى » كأنّه إشارة إلى قوله تعالى : وَ لِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ 447 بناء على أنّ المراد بلباس التقوى خشية اللّه ، أو الايمان ، أو العمل الصالح ، أو الحياء الّذي يكسب التقوى ، أو السمت الحسن ، و قد قيل : كلّ ذلك أو اللباس الّذي هو التقوى ، فإنّه يستر الفضائح و القبائح ، و يذهبها ، لا لباس الحرب كالدرع و المغفر و الآلات الّتي تتّقى بها عن العدوّ كما قيل ، فالاسلام سبب للبس لباس الايمان و التقوى و الأعمال الصالحة ، و الحياء و هيئة أهل الخير لمن اتّقى و عمل بشرائعه .

« و ظهيرا لمن رشد » أي معينا لمن اختار الرشد و الصلاح ، في القاموس :

« رشد كنصر و فرح رشدا و رشدا و رشادا » اهتدى و « الرشد » الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه . « و كهفا لمن آمن » ، « الكهف » كالغار في الجبل و الملجأ ،

أي محلّ أمن من مخاوف الدنيا و العقبى لمن آمن بقلبه لا لمن أظهر بلسانه و نافق بقلبه .

« و أمنة لمن أسلم » ، « الأمنة » بالتحريك ، الأمن ، و قيل : في الآية [448] جمع كالكتبة و الظاهر أنّ المراد بالاسلام هنا الانقياد التامّ للّه و لرسوله و لأئمّة المؤمنين فإنّ من كان كذلك فهو آمن في الدنيا و الاخرة من مضارّهما . « و رجاء لمن صدّق » أي الاسلام باعتبار اشتماله على الوعد بالمثوبات الاخرويّة و الدرجات العالية ، سبب لرجاء من صدّق به ، و يمكن أن يقرأ بالتخفيف و يؤيّده أنّ [ما] في التحف « و روحا للصادقين » ،

و في بعض نسخ الكتاب أيضا « روحا » و منهم من فسّر الفقرتين بأنّ الاسلام أمنة في الدنيا لمن أسلم ظاهرا و روح في الاخرة لمن صدّق باطنا ، أقول : و كأنّه يؤيّده قوله تعالى : فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ 449 .

« و غنى لمن قنع » أي الاسلام لاشتماله على مدح القناعة و فوائدها فهو يصير سببا لرضا من قنع بالقليل و غناه عن الناس ، و قيل : لأنّ التمسّك بقواعده يوجب وصول

----

(447) الأعراف : 25 .

[448] آل عمران : 154 ، و الآية هي : ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً .

----

(449) الواقعة : 88 .

ذلك القدر إليه كما قال عزّ شأنه : وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ 450 ، و يحتمل أن يراد به أنّ الاسلام باعتبار اشتماله على ما لا بدّ للانسان منه من العلوم الحقّة و المعارف الالهيّة و الأحكام الدينيّة يغني من قنع به عن الرجوع إلى العلوم الحكميّة و القوانين الكلاميّة و الاستحسانات العقليّة و القياسات الفقهيّة و إن كان بعيدا .

« فذلك الحقّ » أي ما وصفت لك من صفة الاسلام حقّ أو « ذلك » إشارة إلى الإسلام ، أي فلمّا كان الاسلام متّصفا بتلك الصفات فهو الحقّ الثابت الّذي لا يتغيّر أو لا يشوبه باطل أو ذلك هو الحقّ الّذي قال اللّه تعالى : أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ 451 . و قوله « سبيله الهدى » استيناف بيانيّ صفة لاسم الاشارة ، و سبيله الهدى خبره أي هذا الدّين الحقّ الّذي عرفت فوائده و صفاته سبيله الهدى كما قيل في قوله سبحانه أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ 452 و كأنّه إشارة إليه أيضا ، و المراد بالهدى الهداية الربّانيّة الموصلة إلى المطلوب .

« و مأثرته المجد » ، « المأثرة » بفتح الميم و سكون الهمزة و ضمّ الثاء و فتحها و فتح الراء ، واحدة « المآثر » و هي المكارم من الأثر ، و هو النقل و الرواية لأنّها تؤثر و تروى ،

و في القاموس : المكرمة المتوارثة . و « المجد » نيل الكرم و الشرف ، و « رجل ماجد » أي كريم شريف ، و يطلق غالبا على ما يكون بالآباء فكأنّ المعنى أنّه يصير سببا لمجد صاحبه حتّى يسري في أعقابه أيضا . « و صفته الحسنى » أي موصوف بأنّه أحسن الأخلاق و الأحوال و الأعمال ، و في المجالس بعد قوله « و جنّة لمن صبر » : الحقّ سبيله ، و الهدى صفته ، و الحسنى مأثرته .

« فهو أبلج المنهاج » في القاموس : « بلج الصبح » أضاء « و أشرق كابتلج و تبلّج و أبلج و كلّ متّضح أبلج ، و « النهج و المنهج و المنهاج » الطريق الواضح و « أنهج » وضح و أوضح . و في النهج بعده : « و أوضح الولائج » أي المداخل . « مشرق المنار » ، « المنار » جمع .

----

(450) الطلاق : 2 3 .

----

(451) الرعد : 19 .

----

(452) البقرة : 5 .)

[363]

« منارة » و هي العلامة توضع في الطريق ، و كأنّها سمّيت بذلك لأنّهم كانوا يضعون عليها النار لاهتداء الضالّ في اللّيل ، و في القاموس : « المنارة » و الأصل « منورة » موضع النور كالمنار و المسرجة و المأذنة ، و الجمع « مناور و منائر » و المنار العلم . انتهى . و في النهج : « مشرف » بالفاء ، أي العالي و بعده « مشرق الجوادّ » جمع الجادّة . و « ذاكي المصباح » ، و في النهج و الكتابين : « مضيىء المصابيح » ، و في القاموس : « ذكت النار و استذكت » اشتدّ لهبها ، و هي ذكيّة ، و « أذكاها و ذكّاها » أوقدها . « رفيع الغاية » ،

« الغاية » منتهى السباق أو الراية المنصوبة في آخر المسافة ، و هي خرقة تجعل على قصبة و تنصب في آخر المدى ، يأخذها السابق من الفرسان و كأنّ الرفعة كناية عن الظهور كما ستعرف و قيل : هو من قولهم « رفع البعير في مسيره » بالغ أي يرفع إليها .

« يسير المضمار » في النهاية : « تضمير الخيل » هو أن تضامر عليها بالعلف حتّى يسمن ، ثمّ لا تعلف إلاّ قوتا لتخفّ ، و قيل : تشدّ عليها سروجها و تجلّل بالأجلّة حتّى تعرق فيذهب رهلها [453] و يشتدّ لحمها ، و في حديث حذيفة : « اليوم مضمار و غدا السباق » أي اليوم العمل في الدّنيا للاستباق في الجنّة ، و المضمار الموضع الّذي تضمر فيه الخيل ، و يكون وقتا للأيّام الّتي تضمر فيها ، و في القاموس : « المضمار » الموضع الّذي يضمر فيه الخيل ، و غاية الفرس في السباق . انتهى . و الحاصل أنّ المضمار يطلق على موضع تضمير الفرس للسباق و زمانه ، و على الميدان الّذي يسابق فيه .

شبّه عليه السلام أهل الاسلام بالخيل الّتي تجمع للسباق ، و مدّة عمر الدنيا بالميدان الّذي يسابق فيه ، و الموت بالعلم المنصوب في نهاية الميدان ، فإنّ ما يتسابق فيه من الأعمال الصالحة إنّما هو قبل الموت ، و القيامة موضع تجمع فيه الخيل بعد السباق ليأخذ السبقة من سبق بقدر سبقه و يظهر خسران من تأخّر ، و الجنّة بالسبقة ، و النار بما يلحق المتأخّر من الحرمان و الخسران ، أو شبّه عليه السلام الدنيا بزمان تضمير الخيل أو مكانه ، و القيامة بميدان المسابقة ، فمن كان تضميره في الدنيا أحسن كانت سبقته في الآخرة أكثر ، كما ورد التشبيه كذلك في قوله عليه السلام في خطبة أخرى : « أ لا

[453] « الرهل » محرّكة ، استرخاء اللحم ، و الرخاوة مع انتفاخ .

[364]

و إنّ اليوم المضمار ، و غدا السباق ، و السبقة الجنّة ، و الغاية النار » . 454 و لكن ينافيه ظاهرا قوله « و الموت غايته » إلاّ أن يقال : المراد بالموت ما يلزمه من دخول الجنّة أو النار ،

إشارة إلى أنّ آثار السعادة و الشقاوة الاخرويّة تظهر عند الموت كما ورد : « ليس بين أحدكم و بين الجنّة و النار إلاّ الموت » ، و على التقديرين المراد بقوله « يسير المضمار » قلّة مدّته و سرعة ظهور السبق و عدمه ، أو سهولة قطعه و عدم وعورته أو سهولة التضمير فيه و عدم صعوبته لقصر المدّة و تهيّؤ الأسباب من اللّه تعالى .

و في النهج : « كريم المضمار » فكأنّ كرمه لكونه جامعا لجهات المصلحة الّتي خلق لأجله ، و هي اختيار العباد بالطاعات ، و فوز الفائزين بأرفع الدرجات ، و لا ينافي ذلك ما ورد في ذمّ الدنيا ، لأنّه يرجع إلى ذمّ من ركن إليها و قصّر النظر عليها ، كما بيّن عليه السلام ذلك في خطبة نوردها في باب ذمّ الدنيا إن شاء اللّه .

« جامع الحلبة » ، « الحلبة » بالفتح ، خيل تجمع للسباق من كلّ أوب أي ناحية ، لا تخرج من اصطبل واحد ، و يقال للقوم إذا جاؤوا من كلّ أوب للنصرة قد أحلبوا و كون الحلبة جامعة عدم خروج أحد منها أو المراد بالحلبة محلّها و هو القيامة كما سيأتي ، فالمراد أنّه يجمع الجميع للحساب ، كما قال تعالى : ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ 455 .

« سريع السبقة » ، « السبقة » بالفتح ما في النهج ، أي يحصل السبق سريعا في الدنيا للعاملين ، أو في القيامة إلى الجنّة ، أو بالضمّ أي يصل إلى السابقين عوض السباق و هو الجنّة سريعا لأنّ مدّة الدنيا قليلة و هو أظهر ، و في النهج و المجالس و التحف :

« متنافس السبقة » فالضمّ أصوب ، و إن كان المضبوط في نسخ النهج بالفتح .

و « التنافس » الرغبة في الشيء النفيس الجيّد في نوعه . « أليم النقمة » أي مؤلم انتقام من تأخّر في المضمار ، لأنّه النار .

« كامل العدّة » ، و « العدّة » بالضمّ و الشدّ ما أعددته و هيّأته من مال أو سلاح

----

(454) الخطبة رقم 28 من خطب النهج .

----

(455) هود : 103 .

أو غير ذلك ممّا ينفعك يوما ما ، و المراد هنا التقوى و كماله ظاهر . « كريم الفرسان » و في النهج : « شريف الفرسان » و « الفرسان » بالضمّ ، جمع « فارس » كالفوارس .

ثمّ فسّر صلوات اللّه عليه ما أبهم من الأمور المذكورة فقال : « فالايمان منهاجه » هذا ناظر إلى قوله « أبلج المنهاج » أي المنهاج الواضح للاسلام هو التصديق القلبيّ باللّه و برسوله و بما جاء به ، و البراهين القاطعة الدالّة عليه ، و في النهج و غيره :

« فالتصديق منهاجه » و هو أظهر . « و الصالحات مناره » ناظر إلى قوله « مشرق المنار » شبّه الأعمال الصالحة و العبادات الموظّفة بالأعلام و المنائر الّتي تنصب على طريق السالكين لئلاّ يضلّوا فمن اتّبع الشريعة النبويّة و أتى بالفرائض و النوافل يهديه اللّه للسلوك إليه ،

و بالعمل يقوى إيمانه ، و بقوّة الايمان يزداد عمله ، و كلّما وصل إلى علم يظهر له علم آخر ،

و يزداد يقينه بحقيّة الطريق إلى أن يقطع عمره و يصل إلى أعلى درجات كماله بحسب قابليّته الّتي جعلها اللّه له ، أو شبّه الايمان بالطريق ، و الأعمال بالأعلام ، فكما أنّ بسلوك الطريق تظهر الأعلام فكذلك بالتصديق باللّه و رسله و حججه عليهم السلام تعرف الأعمال الصالحة ، و قيل : الأعمال الصالحة علامات لاسلام المسلم ، و بها يستدلّ على إيمانه و لا يتمّ حينئذ التشبيه .

« و الفقه مصابيحه » ، « الفقه » العلم بالمسائل الشرعيّة أو الأعمّ و به يرى طريق السلوك إلى اللّه و أعلامه ، و هو ناظر إلى قوله « ذاكي المصباح » إذ علوم الدين و شرائعه ظاهرة واضحة للناس بالأنبياء و الأوصياء عليهم السلام و بما أفاضوا عليهم من العلوم الربّانيّة .

« و الدنيا مضماره » قال ابن أبي الحديد 456 : كأنّ الانسان يجري في الدنيا إلى غاية الموت و إنّما جعلها مضمار الاسلام لأنّ المسلم يقطع دنياه لا لدنياه بل لآخرته ،

فالدنيا كالمضمار للفرس إلى الغاية المعيّنة . « و الموت غايته » قد عرفت وجه تشبيه الموت بالغاية ، و قال ابن أبي الحديد : أي إنّ الدنيا سجن المؤمن و بالموت يخلص من ذلك السجن . و قال ابن ميثم 457 : إنّما جعل الموت غاية أي الغاية القريبة الّتي هي باب

----

(456) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 7 ، ص 172 ، ط بيروت .

----

(457) شرح النهج لابن ميثم ، ج 3 ، ص 33 ، ط بيروت .

[366]

الوصول إلى اللّه تعالى ، و يحتمل أن يريد بالموت موت الشهوات فإنّها غاية قريبة للإسلام أيضا و هذا ناظر إلى قوله « رفيع الغاية » . و في سائر الكتب هذه الفقرة مقدّمة على السابقة ،

فالنشر على ترتيب اللفّ ، و على ما في الكتاب يمكن أن يقال : لعلّ التأخير هنا لأجل أنّ ذكر الغاية بعد ذكر المضمار أنسب بحسب الواقع ، و التقديم سابقا باعتبار الرفعة و الشرف ، و أنّها الفائدة المقصودة ، فأشير إلى الجهتين الواقعيّتين بتغيير الترتيب .

« و القيامة حلبته » أي محلّ اجتماع الحلبة إمّا للسباق أو لحيازة السبقة كما مرّ و إطلاق الحلبة عليها من قبيل تسمية المحلّ باسم الحالّ ، و قال ابن أبي الحديد : « حلبته » أي ذات حلبته ، فحذف المضاف كقوله تعالى : هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ 458 أي ذووا درجات . « و الجنّة سبقته » في أكثر نسخ النهج : « سبقته » بالفتح ، فلذا قال الشرّاح : أي جزاء سبقته ، فحذف المضاف و الظاهر سبقته بالضمّ فلا حاجة إلى تقدير كما عرفت . « و النار نقمته » أي نصيب من تأخّر و لم يحصل له استحقاق للسبقة أصلا النار زائدا عن الحسرة و الحرمان . « و التقوى عدّته » ناظر إلى قوله « كامل العدّة » لأنّ التقوى تنفع في أشدّ الأهوال و أعظمها و هو القيامة ، كما أنّ العدّة من المال و غيره تنفع صاحبها عند الحاجة إليها . « و المحسنون فرسانه » لأنّهم بالاحسان و الطاعات يتسابقون في هذا المضمار .

« فبالايمان يستدلّ على الصالحات » إذ تصديق اللّه و رسوله و حججه يوجب العلم بحسن الأعمال الصالحة و كيفيّتها من واجبها و ندبها ، و قيل : لأنّ الايمان منهج الإسلام و طريقه ، و لا بدّ للطريق من زاد يناسبه ، و زاد طريق الاسلام هو الأخلاق و الأعمال الصالحة ، فيدلّ الايمان عليها كدلالة السبب على المسبّب و قيل : أي يستدلّ بوجوده في قلب العبد على ملازمته لها . انتهى . و كأنّه حمل الكلام على القلب و إلاّ فلا معنى للاستدلال بالأمر المخفيّ في القلب على الأمر الظاهر . نعم ، يمكن أن يكون المعنى أنّ بالايمان يستدلّ على صحّة الأعمال و قبولها فإنّه لا تقبل أعمال غير المؤمن ،

(458 آل عمران : 163 .

[367]

و هذا معنى حسن ، لكنّ الأوّل أحسن .

« و بالصالحات يعمر الفقه » لأنّ العمل يصير سببا لزيادة العلم ، كما أنّ من بيده سراجا إذا وقف لا يرى إلاّ ما حوله ، و كلّما مشى ينتفع بالضوء و يرى ما لم يره ،

كما ورد : « من عمل بما علم ورّثه اللّه علم ما لم يعلم » . 459 و قد مرّ أنّ العلم يهتف بالعمل فإن أجاب و إلاّ ارتحل عنه ، و قيل : الفقرتان مبنيّتان على أنّ المراد بالعمل الصالح ولاية أهل البيت عليهم السّلام كما ورد في تأويل كثير من الآيات ، و ظاهر أنّ بالايمان يستدلّ على الولاية ، و بها يعمر الفقه لأخذه عنهم .

« و بالفقه يرهب الموت » أي كثرة العلم و اليقين سبب لزيادة الخشية كما قال تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ 460 فالمراد بخشية الموت خشية ما بعد الموت ، أو يخشى نزول الموت قبل الاستعداد له و لما بعده ، فقوله « و بالموت تختم الدنيا » كالتعليل لذلك لأنّ الدنيا الّتي هي مضمار العمل ، تختم بالموت ، فلذا يرهبه لحيلولته بينه و بين العمل و الاستعداد للقاء اللّه ، لا لحبّ الحياة و اللذّات الدنيويّة ،

و المألوفات الفانية . « و بالدنيا تجوز القيامة » هذه الفقرة أيضا كالتعليل لما سبق ، أي إنّما ترهب الموت لأنّ بالدنيا و الأعمال الصالحة المكتسبة فيها تجوز من أهوال القيامة و تخرج عنها إلى نعيم الأبد ، بأن يكون على صيغة الخطاب من الجواز ، و في بعض النسخ بصيغة الغيبة أي يجوز المؤمن أو الانسان ، و في بعضها « يجاز » على بناء المجهول ، و هو أظهر ، و في بعضها « يحاز » بالحاء المهملة من « الحيازة » أي تحاز مثوبات القيامة . و على التقادير فالوجه فيه أنّ

كلّ ما يلقاه العبد في القيامة فإنّها هو نتائج عقائده و أعماله و أخلاقه المكتسبة في الدنيا ، فبالدنيا تجاوز القيامة أو تحاز . و منهم من قرأ « تحوز » بالحاء المهملة ، أي بسبب الدنيا و أعمالها تجمع القيامة الناس للحساب و الجزاء ، فإنّ القيامة

----

(459) الكافي ، ج 1 ، ص 44 .

----

(460) الفاطر : 28 .

[368]

جامع الحلبة كما مرّ ، و في التحف : « تحذر القيامة » و كأنّه أظهر .

« و بالقيامة تزلف الجنّة » أي تقرّب للمتّقين كما قال تعالى : وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ 461 . و في المجالس : « و تزلف الجنّة للمتّقين و تبرز الجحيم للغاوين » . و قال البيضاوي : وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ بحيث يرونها من الموقف فيتبجّحون بأنّهم المحشورون إليها و بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ فيرونها مكشوفة و يتحسّرون على أنّهم المسوقون إليها ، و في اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد . 462 انتهى .

« و الجنّة حسرة أهل النار » في القيامة حيث لا تنفع الحسرة و الندامة ، و تلك علاوة لعذابهم العظيم . « و النار موعظة للمتّقين » في الدنيا حيث ينفعهم فيتركون ما يوجبها و يأتون بما يوجب البعد عنها . « و التقوى سنخ الايمان » أي أصله و أساسه ، في القاموس « السنخ » بالكسر ، الأصل . 463 [و سيأتي شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الإيمان و دعائمه و شعبه تحت الرقم 31 من حكم النهج .] بيان : « الحابس » الواقف في مكانه الّذي حبس ناقته ضلالا ، فهو يخبط و لا يدري كيف يهتدي ، و المراد ببنائه قواعد دينه أو كمالاته . و « النزل » بالضمّ ،

ما يهيّأ للضّيف . 464

بيان :

« الوصل » ضدّ القطع و الهجران . « جيرانكم » أي أهل الذّمّة و المعاهدين ، و يحتمل المجاورين في المسكن . قوله عليه السلام « من لا فضل لكم عليه » كتعظيم الروم و الحبشة مسلمي العرب . قوله عليه السلام « من لا يخاف لكم

----

(461) الشعراء : 90 .

----

(462) تفسير البيضاوي ، ص 309 .

----

(463) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 68 ، كتاب الإيمان و الكفر ، ص 349 365 .

----

(464) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 16 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 381 .

[369]

سطوة » كالملوك في أقاصي البلاد لمّا شاع و ذاع من أنّهم قوم صالحون إذا دعوا اللّه استجاب لهم و ينصرهم بملائكته كما قيل . قوله عليه السلام و « أنتم » الواو للحال . و « الذمّة » العهد و الأمان و الضمان و الحرمة و الحقّ . و « أنف » كفرح استنكف ، و الغرض توبيخهم على تركهم إنكار المنكرات . و المراد بنقض العهود ما ظهر من الناكثين و القاسطين و المارقين و غيرهم من نقض البيعة و قتل المسلمين و الإغارة عليهم . و لا ريب أنّ السكوت عن إنكار تلك المنكرات مع الاستنكاف عن نقض ذمم الآباء يدلّ على أنّ عهود اللّه أضعف عندهم من عهود آبائهم و هو في حدّ الكفر . و « كانت أمور

اللّه عليكم ترد » أي و أنتم المخاطبون بالأوامر و النواهي ، أو كنتم قبل ذلك في أيّام الرسول صلّى اللّه عليه و آله موارد أمور اللّه و مصادرها مطيعين له منكرين للمنكرات . و كان المراد بالورود السؤال ، و بالصدور الجواب ، و بالرجوع التحاكم . و يمكن تعميم الورود و الصدور ، فالمراد بالرجوع رجوع النفع و الضرّ في الدارين . و قيل :

إنّ « كانت أمور اللّه عليكم ترد » أي بتعليمي لكم ، و « عنكم تصدر » إلى من تعلّمونه إيّاها ، ثمّ « إليكم ترجع » بأن يتعلّمها بنوكم و إخوتكم منهم .

« لشرّ يوم » أي يوم ظهور المسودّة أو خروج المهديّ عليه السلام و الجمع في الرجعة ، أو المراد جمع صنفهم . 465

107 و من كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين

و قد رأيت جولتكم ، و انحيازكم عن صفوفكم ، تحوزكم الجفاة

----

(465) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 691 ، ط كمپاني و ص 639 ، ط تبريز .

[370]

الطّغام (1419) ، و أعراب أهل الشّام ، و أنتم لهاميم (1420) العرب ،

و يآفيخ (1421) الشّرف ، و الأنف المقدّم ، و السّنام الأعظم . و لقد شفى وحاوح (1422) صدري أن رأيتكم بأخرة (1423) تحوزونهم كما حازوكم ، و تزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم حسّا بالنّصال (1424) ،

و شجرا (1425) بالرّماح ، تركب أولاهم أخراهم كالإبل الهيم (1426) المطرودة ، ترمى عن حياضها ، و تذاد (1427) عن مواردها

108 و من خطبة له عليه السلام و هي من خطب الملاحم

القسم الأول اللّه تعالى

الحمد للّه المتجلّي لخلقه بخلقه ، و الظّاهر لقلوبهم بحجّته . خلق الخلق من غير رويّة ، إذ كانت الرّويّات لا تليق إلاّ بذوي الضّمائر (1428) و ليس بذي ضمير في نفسه . خرق علمه باطن غيب السّترات (1429) ،

و أحاط بغموض عقائد السّريرات .

القسم الثاني و منها في ذكر النبي صلى اللّه عليه و آله و سلم :

النبي عليه السلام

اختاره من شجرة الأنبياء ، و مشكاة الضّياء (1430) ، و ذؤابة العلياء (1431) ،

[371]

و سرّة البطحاء (1432) ، و مصابيح الظّلمة ، و ينابيع الحكمة .

القسم الثالث فتنة بني امية

و منها : طبيب دوّار بطبّه ، قد أحكم مراهمه ، و أحمى مواسمه (1433) ،

يضع ذلك حيث الحاجة إليه ، من قلوب عميّ ، و آذان صمّ ، و ألسنة بكم ، متتبّع بدوائه مواضع الغفلة ، و مواطن الحيرة ، لم يستضيئوا بأضواء الحكمة ، و لم يقدحوا بزناد العلوم الثّاقبة ، فهم في ذلك كالأنعام السّائمة ، و الصّخور القاسية .

قد انجابت السّرائر (1434) لأهل البصائر ، و وضحت محجّة الحقّ لخابطها (1435) ، و أسفرت السّاعة عن وجهها ، و ظهرت العلامة لمتوسّمها .

ما لي أراكم أشباحا بلا أرواح ، و أرواحا بلا أشباح ، و نسّاكا بلا صلاح ، و تجّارا بلا أرباح ، و أيقاظا نوّما ، و شهودا غيّبا ،

و ناظرة عمياء ، و سامعة صمّاء ، و ناطقة بكماء راية ضلال قد قامت على قطبها (1436) ، و تفرّقت بشعبها (1437) ، تكيلكم بصاعها (1438) ،

و تخبطكم بباعها (1439) . قائدها خارج من الملّة ، قائم على الضّلّة ،

فلا يبقى يومئذ منكم إلاّ ثفالة (1440) كثفالة القدر ، أو نفاضة كنفاضة العكم (1441) ، تعرككم عرك الأديم (1442) ، و تدوسكم دوس

[372]

الحصيد (1443) ، و تستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطّير الحبّة البطينة (1444) من بين هزيل الحبّ .

أين تذهب بكم المذاهب ، و تتيه بكم الغياهب و تخدعكم الكواذب ؟

و من أين تؤتون ، و أنّى تؤفكون ؟ فلكلّ أجل كتاب ، و لكلّ غيبة إياب ، فاستمعوا من ربّانيّكم (1445) ، و أحضروه قلوبكم ، و استيقظوا إن هتف بكم (1446) . و ليصدق رائد (1447) أهله ، و ليجمع شمله ،

و ليحضر ذهنه ، فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة ، و قرفه قرف الصّمغة (1448) . فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه ، و ركب الجهل مراكبه ،

و عظمت الطّاغية ، و قلّت الدّاعية ، و صال الدّهر صيال السّبع العقور ،

و هدر فنيق (1449) الباطل بعد كظوم (1450) ، و تواخى النّاس على الفجور ، و تهاجروا على الدّين ، و تحابّوا على الكذب ، و تباغضوا على الصّدق . فإذا كان ذلك كان الولد غيظا (1451) ، و المطر قيظا (1452) ،

و تفيض اللّئام فيضا ، و تغيض الكرام غيضا (1453) ، و كان أهل ذلك الزّمان ذئابا ، و سلاطينه سباعا ، و أوساطه أكّالا ، و فقراؤه أمواتا ،

و غار الصّدق ، و فاض الكذب ، و استعملت المودّة باللّسان ، و تشاجر النّاس بالقلوب ، و صار الفسوق نسبا ، و العفاف عجبا ، و لبس الإسلام لبس الفرو مقلوبا .

[373]

تبيين

« الملحمة » هي الحرب أو الوقعة العظيمة فيها ، و موضع القتال ، مأخوذ من اشتباك النّاس فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسّدى ، و قيل من اللحم . و « التجلّي » الانكشاف . و الخلق الثّاني يحتمل المصدر و المخلوق . و « الرويّة » التفكر . و المراد القلب أو ما يضمر من الصور . قوله عليه السلام « في نفسه » أي كائن في نفسه ، أي في حدّ ذاته إذا تأمّل فيه متأمّل بنظر صحيح . و « الغامض » من الأرض المطمئنّ ، و من الكلام و غيره خلاف الواضح . و « المشكاة » كوّة غير نافذة يجعل فيها المصباح ، أو عمود القنديل الّذي فيه الفتيلة ، أو القنديل . و « الذؤابة » بالضمّ مهموزا الناصية أو

منبتها من الرأس . و « العلياّء » بالفتح و المدّ ، كلّ مكان مشرف ، و السماء و رأس الجبل . و « سرّة البطحاء » وسطها تشبيها بسرّة الإنسان . و « البطحاء و الأبطح » مسيل واسع فيه دقاق الحصا . قيل : استعار « الشجرة » لصنف الأنبياء عليهم السلام ، و فروعها أشخاصهم ، و ثمرتها العلوم و الكمالات ، و « مشكاة الضيآء » لآل إبراهيم عليه السلام ، و « ذؤابة العليا » لقريش ، و « سرّة البطحاء » لمكّة ، و « المصابيح و الينابيع » هم الأنبياء عليهم السلام . و المراد ب « الطبيب » نفسه عليه السلام .

و « الدوران بالطب » إيتان المرضى و تتبّعهم فهو تعريض الأصحاب بقعودهم عمّا يجب عليهم ، أو المراد بيان كمال الطبيب فإنّ الدوّار أكثر تجربة من غيره كما قيل .

و « المرهم » طلاًليّن يطلى به الجرح مشتقّ من « الرهمة » بالكسر ، و هي المطر الضعيف ،

و « إحكامها » إتقانها و منعها عن الفساد . و « الوسم » أثر الكيّ . و « الميسم » بالكسر ،

المكواة . و « أحماها » أي أسخنها . و لعلّ إحكام المراهم إشارة إلى البشارة بالثواب أو الأمر بالمعروف و إحماء المواسم إلى الإنذار من العقاب ، أو النهي عن المنكر و إقامة الحدود . و « قدح بالزند » كمنع رام الايراء به و استخرج النار منه . و « الزند » بالفتح ، العود الّذي يقدح به النار . و « ثقبت النار » اتّقدت ، و « ثقب الكوكب » أضاء .

و « القاسية » الشديدة و الغليظة .

و « انجابت السرائر » انكشفت . و المراد بالسرائر ما أضمره المعاندون للحقّ في

قلوبهم من إطفاء نور الله و هدم أركان الشريعة ، و قيل : إشارة إلى انكشاف ما يكون بعده لنفسه القدسيّة و لأهل البصائر من استيلاء بني أميّة و عموم ظلمهم ، أو انكشاف أسرار الشريعة لأهلها . و « الخابط » السائر على غير هدى . و لعلّ المراد أنّ ضلالهم ليس لخفآء الحقّ بل للإصرار على الشقاق و النفاق . و « سفر الصبح و أسفر » أضاء و أشرق ،

و « أسفرت المرأة » كشفت عن وجهها . و المراد بإسفار الساعة و ظهور العلامة قرب القيامة بعدم بقاء نبيّ ينتظر بعثته ، و ظهور الفتن و الوقائع الّتي هي من أشراطها .

و « الشبح » بالتحريك ، سواد الإنسان و غيره تراه من بعيد . و المراد بكونهم أشباحا بلا أرواح تشبيهم بالجمادات و الأموات في عدم الانتفاع بالعقل و عدم تأثير المواعظ فيهم ،

كما قال تعالى : كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ 466 . و أمّا كونهم أرواحا بلا أشباح فقيل : المراد بيان نقصهم لأنّ الروح بلا جسد ناقصة عاطلة عن الأعمال . و قيل : إشارة إلى خفّتهم و طيشهم في الأفعال . و قيل : المراد أنّ منهم من هو كالجماد و الأموات ، و منهم من له عقل و فهم و لكن لا قوّة له على الحرب فالجميع عاطلون عمّا يراد منهم . و قيل :

المراد أنّهم إذا خافوا ذهلت عقولهم و طارت ألبابهم فكانوا كأجسام بلا أرواح ، و إذا أمنوا تركوا الاهتمام بأمورهم كأنّهم أرواح لا تعلّق لهم بالأجسام . و « النسّاك » العبّاد ، أي ليست عبادتهم مقرونة بالإخلاص و على الوجه المأمور به و مع الشرائط المعتبرة ، فإنّ منها معرفة الإمام و طاعته ، و كونهم « تجّارا بلا أرباح » لعدم ترتّب الثواب على أعمالهم . و قوله عليه السلام : « راية ضلالة » منقطع عمّا قبله ، التقطه السيّد رضي الله عنه من كلامه على عادته ، و كأنّه إشارة إلى ما يحدث في آخر الزمان من الفتن كظهور السفيانيّ و غيره . و « القطب » حديده تدور عليها الرحى و ملاك الأمر و مداره و سيّد القوم . و قيامها على قطبها كناية عن انتظام أمرها و تفرّق شعبها عن انتشار فتنتها في الآفاق و تولّد فتن أخر عنها . و قيل : ليس التفرّق للراية نفسها بل لنصّارها و أصحابها ، و حذف المضاف ، و معنى تفرّقهم أنّهم يدعون إلى تلك الدعوة المخصوصة في بلاد متفرّقة . و « تكيلكم بصاعها » أي تأخذكم للإهلاك زمرة زمرة كالكيّال يأخذ

----

(466) المنافقون : 4 .

ما يكيله جملة جملة ، أو يقهركم أربابها على الدخول في أمرهم و يتلاعبون بكم ، يرفعونكم و يضعونكم كما يفعل كيّال البرّ به إذا كاله بصاعه ، أو تكيل لكم بصاعها على حذف اللام كما في قوله تعالى : وَ إِذَا كَالُوهُمْ 467 ، أي تحملكم على دينها و دعوتها و تعاملكم بما يعامل به من استجاب لها ، أو تغرز لكم من فتنتها شيئا و يصل إلى كلّ منكم نصيب منها . و « الخبط » بالفتح ، ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها ، و « خبط البعير الأرض بيده خبطا » أي ضربها ، و الكلام على الوجهين يفيد الذلّة و الانقهار .

و « القيام على الضلّة » الإصرار على الضلال . و « ثفالة القدر » بالضمّ ،

ما سفل فيه من الطبيخ ، و هي كناية عن الأراذل و من لا ذكر له بين الناس لعدم الاعتناء بقتلهم . و « النفاضة » بالضمّ ، ما سقط من النفض . و « العلم » بالكسر ،

العدل و نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها . قال في النهاية : « العكوم » الاخال الّتي تكون فيها الأمتعة و غيرها ، واحدها « عكم » بالكسر ، و منه حديث عليّ عليه السلام :

« نفاضة كنفاضة العكم » . انتهى . و المراد بها ما يبقى في العدل بعد التخلية من غبار أو بقيّة زاد لا يعبأ بها فتنفض . و « عركه » كنصره دلكه و حكّه . و « الأديم » الجلد أو المدبوغ منه . و « داس الرجل الحنطة » دقّها ليخرج الحبّ من السنبل . و « الحصيد » الزرع المقطوع . و « استخلصه لنفسه » أي استخصّه . و الغرض تخصيص المؤمن بالقتل و الأذى . و « البطينة » السمينة . و « الهزيل » ضدّ السمين .

قوله عليه السلام « أين تذهب بكم » البآء في الموضعين للتعدية ،

و « المذاهب » الطرق و العقائد ، و إسناد الإذهاب إليها على التجوّز للمبالغة . و « تاه يتيه تيها » بالفتح و الكسر ، أي تحيّر و ضلّ . و « الغيهب » الظلمة و الشديد السواد من الليل . و « الكواذب » الأماني الباطلة و الأوهام الفاسدة . قوله عليه السلام « و من أين تؤتون » على بناء المجهول ، أي من أيّ جهة و طريق يأتيكم من الشّياطين أو تلك الأمراض . و « أنّى تؤفكون » أي أنّى تصرفون عن قصد السبيل و أين تذهبون .

قوله عليه السلام « فلكلّ أجل كتاب » أي لكلّ أمد و وقت حكم

----

(467) *المطفّفين : 3* .

مكتوب على العباد . و « الإياب » بالكسر ، الرجوع . قيل : هذا الكلام منقطع عمّا قبله ،

و قيل : تهديد بالإشارة إلى قرب الموت و أنّهم بمعرض أن يأخذهم على غفلتهم .

و « الربّانيّ » منسوب إلى الربّ ، و فسّر بالمتألّه العارف باللّه أو الّذي يطلب بعمله وجه اللّه أو العالم العامل المعلّم ، و المراد نفسه عليه السلام . و « إحضار القلب إيّاه » الإقبال التامّ إلى كلامه و مواعظه . قوله عليه السلام « إن هتف بكم » بكسر الهمزة و في بعض النسخ بالفتح ، أي لهتافه بكم و هو الصياح .

و « الرائد » الّذي يتقدّم القوم يبصر لهم الكلاء و مساقط الغيث ، و في المثل :

« لا يكذب الرائد أهله » . و لعلّ المراد بالرائد نفسه عليه السلام ، أي وظيفتي و شأني الصدق فيما أخبركم به ممّا تردون عليه من الأمور المستقبلة في الدنيا و الآخرة كما أنّ وظيفتكم الاستماع و إحضار القلب . و « الشمل » ما تشتّت من الأمر ، و المراد به الأفكار و العزائم أي يجب عليّ التوجّه إلى نصحكم و تذكيركم بقلب فارغ عن الوساوس و الشواغل و إقبال تامّ على هدايتكم . و يحتمل أن يراد بالشمل من تفرّق من القوم في فيافي الضلالة . و الفاعل في « فلق » هو الرائد . و قيل : المراد بالرائد الفكر لكونه مبعوثا من قبل النفس في طلب رعاها و ماء حياتها من العلوم و سائر الكمالات فكنّى به عنه ،

و أهله هو النفس ، فكأنّه عليه السلام قال : فلتصدق أفكاركم و متخيّلاتكم نفوسكم ، و صدقها إيّاها تصرّفها على حسب إشارة العقل بلا مشاركة الهوى ، و المراد بالرائد أشخاص من حضر عنده فإنّ كلاّ منهم له أهل و قبيلة يرجع إليهم فأمره أن يصدقهم بتبليغ ما سمع على الوجه الّذي ينبغي و النصيحة و الدعوة إليه .

و قوله عليه السلام « و ليجمع شمله » أي ما تفرّق و تشعّب من خواطره في أمور الدّنيا و مهمّاتها و ليحضر ذهنه أي يوجّهه إلى ما أقول . انتهى . و « الفلق » الشقّ .

و « الخرزة » بالتحريك ، الجوهر . و « قرفه قرف الصمغة » أي قشره كما تقشر الصمغة من عود الشجرة و تقلع لأنّها إذا قلعت لم يبق لها أثر ، و هذا مثل ، و المعنى : أوضح لكم أمر الفتن أو طريق الحقّ إيضاحا تامّا فأظهر لكم باطن الأمر كما يرى باطن الخرزة بعد شقّها و لا أدّخر عنكم شيئا بل ألقي الأمر بكلّيّته إليكم .

[377]

قوله « فعند ذلك » قيل : هو متّصل بقوله « من بين هزيل الحبّ » فيكون التشويش من السيّد رضي اللّه عنه ، و يمكن أن يكون إشارة إلى كلام آخر سقط من البين . و « أخذ الشيء مأخذه » أي تمكّن و استحكم . و « الطاغية » مصدر بمعنى الطغيان أو صفة محذوف ، أي الفئة الطاغية ، و كذا « الداعية » تحتمل الوجهين . و في بعض النسخ : « الراعية » بالراء المهملة . و « الفنيق » الفحل من الإبل . و « هدر » أي ردّد صوته في حنجرته في غير شقشقة . و « الكظوم » الإمساك و السكوت .

و « كون الولد غيظا » لكثرة العقوق أو لاشتغال كلّ امريء بنفسه فيتمنّى أن لا يكون له ولد . و « المطر قيضا » بالضاد المعجمة ، أي كثيرا . قيل : إنّه من علامات تلك الشرور أو من أشراط الساعة ، و قيل : إنّه أيضا من الشرور إذا جاوز الحدّ . و في بعض النسخ بالظاء المعجمة و هو صميم الصيف و هو المطابق لما في النهاية ، قال : و منه حديث أشراط الساعة : « أن يكون الولد غيظا و المطر قيظا » لأنّ المطر إنّما يراد للنبات و برد الهواء و القيظ ضدّ ذلك . انتهى . و حينئذ يحتمل أن يكون المراد تبدلّ المطر بشدّة الحرّ أو قلّة المطر أو كثرته في الصيف دون الربيع و الشتاء ، أو المراد أنّه يصير سببا لاشتداد الحرّ لكثرته في الصيف إذ يثور به الأبخرة و يفسد الهواء ، أو يصير على خلاف العادة سببا لشدّة الحرّ . و « تفيض اللئام » أي تكثر . و « تغيض الكرام » أي تقلّ . و « أهل ذلك الزمان » أي أكابرهم . « اكالا » بالضمّ و التشديد ، جمع « آكل » . و قال بعض الشارحين : روي « أكالا » بفتح الهمزة و تخفيف الكاف ، يقال : « ما ذقت أكالا » أي طعاما . و قال : لم ينقل هذا إلاّ في النفي فالأجود الرواية الأخرى و هي « آكالا » بمدّ الهمزة على أفعال ، جمع « اكل » و هو ما أكل ، و قد روي « أكالا » بضمّ الهمزة على فعال ، و قالوا : إنّه جمع أكل للمأكول كعرق و عراق إلاّ أنّه شاذّ ، أي صار أوساط الناس طعمة للولاة و أصحاب السلاطين كالفريسة للاسد . و « غار الماء » ذهب في الأرض . و « فاض » أي كثر حتّى سال . و في بعض النسخ : « و فاد الكذب » . قوله عليه السلام « و صار الفسوق نسبا » أي يحصل أنسابهم من الزنا ، و قيل : أي يصير الفاسق صديقا للفاسق حتّى يكون ذلك كالنسب بينهم و « أمّا لبسهم الاسلام لبس

[378]

الفرو » فالظاهر أنّ المراد به تبديل شرائع الإسلام و قلب أحكامه أو إظهار النيّات و الأفعال الحسنة و إبطال خلافها . و قيل : وجه القلب أنّه لمّا كان الغرض الأصليّ من الإسلام أن يكون باطنا ينتفع به القلب و يظهر فيه منفعة فقلّب المنافقون غرضه و استعملوه بظاهر ألسنتهم دون قلوبهم فأشبه قلبهم له لبس الفرو إذ كان أصله أن يكون حمله ظاهرا لمنفعة الحيوان الّذي هو لباسه فاستعمله الناس مقلوبا . 468

109 و من خطبة له عليه السلام في بيان قدرة اللّه و انفراده بالعظمة و أمر البعث

القسم الأول قدرة اللّه

كلّ شيء خاشع له ، و كلّ شيء قائم به : غنى كلّ فقير ، و عزّ كلّ ذليل ، و قوّة كلّ ضعيف ، و مفزع كلّ ملهوف . من تكلّم سمع نطقه ، و من سكت علم سرّه ، و من عاش فعليه رزقه ، و من مات فإليه منقلبه . لم ترك العيون فتخبر عنك ، بل كنت قبل الواصفين من خلقك . لم تخلق الخلق لوحشة ، و لا استعملتهم لمنفعة ، و لا يسبقك من طلبت ، و لا يفلتك (1454) من أخذت ، و لا ينقص سلطانك من عصاك ، و لا يزيد في ملكك من أطاعك ، و لا يردّ أمرك من سخط قضاءك ، و لا يستغني عنك من تولّى عن أمرك . كلّ سرّ عندك علانية ، و كلّ غيب عندك شهادة . أنت الأبد

----

(468) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 719 ، ط كمپاني و ص 666 ، ط تبريز .

[379]

فلا أمد لك ، و أنت المنتهى فلا محيص عنك ، و أنت الموعد فلا منجى منك إلاّ إليك . بيدك ناصية كلّ دابّة ، و إليك مصير كلّ نسمة . سبحانك ما أعظم شأنك سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك و ما أصغر كلّ عظيمة في جنب قدرتك و ما أهول ما نرى من ملكوتك و ما أحقر ذلك فيما غاب عنّا من سلطانك و ما أسبغ نعمك في الدّنيا ، و ما أصغرها في نعم الآخرة

القسم الثاني الملائكة الكرام

و منها : من ملائكة أسكنتهم سماواتك ، و رفعتهم عن أرضك ، هم أعلم خلقك بك ، و أخوفهم لك ، و أقربهم منك ، لم يسكنوا الأصلاب ، و لم يضمّنوا الأرحام ، و لم يخلقوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (1455) ،

و لم يتشعّبهم « ريب المنون » (1456) ، و إنّهم على مكانهم منك ، و منزلتهم عندك ، و استجماع أهوائهم فيك ، و كثرة طاعتهم لك ، و قلّة غفلتهم عن أمرك ، لو عاينوا كنه ما خفي عليهم منك لحقّروا أعمالهم ، و لزروا (1457) على أنفسهم ، و لعرفوا أنّهم لم يعبدوك حقّ عبادتك ، و لم يطيعوك حقّ طاعتك .

القسم الثالث عصيان الخلق

[380]

سبحانك خالقا و معبودا بحسن بلائك (1458) عند خلقك خلقت دارا ، و جعلت فيها مأدبة (1459) : مشربا و مطعما ، و أزواجا و خدما ،

و قصورا ، و أنهارا ، و زروعا ، و ثمارا ، ثمّ أرسلت داعيا يدعو إليها ، فلا الدّاعي أجابوا ، و لا فيما رغّبت رغبوا ، و لا إلى ما شوّقت إليه اشتاقوا . أقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها ، و اصطلحوا على حبّها ، و من عشق شيئا أعشى (1460) بصره ، و أمرض قلبه ، فهو ينظر بعين غير صحيحة ، و يسمع بأذن غير سميعة ، قد خرقت الشّهوات عقله ، و أماتت الدّنيا قلبه ، و ولهت عليها نفسه ، فهو عبد لها ،

و لمن في يديه شيء منها ، حيثما زالت زال إليها ، و حيثما أقبلت أقبل عليها ، لا ينزجر من اللّه بزاجر ، و لا يتّعظ منه بواعظ ، و هو يرى المأخوذين على الغرّة (1461) ، حيث لا إقالة و لا رجعة ، كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون ، و جاءهم من فراق الدّنيا ما كانوا يأمنون ،

و قدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون . فغير موصوف ما نزل بهم :

اجتمعت عليهم سكرة الموت و حسرة الفوت ، ففترت لها أطرافهم ،

و تغيّرت لها ألوانهم ، ثمّ ازداد الموت فيهم ولوجا (1462) ، فحيل بين أحدهم و بين منطقه ، و إنّه لبين أهله ينظر ببصره ، و يسمع بأذنه ،

على صحّة من عقله ، و بقاء من لبّه ، يفكّر فيم أفنى عمره ، و فيم

[381]

أذهب دهره و يتذكّر أموالا جمعها ، أغمض (1463) في مطالبها ،

و أخذها من مصرّحاتها و مشتبهاتها ، قد لزمته تبعات (1464) جمعها ،

و أشرف على فراقها ، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ، و يتمتّعون بها ،

فيكون المهنأ (1465) لغيره ، و العبء (1466) على ظهره . و المرء قد غلقت رهونه (1467) بها ، فهو يعضّ يده ندامة على ما أصحر (1468) له عند الموت من أمره ، و يزهد فيما كان يرغب فيه أيّام عمره ، و يتمنّى أنّ الّذي كان بغبطه بها و يحسده عليها قد حازها دونه فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتّى خالط لسانه سمعه (1469) ، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه ، و لا يسمع بسمعه : يردّد طرفه بالنّظر في وجوههم ، يرى حركات ألسنتهم ، و لا يسمع رجع كلامهم . ثمّ ازداد الموت التياطا (1470) به ، فقبض بصره كما قبض سمعه ، و خرجت الرّوح من جسده ،

فصار جيفة بين أهله ، قد أوحشوا من جانبه ، و تباعدوا من قربه .

لا يسعد باكيا ، و لا يجيب داعيا . ثمّ حملوه إلى مخطّ في الأرض ،

فأسلموه فيه إلى عمله ، و انقطعوا عن زورته (1471) .

بيان

« ما كانوا يجهلون » أي من تفصيل أهواله و سكراته أو لعدم استعدادهم له كأنّهم جاهلون . و « الولوج » الدخول . و « المصرّحات » يحتمل الحلال الصريح و الحرام الصريح . و « العبء » بالكسر ، الحمل . و يقال : « غلق الرهن يغلق غلوقا » إذا بقي في يد المرتهن لا يقدر راهنه على فكّه . « على ما أصحر له » أي انكشف ، و أصله

[382]

الخروج إلى الصحراء ، و الضمير في أمره راجع إلى الموت أو المرء . « و لا يسمع رجع كلامهم » أي ما يتراجعونه بينهم من الكلام . و « الالتياط » الالتصاق . « قد أوحشوا من جانبه » أي و جعلوا مستوحشين ، و « المستوحش » المهموم الفزع . 469

القسم الرابع القيامة

حتّى إذا بلغ الكتاب أجله ، و الأمر مقاديره ، و ألحق آخر الخلق بأوّله ، و جاء من أمر اللّه ما يريده من تجديد خلقه ، أماد (1472) السّماء و فطرها (1473) ، و أرجّ الأرض و أرجفها ، و قلع جبالها و نسفها ،

و دكّ بعضها بعضها من هيبة جلالته و مخوف سطوته ، و أخرج من فيها ،

فجدّدهم بعد إخلاقهم (1474) ، و جمعهم بعد تفرّقهم ، ثمّ ميّزهم لما يريده من مسألتهم عن خفايا الأعمال و خبايا الأفعال ، و جعلهم فريقين :

أنعم على هؤلاء و انتقم من هؤلاء فأمّا أهل الطّاعة فأثابهم بجواره ،

و خلّدهم في داره ، حيث لا يظعن النّزّال ، و لا تتغيّر بهم الحال ، و لا تنوبهم الأفزاع (1475) ، و لا تنالهم الأسقام ، و لا تعرض لهم الأخطار ، و لا تشخصهم (1476) الأسفار . و أمّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ دار ، و غلّ الأيدي إلى الأعناق ، و قرن النّواصي بالأقدام ،

و ألبسهم سرابيل القطران (1477) ، و مقطّعات (1478) النّيران ، في عذاب

----

(466) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 6 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 164 .

قد اشتدّ حرّه ، و باب قد أطبق على أهله ، في نار لها كلب (1479) و لجب (1480) ، و لهب ساطع ، و قصيف (1481) هائل ، لا يظعن مقيمها و لا يفادى أسيرها ، و لا تفصم كبولها (1482) . لا مدّة للدّار فتفنى ، و لا أجل للقوم فيقضى .

بيان

« بلغ الكتاب أجله » أي بلغ الزمان المكتوب المقدّر إلى منتهاه . و ألحق آخر الخلق بأوّله » أي تساوى الكلّ في شمول الموت و الفناء لهم . « أماد السماء » أي حرّكها ، و يروى « أمار » بالراء بمعناه ، كما قال تعالى : يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً 470 . و « أرجّ الأرض » أي زلزلها ، و كذا قوله « أرجفها و نسفها » أي قلعها من أصولها . و « دكّ بعضها بعضا » أي صدمه و دقّه حتّى تكسره ، إشارة إلى قوله تعالى : فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً 471 . « لا يظعن » أي لا يرحل . « و لا تنوبهم » أي لا تنزل بهم . و « الأخطار » جمع « الخطر » و هو ما يشرف به على الهلكة . و « الكلب » بالتحريك ، الشدّة . و « الجلب و اللجب » الصوت . و « القصيف » الصوت الشديد .

« لا تفصم كبولها » أي لا تكسر قيودها . 472

القسم الخامس زهد النبي

و منها في ذكر النبي صلى اللّه عليه و آله : قد حقّر الدّنيا و صغّرها ،

و أهون بها و هوّنها ، و علم أنّ اللّه زواها (1483) عنه اختيارا ، و بسطها لغيره احتقارا ، فأعرض عن الدّنيا بقلبه ، و أمات ذكرها عن نفسه ،

و أحبّ أن تغيب زينتها عن عينه ، لكيلا يتّخذ منها رياشا (1484) ،

----

(470) الطور : 9 .

----

(471) الحاقّة : 14 .

----

(472) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 7 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 114 .

أو يرجو فيها مقاما . بلّغ عن ربّه معذرا (1485) ، و نصح لأمّته منذرا ،

و دعا إلى الجنّة مبشّرا ، و خوّف من النّار محذّرا .

القسم السادس اهل البيت

نحن شجرة النّبوّة ، و محطّ الرّسالة ، و مختلف الملائكة (1486) ،

و معادن العلم ، و ينابيع الحكم ، ناصرنا و محبّنا ينتظر الرّحمة ،

و عدوّنا و مبغضنا ينتظر السّطوة .

110 و من الخطبة له عليه السلام في أركان الدين

الاسلام

إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى اللّه سبحانه و تعالى ، الإيمان به و برسوله ، و الجهاد في سبيله ، فإنّه ذروة الإسلام ، و كلمة الإخلاص فإنّها الفطرة ، و إقام الصّلاة فإنّها الملّة ، و إيتاء الزّكاة فإنّها فريضة واجبة ، و صوم شهر رمضان فإنّه جنّة من العقاب ، و حجّ البيت و اعتماره فإنّهما ينفيان الفقر و يرحضان الذّنب (1487) ، و صلة الرّحم فإنّها مثراة في المال ، و منسأة (1488) في الأجل ، و صدقة السّرّ فإنّها

[385]

تكفّر الخطيئة ، و صدقة العلانية فإنّها تدفع ميتة السّوء ، و صنائع المعروف فإنّها تقي مصارع الهوان .

أفيضوا في ذكر اللّه فإنّه أحسن الذّكر . و ارغبوا فيما وعد المتّقين فإنّ وعده أصدق الوعد . و اقتدوا بهدي نبيّكم فإنّه أفضل الهدي .

و استنّوا بسنّته فإنّها أهدى السّنن .

القسم الثاني فضل القرآن

و تعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث ، و تفقّهوا فيه فإنّه ربيع القلوب ، و استشفوا بنوره فإنّه شفاء الصّدور ، و أحسنوا تلاوته فإنّه أنفع القصص . و إنّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الّذي لا يستفيق من جهله ، بل الحجّة عليه أعظم ، و الحسرة له ألزم ،

و هو عند اللّه ألوم (1489) .

111 و من خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا

أمّا بعد ، فإنّي أحذّركم الدّنيا ، فإنّها حلوة خضرة ، حفّت بالشّهوات ،

و تحبّبت بالعاجلة ، و راقت بالقليل ، و تحلّت بالآمال ، و تزيّنت

[386]

بالغرور . لا تدوم حبرتها (1490) ، و لا تؤمن فجعتها . غرّارة ضرّارة ،

حائلة (1491) زائلة ، نافدة (1492) بائدة (1493) ، أكّالة غوّالة (1494) . لا تعدو إذا تناهت إلى أمنيّة أهل الرّغبة فيها و الرّضاء بها أن تكون كما قال اللّه تعالى سبحانه : كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً (1495) تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ، وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً . لم يكن امرؤ منها في حبرة إلاّ أعقبته بعدها عبرة (1496) ،

و لم يلق في سرّائها بطنا (1497) ، إلاّ منحته من ضرّائها ظهرا (1498) ،

و لم تطلّه (1499) فيها ديمة (1500) رخاء (1501) ، إلاّ هتنت (1502) عليه مزنة بلاء و حريّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له متنكّرة ، و إن جانب منها اعذوذب و احلولى ، أمرّ منها جانب فأوبى (1503) لا ينال امرؤ من غضارتها (1504) رغبا (1505) ، إلاّ أرهقته (1506) من نوائبها تعبا و لا يمسي منها في جناح أمن ، إلاّ أصبح على قوادم (1507) خوف غرّارة ،

غرور ما فيها ، فانية ، فان من عليها ، لا خير في شيء من أزوادها إلاّ التّقوى . من أقلّ منها استكثر ممّا يؤمنه و من استكثر منها استكثر ممّا يوبقه (1508) ، و زوال عمّا قليل عنه . كم من واثق بها قد فجعته ، و ذي طمأنينة إليها قد صرعته ، و ذي أبّهة (1509) قد جعلته حقيرا ،

و ذي نخوة (1510) قد ردّته ذليلا سلطانها دوّل (1511) ، و عيشها

[387]

رنق (1512) ، و عذبها أجاج (1513) ، و حلوها صبر (1514) ، و غذاؤها سمام (1515) ، و أسبابها رمام (1516) حيّها بعرض موت ، و صحيحها بعرض سقم ملكها مسلوب ، و عزيزها مغلوب ، و موفورها (1517) منكوب ، و جارها محروب (1518) ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعمارا ، و أبقى آثارا ، و أبعد آمالا ، و أعدّ عديدا ، و أكثف جنودا تعبّدوا للدّنيا أيّ تعبّد ، و آثروها أيّ إيثار ، ثمّ ظعنوا عنها بغير زاد مبلّغ و لا ظهر قاطع (1519) . فهل بلغكم أنّ الدّنيا سخت لهم نفسا بفدية (1520) ، أو أعانتهم بمعونة ، أو أحسنت لهم صحبة بل أرهقتهم بالقوادح (1521) ، و أوهقتهم بالقوارع (1522) ،

و ضعضعتهم (1523) بالنّوائب ، و عفّرتهم (1524) للمناخر ، و وطئتهم بالمناسم (1525) ، و أعانت عليهم « ريب المنون » . فقد رأيتم تنكّرها لمن دان لها (1526) ، و آثرها و أخلد إليها (1527) ، حين ظعنوا عنها لفراق الأبد . و هل زوّدتهم إلاّ السّغب (1528) ، أو أحلّتهم إلاّ الضّنك (1529) ،

أو نوّرت لهم إلاّ الظّلمة ، أو أعقبتهم إلاّ النّدامة أ فهذه تؤثرون ،

أم إليها تطمئنّون ، أم عليها تحرصون ؟ فبئست الدّار لمن لم يتّهمها ،

و لم يكن فيها على وجل منها فاعلموا و أنتم تعلمون بأنّكم تاركوها و ظاعنون عنها ، و اتّعظوا فيها بالّذين قالوا : مَنْ أَشَدُّ مِنَّا

[388]

قُوَّةً : حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا (1530) ، و أنزلوا الأجداث (1531) فلا يدعون ضيفانا ، و جعل لهم من الصّفيح (1532) أجنان (1533) ، و من التّراب أكفان ، و من الرّفات (1534) جيران ، فهم جيرة لا يجيبون داعيا ، و لا يمنعون ضيما ، و لا يبالون مندبة . إن جيدوا (1535) لم يفرحوا ، و إن قحطوا لم يقنطوا . جميع و هم آحاد ، و جيرة و هم أبعاد . متدانون لا يتزاورون ، و قريبون لا يتقاربون . حلماء قد ذهبت أضغانهم ، و جهلاء قد ماتت أحقادهم . لا يخشى فجعهم (1536) ،

و لا يرجى دفعهم ، استبدلوا بظهر الأرض بطنا ، و بالسّعة ضيقا ،

و بالأهل غربة ، و بالنّور ظلمة ، فجاؤوها كما فارقوها ، حفاة عراة ،

قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدّائمة و الدّار الباقية ، كما قال سبحانه و تعالى : كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعْداً عَلَيْنَا ، إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ .

112 و من خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت و توفية النفس و عجز الخلق عن وصف اللّه

هل تحسّ به إذا دخل منزلا ؟ أم هل تراه إذا توفّى أحدا ؟ بل كيف يتوفّى الجنين في بطن أمّه أيلج (1537) عليه من بعض جوارحها

[389]

أم الرّوح أجابته بإذن ربّها ؟ أم هو ساكن معه في أحشائها ؟ كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله

113 و من خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا

و أحذّركم الدّنيا فإنّها منزل قلعة (1538) ، و ليست بدار نجعة (1539) .

قد تزيّنت بغرورها ، و غرّت بزينتها . دارها هانت على ربّها ، فخلط حلالها بحرامها ، و خيرها بشرّها ، و حياتها بموتها ، و حلوها بمرّها .

لم يصفها اللّه تعالى لأوليائه ، و لم يضنّ بها على أعدائه . خيرها زهيد و شرّها عتيد (1540) . و جمعها ينفد ، و ملكها يسلب ، و عامرها يخرب . فما خير دار تنقض نقض البناء ، و عمر يفنى فيها فناء الزّاد ، و مدّة تنقطع انقطاع السّير اجعلوا ما افترض اللّه عليكم من طلبكم ، و اسألوه من أداء حقّه ما سألكم .

و أسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم . إنّ الزّاهدين في الدّنيا تبكي قلوبهم و إن ضحكوا ، و يشتدّ حزنهم و إن فرحوا ، و يكثر مقتهم أنفسهم و إن اغتبطوا (1541) بما رزقوا . قد غاب عن قلوبكم

ذكر الآجال ، و حضرتكم كواذب الآمال ، فصارت الدّنيا أملك بكم من الآخرة ، و العاجلة أذهب بكم من الآجلة ، و إنّما أنتم إخوان على دين اللّه ، ما فرّق بينكم إلاّ خبث السّرائر ، و سوء الضّمائر . فلا توازرون و لا تناصحون ، و لا تباذلون و لا توادّون . ما بالكم تفرحون باليسير من الدّنيا تدركونه ، و لا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه و يقلقكم اليسير من الدّنيا يفوتكم ، حتّى يتبيّن ذلك في وجوهكم ،

و قلّة صبركم عمّا زوي (1542) منها عنكم كأنّها دار مقامكم ، و كأنّ متاعها باق عليكم . و ما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف من عيبه ، إلاّ مخافة أن يستقبله بمثله . قد تصافيتم على رفض الآجل و حبّ العاجل ، و صار دين أحدكم لعقة (1543) على لسانه ، صنيع من قد فرغ من عمله ، و أحرز رضى سيّده .

114 و من خطبة له عليه السلام و فيها مواعظ للناس

الحمد للّه الواصل الحمد بالنّعم و النّعم بالشّكر . نحمده على آلائه ، كما نحمده على بلائه . و نستعينه على هذه النّفوس البطاء (1544) عمّا أمرت به ، السّراع (1545) إلى ما نهيت عنه . و نستغفره ممّا أحاط به علمه ، و أحصاه كتابه : علم غير قاصر ، و كتاب غير مغادر (1546) .

و نؤمن به إيمان من عاين الغيوب ، و وقف على الموعود ، إيمانا نفى إخلاصه الشّرك ، و يقينه الشّكّ . و نشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له ، و أنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عبده و رسوله ،

شهادتين تصعدان القول ، و ترفعان العمل . لا يخفّ ميزان توضعان فيه ،

و لا يثقل ميزان ترفعان عنه .

أوصيكم ، عباد اللّه ، بتقوى اللّه الّتي هي الزّاد و بها المعاذ : زاد مبلغ ، و معاذ منجح . دعا إليها أسمع داع ، و وعاها (1547) خير واع . فأسمع داعيها ، و فاز واعيها .

عباد اللّه ، إنّ تقوى اللّه حمت (1548) أولياء اللّه محارمه ، و ألزمت قلوبهم مخافته ، حتّى أسهرت لياليهم ، و أظمأت هواجرهم (1549) ،

فأخذوا الرّاحة بالنّصب (1550) ، و الرّيّ بالظّمإ ، و استقربوا الأجل فبادروا العمل ، و كذّبوا الأمل فلاحظوا الأجل . ثمّ إنّ الدّنيا دار فناء و عناء ، و غير و عبر ، فمن الفناء أنّ الدّهر موتر قوسه (1551) ، لا تخطىء سهامه ، و لا تؤسى (1552) جراحه . يرمي الحيّ بالموت ، و الصّحيح بالسّقم ، و النّاجي بالعطب . آكل لا يشبع ، و شارب لا ينقع (1553)

. و من العناء أنّ المرء يجمع ما لا يأكل و يبني ما لا يسكن ، ثمّ يخرج إلى اللّه تعالى لا مالا حمل ، و لا بناء نقل و من غيرها (1554) أنّك ترى

[392]

المرحوم مغبوطا ، و المغبوط مرحوما ، ليس ذلك إلاّ نعيما زلّ (1555) ،

و بؤسا نزل . و من عبرها أنّ المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله . فلا أمل يدرك ، و لا مؤمّل يترك . فسبحان اللّه ما أعزّ سرورها و أظمأ ريّها و أضحى فيئها (1556) لا جاء يردّ (1557) ، و لا ماض يرتدّ .

فسبحان اللّه ، ما أقرب الحيّ من الميّت للحاقه به ، و أبعد الميّت من الحيّ لانقطاعه عنه إنّه ليس شيء بشرّ من الشّرّ إلاّ عقابه ، و ليس شيء بخير من الخير إلاّ ثوابه . و كلّ شيء من الدّنيا سماعه أعظم من عيانه ، و كلّ شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه . فليكفكم من العيان السّماع ،

و من الغيب الخبر . و اعلموا أنّ ما نقص من الدّنيا و زاد في الآخرة خير ممّا نقص من الآخرة و زاد في الدّنيا : فكم من منقوص رابح و مزيد خاسر إنّ الّذي أمرتم به أوسع من الّذي نهيتم عنه . و ما أحلّ لكم أكثر ممّا حرّم عليكم . فذروا ما قلّ لما كثر ، و ما ضاق لما اتّسع . قد تكفّل لكم بالرّزق و أمرتم بالعمل ، فلا يكوننّ المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله ، مع أنّه و اللّه لقد اعترض الشّكّ ، و دخل اليقين (1558) ، حتّى كأنّ الّذي ضمن لكم قد فرض عليكم ، و كأنّ الّذي قد فرض عليكم قد وضع عنكم .

[393]

فبادروا العمل ، و خافوا بغتة الأجل ، فإنّه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرّزق . ما فات اليوم من الرّزق رجي غدا زيادته ،

و ما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته . الرّجاء مع الجائي ،

و اليأس مع الماضي . ف اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ، وَ لاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ .

115 و من خطبة له عليه السلام في الاستسقاء

اللّهمّ قد انصاحت (1559) جبالنا ، و اغبرّت أرضنا ، و هامت (1560) دوابّنا ، و تحيّرت في مرابضها (1561) ، و عجّت عجيج الثّكالى (1562) على أولادها ، و ملّت التّردّد في مراتعها ، و الحنين إلى مواردها اللّهمّ فارحم أنين الآنّة (1563) ، و حنين الحانّة (1564) اللّهمّ فارحم حيرتها في مذاهبها ، و أنينها في موالجها (1565) اللّهمّ خرجنا إليك حين اعتكرت علينا حدابير السّنين ، و أخلفتنا مخايل الجود (1566) ، فكنت الرّجاء للمبتئس ، و البلاغ للملتمس (1567) . ندعوك حين قنط الأنام ،

و منع الغمام ، و هلك السّوام (1568) ، ألاّ تؤاخذنا بأعمالنا ، و لا تأخذنا بذنوبنا . و انشر علينا رحمتك بالسّحاب المنبعق (1569) ، و الرّبيع المغدق (1570) ، و النّبات المونق (1571) ، سحّا وابلا (1572) ، تحيي به ما

[394]

قد مات ، و تردّ به ما قد فات . اللّهمّ سقيا منك محيية مروية ، تامّة عامّة ، طيّبة مباركة ، و هنيئة مريعة (1573) ، زاكيا (1574) نبتها ، ثامرا (1575) فرعها ، ناضرا ورقها ، تنعش بها الضّعيف من عبادك ، و تحيي بها الميّت من بلادك اللّهمّ سقيا منك تعشب بها نجادنا (1576) ، و تجري بها و هادنا (1577) ، و يخصب بها جنابنا (1578) ، و تقبل بها ثمارنا ، و تعيش بها مواشينا ، و تندى بها أقاصينا (1579) ، و تستعين بها ضواحينا (1580) ،

من بركاتك الواسعة ، و عطاياك الجزيلة ، على بريّتك المرملة (1581) ،

و وحشك المهملة . و أنزل علينا سماء مخصلة (1582) ، مدرارا هاطلة ،

يدافع الودق (1583) منها الودق ، و يحفز (1584) القطر منها القطر ،

غير خلّب برقها (1585) ، و لا جهام عارضها (1586) ، و لا قزع ربابها (1587) ،

و لا شفّان ذهابها (1588) ، حتّى يخصب لإمراعها المجدبون ، و يحيا ببركتها المسنتون (1589) ، فإنّك « تنزل الغيث من بعد ما قنطوا ، و تنشر رحمتك و أنت الوليّ الحميد » .

116 و من خطبة له عليه السلام و فيها ينصح أصحابه

القسم الأول

أرسله داعيا إلى الحقّ و شاهدا على الخلق ، فبلّغ رسالات ربّه غير و ان (1590) و لا مقصّر ، و جاهد في اللّه أعداءه غير واهن (1591) و لا معذّر (1592) .

إمام من اتّقى ، و بصر من اهتدى . 473) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 91 ، كتاب الصلاة ، ص 318 .

[397]

بيان

« الواني » الفاتر الكالّ . و « الواهن » الضعيف . و « المعذّر » المعتذر من غير عذر . 474

القسم الثاني

و منها : و لو تعلمون ما أعلم ممّا طوي عنكم غيبه ، إذا لخرجتم إلى الصّعدات (1593) تبكون على أعمالكم ، و تلتدمون (1594) على أنفسكم ،

و لتركتم أموالكم لا حارس لها و لا خالف (1595) عليها ، و لهمّت (1596) كلّ امرىء منكم نفسه ، لا يلتفت إلى غيرها ، و لكنّكم نسيتم ما ذكّرتم ، و أمنتم ما حذّرتم ، فتاه عنكم رأيكم ، و تشتّت عليكم أمركم . و لوددت أنّ اللّه فرّق بيني و بينكم ، و ألحقني بمن هو أحقّ بي منكم . قوم و اللّه ميامين (1597) الرّأي ، مراجيح (1598) الحلم ،

مقاويل (1599) بالحقّ ، متاريك (1600) للبغي . مضوا قدما (1601) على الطّريقة ، و أوجفوا على (1602) المحجّة (1603) ، فظفروا بالعقبى الدّائمة ،

و الكرامة الباردة (1604) . أ ما و اللّه ، ليسلّطنّ عليكم غلام ثقيف الذّيّال (1605) الميّال ، يأكل خضرتكم ، و يذيب شحمتكم ، إيه أبا وذحة قال الشريف : الوذحة : الخنفساء . و هذا القول يومىء به إلي الحجاج ، و له مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره . و قال ابن أبي الحديد : ما ذكره السيّد لم أسمع من شيخ من أهل اللّغة و لا وجدته في كتاب من كتب اللّغة [475] ، و المشهور أنّ الوذح ما يتعلّق بأذناب الشاة من

----

(474) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 18 ، كتاب تاريخ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله ، ص 221 .

[475] و قد قال في أقرب الموارد : « الوذحة » الخنفساء ، و بعضهم يقوله بالخاء . ب .

[398]

أبعارها فيجفّ ، ثمّ إنّ المفسّرين بعد الرضيّ رضي اللّه عنه قالوا في قصّة هذه الخنفساء وجوها :

منها أنّ الحجّاج رأى خنفساء تدبّ إلى مصلاّه فطردها ، فعادت فأخذها بيده فقرصته قرصا [476] فورمت يده منه ، و كان فيه حتفه ، قتله اللّه تعالى بأهون خلقه كما قتل نمرود بن كنعان بالبقّة .

و منها أنّ الحجّاج كان إذا رأى خنفساء أمر بإبعادها و قال : هذه وذحة من وذح الشيطان ، تشبيها لها بالبعرة المتعلّقة بذنب الشاة .

و منها أنّه رأى خنفساوات مجتمعات فقال : وا عجبا لمن يقول : إنّ اللّه خلقها ؟

قيل : فمن خلقها أيّها الأمير ؟ قال : الشيطان ، إنّ ربّكم لأعظم شأنا من أن يخلق هذه الوذح فنقل قوله إلى الفقهاء فأكفروه .

و منها أنّ الحجّاج كان مثفارا أي ذا ابنة ، و كان يمسك الخنفساء حيّة ليشفي بحركتها الموضع قالوا : و لا يكون صاحب هذا الداء إلاّ مبغضا لأهل البيت عليهم السلام قالوا : و لسنا نقول كلّ مبغض فيه هذا الداء ، بل كلّ من فيه هذا الداء فهو مبغض . قالوا : و قد روى ابن عمر الزاهد و لم يكن من رجال الشيعة في أماليه و أحاديثه عن السيّاريّ عن أبي خزيمة الكاتب ، قال : ما فتّشنا أحدا فيه هذا الداء إلاّ وجدناه ناصبا ، قالوا : سئل جعفر بن محمّد الصادق عن هذه الصنف من الناس فقال : رحم منكوسة يؤتى و لا يأتي ، و ما كانت هذه الخصلة في وليّ اللّه تعالى أبدا قطّ ، و إنّما كان في الفسّاق و الكفّار و الناصب للطاهرين ، و كان أبو جهل بن هشام المخزوميّ من القوم ، و كان أشدّ الناس عداوة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، قالوا :

و لذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر : يا مصفر إسته . و يغلب على ظنّي أنّه معنى آخر و ذلك أنّ عادة العرب أن يكنّي الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنّة التعظيم ، و إذا أرادت تحقيره بما يستحقر و يستهان به كقولهم في كنية يزيد بن معاوية « أبو زنة » يعنون القرد كقول ابن بسّام :

[476] « قرص لحمه » أخذه و لوى عليه باصبعه و آلمه .

[399]

أبو النتن أبو الدفر
أبو الجعفر أبو البعر [477]

فلنجاسته بالذنوب و المعاصي كنّاه أمير المؤمنين عليه السلام أبا وذحة ،

و يمكن أن يكنّيه بذلك لدمامته في نفسه و حقارة منظره و تشويه خلقه ، فإنّه كان دميما قصيرا سخيفا أخفش العين معوج الساقين قصير الساعدين مجدور الوجه ، فكنّاه بأحقر الأشياء و هو البعرة و قد روى قوم : « إيه أبا ودجة » قالوا : واحدة « الأوداج » كنّاه بذلك لأنّه كان قتّالا يقطع الأوداج بالسيف .

و رواه قوم : « أبا وحرة » و هو دويبة يشبه الحرباء قصير الظهر . و هذا و ما قبله ضعيف . 478

توضيح

« الواني » الفاتر الكالّ . و « الواهن » الضعيف . و « المعذّر » الّذي يعتذر من تقصيره من غير عذر ، كما قال تعالى : وَ جَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ 479 . « مما طوى عنكم » أي كتم و أخفي . و قال في النهاية فيه : « إيّاكم و القعود بالصعدات » هي الطرق و هي جمع « صعد » ، و « صعد » جمع « صعيد » كطريق و طرق و طرقات ، و قيل :

هي جمع « صعدة » كظلمة و هي فناء باب الدار و ممّر الناس بين يديه ، و منه الحديث : « لخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى اللّه » . و قال ابن أبي الحديد : « الصعيد » التراب و يقال : وجه الأرض ، و الجمع « صعد و صعدات » . 480 و في القاموس :

« الصعيد » التراب أو وجه الأرض ، و الجمع « صعد و صعدات » و الطريق ، و منه : إيّاكم و القعود بالصعدات و القبر . انتهى . فالمعنى : خرجتم عن البيوت و تركتم الاستراحة

[477] قال ابن بسّام لبعض الرؤساء يهجوه ، و أوّله :

لئيم دون الثوب
نظيف القعب و القدر

و « الدفر » النتن ، و « الجعر » نجو السبع .

----

(478) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 41 ، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 332 . فراجع أيضا شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 7 ، ص 279 281 ، ط بيروت .

----

(479) التوبة : 90 .

----

(480) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 7 ، ص 278 ، ط بيروت .

[400]

و الجلوس على الفرش للقلق و الانزعاج و جلستم في الطرق أو على التراب أو لازمتم القبور .

و « الالتدام » ضرب النساء وجوههنّ في النياحة . قوله عليه السلام « و لا خالف » أي و لا مستخلف عليها . قوله عليه السلام « و لهمّت » قال ابن أبي الحديد : أي أذابته و انحلته ، من « هممت الشحم » أي أذبته . و يروى « و لأهمّت » و هو أصحّ ، من « أهمّني الأمر » أي أحزنني ، و فيه نظر لأنّ همّ أيضا يكون بمعنى أهمّ . قال في القاموس : « همّه الأمر همّا » حزنه كأهمّه فاهتمّ . انتهى . و « كلّ » منصوب على المفعوليّة و الفاعل « نفسه » . و يقال : « تاه فلان يتيه » إذا تحيّر و ضلّ ، و « تاه يتوه » أي هلك و اضطرب عقله . و « تشتّت » أي تفرّق . و المراد بمن هو أحقّ به عليه السلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حمزة و جعفر و من لم يفارق الحقّ من الصحابة .

و « المراجيح » الحكماء . و قال الجوهريّ : « راجحته فرجحته » أي كنت أوزن منه ، و منه : قوم مراجيح الحلم . انتهى . و « المقاويل » جمع « مقوال » أي حسن القول أو كثيره . و « المتاريك » جمع « متراك » أي كثير الترك . قوله عليه السلام « مضوا قدما » بالضمّ و بضمّتين ، أي متقدّمين لا ينثنون . و « أوجفوا » أي أسرعوا .

و « الكرامة الباردة » الّتي ليس فيها حرّ تعب و لا مشقّة حرب . و « الذيّال » هو الّذي يجرّ ذيله على الأرض تبخترا ، يقال : « أذال فلان و تذيّل » أي تبختر . و « الميّال » الظالم .

قوله عليه السلام « يأكل خضرتكم » أي يستأصل أموالكم ، و « الخضرة » بفتح الخاء و كسر الضاد ، الزرع و البقلة الخضراء و الغصن . و « إذابة الشحمة » مثله كما قيل ،

و المراد تعذيب الأبدان . قوله عليه السلام « إيه أبا وذحة » ، « إيه » كلمة للاستزادة ،

أي زد و هات . و قال ابن أبي الحديد : في قول السيّد : « الوذحة » الخنفساء . أقول : لم أسمع هذا من شيخ من أهل اللغة و لا وجدته في كتاب من كتب اللغة ، و المشهور أنّ الوذح ما يتعلّق بأذناب الشاة من أبعارها فيجفّ . ثمّ إنّ المفسّرين بعد الرضيّ رضي اللّه عنه قالوا في قصّة هذه الخنفساء وجوها :

منها أنّ الحجّاج رأى خنفساء تدبّ إلى مصلاّه فطردها فعادت ، ثمّ طردها فعادت ، فأخذها بيده فقرصته قرصا ورمت يده منها ورما كان فيه حتفه . قتله اللّه

[401]

تعالى بأهون خلقه كما قتل نمرود بن كنعان بالبقّة .

و منها أنّ الحجّاج كان إذا رأى خنفساء يأمر بإبعادها و يقول : هذه وذحة ، من وذح الشيطان تشبيها لها بالبعرة المعلّقة بذنب الشاة . و منها أنّه قد رأى خنفساوات مجتمعات فقال : وا عجبا لمن يقول : إنّ اللّه خلق هذه قيل : فمن خلقها أيّها الأمير ؟ قال :

الشيطان ، إنّ ربّكم لأعظم شأنا من أن يخلق هذه الوذح . قالوا : فجمعها على « فعل » كبدنة و بدن . فنقل قوله هذا إلى الفقهاء في عصره فأكفروه .

منها أنّ الحجّاج كان مثفارا أي ذا ابنة ، و كان يمسك الخنفساء حيّة ليشفي بحركتها في الموضع حكّاكه . قالوا : و لا يكون صاحب هذا الداء إلاّ شانئا مبغضا لأهل البيت عليهم السلام قالوا : و لسنا نقول : كلّ مبغض فيه هذا الداء ، بل كلّ من فيه هذا الداء فهو مبغض . قالوا : و قد روى أبو عمر الزاهد و لم يكن من رجال الشيعة في أماليه و أحاديثه عن السيّاريّ عن أبي خزيمة الكاتب ، قال : ما فتّشنا أحدا فيه هذا الداء إلاّ وجدناه ناصبا . قال أبو عمر : و أخبرني العطافيّ عن رجاله ، قالوا : سئل جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن هذا الصنف من الناس فقال لهم : رحم منكوسة يؤتى و لا يأتي ، و ما كانت هذه الخصلة في وليّ اللّه تعالى أبدا قطّ و لا تكون أبدا ، و إنّما كانت في الفسّاق و الكفّار و الناصب للطاهرين ، و كان أبو جهل بن هشام المخزوميّ من القوم ، و كان أشدّ الناس عداوة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله . قالوا :

و لذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر : يا مصفر إسته . و يغلب على ظنّي أنّه أراد معنى آخر و ذلك أنّ عادة العرب أن تكنّي الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنّة التعظيم كقولهم « أبو الهول ، و أبو المقدام ، و أبو المغوار » ، و إذا أرادت تحقيره و الغضّ منه كنّته بما يستحقر و يستهان به كقولهم في كنية يزيد بن معاوية لعنه اللّه « أبو زنة » يعنون القرد ، و كقولهم في كنية سعيد بن حفص البخاريّ المحدّث أبو الفار ، و كقولهم للطفيلي أبو لقمة ، و كقولهم لعبد الملك أبو الذبّان لبخره ، و كقول ابن بسّام لبعض الرؤساء :

فأنت لعمري أبو جعفر
و لكنّنا نحذف الفاء منه

و قال أيضا :

[402]

لئيم درن الثوب
نظيف القعب و القدر

أبو النتن أبو الدفر
أبو الجعر أبو البعر

فلنجاسته بالذنوب و المعاصي كنّاه أمير المؤمنين عليه السلام « أبا وذحة » .

و يمكن أن يكنّيه بذلك لدمامته في نفسه و حقارة منظره و تشويه خلقته فإنّه كان دميما قصيرا سخيفا أخفش العينين معوج الساقين قصير الساعدين مجدور الوجه أصلع الرأس ،

فكنّاه بأحقر الأشياء و هو البعرة . و قد روى قوم : « إيه أبا ودجة » قالوا : واحدة « الأوداج » كنّاه بذلك لأنّه كان قتّالا يقطع الأوداج بالسيف . و رواه قوم : « أبا وحرة » و هي دويّبة تشبه الحرباء قصيرة الظهر ، شبّهه بها . و هذا و ما قبله ضعيف 481 و أقول : « الذبّان » بكسر الذال و تشديد الباء ، جمع « الذباب » ، و من عادته أن يجلس على المنتن . و « القعب » بالفتح ، القدح الضخم . و « الدفر » بالمهملة ثمّ الفاء ،

النتن و الذلّ ، و بالقاف مصدر « دقر » كفرح إذا امتلأ من الطعام . و « الجعر » بالفتح ، ما يبس من العذرة في المجعر أي الدبر . 482

117 و من كلام له عليه السلام يوبخ البخلاء بالمال و النفس

فلا أموال بذلتموها للّذي رزقها ، و لا أنفس خاطرتم بها للّذي خلقها . تكرمون (1606) باللّه على عباده ، و لا تكرمون اللّه في عباده فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم ، و انقطاعكم عن أوصل

----

(481) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 7 ، ص 279 281 ، ط بيروت .

----

(482) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 688 ، ط كمپاني و ص 636 ، ط تبريز .

إخوانكم

بيان

انتصاب « أموال » بفعل مقدّر دلّ عليه « بذلتموها » ، و كذلك « أنفس » .

و « خاطر فلان بنفسه و بماله » أي ألقاها في الهلكة . « تكرمون باللّه » أي يعزّكم الناس بأنّكم أهل إطاعة اللّه . « و لا تكرمون اللّه » أي لا تطيعونه في الإحسان إلى عباده أو إجراء أحكامه بينهم . 483

118 و من كلام له عليه السلام في الصالحين من أصحابه

أنتم الأنصار على الحقّ ، و الإخوان في الدّين ، و الجنن (1607) يوم البأس (1608) ، و البطانة (1609) دون النّاس . بكم أضرب المدبر ، و أرجو طاعة المقبل . فأعينوني بمناصحة خليّة من الغشّ ، سليمة من الرّيب ،

فو اللّه إنّي لأولى النّاس بالنّاس

بيان

قال ابن أبي الحديد : قاله عليه السلام للأنصار بعد فراغه من حرب الجمل ، ذكره المدائنيّ و الواقديّ في كتابيهما . 484 و « بطانة الرجل » خاصّته و أصحاب سرّه . و « المدبر » من أدبر و أعرض عن الحقّ . قوله عليه السلام « و أرجو » أي من أقبل إليّ إذا رأى أخلاقكم . الحميدة أطاعني بصميم قلبه ، و يمكن أن يراد بالمقبل من كان من شأنه الإقبال و الطاعة . 485

----

(483) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 643 ، ط تبريز .

----

(484) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 7 ، ص 284 ، ط بيروت .

----

(485) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 443 ، ط كمپاني و ص 412 ، ط تبريز .

119 و من كلام له عليه السلام و قد جمع الناس و حضهم على الجهاد فسكتوا مليا

فقال عليه السلام : ما بالكم أ مخرسون أنتم ؟ فقال قوم منهم : يا أمير المؤمنين ، إن سرت سرنا معك .

فقال عليه السلام : ما بالكم لا سدّدتم (1610) لرشد و لا هديتم لقصد أ في مثل هذا ينبغي لي أن أخرج ؟ و إنّما يخرج في مثل هذا رجل ممّن أرضاه من شجعانكم و ذوي بأسكم ، و لا ينبغي لي أن أدع الجند و المصر و بيت المال و جباية الأرض ، و القضاء بين المسلمين ،

و النّظر في حقوق المطالبين ، ثمّ أخرج في كتيبة أتبع أخرى ، أتقلقل تقلقل القدح (1611) في الجفير (1612) الفارغ ، و إنّما أنا قطب الرّحا ،

تدور عليّ و أنا بمكاني ، فإذا فارقته استحار (1613) مدارها ، و اضطرب ثفالها (1614) . هذا لعمر الله الرّأي السّوء . و الله لو لا رجائي الشّهادة عند لقائي العدو و لو قد حمّ (1615) لي لقاؤه لقرّبت ركابي (1616) ثمّ شخصت (1617) عنكم فلا أطلبكم ما اختلف جنوب و شمال ،

طعّانين عيّابين ، حيّادين روّاغين . إنّه لا غناء (1618) في كثرة عددكم مع قلّة اجتماع قلوبكم . لقد حملتكم على الطّريق الواضح الّتي لا يهلك عليها إلاّ هالك (1619) ، من استقام فإلى الجنّة ، و من زلّ فإلى

[405]

النّار

بيان

قال ابن أبي الحديد : قاله عليه السلام في بعض غارات أهل الشام على أطراف العراق عند انقضاء أمر صفّين و النهروان . 486 قوله « مليّا » أي ساعة طويلة . قوله عليه السلام « لا سددتم » بالتخفيف و التشديد دعاء عليهم بعدم السداد . و الاستقامة لما فيه رشدهم و صلاحهم . و « القصد من الأمور » المعتدل الّذي لا يميل إلى أحد طرفي الإفراط و التفريط . و « الشجعاء » جمع « شجيع » ، و في بعض النسخ : « شجعانكم » و هو بالضمّ و الكسر ، جمع « شجاع » . و « البأس » الشجاعة .

و « الكتيبة » القطعة العظيمة من الجيش . و « التقلقل » التحرّك . و « القدح » بالكسر ،

السهم . و « الجفير » الكنانة ، و قيل : وعاء للسهام أوسع من الكنانة ، و الغرض التشبيه في اضطراب الحال و الانفصال عن الجنود و الأعوان بالقدح الّذي لا يكون حوله قداح تمنعه من التقلقل و لا يستقرّ في مكانه . و « استحار مدارها » أي اضطرب ، و المدار ههنا مصدر ، كذا ذكره ابن أبي الحديد ، 487 و لم نجده بهذا المعنى في اللغة .

قال الجوهريّ : « المستحير » سحاب ثقيل متردّد ليس له ريح تسوقه ، فالأنسب أن يكون كناية عن الوقوف عن الحركة . و « الثفال » الجلد الّذي يوضع عليه الرحا ليسقط عليه الدقيق ، و يسمّى الحجر الأسفل من حجري الرحى أيضا ثفالا ، و لعلّه أنسب . قوله عليه السلام « لو قد حمّ لي » على المجهول ، أي قضي و قدّر .

و « الركاب » الإبل الّتي يسار عليها . و « شخوص المسافر » خروجه . و « الاختلاف » التردّد ، و يحتمل المخالفة . و « الغناء » بالفتح و المدّ ، النفع . « لا يهلك عليها » أي كائنا عليها أو بسببها . و الطريق يذكّر و يؤنّث . « من استقام » أي اعتدل و لزم الطريق الواضح . « و من زلّ » أي زلق و عدل عن الطريق . 488

----

(486) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 7 ، ص 287 ، ط بيروت .

----

(487) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 7 ، ص 287 ، ط بيروت .

----

(488) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 689 ، ط كمپاني و ص 637 ، ط تبريز .

120 و من كلام له عليه السلام يذكر فضله و يعظ الناس

تاللّه لقد علّمت تبليغ الرّسالات ، و إتمام العدات (1620) ، و تمام الكلمات . و عندنا أهل البيت أبواب الحكم و ضياء الأمر . أ لا و إنّ شرائع الدّين واحدة ، و سبله قاصدة (1621) . من أخذ بها لحق و غنم ، و من وقف عنها ضلّ و ندم . اعملوا ليوم تذخر له الذّخائر ،

« و تبلى فيه السّرائر » . و من لا ينفعه حاضر لبّه فعازبه (1622) عنه أعجز ،

و غائبه أعوز (1623) . و اتّقوا نارا حرّها شديد ، و قعرها بعيد ، و حليتها حديد ، و شرابها صديد (1624) . أ لا و إنّ اللّسان الصّالح (1625) يجعله اللّه تعالى للمرء في النّاس ، خير له من المال يورثه من لا يحمده .

بيان

قال ابن أبي الحديد : « لقد علّمت تبليغ الرّسالات » إشارة إلى قوله تعالى : يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اَللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اَللَّهَ 489 و إلى قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في قصّة براءة : « لا يؤدّي عنّى إلاّ أنا أو رجل منّي » . و إنّه علم به مواعيد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله التّي وعد بها و إنجازها ، فمنها ما هو وعد لواحد من الناس نحو أن يقول : سأعطيك كذا ، و منها ما هو وعد بأمر سيحدث كأخبار الملاحم و الأمور المتجدّدة ، و فيه إشارة إلى قوله تعالى : رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اَللَّهَ عَلَيْهِ 490 و إلى قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في حقّه

----

(489) الأحزاب : 39 .

----

(490) الأحزاب : 23 .)

عليه السلام « قاضي ديني و منجز عداتي » . و إنّه علّم تمام الكلمات و هو تأويل القرآن و بيانه الّذي يتمّ به ، و فيه إشارة إلى قوله تعالى : وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً 491 و إلى قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله « اللّهمّ اهد قلبه و ثبّت لسانه » . 492 و لعلّ المراد بأبواب « الحكم » بالضمّ أو « الحكم » بكسر الحاء و فتح الكاف على اختلاف النسخ ، الأحكام الشرعيّة ، و بضياء الأمر ، العقائد العقليّة أو بالعكس .

و قال ابن ميثم : لعلّ المراد بشرائع الدين و سبله أهل البيت عليهم السلام فإنّ أقوالهم في الدين واحدة خالية عن الاختلاف .

أقول : و يحتمل أن يكون المراد معناه الظاهر و يكون الغرض نفي الاختلاف في الأحكام بالآراء و المقاييس ، و يظهر منه بطلان إمامة غير أهل البيت كما لا يخفى . قوله عليه السلام « و من لا ينفعه » فيه وجوه :

الأوّل : من لم يعتبر في حياته بلبّه فأولى بأن لا ينتفع به بعد الموت .

الثاني : أنّ المراد من لم يعمل بما فهم و حكم به عقله وقت إمكان العمل فأحرى أن لا ينتفع به بعد انقضاء وقته بل لا يورثه إلاّ ندامة و حسرة .

الثالث : أنّ المراد : من لم يكن له من نفسه واعظ و زاجر و لم يعمل بما فهم و عقل فأحرى بأن لا يرتدع من القبيح بعقل غيره و موعظته له .

و « اللسان الصالح » الذكر الجميل . و « من لا يحمده » وارثه الّذي لا يعدّ ذلك الإيراث فضلا و نعمة . 493

----

(491) الأنعام : 115 .

----

(492) شرح النهج لابن أبي الحديد : ج 7 ، ص 289 ، ط بيروت .

----

(493) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 716 ، ط كمپاني و ص 662 ، ط تبريز .

[408]

121 و من خطبة له عليه السلام بعد ليلة الهرير

و قد قام إليه رجل من أصحابه فقال : نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها ، فلم ندر أي الأمرين أرشد ؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال :

هذا جزاء من ترك العقدة (1626) أ ما و اللّه لو أنّي حين أمرتكم به حملتكم على المكروه الّذي يجعل اللّه فيه خيرا ، فإن استقمتم هديتكم و إن اعوججتم قوّمتكم ، و إن أبيتم تداركتكم ، لكانت الوثقى ،

و لكن بمن و إلى من ؟ أريد أن أداوي بكم و أنتم دائي ، كناقش الشّوكة بالشّوكة ، و هو يعلم أنّ ضلعها (1627) معها اللّهمّ قد ملّت أطبّاء هذا الدّاء الدّويّ (1628) ، و كلّت (1629) النّزعة بأشطان الرّكيّ (1630) أين القوم الّذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه ، و قرؤوا القرآن فأحكموه ،

و هيجوا إلى الجهاد فولهوا و له اللّقاح (1631) إلى أولادها ، و سلبوا السّيوف أغمادها ، و أخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا ، و صفّا صفّا .

بعض هلك ، و بعض نجا . لا يبشّرون بالأحياء (1632) ، و لا يعزّون عن الموتى (1633) . مرة (1634) العيون من البكاء ، خمص البطون (1635) من الصّيام ، ذبل (1636) الشّفاه من الدّعاء ، صفر الألوان من السّهر . على وجوههم غبرة الخاشعين . أولئك إخواني الذّاهبون . فحقّ لنا أن نظمأ

[409]

إليهم ، و نعضّ الأيدي على فراقهم . إنّ الشّيطان يسنّي لكم طرقه (1637) ،

و يريد أن يحلّ دينكم عقدة عقدة ، و يعطيكم بالجماعة الفرقة ،

و بالفرقة الفتنة . فاصدفوا (1638) عن نزغاته (1639) و نفثاته ، و اقبلوا النّصيحة ممّن أهداها إليهم ، و اعقلوها (1640) على أنفسكم .

بيان

كأنّ المراد بأحكام القرآن حفظ الألفاظ عن التحريف و التدبّر في معناه و العمل بمقتضاه . و « أهاجه » أثاره ، و المراد به تحريصهم و ترغيبهم إليه . و « الوله » بالتحريك ، ذهاب العقل و التحيّر من شدّة الوجد من حزن أو فرح ، و قيل : هو شدّة الحبّ ، يقال : « وله » كفرح و كوعد على قلّة ، و « الوله إلى الشيء » الاشتياق إليه .

و « اللقاح » ككتاب الابل أو الناقة ذات اللبن و « اللقوح » واحدتها . و الحاصل أنّهم اشتاقوا إلى الحرب بعد الترغيب اشتياق اللقاح إلى أولادها . و في بعض النسخ :

« فولّهوا اللقاح أولادها » قيل : أي جعلوا اللقاح والهة إلى أولادها بركوبهم إيّاها عند خروجهم إلى الجهاد . و قوله عليه السلام « أولادها » نصب باسقاط الجارّ إذ الفعل أعني « وله » غير متعدّ إلى مفعولين بنفسه ، و « الغمد » بالكسر ، جفن السيف .

« و أخذوا بأطراف الأرض » أي أخذوا الأرض بأطرافها ، كما قيل ، أو أخذوا على الناس بأطراف الأرض ، أي حصروهم ، يقال لمن استولى على غيره و ضيّق عليه : قد أخذ عليه بأطراف الأرض ، قال الفرزدق :

أخذنا بأطراف السماء عليكم
لنا قمراها و النجوم الطوالع

و قيل : المعنى : أخذوا أطراف الأرض ، من قبيل أخذت بالخطام ، و يحتمل أن يكون المراد : شرعوا في الجهاد في أطراف الأرض و المواطن البعيدة . و « الزحف » الجيش يزحفون إلى العدوّ أي يمشون ، و مصدر ، يقال : « زحف إليه كمنع زحفا » إذا مشى نحوه ، و « الصفّ » واحد « الصفوف » ، و يمكن مصدرا ، و « زحفا زحفا » أي زحفا بعد زحف متفرّقين في الأطراف و كذلك « صفّا صفّا » و النصب على الحاليّة نحو جاؤوني

[410]

رجلا رجلا ، و قيل : « زحفا » منصوب على المصدر المحذوف الفعل ، أي يزحفون زحفا ،

و الثانية تأكيد للأولى ، و كذلك قوله « صفّا صفّا » .

و قوله عليه السلام « بعض هلك و بعض نجا » إشارة إلى قوله تعالى :

فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً . 494 و « العزاء » الصبر أو حسن الصبر و « عزّيته تعزية » أي قلت له : أحسن اللّه عزاك ، أي رزقك الصبر الحسن ، و هو اسم من ذلك نحو « سلّم سلاما » قال ابن ميثم رحمه اللّه 495 : المعنى أنّهم لمّا قطعوا العلائق الدنيويّة ، إذا ولد لأحدهم مولود لم يبشّر به ، و إذا مات منهم أحد لم يعزّوا عنه و كانت نسخته موافقة لما نقلنا . و في بعض النسخ : « لا يعزّون عن القتلى » موافقا لما في نسخة ابن أبي الحديد ، قال : أي لشدّة ولههم إلى الجهاد لا يفرحون ببقاء حيّهم حتّى يبشّروا به ، و لا يحزنون لقتل قتيلهم حتّى يعزّوا به . 496 « مره العيون » يقال : « مرهت عينه » كفرح أي فسدت لترك الكحل ،

و المراد هنا مطلق الفساد . و « خمص البطن » مثلّثة الميم ، أي خلا ، و « خمص الرجل خمصا » كقرب أي جاع . و « ذبل الشيء ذبولا » كقعد ذهبت نداوته و قلّ ماؤه . و « السهر » بالتحريك ، عدم النوم في الليل كلّه أو بعضه . و « الغبرة » بالتحريك ،

الغبار و الكدورة . « فحقّ لنا أن نفعل » على صيغة المجهول كما في أكثر النسخ ، و حققت أن تفعل كذا كعلمت و « هو حقيق به » أي خليق جدير ، و في بعض النسخ على صيغة المعلوم . و « ظميء كفرح ظمأ » بالتحريك ، أي عطش ، و قيل : « الظمأ » أشدّ العطش ، و « ظميء إليه » أي اشتاق . و « عضضت عليه و عضضته » كسمع و في لغة كمنع أي مسكته بأسناني . 497

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة :] إيضاح

قوله عليه السلام « هذا جزاء من ترك العقدة » أي الرأي

----

(494) الأحزاب : 23 .

----

(495) شرح النهج لابن ميثم ، ج 3 ، ص 117 ، ط بيروت .

----

(496) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 7 ، ص 295 ، ط بيروت .

----

(497) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 69 ، كتاب الإيمان و الكفر ، ص 308 310 .

[411]

و الحزم ، قيل : مراده عليه السلام : هذا جزاؤكم حين تركتم الرأي الأصوب ،

فيكون « هذا » إشارة إلى حيرتهم التي يدلّ عليها قولهم « فما ندري أي الأمرين أرشد » ،

فيكون ترك العقدة منهم ، لا منه عليه السلام و يمكن حمله على ظاهره الألصق بقوله عليه السلام بعد ذلك « حملتكم على المكروه الخ » . و لا يلزم خطاؤه عليه السلام كما توهّمه الخوارج بأن يكون المراد : كان هذا جزائي حين تركت العقدة ، أي هذا ممّا يترتّب على ترك العقدة و إن كان تركها اضطرارا لا اختيارا و لا عن فساد رأي كما يدلّ عليه صريح قوله عليه السلام بعد ذلك « و لكن بمن و إلى من ؟ » ،

فإنّ ترك الأصلح إذا لم يمكن العمل بالأصلح ممّا لا فساد فيه ، و لا ريب في عدم إمكان حربه عليه السلام بعد رفعهم المصاحف و افتراق الصحابة .

قوله عليه السلام « على المكروه » أي الحرب ، إشارة إلى قوله تعالى :

فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً . 498 و المكروه مكروه لهم ، لا له عليه السلام . « و إن اعوججتم » لعلّ المراد بالاعوجاج اليسير من العصيان لا الإباء المطلق ، و بالتقويم الإرشاد و التحريض و التشجيع ، و بالإباء الإباء المطلق ، و بالتدارك الاستنجاد بغيرهم من قبائل العرب و أهل الحجاز و خراسان فإنّ كلّهم كانوا من شيعته عليه السلام كما ذكره ابن أبي الحديد .

قوله عليه السلام « و لكن بمن ؟ » أي بمن أستعين في هذا الأمر الّذي لا بدّ له من ناصر و معين ، و « إلى من ؟ » أرجع في ذلك . قوله عليه السلام « كناقش الشوكة » هذا مثل للعرب : « لا تنقش الشوكة بالشوكة فإنّ ضلعها معها » أي إذا استخرجت الشوكة بمثلها فكما أنّ الأولى انكسرت في رجلك و بقيت في لحمك كذلك تنكسر الثانية . « فإنّ ضلعها » بالتحريك ، أي ميلها معها ، أي طباع بعضكم يشبه طباع بعض و يميل إليها كما تميل الشوكة إلى مثلها . و قال في النهاية : « نقش الشوكة » إذا استخرجها من جسمه ، و به سمّي المنقاش الّذي ينقش به .

و « الداء الدويّ » الشديد ، من « دوي » إذا مرض . و « النزعة » جمع « نازع »

----

(498) النساء : 19 .

[412]

و هو الّذي يستقى الماء . و « الشطن » هو الحبل . و « الركيّ » جمع « الركيّة » و هي البئر ،

كأنّهم عن المصلحة في قعر بئر عميق ، و كلّ عليه السلام من جذبهم إليه ، أو شبّه عليه السلام وعظه لهم و قلّة تأثيره فيهم بمن يستقي من بئر عميقة لأرض وسيعة و عجز عن سقيها . قوله عليه السلام « فولهوا اللقاح » ، « اللقاح » بكسر اللام ، الابل ، الواحدة « لقوح » و هي الحلوب ، أي جعلوا اللقاح والهة إلى أولادها بركوبهم إيّاها عند خروجهم إلى الجهاد ، و في بعض النسخ : فولهوا وله اللّقاح إلى أولادها . و « الوله إلى الشيء » الاشتياق إليه . و « أخذوا بأطراف الأرض » أي أخذوا الأرض بأطرافها كما قيل ، أو أخذوا على النّاس بأطراف الأرض ، أي حصروهم ، يقال لمن استولى على غيره و ضيّق عليه : قد أخذ عليه بأطراف الأرض ، و « أخذوا أطرافها » من قبيل أخذت بالخطام .

و « الزحف » الجيش يزحفون إلى العدوّ أي يمشون ، و يكون مصدرا كالصفّ ،

و نصبهما على الحاليّة ، أي زحفا بعد زحف ، و صفّا بعد صفّ في الأطراف ، أو المصدريّة ،

أي يزحفون زحفا . قوله عليه السلام « لا يبشّرون » أي لشدّة ولههم إلى الجهاد لا يفرحون ببقاء حيّهم حتّى يبشّروا به ، و لا يحزنون لقتل قتيلهم حتّى يعزّوا به ، أو لمّا قطعوا العلائق الدنيويّة إذا ولد لأحدهم مولود لم يبشّر به ، و إذا مات منهم أحد لم يعزّوا عنه ، و الأوّل أظهر لا سيّما على نسخة « القتلى » .

و قال في النهاية : « المره » مرض في العين لترك الكحل و قال : « الخمص » الجوع و المجاعة ، و « رجل خمص » إذا كان ضامر البطن . و « ذبل » أي قلّ ماؤه و ذهبت نضارته .

و قال الجوهريّ : يقال : « حقّ لك أن تفعل » أي خليق بك ، و قال : « سنّاه » أى فتحه و سهّله . و يقال : « صدف عن الأمر » أي انصرف عنه . و « نزغ الشيطان بينهم » أي أفسد و أغرى . و « نفثاته » وساوسه الّتي ينفث بها . 499

----

(499) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 605 ، ط كمپاني و ص 557 ، ط تبريز .

[413]

122 و من كلام له عليه السلام قاله للخوارج ، و قد خرج إلى معسكرهم و هم مقيمون على إنكار الحكومة ، فقال عليه السلام :

أ كلّكم شهد معنا صفّين ؟ فقالوا : منّا من شهد و منّا من لم يشهد .

قال : فامتازوا فرقتين ، فليكن من شهد صفّين فرقة ، و من لم يشهدها فرقة ، حتّى أكلّم كلاّ منكم بكلامه . و نادى النّاس ، فقال :

أمسكوا عن الكلام ، و أنصتوا لقولي ، و أقبلوا بأفئدتكم إليّ ، فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها . ثمّ كلّمهم عليه السّلام بكلام طويل ، من جملته أن قال عليه السّلام :

أ لم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة و غيلة ، و مكرا و خديعة :

إخواننا و أهل دعوتنا ، استقالونا و استراحوا إلى كتاب اللّه سبحانه ،

فالرّأي القبول منهم و التّنفيس عنهم ؟ فقلت لكم : هذا أمر ظاهره إيمان ، و باطنه عدوان ، و أوّله رحمة ، و آخره ندامة . فأقيموا على شأنكم ، و الزموا طريقتكم ، و عضّوا على الجهاد بنواجذكم ، و لا تلتفتوا إلى ناعق نعق . إن أجيب أضلّ ، و إن ترك ذلّ . و قد كانت هذه الفعلة ، و قد رأيتكم أعطيتموها . و اللّه لئن أبيتها ما وجبت عليّ فريضتها ، و لا حمّلني اللّه ذنبها . و و اللّه إن جئتها إنّي للمحقّ الّذي

[414]

يتّبع ، و إنّ الكتاب لمعي ، ما فارقته مذ صحبته . فلقد كنّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، و إنّ القتل ليدور على الآباء و الأبناء و الإخوان و القرابات ، فما نزداد على كلّ مصيبة و شدّة إلاّ إيمانا ،

و مضيّا على الحقّ ، و تسليما للأمر ، و صبرا على مضض الجراح .

و لكنّا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزّيغ و الاعوجاج ، و الشّبهة و التّأويل . فإذا طمعنا في خصلة (1641) يلمّ اللّه بها شعثنا (1642) ، و نتدانى بها (1643) إلى البقيّة فيما بيننا ، رغبنا فيها ، و أمسكنا عمّا سواها . احتجاج : « أ لم تقولوا » إلى آخر الكلام مثله .

توضيح

قوله عليه السلام « بكلامه » أي بالكلام الّذي يليق به . و قال في النهاية فيه : « نشدتك اللّه و الرحم » أي سألتك باللّه و بالرحم . و قال الجوهريّ :

« الغيلة » بالكسر ، الخديعة . و « نفّس تنفيسا » فرّج تفريجا . « أوّله رحمة » لأنّه كان وسيلة إلى حقن الدماء . و « الفعلة » بالفتح ، المرّة من الفعل ، و المراد بها الرضا بالحكومة .

و « فريضتها » ما وجب بسببها و ترتّب عليها . و « إنّ الكتاب لمعي » أي لفظا و معنى .

و « المضض » وجع المصيبة . قوله عليه السلام « إلى البقيّة » أي إلى بقاء ما بقي فيما بيننا من الإسلام كما ذكره ابن ميثم . و الأظهر عندي أنّه من الإبقاء بمعنى الرحم و الإشفاق و الإصلاح كما في الصحيفة : « لا تبقى على من تضرّع إليها » ، و قال في القاموس : « أبقيت ما بيننا » لم أبالغ في إفساده و الاسم « البقيّة » . و اولو بقيّة ينهون عن الفساد أي إبقاء . و قال ابن أبي الحديد 500 : هذا الكلام ليس يتلو بعضه بعضا ، و لكنّه ثلاثة فصول لا يلتصق أحدها بالآخر ، آخر الفصل الأوّل قوله عليه السلام « و إن ترك

----

(500) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 7 ، ص 298 ، ط بيروت .

ذلّ » و آخر الفصل الثّاني قوله « على مضض الجراح » و الفصل الثّالث ينتهي آخر الكلام . 501

123 و من كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في ساحة الحرب بصفين

و أيّ امرىء منكم أحسّ من نفسه رباطة جأش (1644) عند اللّقاء ،

و رأى من أحد من إخوانه فشلا (1645) فليذبّ (1646) عن أخيه بفضل نجدته (1647) الّتي فضّل بها عليه كما يذبّ عن نفسه ، فلو شاء اللّه لجعله مثله . إنّ الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ، و لا يعجزه الهارب . إنّ أكرم الموت القتل و الّذي نفس ابن أبي طالب بيده ،

لألف ضربة بالسّيف أهون عليّ من ميتة على الفراش في غير طاعة اللّه و منه : و كأنّي أنظر إليكم تكشّون كشيش الضّباب (1648) : لا تأخذون حقّا ، و لا تمنعون ضيما . قد خلّيتم و الطّريق ، فالنّجاة للمقتحم ، و الهلكة للمتلوّم (1649) .

تبيين

قوله عليه السلام « أحسّ من نفسه » أي علم و وجد . و « رباطة الجأش » شدّة القلب . و « الذبّ » الدّفع . و « النجدة » الشجاعة . « كما يذبّ عن نفسه » أي بنهاية الاهتمام و الجدّ . « لجعله مثله » أي مثل أخيه في الجبن أو أخاه مثله في الشجاعة . و « الحثيث » السّريع . و « المقيم للموت » الراضي به كما أنّ الهارب عنه الساخط له . « أهون من ميتة » إمّا مطلقا أو عنده عليه السلام لما يعلم ما فيه من

----

(501) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 607 ، ط كمپاني و ص 559 ، ط تبريز .

الدرجات . و قال في النهاية : « كشيش الأفعيّ » صوت جلدها إذا تحرّكت ، و قد كشّت تكشّ ، و ليس صوت فمها لأنّ ذلك فحيحها . و منه حديث عليّ عليه السلام :

كأنّي أنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب .

و قال ابن أبي الحديد : 502 أي كأنّكم لشدّة خوفكم و اجتماعكم من الجبن كالضباب المجتمعة الّتي تحكّ بعضها بعضا . قال الراجز :

كشيش أفعيّ أجمعت لعضّ
و هي تحكّ بعضها ببعض

و « اقتحم عقبة أو وهدة » رمى بنفسه فيها . و « التلوّم » الانتظار و التوقّف . 503

124 و من كلام له عليه السلام في حث أصحابه على القتال

فقدّموا الدّارع (1650) ، و أخّروا الحاسر (1651) ، و عضّوا على الأضراس ،

فإنّه أنبى (1652) للسّيوف عن الهام (1653) ، و التووا (1654) في أطراف الرّماح ،

فإنّه أمور (1655) للأسنّة ، و غضّوا الأبصار فإنّه أربط للجأش ، و أسكن للقلوب ، و أميتوا الأصوات ، فإنّه أطرد للفشل . و رايتكم فلا تميلوها و لا تخلّوها ، و لا تجعلوها إلاّ بأيدي شجعانكم ، و المانعين الذّمار (1656) منكم ، فإنّ الصّابرين على نزول الحقائق (1657) هم الّذين يحفّون براياتهم (1658) ، و يكتنفونها (1659) : حفافيها (1660) ، و وراءها ،

----
(502) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 7 ، ص 304 ، ط بيروت .

----
(503) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 626 ، ط كمپاني و ص 576 ، ط تبريز .

و أمامها ، لا يتأخّرون عنها فيسلموها ، و لا يتقدّمون عليها فيفردوها .

أجزأ امرؤ قرنه (1661) ، و آسى أخاه بنفسه ، و لم يكل قرنه إلى أخيه (1662) فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه . و ايم اللّه لئن فررتم من سيف العاجلة ، لا تسلموا من سيف الآخرة ، و أنتم لهاميم (1663) العرب ،

و السّنام الأعظم . إنّ في الفرار موجدة (1664) اللّه ، و الذّلّ اللاّزم ، و العار الباقي . و إنّ الفارّ لغير مزيد في عمره ، و لا محجوز بينه و بين يومه .

من الرّائح إلى اللّه كالظّمآن يرد الماء ؟ الجنّة تحت أطراف العوالي (1665) اليوم تبلى الأخبار (1666) و اللّه لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم .

اللّهمّ فإن ردّوا الحقّ فافضض جماعتهم ، و شتّت كلمتهم ، و أبسلهم بخطاياهم (1667) . إنّهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك (1668) :

يخرج منهم النّسيم ، و ضرب يفلق الهام ، و يطيح العظام ، و يندر (1669) السّواعد و الأقدام ، و حتّى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر (1670) ، و يرجموا بالكتائب (1671) تقفوها الحلائب (1672) ، و حتّى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس ، و حتّى تدعق (1673) الخيول في نواحر أرضهم ،

و بأعنان (1674) مساربهم (1675) و مسارحهم . قال السيد الشريف : أقول : الدّعق : الدّقّ ، أي تدقّ الخيول بحوافرها أرضهم . و نواحر أرضهم : متقابلاتها . و يقال : منازل بني فلان تتناحر ،

أي تتقابل .

تبيين

قوله عليه السلام « أجزأ امرؤ » قال ابن أبي الحديد 504 : من الناس من يجعل هذا أو نحوه أمرا بلفظ الماضي ، كالمستقبل في قوله تعالى وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ 505 و منهم من قال : معنى ذلك هلاّ أجزأ ، فيكون تحضيضا محذوف الصيغة للعلم بها . و « أجزأ » أي كفى . و « قرنك » مقارنك في القتال و نحوه . و « آسى أخاه بنفسه » بالهمزة ، أي جعله أسوة لنفسه ، و يجوز « واسيت زيدا » بالواو ، و هي لغة ضعيفة . و « الموجدة » الغضب و السخط . قوله عليه السلام و « الذلّ اللازم » قيل :

يروى : « اللاذم » بالذال المعجمة ، بمعناه . و « الرائح » المسافر وقت الرواح أو مطلقا كما قاله الأزهريّ ، و يناسب الأوّل ما مرّ من أنّ قتاله عليه السلام غالبا بعد الزوال .

قوله عليه السلام « تحت أطراف العوالي » يحتمل أن يكون المراد بالعوالي الرماح ، قال في النهاية : « العالية » ما يلي السنان من الرمح و الجمع « العوالي » ، أو السيوف كما يظهر من ابن أبي الحديد ، فيحتمل أن يكون من « علا يعلو » إذا ارتفع ، أي السيوف الّتي تعلو فوق الرؤوس ، أو من « علوته بالسيف » إذا ضربته به ، و يؤيّده قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله : « الجنّة تحت ظلال السيوف » . قوله عليه السلام « تبلى الأخبار بالبآء الموحّدة ، أي تختبر الأفعال و الأسرار كما قال تعالى : وَ نَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ 506 ، و في بعض النسخ بالياء المثنّاة التحتانيّة ، أي تمتاز الأخيار من الأشرار .

قوله عليه السلام « إلى لقائهم » أي الأعداء لقتالهم . و « الفضّ » التفريق .

و « أبسلت فلانا » أسلمته إلى الهلكة . قوله عليه السلام « طعن دراك » أي متتابع يتلو بعضه بعضا . و « يخرج منه النسيم » أي لسعته ، و روي : « النسم » أي طعن يخرق الجوف بحيث يتنفّس المطعون من الطعنة ، و روي : « القشم » بالقاف و الشين المعجمة و هو اللحم و الشحم . و « الفلق » الشقّ . و « طاح الشيء » سقط أو هلك أو تاه في الأرض ، و « أطاحه » غيره و « أندره » أسقطه . و قال ابن أبي الحديد ، يمكن أن يفسّر النواحر بأمر آخر و هو أن يراد به أقاصي أرضهم ، من قولهم لآخر ليلة من الشهر

----

(504) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 8 ، ص 5 ، ط بيروت .

----

(505) البقرة : 233 .

----

(506) محمّد : 31 .

« ناحرة » . و قد مرّ تفسير بعض أجزاء الخطبة في مواضعها . 507

125 و من كلام له عليه السلام في التحكيم و ذلك بعد سماعه لأمر الحكمين

إنّا لم نحكّم الرّجال ، و إنّما حكّمنا القرآن . هذا القرآن إنّما هو خطّ مستور بين الدّفّتين (1676) ، لا ينطق بلسان ، و لا بدّ له من ترجمان . و إنّما ينطق عنه الرّجال . و لمّا دعانا القوم إلى أن نحكّم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولّي عن كتاب اللّه سبحانه و تعالى ،

و قد قال الله سبحانه : فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه ، و ردّه إلى الرّسول أن نأخذ بسنّته ،

فإذا حكم بالصّدق في كتاب الله ، فنحن أحقّ النّاس به ، و إن حكم بسنّة رسول الله صلّى الله عليه و آله ، فنحن أحقّ النّاس و أولاهم بها .

و أمّا قولكم : لم جعلت بينك و بينهم أجلا في التّحكيم ؟ فإنّما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل ، و يتثبت العالم ، و لعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمّة ، و لا تؤخذ بأكظامها (1677) ، فتعجل عن تبيّن الحقّ ، و تنقاد الأوّل الغيّ . إنّ أفضل النّاس عند الله من كان العمل

----
(507) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 625 ، ط كمپاني ، ص 576 ، ط تبريز .

[420]

بالحقّ أحبّ إليه و إن نقصه و كرثه (1678) من الباطل و إن جرّ إليه فائدة و زاده . فأين يتاه بكم و من أين أتيتم استعدّوا للمسير إلى قوم حيارى عن الحقّ لا يبصرونه ، و موزعين بالجور (1679) لا يعدلون (1680) به ، جفاة عن الكتاب ، نكب (1681) عن الطّريق . ما أنتم بوثيقة (1682) يعلق بها ، و لا زوافر (1683) عزّ يعتصم إليها . لبئس حشّاش (1684) نار الحرب أنتم أفّ لكم لقد لقيت منكم برحا (1685) ،

يوما أناديكم و يوما أناجيكم ، فلا أحرار صدق عند النّداء (1686) ، و لا إخوان ثقة عند النّجاء (1687)

توضيح

قوله عليه السلام « أن نحكّم » حاصل الجواب : إنّا لم نرض بتحكيم الرجلين مطلقا ، بل على تقدير حكمهما بالصدق في الكتاب و السنّة لأنّ القوم دعونا إلى تحكيم القرآن لا تحكيم الرجلين ، و إنّما رضينا بتحكيم الرجلين لحاجة القرآن إلى الترجمان ، فالحاكم حقيقة هو القرآن لا الرجلان ، فإذا خالف الرجلان حكم الكتاب و السنّة لم يجب علينا قبول قولهما ، مع أنّ رضاه عليه السلام كان اضطرارا كما عرفت مرارا . قوله عليه السلام « فإذا حكم بالصدق » أي إذا حكم بالصدق في الكتاب و السنّة فيجب أن يحكم بخلافتنا لأنّا أحقّ الناس بالكتاب و السنّة ، أو إذا حكم بالصدق فيهما فنحن أولى الناس باتباع حكمهما ، فعدم اتّباعنا لعدم حكمهم بالصدق و إلاّ لاتّبعناه ، أو إذا حكم بالصدق فيهما فنحن أحقّ النّاس بهذا الحكم فيجب عليهم اتّباع قولنا ، لا علينا اتّباع قولهم . و الضمير في قوله « أحقّ الناس به » عائد إلى الكتاب أو إلى الله أو إلى الحكم ، و في « أولاهم به » [508] إلى الرسول أو إلى الحكم .

[508] و روي : « و لا تؤخذ بأكظامها » فحينئذ يرجع الضمير المؤنّث المستتر فيه إلى السنّة .

[421]

قوله عليه السلام « ليتبيّن الجاهل » أي ليظهر للجاهل وجه الحقّ ، و التبيّن يكون لازما و متعدّيا . « و يتثبّت العالم » بدفع الشبهة و يطمئن قلبه . قوله عليه السلام « و لا يؤخذ بأكظامها » معطوف على « يتبيّن » ، و قال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام : « بأكظامها » هي جمع « كظم » بالتحريك ، و هو مخرج النفس من الحلق . و « أوّل الغيّ » هو أوّل شبهة عرضت لهم من رفع المصاحف . و « كرثه الغمّ و أكرثه » أي اشتدّ عليه و بلغ منه المشقّة . و « تاه يتيه تيها » تحيّر و ضلّ أو تكبّر . و « من أين أتيتم » أي هلكتم ، أو دخل عليكم الشيطان و الشبهة و الحيلة . و قال الجوهريّ : « أوزعته بالشيء » أغريته به . « لا يعدلون به » أي ليس للجور عندهم عديل ، و يروى :

« لا يعدلون عنه » أي لا يتركونه إلى غيره . و « الجفاء » البعد عن الشيء . و « نكب عن الطريق ينكب نكوبا » عدل . « ما أنتم بوثيقة » أي بعروة وثيقة ، أو بذوي وثيقة ،

و « الوثيقة » الثقة . و « علق بالشيء كفرح و تعلّق به » أي نشب و استمسك .

و « زافرة الرجل » أنصاره و خاصّته . و « الحشّاش » بضمّ الحآء و تشديد الشين ، جمع « حاشّ » و هو الموقد للنار ، و كذلك « الحشاش » بالكسر و التخفيف ، و قيل : هو ما يحشّ به النار أي يوقد . و « البرح » الشدّة ، و في بعض النسخ بالتآء و هو الحزن . « يوما أناديكم » أي جهرا ، و « يوما أناجيكم » أي سرّا . « فلا أحرار » أي لا تنصرون و لا تحمون . « و لا إخوان ثقة » أي لا تكتمون السر و لا تعملون بلوازم الإخاء . 509] و قوله عليه السلام « النجاء » هو الإفضاء بالسر و التكلّم مع شخص بحيث لا يسمع الآخر .]

126 و من كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء

أ تأمرونّي أن أطلب النّصر بالجور فيمن ولّيت عليه و الله لا

----

(509) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 607 ، ط كمپاني و ص 559 ، ط تبريز .

أطور (1688) به ما سمر سمير (1689) و ما أمّ (1690) نجم في السّماء نجما لو كان المال لي لسوّيت بينهم ، فكيف و إنّما المال مال الله ألا و إنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير و إسراف ، و هو يرفع صاحبه في الدّنيا و يضعه في الآخرة ، و يكرمه في النّاس و يهينه عند الله . و لم يضع امرؤ ماله في غير حقّه و لا عند غير أهله إلاّ حرمه الله شكرهم ، و كان لغيره و دهم . فإن زلّت به النّعل يوما فاحتاج إلى معونتهم فشمر خليل و الأم خدين (1691)

إيضاح

قوله عليه السلام « أ تأمرونّي » أصله « تأمرونني » فأسكنت الأولى و أدغمت . « لا أطور به » أي لا أقر به أبدا و لا أدور حوله . و في القاموس :

« السمر » محرّكة ، الليل و حديثه و ما أفعله ، « ما سمر السمير » أي ما اختلف الليل و النهار . و « ما أمّ نجم » أي قصد أو تقدّم لأنّ النجوم لا تزال يتبع بعضها بعضا فلا بدّ فيها من تقدّم و تأخّر ، و لا يزال يقصد بعضها بعضا . « فإن زلت به النعل » أي إذا عثر و افتقر .

و « الخدين » الصديق . 510

127 و من كلام له عليه السلام و فيه يبين بعض أحكام الدين و يكشف للخوارج الشبهة و ينقض حكم الحكمين

فإن أبيتم إلاّ أن تزعموا أنّي أخطأت و ضللت ، فلم تضلّلون عامّة أمّة محمّد صلّى الله عليه و آله ، بضلالي ، و تأخذونهم بخطئي ،

----

(510) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 400 ، ط كمپاني و ص 375 ، ط تبريز .

و تكفّرونهم بذنوبي سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء و السّقم ، و تخلطون من أذنب بمن لم يذنب . و قد علمتم أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله رجم الزّاني المحصن ، ثمّ صلّى الله عليه ، ثمّ ورّثة أهله و قتل القاتل و ورّث ميراثه أهله . و قطع السّارق و جلد الزّاني غير المحصن ، ثمّ قسم عليهما من الفيء ، و نكحا المسلمات ،

فأخذهم رسول الله صلّى الله عليه و آله بذنوبهم ، و أقام حقّ الله فيهم ، و لم يمنعهم سهمهم من الإسلام ، و لم يخرج أسماءهم من بين أهله . ثمّ أنتم شرار النّاس ، و من رمى به الشّيطان مراميه ،

و ضرب به تيهه (1692) و سيهلك فيّ صنفان : محبّ مفرط يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ ، و مبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ ،

و خير النّاس فيّ حالا النّمط الأوسط فالزموه ، و الزموا السّواد الأعظم فإنّ يد اللّه مع الجماعة . و إيّاكم و الفرقة فإنّ الشّاذّ من النّاس للشّيطان ، كما أنّ الشّاذّ من الغنم للذّئب .

أ لا من دعا إلى هذا الشّعار (1693) فاقتلوه ، و لو كان تحت عمامتي هذه ،

فانّما حكّم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن ، و يميتا ما أمات القرآن ،

و إحياوه الاجتماع عليه ، و إماتته الافتراق عنه . فإن جرّنا القرآن إليهم اتّبعناهم ، و إن جرّهم إلينا اتّبعونا . فلم آت لا أبا لكم

[424]

بجرا (1694) ، و لا ختلتكم (1695) عن أمركم ، و لا لبّسته عليكم ، إنّما اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين ، أخذنا عليهما ألاّ يتعدّيا القرآن ، فتاها عنه ، و تركا الحقّ و هما يبصرانه ، و كان الجور هواهما فمضيا عليه . و قد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل ، و الصّمد (1696) للحقّ سوء رأيهما ، و جور حكمهما :

توضيح

غرضه عليه السلام رفع شبهتهم لعنهم اللّه في الحكم بكفر أصحاب الكبائر مطلقا ، و لذا كفّروه صلوات اللّه عليه للرضا بالتحكيم ، فاحتجّ عليهم بأنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله لم يخرج أصحاب الكبائر من الاسلام و أجرى فيهم أحكام المسلمين فأبطل بذلك ما زعموا أنّ الدار دار كفر لا يجوز الكفّ عن أحد من أهلها ، و قتلوا الناس حتّى الأطفال ، و قتلوا البهائم أيضا لذلك . و « السواد » العدد الكثير ، و الجماعة من الناس . و « يد اللّه » كناية عن الحفظ و الدفاع ، أي أنّ الجماعة المجتمعين على إمام الحقّ في كنف اللّه و حفظه ، و ما استدلّ به على العمل بالمشهورات و الاجماعات الغير الثابت دخول المعصوم فيها ، فلا يخفى و هنه لورود الأخبار المتكاثرة و دلالة الآيات المتظافرة على أنّ أكثر الخلق على الضلال و الحقّ مع القليل و كأنّ « هذا الشعار » إشارة إلى قولهم « لا حكم إلا للّه » و « لا حكم إلاّ اللّه » و قيل : كان شعارهم أنّهم كانوا يحلقون وسط رؤوسهم ، و يبقون الشعر مستديرا حوله كالاكليل ، و قيل : هو مفارقة الجماعة و الاستبداد بالرأي . « و لو كان تحت عمامتي » أي و لو اعتصم بأعظم الأشياء حرمة ، و قيل : كنّى بها عن أقصى القرب من عنايته ، و قيل : أراد : و لو كان الداعي أنا .

و أقول : قد مضى تمام الكلام مشروحا في كتاب الفتن . 511 [هذا بيان آخر في شرح الكلام :]

----

(511) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 68 ، كتاب الإيمان و الكفر ، ص 289 .

[425]

إيضاح

قوله عليه السلام « و ضللت » بكسر اللام و فتحها . أقول : لمّا قالت الخوارج لعنهم اللّه : إنّ الدار دار كفر لا يجوز الكفّ عن أحد من أهلها قتلوا الناس حتّى الأطفال ، و قتلوا البهائم ، و ذهبوا إلى تكفير أهل الكبائر مطلقا ، و لذا كفّروا أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه و من تبعه على تصويب التحكيم ، فلذا احتجّ عليه السلام بأنّه لو كان صاحب الكبيرة كافرا لما صلّى عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لا ورّثه من المسلم ، و لا مكنه من نكاح المسلمات ، و لا قسم عليهم من الفيء و لا خروجه من لفظ الإسلام .

و قوله عليه السلام « و ورّث ميراثه » يدلّ ظاهرا على عدم إرث المسلم من الكافر ، و لعلّه إلزام عليهم . قوله عليه السلام « و نكحا » أي السارق و الزاني المسلمات و لم يمنعهما رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من ذلك . قوله عليه السلام

« من بين أهله » أي أهل الإسلام . و « مرامي الشيطان » طرق الضلال الّتي يسوق الإنسان إليها بوساوسه . و « ضرب به تيهه » أي وجّهه إليه من « ضربت في الأرض » إذا سافرت ، و البآء للتعدية . و « التيه » بالكسر و الفتح ، الحيرة ،

و بالكسر ، المفازة يتاه فيها .

و تقييد البغض بالإفراط لعلّه لتخصيص أكمل الأفراد بالذكر ، أو لأنّ المبغض مطلقا مجاوز عن الحدّ ، أو لأنّ الكلام إخبار عمّا سيوجد منهم مع أنّ فيه رعاية الازدواج و التناسب بين الفقرتين .

و قال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام : « خير هذه الامّة النمط الأوسط » ، « النمط » الطريقة من الطرائق و الضرب من الضروب ، يقال : ليس هذا من ذلك النمط ، أي من ذلك الضرب ، و « النمط » الجماعة من الناس أمرهم واحد . و قال فيه : « عليكم بالسواد الأعظم » أي جملة الناس و معظمهم الّذين يجتمعون على طاعة السلطان و سلوك المنهج المستقيم . و قال : « إنّ يد الله على الجماعة » أي أنّ الجماعة من أهل الإسلام في كنف الله : و « يد الله » كناية عن الحفظ و الدفاع عنهم . قوله عليه السلام « إلى هذا الشعار » قال ابن ميثم : أي مفارقة الجماعة و الاستبداد

بالرأي . و قوله عليه السلام « و لو كانت تحت عمامتي » كناية عن أقصى القرب من عنايته ، أي و لو كان ذلك الداعي في هذا الحدّ من عنايتي به . و قال ابن أبي الحديد :

كان شعارهم أن يحلقوا وسط رؤوسهم و يبقوا الشعر مستديرا حوله كالإكليل . و قال :

« و لو كان تحت عمامتي » أي و لو اعتصم و احتمى بأعظم الأشياء حرمة فلا تكفّوا عن قتله .

أقول : و يحتمل أن يكون شعارهم قولهم « لا حكم إلاّ لله » و أن يكون كنّى بقوله « تحت عمامتي » عن نفسه . قوله عليه السلام « و إحياؤه الاجتماع عليه » أي ما يحييه القرآن هو الاجتماع عليه ، و ما يميته هو الافتراق عنه ، أو أنّ الاجتماع عليه القرآن إحياؤه ، إذ به يحصل الأثر و الفائدة المطلوبة منه ، و الافتراق عنه إماتة له . و « البجر » بالضمّ و الفتح ، الداهية و الأمر العظيم . و « الختل » الخدع . قوله عليه السلام « و إنّما اجتمع » يظهر منه جوابان عن شبهتهم :

أحدهما أنّي ما اخترت التحكيم بل اجتمع رأي ملأكم عليه ، و قد ظهر أنّه عليه السلام كان مجبورا في التحكيم .

و ثانيهما أنا اشترطنا عليهما في كتاب التحكيم أن لا يتجاوزا حكم القرآن فلمّا تعدّيا لم يجب علينا اتّباع حكمهما .

و « الملأ » أشراف النّاس و رؤسائهم و مقدّموهم الّذين يرجع إلى قولهم ، ذكره في النهاية . و « الصمد » القصد . و « سوء رأيهما » مفعول « سبق » ، أو الاستثناء أيضا على التنازع ، أي ذكرنا أوّلا أنّا إنّما نتّبع حكمهما إذا لم يختارا سوء الرأي و الجور في الحكم . 512

128 و من كلام له عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم (1697) بالبصرة

القسم الأول

يا أحنف ، كأنّي به و قد سار بالجيش الّذي لا يكون له غبار و لا 512 بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 607 ، ط كمپاني و ص 559 ، ط تبريز .

لجب (1698) ، و لا قعقعة لجم (1699) ، و لا حمحمة خيل (1700) . يثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقدام النّعام . قال الشريف : يومىء بذلك إلى صاحب الزّنج . ثم قال عليه السلام : ويل لسككم العامرة (1701) ، و الدّور المزخرفة الّتي لها أجنحة (1702) كأجنحة النّسور ، و خراطيم كخراطيم (1703) الفيلة ، من أولئك الّذين لا يندب قتيلهم ، و لا يفقد غائبهم . أنا كابّ الدّنيا لوجهها ، و قادرها بقدرها ، و ناظرها بعينها .

بيان

« اللّجب » الصوت . و « الحمحمة » صوت الفرس دون الصهيل . قوله عليه السلام « يثيرون الأرض » أي التراب ، لأنّ أقدامهم في الخشونة كحوافر الخيل ، و قيل : كناية عن شدّة وطئهم الأرض ليلائم قوله « لا يكون له غبار » . قوله عليه السلام « كأنّها أقدام النعام » لمّا كانت أقدام الزنج في الأغلب قصارا عراضا منتشرة الصدر مفرجات الأصابع فأشبهت أقدام النعام في بعض تلك الأوصاف و أجنحة الدّور الّتي شبّهها عليه السلام بأجنحة النسور ، رواشنها 513 و ما يعمل من الأخشاب و البواري بارزة عن السقوف لوقاية الحيطان و غيرها عن الأمطار و شعاع الشمس . و « خراطيمها » مئازيبها الّتي تطلى بالقار تكون نحوا من خمسة أذرع أو أزيد ،

تدلى من السطوح حفظا للحيطان .

و أمّا قوله عليه السلام « لا يندب قتيلهم » فقيل : إنّه وصف لهم لشدّة البأس و الحرص على القتال ، و أنّهم لا يبالون بالموت ، و قيل : لأنّهم كانوا عبيدا غرباء لم يكن لهم أهل و ولد و ممّن عادتهم الندبة و افتقاد الغائب ، و قيل : « لا يفقد غائبهم » وصف لهم بالكثرة ، و أنّه إذا قتل منهم قتيل سدّ مسدّة غيره . و يقال : « كببت فلانا على وجهه » أي تركته و لم ألتفت إليه . و قوله « و قادرها بقدرها » أي معامل لها بمقدارها .

----

(513) جمع « الروشن » الكوة .

[428]

و قوله « ناظرها بعينها » أي ناظر إليها بعين العبرة أو أنظر إليها نظرا يليق بها . 514

القسم الثاني منه في وصف الاتراك

كأنّي أراهم قوما « كأنّ وجوههم المجانّ المطرّقة » (1704) ، يلبسون السّرق (1705) و الدّيباج ، و يعتقبون (1706) الخيل العتاق . و يكون هناك استحرار (1707) قتل حتّى يمشي المجروح على المقتول ، و يكون المفلت أقلّ من المأسور فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام ، و قال للرجل ، و كان كلبيا :

يا أخا كلب ، ليس هو بعلم غيب ، و إنّما هو تعلّم من ذي علم .

و إنّما علم الغيب علم السّاعة ، و ما عدّده اللّه سبحانه بقوله : إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَا ذَا تَكْسِبُ غَداً ، وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ . . . الآية ،

فيعلم اللّه سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى ، و قبيح أو جميل ،

و سخيّ أو بخيل ، و شقيّ أو سعيد ، و من يكون في النّار حطبا ، أو في الجنان للنّبيّين مرافقا . فهذا علم الغيب الّذي لا يعلمه أحد إلاّ اللّه ، و ما سوى ذلك فعلم علّمه اللّه نبيّه فعلّمنيه ، و دعا لي بأن يعيه

----

(514) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 41 ، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 334 .

[429]

صدري ، و تضطمّ عليه جوانحي (1708) .

توضيح

« المجانّ » جمع « مجنّ » و هو الترس . و « المطرقة » بسكون الطآء ، الّتي قد أطرق بعضها إلى بعض ، أي ضمّت طبقاتها ، فجعل يتلو بعضها بعضا كطبقات النعل ، و يروى بتشديد الراء أي كالترسة المتّخذة من حديد مطرّقة بالمطرقة ، و « الطرق » الدقّ ، و يحتمل أن يكون التشديد للتكثير . و « السرق » جمع « سرقة » و هي جيّد الحرير ،

و قيل : لا يسمّى سرقا إلاّ إذا كانت بيضاء ، و هي فارسيّة أصلها « سرّة » و هو الجيّد . قوله عليه السلام « و يعتقبون الخيل » أي يحبسونها لينتقلوا من غيرها إليها . و « استحرار القتل » شدّته . و ضحكه عليه السلام إمّا من السرور بما آتاه الله من العلم أو للتعجّب من قول القائل . و « الاضطمام » افتعال من « الضمّ » و هو الجمع ، و « الجوانح » الأضلاع ممّا يلي الصدر ، و انطباقها على قصص جنكيزخان و أولاده لا يحتاج إلى بيان . 515 تحقيق : قد عرفت مرارا أنّ نفي علم الغيب عنهم معناه أنّهم لا يعلمون ذلك من أنفسهم بغير تعليمه تعالى بوحي أو إلهام ، و إلاّ فظاهر أنّ عمدة معجزات الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام من هذا القبيل ، و أحد وجوه إعجاز القرآن أيضا اشتماله على الإخبار بالمغيبات و نحن أيضا نعلم كثيرا من المغيبات بإخبار الله تعالى و رسوله و الأئمّة عليهم السلام كالقيامة و أحوالها و الجنّة و النّار و الرجعة و قيام القائم عليه السلام و نزول عيسى عليه السلام و غير ذلك من أشراط الساعة و العرش و الكرسيّ و الملائكة .

و أمّا الخمسة الّتي وردت في الآية فتحتمل وجوها :

الأوّل : أن يكون المراد أنّ تلك الأمور لا يعلمها على التعيين و الخصوص إلاّ الله تعالى فإنّهم إذا أخبروا بموت شخص في اليوم الفلانيّ فيمكن أن لا يعلموا خصوص الدقيقة الّتي تفارق الروح الجسد فيها مثلا ، و يحتمل أن يكون ملك الموت أيضا لا يعلم ذلك .

----

(515) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 41 ، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 335 .

الثاني : أن يكون العلم الحتميّ بها مختصّا به تعالى و كلّ ما أخبر الله به من ذلك كان محتملا للبداء .

الثالث : أن يكون المراد عدم علم غيره تعالى بها إلاّ من قبله ، فيكون كسائر الغيوب ، و يكون التخصيص بها لظهور الأمر فيها أو لغيره .

الرابع : ما أومأنا إليه سابقا و هو أنّ الله تعالى لم يطلع على تلك الأمور كليّة أحدا من الخلق على وجه لابداء فيه ، بل يرسل علمها على وجه الحتم في زمان قريب من حصولها كليلة القدر أو أقرب من ذلك ، و هذا وجه قريب تدلّ عليه الأخبار الكثيرة إذ لا بدّ من علم ملك الموت بخصوص الوقت كما ورد في الأخبار ، و كذا ملائكة السّحاب و المطر بوقت نزول المطر ، و كذا المدبّرات من الملائكة بأوقات وقوع الحوادث .

تذييل

قال الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب المسائل : أقول إنّ الأئمّة من آل محمّد عليهم السّلام قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد و يعرفون ما يكون قبل كونه ، و ليس ذلك بواجب في صفاتهم و لا شرطا في إمامتهم ، و إنّما أكرمهم الله تعالى به و أعلمهم إيّاه للطف في طاعتهم و التسجيل بامامتهم و ليس ذلك بواجب عقلا ، و لكنّه وجب لهم من جهة السّماع ، فأمّا إطلاق القول عليهم بأنّهم يعلمون الغيب فهو منكر بيّن الفساد لأنّ الوصف بذلك إنّما يستحقّه من علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد ، و هذا لا يكون إلاّ الله عزّ و جلّ و على قولي هذا جماعة أهل الإمامة إلاّ من شذ عنهم من المفوّضة و من انتهى إليهم من الغلاة . 516

[هذا بيان آخر في شرح الكلام :] بيان

« الملحمة » الوقعة العظيمة في الفتنة و القتال . و « اللجب » الصوت .

و « القعقعة » حكاية صوت السلاح و نحوه . و « الحمحمة » صوت الفرس دون الصهيل .

قوله عليه السلام « يثيرون الأرض » أي التراب لأنّ أقدامهم في الخشونة كحوافر الخيل ، كذا قيل ، و فيه أنّه لا يلائم قوله عليه السلام « لا يكون له غبار » و لعلّه كناية

----

(516) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 26 ، كتاب الإمامة ، ص 103 104 .

[431]

عن شدّة وطئهم الأرض ، أو يقال : مع ذلك ليس غبارهم كالغبار الّذي يثار من الحوافر ، و لمّا كانت أقدام الزنج في الأغلب قصارا عراضا منتشرة الصدر مفرّجات الأصابع أشبهت أقدام النعام في تلك الأوصاف . و « السكك » جمع « سكّة » بالكسر ،

و هي الزقاق و الطريق المستوي و الطريقة المصطفة من النخل . و « المزخرفة » المزيّنة المموّهة بالزخرف و هو الذهب . و « أجنحة الدور » الّتي شبّهها بأجنحة النسور ،

رواشنها و ما يعمل من الأخشاب و البواري بارزة عن السقوف لوقاية الحيطان و غيرها عن الأمطار و شعاع الشمس . و « خراطيمها » ميازيبها الّتي تطلى بالقار يكون نحوا من خمسة أذرع أو أزيد تدلى من السطوح حفظا للحيطان . و « الفيلة » كعنبة جمع « الفيل » .

و أمّا قوله عليه السلام « لا يندب قتيلهم » قيل : إنّه وصف لهم بشدّة البأس و الحرص على القتال و أنّهم لا يبالون بالموت . و قيل : لأنّهم كانوا عبيدا غرباء لم يكن لهم أهل و ولد و ممّن عادتهم الندبة و افتقاء الغائب . و قيل : « لا يفقد غائبهم » وصف لهم بالكثرة و أنّه إذا قتل منهم قتيل سدّ مسدّه غيره . قوله عليه السلام « أنا كابّ الدنيا » يقال : « كببت فلانا على وجهه » أي تركته و لم ألتفت إليه ، و قيل : كناية عن العلم ببواطنها و أسرارها كما يقال : غلبت الأمر ظهرا لبطن . و قوله عليه السلام « و قادرها بقدرها » أي معامل لها بمقدارها . « و ناظرها بعينها » أي ناظر إليها بعين العبرة ، أو أنظر إليها نظرا يليق بها ، فيكون كالتفسير لقوله عليه السلام « و قادرها بقدرها » . و حكي عن عيسى عليه السلام : « أنا الّذي كببت الدنيا على وجهها ،

ليس لي زوجة تموت ، و لا بيت يخرب ، و سادي الحجر ، و فراشي المدر ، و سراجي القمر » . 517

----

(517) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 446 ، ط كمپاني و ص 415 ، ط تبريز .

[433]

فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة حسب تعاقب أرقامها في متن الخطب

[435]

(1) فَطَرَ الخلائقَ : ابتدعها على غير مثال سبق .

(2) وَتّدَ : (بالتشديد و التخفيف) ثبّت .

(3) مَيَدان أرضه : تحرّكها بتمايل .

(4) لا عن حَدث : لا عن إيجاد موجد .

(5) المزَايَلةُ : المفارقة و المباينة .

(6) الرّوَيّة : الفكر ، و أجالها : أدارها و رددها .

(7) هَمَامَة النفس : بفتح الهاء :

اهتمامها بالأمر ، و قصدها إليه .

(8) لَأَمَ : قرن .

(9) غَرّزَ غرائزها : أودع فيها طباعها .

(10) القرائن : هنا جمع قرونة و هي النفس ، و الأحناء : جمع حنو بالكسر : و هو الجانب .

(11) السكائك : جمع سكاكة بالضم و هي الهواء الملاقي عنان السماء .

(12) التيّار : هنا الموج .

(13) الزّخّار : الشديد الزخر ، أي الامتداد و الارتفاع .

(14) الزّعزَع : الريح التي تزعزع كل ثابت .

(15) الفتيق : المفتوق .

(16) الدفيق المدفوق .

(17) اعْتَقَمَ مَهَبّها : جعل هبوبها عقيما ، و الريح العقيم التي لا تلقح سحابا و لا شجرا .

(18) مُرَبّها : بضم الميم ، مصدر ميمي من أربّ بالمكان : لازمه ، فالمربّ :

الملازمة .

(19) تَصْفيق الماء : تحريكه و تقليبه .

(20) مَخَضَتْهُ : حرّكته بشدّة كما يمخض السقاء .

(21) الساجي : الساكن .

(22) المائر : الذي يذهب و يجيء .

(23) رُكامُهُ : ما تراكم منه بعضه على بعض .

(24) المنْفَهِقُ : المفتوح الواسع .

(25) المكفوف : الممنوع من السّيلان .

(26) الدّسَار : واحد الدّسر ، و هي المسامير .

(27) الثّوَاقب : المنيرة المشرقة .

(28) مُسْتَطيراً : منتشر الضياء ، و هو الشمس .

(29) الرِّقِيمُ : اسم من أسماء الفلك :

سمّي به لأنه مرقوم بالكواكب .

(30) صَافّونَ : قائمون صفوفا .

[436]

(31) لا يَتَزَايَلُونَ : لا يتفارقون .

(32) السدَنَة جمع : سادن و هو الخادم .

(33) مُتَلَفّعون : من تلفّع بالثوب إذا التحف به .

(34) حَزْنُ الأرض : وعرها .

(35) سَبَخُ الأرض : ما ملح منها .

(36) سَنّ الماء : صبّه .

(37) لأطَها : خلطها و عجنها .

(38) البَلّة بالفتح من البلل .

(39) لَزَبَ : من باب نصر ، بمعنى التصق و ثبت و اشتد .

(40) الأحْنَاء : جمع حنو بالكسر و هو الجانب من البدن .

(41) أصْلَدَها : جعلها صلبة ملساء متينة .

(42) صَلْصَلَتْ : يبست حتى كانت تسمع لها صلصلة إذا هبّت عليها الرياح .

(43) مَثُلَ ، ككرم و فتح : قام منتصبا .

(44) يَخْتَدِمُها : يجعلها في خدمة مآربه .

(45) اسْتَأدَى الملائكةَ وديعَتَهُ : طالبهم بأدائها .

(46) اغْتَرّ آدمَ عدوّهُ الشيطانُ : أي انتهز منه غرّة فأغواه .

(47) الجَذَل ، بالتحريك : الفرح .

(48) الوَجَل : الخوف .

(49) ميثاقهم : عهدهم .

(50) الأنْدَادُ : الأمثال ، و أراد المعبودين من دونه سبحانه و تعالى .

(51) اجْتَالَتْهُمْ بالجيم صرفتهم عن قصدهم .

(52) وَاتَرَ إليهم أنبياءهُ : أرسلهم و بين كل نبيّ و من بعده فترة . و قوله :

« ليستأدوهم » : ليطلبوا الأداء .

(53) الأوْصَاب : المتاعب .

(54) المحَجّة : الطريق القويمة الواضحة .

(55) نَسَلَتْ : بالبناء للفاعل : مضت متتابعة .

(56) الضمير في « عدته » لله تعالى ،

و المراد وعد الله بإرسال محمد صلى الله عليه و سلم على لسان أنبيائه السابقين .

(57) سماتُهُ : علاماته التي ذكرت في كتب الأنبياء السابقين الذين بشروا به .

(58) المُلْحِدُ في اسم الله : الذي يميل به عن حقيقة مسماه .

(59) العَلَمُ : بفتحتين ما يوضع ليهتدى به .

(60) ناسِخُهُ و منسوخه : أحكامه الشرعية التي رفع بعضها بعضا .

(61) رُخَصَهُ : ما ترخّص فيه ، عكسها عزائمه .

(62) المُرْسَل : المطلق ، المحدود :

المقيّد .

(63) المُحْكَمُ : كآيات الأحكام و الأخبار الصريحة في معانيها ، و المتشابه كقوله :

يَدُ اللهِ فوقَ أيديهم .

[437]

(64) المُوَسّعُ على العباد في جهله : كالحروف المفتتحة بها السور نحو الم و الر .

(65) يَألَهُونَ إليه : يلوذون به و يعكفون عليه .

(66) الوِفَادَة : الزيارة .

(67) وَألَ : مضارعها يئل مثل وعد يعد نجا ينجو .

(68) مُصَاصُ كل شيء : خالصه .

(69) مَدْحَرَةُ الشيطان : أي أنها تبعده و تطرده .

(70) المَثُلات ، بفتح فضم : العقوبات ، جمع مثلة بضم الثاء و سكونها بعد الميم .

(71) انْجَذَمَ : انقطع .

(72) السّوارِي : جمع سارية ، و هي العمود و الدّعامة .

(73) النّجْر بفتح النون و سكون الجيم :

الأصل .

(74) دَرَسَت ، كاندرست : انطمست .

(75) الشّرُك : جمع شراك ككتاب ،

و هي الطريق .

(76) المنَاهِلُ : جمع منهل ، و هو مورد النهر .

(77) الأخْفاف : جمع خفّ ، و هو للبعير كالقدم للإنسان .

(78) الأظلاف : جمع ظلف بالكسر للبقر و الشاء و شبههما ، كالخفّ للبعير و القدم للإنسان .

(79) السّنَابك : جمع سنبك كقنفذ :

و هو طرف الحافر .

(80) اللّجَأ محركة الملاذ و ما تلتجىء و تعتصم به .

(81) العَيْبَةُ : بالفتح : الوعاء .

(82) الموْئِلُ : المرجع .

(83) الفَرَائص : جمع فريصة ، و هي اللحمة التي بين الجنب و الكتف لا تزال ترعد من الدابة .

(84) الثّبُور : الهلاك .

(85) الغالي : المبالغ ، الذي يجاوز الحد بالإفراط .

(86) تَقَمّصَها : لبسها كالقميص .

(87) سَدَلَ الثوبَ : أرخاه .

(88) طَوَى عنها كشحا : مال عنها .

(89) الجَذّاءُ : بالجيم و الذال المعجمة :

المقطوعة .

(90) طَخْيَة بطاء فخاء بعدها ياء ،

و يثلّث أوّلها : ظلمة .

(91) أحجى : ألزم ، من حجي به كرضي : أولع به و لزمه .

(92) الشّجا : ما اعترض في الحلق من عظم و نحوه .

(93) التراث : الميراث .

(94) أدلى بها : ألقى بها .

(95) الكُور ، بالضم : الرّحل أو هو مع أداته .

(96) يَستَقِيلها : يطلب إعفاءه منها .

(97) تَشَطّرَا ضَرْعَيْها : اقتسماه فأخذ كل منهما شطرا . و الضرع للناقة كالثدي للمرأة .

(98) كَلْمُها : جرحها ، كأنه يقول :

خشونتها تجرح جرحا غليظا .

[438]

(99) العثار : السقوط و الكبوة .

(100) الصّعْبة من الإبل ما ليست بذلول .

(101) أشْنَقَ البعير وشنقه : كفه بزمامه حتى ألصق ذفراه (العظم الناتىء خلف الأذن) بقادمة الرحل .

(102) خَرَمَ : قطع .

(103) أسْلَسَ : أرخى .

(104) تَقَحمَ : رمى بنفسه في القحمة أي الهلكة .

(105) مُنيَ الناسُ : ابتلوا و أصيبوا .

(106) خَبْط : سير على غير هدى .

(107) الشّمِاس بالكسر إباء ظهر الفرس عن الركوب .

(108) الاعتراض : السير على غير خط مستقيم ، كأنه يسير عرضا في حال سيره طولا .

(109) أصل الشّورى : الاستشارة . و في ذكرها هنا إشارة إلى الستة الذين عيّنهم عمر ليختاروا أحدهم للخلافة .

(110) النّظَائر : جمع نظير أي المشابه بعضهم بعضا دونه .

(111) أسف الطائر : دنا من الأرض .

(112) صَغَى صَغْياً و صَغَا صَغْواً : مال .

(113) الضّغْنُ : الضّغينة و الحقد .

(114) مع هنٍ وَ هَنٍ : أي أغراض أخرى أكره ذكرها .

(115) نافجا حِضنَيْه : رافعا لهما ،

و الحضن : ما بين الإبط و الكشح .

يقال للمتكبر : جاء نافجا حضنيه .

(116) النثِيلُ : الرّوث و قذر الدوابّ .

(117) المُعْتَلَفُ : موضع العلف .

(118) الخَضْم : أكل الشيء الرّطب ،

و الخضمة بكسر الخاء مصدر هيئة .

(119) النّبْتَة : بكسر النون كالنبات في معناه .

(120) انْتَكَثَ عليه فَتْلُهُ : انتقض .

(121) أجهزَ عليه عملُه : تمم قتله .

(122) كَبَتْ به : من كبا به الجواد :

إذا سقط لوجهه .

(123) البطنة بالكسر البطر و الأشر و التّخمة .

(124) عُرْفُ الضّبع : ما كثر على عنقها من الشعر ، و هو ثخين يضرب به المثل في الكثرة و الازدحام .

(125) يَنْثَالون : يتتابعون مزدحمين .

(126) شُقّ عطفاه : خدش جانباه من الاصطكاك .

(127) رَبيضَةُ الغنم : الطائفة الرابضة من الغنم .

(128) نَكَثَتْ طائفة : نقضت عهدها ،

و أراد بتلك الطائفة الناكثة أصحاب الجمل و طلحة و الزبير خاصة .

(129) مَرَقَتْ : خرجت : و في المعنى الديني : فسقت ، و أراد بتلك الطائفة المارقة الخوارج أصحاب النّهروان .

(130) قَسَطَ آخرون : جاروا ، و أراد بالجائرين أصحاب صفين .

[439]

(131) حَلِيَت الدنيا : من حليت المرأة إذا تزيّنت بحليّها .

(132) الزِبْرِجُ : الزينة من وشي أو جوهر .

(133) النَسَمَة : محركة الروح و هي في البشر أرجح ، و برأها : خلقها .

(134) أراد « بالحاضر » هنا من حضر لبيعته ، فحضوره يلزمه بالبيعة .

(135) أراد « بالناصر » هنا : الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة .

(136) ألاّ يقارّوا : ألاّ يوافقوا مقرّين .

(137) الكِظّةُ : ما يعتري الآكل من الثّقل و الكرب عند امتلاء البطن بالطعام ، و المراد استئثار الظالم بالحقوق .

(138) السغَب : شدة الجوع ، و المراد منه هضم حقوقه .

(139) الغارب : الكاهل ، و الكلام تمثيل للترك و إرسال الأمر .

(140) عَفْطَة العَنْز : ما تنثره من أنفها .

و أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة و إن كان الأشهر في الاستعمال « النّفطة » بالنون .

(141) السّوَاد : العراق ، و سمّي سوادا لخضرته بالزرع و الأشجار ، و العرب تسمي الأخضر أسود .

(142) اطّردت خطبتُكَ : أتبعت بخطبة أخرى ، من اطّراد النهر إذا تتابع جريه .

(143) أفْضَيْتَ . أصل أفضى : خرج إلى الفضاء ، و المراد هنا سكوت الإمام عما كان يريد قوله .

(144) الشّقْشِقَةُ : بكسر فسكون فكسر :

شيء كالرّئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج .

(145) هَدَرَتْ : أطلقت صوتا كصوت البعير عند إخراج الشّقشقة من فيه .

و نسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة .

(146) قرّت : سكنت و هدأت .

(147) تَسَنّمْتُم العلياء : ركبتم سنامها ،

و ارتقيتم إلى أعلاها .

(148) أفْجَرْتُمْ : دخلتم في الفجر . و في أكثر النسخ « انفجرتم » و ما أثبتناه أفصح .

(149) السرار ، ككتاب : آخر ليلة في الشهر يختفي فيها القمر ، و هو كناية عن الظلام .

(150) وُقِرَ : صمّ .

(151) الواعية : الصارخة و الصراخ نفسه ،

و المراد هنا العبرة و المواعظ الشديدة الأثر . و وقرت أذنه فهي موقورة و وقرت كسمعت : صمّت ،

دعاء بالصّمم على من لم يفهم الزواجر و البعر .

(152) النّبْأة : الصوت الخفي .

(153) رُبِطَ جَنانُهُ رِباطةً بكسر الراء :

اشتد قلبه .

(154) أتَوَسّمُكُم : أتفرّس فيكم .

[440]

(155) حِلْيَةُ المغتَرّينَ : أصل الحلية الزينة ، و المراد هنا صفة أهل الغرور .

(156) جِلْبَاب الدّين : ما لبسوه من رسومه الظاهرة .

(157) جَوَادّ المَضَلّة : الجوادّ جمع جادّة و هي الطريق . و المضلّة بفتح الضاد و كسرها : الأرض يضل سالكها .

(158) تُمِيهُون : تجدون ماء ، و من أماهوا أركيتهم : أنبطوا ماءها .

(159) العَجْماء : البهيمة ، و قد شبه بها رموزه و إشاراته لغموضها على من لا بصيرة لهم .

(160) عَزَبَ : غاب ، و المراد : لا رأي لمن تخلّف عني .

(161) لم يُوجِسْ موسى خيفةً : لم يستشعر خوفا ، أخذا من قوله تعالى : فَأوْجَسَ في نَفْسِهِ خِيفةً موسى .

(162) تَوَاقَفْنا : تلاقينا و تقابلنا .

(163) الآجن : المتغير الطعم و اللون لا يستساغ ، و الاشارة إلى الخلافة .

(164) إينَاعُها : نضجها و إدراك ثمرها .

(165) جَزِعَ : خاف .

(166) هَيْهات : بعد ، و المراد نفي ما عساهم يظنون من جزعه من الموت عند سكوته .

(167) بَعْدَ اللّتَيّا و التي : بعد الشدائد كبارها و صغارها .

(168) اندَمَجْتُ : انطويت .

(169) الأرْشِية : جمع رشاء بمعنى الحبل .

(170) الطّوِيّ : جمع طويّة و هي البئر ،

و البئر البعيدة : العميقة .

(171) اللّدم : صوت الحجر أو العصا أو غيرهما ، تضرب به الأرض ضربا غير شديد .

(172) يَخْتِلُها : يخدعها .

(173) رَاصدها : صائدها الذي يترقبها .

(174) المرِيب : الذي يكون في حال الشك و الرّيب .

(175) مِلاك الشيء بكسر الميم و فتحها :

قوامه الذي يملك به .

(176) الأشراك : جمع شرك و هو ما يصاد به ، فكأنهم آلة الشيطان في الإضلال .

(177) باض و فرّخَ : كناية عن توطّنه صدورهم و طول مكثه فيها ،

لأن الطائر لا يبيض إلا في عشّه ،

و فراخ الشيطان : وساوسه .

(178) دَبّ و دَرَجَ : تربى في حجورهم كما يربى الطفل في حجر والديه .

(179) الزّلَل : الغلط و الخطأ .

(180) الخَطَلُ : أقبح الخطأ .

(181) شَرِكَهُ كعلمه : صار شريكا له .

(182) الوَلِيجة : الدّخيلة و ما يضمر في القلب و يكتم .

(183) أرْعَدُوا و أبْرَقُوا : أوعدوا و تهدّدوا .

(184) الفشل : الجبن و الخور .

[441]

(185) لسنا نُرعد حتى نُوقِع : لا نهدّد عدوا إلا بعد أن نوقع بعدوّ آخر .

(186) الرّجِلُ : جمع راجل .

(187) ما لَبّسْتُ على نفسي : ما أوقعتها في اللّبس و الإبهام .

(188) أفْرَطَ الحوْضَ : ملأه حتى فاض .

(189) يُصْدِرون عنه : يعودون بعد الاستقاء .

(190) الماتِحُ : المستقي .

(191) النّاجِذُ : أقصى الضرس ، و جمعه نواجذ ، و إذا عض الرجل على أسنانه اشتدّت حميّته .

(192) أعِز : أمر من أعار ، أي ابذل جمجمتك لله تعالى كما يبذل المعير ماله للمستعير .

(193) تِدْ قَدَمَكَ : ثبتها ، من وتد ،

يتد .

(194) غضّ النظر : كفّه ، و المراد هنا :

لا يهولنّك منهم هائل .

(195) هوى أخيك : أي ميله و محبته .

(196) يَرْعُفُ بهم الزمان : يجود على غير انتظار كما يجود الأنف بالرّعاف .

(197) أتْباع البهيمة : يريد بالبهيمة الجمل ، و قصته مشهورة .

(198) رَغَا الجملُ : أطلق رغاءه ، و هو صوته المعروف .

(199) عُقِر الجملُ : جرح أو ضربت قوائمه ، أو ذبح .

(200) أخلاقكم دِقاقٌ : دنيئة .

(201) زُعاق : مالح .

(202) مُرْتَهَنٌ : من الارتهال و الرهن ،

و المراد : مؤاخذ .

(203) جُؤْجُؤُ السفينة : صدرها ، و أصل الجؤجؤ : عظم الصدر .

(204) جَاثِمةٌ : واقعة على صدرها .

(205) لُجّةُ البحر و جمعها لجج : موجه .

(206) أنْتَنُ : أقذر و أوسخ .

(207) شُرَفُ المسجد : جمع شرفة و هي أعلى مكانه فيه .

(208) سَفِهَت حلومكم : سفهت :

صارت سفيهة ، بها خفّة و طيش و حلومكم : جمع حلم و هو العقل ، فهي كالعبارة قبلها : خفّت عقولكم .

(209) الغَرَض : ما ينصب ليرمي بالسهام (210) النّابِلُ : الضارب بالنّبل .

(211) فريسةٌ لصائلٍ : أي لصائد يصول في طلب فريسته .

(212) قَطائعُ عثمان : ما منحه للناس من الأراضي ، و كان الأصل فيها أن تنفق غلتها على أبناء السبيل و أشباههم كقطائعه لمعاوية و مروان .

(213) الذّمّةُ : العهد .

(214) رهينة : مرهونة ، من الرهن .

(215) الزعيم : الكفيل ، يريد أنه ضامن لصدق ما يقول .

(216) العِبَر بكسر ففتح جمع عبرة :

بمعنى الموعظة .

(217) المَثُلاَتُ : العقوبات .

(218) حَجَزَتْهُ : منعته .

(219) تَقَحُّمُ الشّبُهات : التّردي فيها .

(220) عادت كهيئتها : رجعت إلى حالها الأولى .

(221) لتُبَلْبَلُنّ : لتخلطنّ ، و منه « تبلبلت الألسن » : اختلطت .

(222) لَتُغَرْبَلُنّ : لتميّزنّ كما يميّز الدقيق عند الغربلة من نخالته .

(223) لَتُسَاطُنّ : من السّوط ، و هو أن تجعل شيئين في الاناء و تضربهما بيديك حتى يختلطا .

(224) سَوط القِدْر : أي كما تختلط الأبزار و نحوها في القدر عند غليانه فينقلب أعلاها أسفلها و أسفلها أعلاها ، و كل ذلك حكاية عما يؤولون إليه من الاختلاف ، و تقطع الأرحام ، و فساد النظام .

(225) الوَشْمَةُ : الكلمة .

(226) الشُمُسُ : جمع شموس و هي من « شمس » كنصر أي منع ظهره أن يركب .

(227) لُجُمُها : جمع لجام ، و هو عنان الدّابة الذي تلجم به .

(228) تَقَحّمَتْ به في النار : أردته فيها (229) الذُلُل : جمع ذلول ، و هي المروّضة الطائعة .

(230) لا يَطّلع فَجَّهَا : من قولهم اطّلع الأرض أي بلغها . و الفجّ : الطريق الواسع بين جبلين .

(231) العِرْق : الأصل .

(232) الجادّة : الطريق .

(233) السِّنْخُ : المثبت ، يقال : ثبتت السن في سنخها : أي منبتها .

(234) وكله الله إلى نفسه : تركه و نفسه .

(235) جائرٌ عن قصد السبيل : هنا عادل عن جادته .

(236) المشغوف بشيء : المولع به حتى بلغ حبه شغاف قلبه ، و هو غلافه .

(237) كلام البِدْعة : ما اخترعته الأهواء و لم يعتمد على ركن من الحق ركين .

(238) رَهْنٌ بخطيئته : لا مخرج له منها .

(239) قَمَشَ جهلاً : جمعه ، و أصل القمش جمع المتفرق .

(240) « مُوضِعٌ في جُهّالِ الأمّة » :

مسرع فيها بالغش و التغرير ،

أوضع البعير : أسرع ، و أوضعه راكبه فهو موضع به أي مسرع به .

(241) عاد : جار بسرعة ، من عدا يعدؤ و إذا جرى .

(242) أغباش : جمع غبش بالتحريك ،

و أغباش الليل : بقايا ظلمته .

(243) عَم : وصف من العمى و المراد :

جاهل .

(244) عَقْدُ الهُدْنة : الاتفاق على الصلح و المسالمة بين الناس .

(245) الماءُ الآجِنُ : الفاسد المتغير اللون و الطعم (246) اكْتَنَزَ : استكثر .

[443]

(247) غير طائل : دون ، خسيس .

(248) التخليص : التّبيين .

(249) التبس على غيره : اشتبه عليه .

(250) الحَشْوُ : الزائد الذي لا فائدة فيه .

(251) الرّث : الخلق البالي ، ضد الجديد (252) خَبّاط : صيغة المبالغة من خبط الليل إذا سار فيه على غير هدى .

(253) عاش : خابط في الظلام .

(254) العَشوَات : جمع عشوة مثلثة الأول : و هي ركوب الأمر على غير هدى .

(255) يَذْرُو : ينثر ، و هو أفصح من يذري إذراء . قال الله تعالى فأصبح هَشيماً تَذْرُوهُ الرّياح .

(256) الهَشِيمُ : ما يبس من النّبت و تهشّم و تفتّت .

(257) المليّ بالشيء : القيّم به الذي يجيد القيام عليه .

(258) و لا أهل لما قُرّظ به : مدح ، و هذه رواية ابن قتيبة و هي أنسب بالسياق من الرواية المشهورة .

(259) اكتتم به : فوّض إليه : كتمه و ستره لما يعلم من جهل نفسه .

(260) العجّ : رفع الصوت ، و عجّ المواريث هنا : تمثيل الحدّة الظلم ،

و شدّة الجور .

(261) أبْوَرُ : من بارت السّلعة : كسدت (262) أنْفَقُ من النفاق بالفتح و هو الرّواج (263) الإمام الذي استقضاهم : الخليفة الذي ولاّهم القضاء .

(264) أنيق : حسن معجب (بأنواع البيان) و آنقني الشيء : أعجبني .

(265) الوَهَلُ : الخوف و الفزع ، من وهل يوهل .

(266) جَاهَرَتْكُم العِبَرُ : انتصبت لتنبهكم جهرا و صرحت لكم بعواقب أموركم ، و العبر جمع عبرة .

و العبرة : الموعظة .

(267) رُسُلُ السماء : الملائكة .

(268) تَحْدُوكم : تسوقكم إلى ما تسيرون عليه .

(269) الساعة : يوم القيامة .

(270) تَخَفّفُوا : المراد هنا التخفف من أوزار الشهوات .

(271) أنْقَع : من قولهم « الماء ناقع و نقيع » أي ناجع ، أي إطفاء العطش .

(272) النُّطفة : الماء الصافي .

(273) ذَمّرَ حِزْبَهُ : حثهم و حضّهم و هو بالتشديد أدلّ على التكثير . و يروى مخففا أيضا من باب ضرب و نصر .

(274) الجَلَب بالتحريك : ما يجلب من بلد إلى بلد ، و هو فعل بمعنى مفعول مثل سلب بمعنى مسلوب ،

و المراد هنا بقوله « استجلب جلبه » جمع جماعته ، كقوله « ذمّر حزبه » .

(275) النِّصَاب بكسر النون الأصل أو المنبت و أول كل شيء .

[444]

(276) النّصِف بالكسر المنصف ، أي :

لم يحكّموا رجلا عادلا بيني و بينهم .

(277) أُمّاً قد فَطَمَتْ : أي تركت إرضاع ولدها بعد أن ذهب لبنها .

يشبّه به طلب الأمر بعد فواته .

(278) هَبِلَتْهُم : ثكلتهم .

(279) الهَبُول : بفتح الهاء المرأة التي لا يبقى لها ولد . و هو دعاء عليهم بالموت .

(280) غفيرة : زيادة و كثرة .

(281) الفالج : الظافر ، فلج يفلج كنصر ينصر : ظفر و فاز .

و منه المثل : « من يأت الحكم وحده يفلج » .

(282) الياسر : الذي يلعب بقداح الميسر أي : المقامر . و في الكلام تقديم و تأخير ، و نسقه : كالياسر الفالج .

كقوله تعالى (و غرابيب سود) ،

و حسّنه أن اللفظتين صفتان ، و إن كانت إحداهما إنما تأتي بعد الأخرى إذا صاحبتها .

(283) التعذير : مصدر عذّر تعذيرا : لم يثبت له عذر .

(284) يَكِلُه الله : يتركه . من وكل يكل مثل وزن يزن .

(285) حَيْطة ، كبيعة : رعاية و كلاءة .

(286) الشَعَث بالتحريك : التفرق و الانتشار .

(287) لسان الصدق : حسن الذكر بالحق .

(288) الخَصَاصة : الفقر و الحاجة الشديدة ،

و هي مصدر خصّ الرجل من باب علم خصاصا و خصاصة .

و خصاصاء بفتح الخاء في الجميع إذا احتاج و افتقر ، قال تعالى : و يُؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خَصاصةٌ .

(289) أهلك المالَ : بذله .

(290) المُرافَدَةُ : المعاولة .

(291) خابَطَ الغَيَّ : صارع الفساد ،

و أصل الخبط : السير في الظلام ،

و هذا التعبير أشد مبالغة من خبط في الغي ، إذ جعله و الغي متخابطين يخبط أحدهما في الآخر .

(292) الإدهان : المنافقة و المصانعة ،

و لا تخلو من مخالفة الباطن للظاهر .

(293) الإيهان : مصدر أوهنته ، بمعنى أضعفته .

(294) فروا إلى الله من الله : اهربوا إلى رحمة الله من عذابه .

(295) نَهَجَهُ لكم : أوضحه و بيّنه .

(296) عَصَبَهُ بكم ، من باب ضرب ربطه بكم ، أي : كلفكم به ،

و ألزمكم أداءه .

(297) فَلْجكم : ظفركم و فوزكم .

(298) تواترت عليه الأخبار : ترادفت و تواصلت .

(299) أقْبِضُها و أبْسُطُها : أي أتصرف فيها كما يتصرف صاحب الثوب في ثوبه يقبضه أو يبسطه .

(300) الأعاصير : جمع إعصار ، و هي ريح تهب و تمتد من الأرض نحو السماء كالعمود .

(301) الوَضرُ بالتحريك بقية الدسم في الإناء .

(302) اطّلَعَ اليمنَ : غشيها بجيشه و غزاها و أغار عليها .

(303) سَيُدَالُونَ منكم : سيغلبونكم و تكون لهم الدولة بدلكم .

(304) القَعْب بفتح القاف : القدح الضخم (305) عِلاقة القَعْب بكسر العين : ما يعلق منه من ليف أو نحوه .

(306) مِثْ قلوبهم : أذبها ، ماثه يميثه : أذابه .

(307) خُفُوفاً : مصدر غريب لخفّ بمعنى انتقل و ارتحل مسرعا ،

و المصدر المعروف « خفّا » .

(308) مُنيخون مقيمون .

(309) الخُشنِ : جمع خشناء من الخشونة .

(310) وصف الحيّات « بالصّمّ » لأنها أخبثها إذ لا تنزجر بالأصوات كأنها لا تسمع .

(311) الجَشِب : الطعام الغليظ أو ما يكون منه بغير أدم .

(312) معصوبة : مشدودة .

(313) أغْضَيْت : أصلها من غضّ الطرف و المراد سكتّ على مضض .

(314) الشّجَا : ما يعترض في الحلق من عظم و نحوه .

(315) الكظَم بالتحريك أو بضم فسكون :

مخرج النفس . و المراد أنه صبر على الاختناق .

(316) خَزِيَتْ : ذلّت و هانت .

(317) المبتاع : المشتري .

(318) أُهْبَتُها : عدّتها .

(319) شبّ لظاها : استعارة ، و أصله صعود طرف النار الأعلى .

(320) سَناها : ضوؤها .

(321) استشعار الصبر : اتخاذه شعارا كما يلازم الشعار الجسد .

(322) جُنّته بالضم وقايته ، و الجنّة :

كل ما استترت به .

(323) رغبةً عنه : زهدا فيه .

(324) ديّثَ مبني للمجهول من ديّثه أي : ذلّله .

(325) القَماءة : الصّغار و الذل ، و الفعل منه قمؤ من باب كرم .

(326) الإسهاب : ذهاب العقل أو كثرة الكلام ، أي حيل بينه و بين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة . و روي :

(ضرب على قلبه بالأسداد) جمع سد أي الحجب .

(327) أُديل الحقّ منه ، أي : صارت الدولة للحق بدله .

(328) سِيمَ الخَسْف : أي : أولي الخسف ، و كلّفه . و الخسف الذل و المشقة أيضا .

[446]

(329) النصَف : العدل ، و منع مجهول ،

أي حرم العدل بأن يسلط الله عليه من يغلبه على أمره فيظلمه .

(330) عُقْر الدار بالضم وسطها و أصلها (331) تواكلتم : وكل كل منكم الأمر إلى صاحبه ، أي لم يتولّه أحد منكم ، بل أحاله كلّ على الآخر .

(332) شُنّت الغارات : مزّقت عليكم من كل جانب كما يشن الماء متفرقا دفعة بعد دفعة .

(333) الأنبار : بلدة على شاطىء الفرات الشرقي ، و يقابلها على الجانب الآخر « هيت » .

(334) المسالح : جمع مسلحة بالفتح و هي الثغر و المرقب حيث يخشى طروق الأعداء .

(335) المعاهَدَة : الذميّة .

(336) الحِجْل بالكسر و بالفتح و بكسرين الخلخال .

(337) القُلُب : بضمتين : جمع قلب بالضم فسكون : السوار المصمت .

(338) رُعُثها بضم الراء و العين جمع رعاث ، و رعاث جمع رعثة ،

و هو ضرب من الخرز .

(339) الاسترجاع : ترديد الصوت بالبكاء مع القول : إنّا لله و إنا إليه راجعون ،

و الاسترحام : أن تناشده الرحمة .

(340) وافرين : تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم و يروى (موفورين) .

(341) الكَلْم بالفتح الجرح .

(342) تَرَحاً بالتحريك أي همّا و حزنا .

(343) الغرض : ما ينصب ليرمى بالسهام و نحوها . فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون .

(344) حَمَارّة القيظ بتشديد الراء ،

و ربما خففت في ضرورة الشعر :

شدة الحر .

(345) التسبيخ بالخاء المعجمة :

التخفيف و التسكين .

(346) صَبَارّة الشتاء بتشديد الراء : شدة برده ، و القر بالضم البرد ،

و قيل : هو برد الشتاء خاصة .

(347) حِجال : جمع حجلة و هي القبة ،

و موضع يزين بالستور . و ربات الحجال : النساء .

(348) السّدَمَ : محركة : الهم مع أسف أو غيظ و فعله كفرح .

(349) القيح : ما في القرحة من الصديد ،

و فعله كباع .

(350) شحنتم صدري : ملأتموه .

(351) النُغَب : جمع نغبة كجرعة و جرع لفظا و معنى .

(352) التّهْمَام بالفتح الهم ، و كل تفعال فهو بالفتح إلاّ التبيان و التلقاء فهما بالكسر .

(353) أنفاسا : أي جرعة بعد جرعة .

و المراد أن أنفاسه أمست هما يتجرّعه .

[447]

(354) مِراساً : مصدر مارسه ممارسة و مراسا . أي عالجه و زاوله و عاناه .

(355) ذَرّفْتُ على الستين : زدت عليها ،

و روى المبرد « نيّفت » و هو بمعناه .

(356) آذَنَتْ : أعلمت .

(357) أشرَفَتْ باطّلاع : أقبلت علينا بغتة .

(358) المِضْمار : الموضع و الزمن الذي تضمّر فيه الخيل ، و تضمير الخيل أن تربط و يكثر علفها و ماؤها حتى تسمن ، ثم يقلل علفها و ماؤها و تجري في الميدان حتى تهزل ،

ثم تردّ إلى القوت ، و المدة أربعون يوما . و قد يطلق التضمير على العمل الأول أو الثاني ، و إطلاقه على الأول لأنّه مقدمة للثاني و إلا فحقيقة التضمير : إحداث الضمور و هو الهزال و خفة اللحم ، و إنما يفعل ذلك بالخيل لتخف في الجري يوم السباق .

(359) السّبَقَة بالتحريك الغاية التي يجب على السابق أن يصل إليها .

(360) المنيّة : الموت و الأجل .

(361) البُؤس : بالضم اشتداد الحاجة و سوء الحالة .

(362) الرَهبة بالفتح هي مصدر رهب الرجل من باب علم رهبا بالفتح و بالتحريك و بالضم ، و معناه خاف .

(363) الظعن بالسكون و التحريك الرحيل عن الدنيا و فعله كقطع .

(364) تحرزون أنفسكم : تحفظونها من الهلاك الأبدي .

(365) أهواؤهم : آراؤهم و ما تميل إليه قلوبهم ، و الأهواء جمع هوى ، بالقصر .

(366) يُوهي : يضعف و يفتّت .

(367) الصمّ : جمع أصم ، و هو من الحجارة الصّلب المصمت ،

و الصلاب : جمع صليب ، و الصليب الشديد ، و بابه ظريف و ظراف ،

و ضعيف و ضعاف .

(368) كَيْت و كَيْتَ : كلمتان لا تستعملان إلاّ مكررتين : إما مع واو العطف و إما بدونها و هي كناية عن الحديث .

(369) حِيدي حيَاد : كلمة يقولها الهارب عند الفرار ، و هي من الحيدان : الميل و الانحراف عن الشيء . و حياد : مبني على الكسر كما في قولهم فيحي فياح ، و هي من أسماء الأفعال كنزال .

(370) أعاليل بأضاليل : جمع أعلولة كما أن الأضاليل جمع أضلولة ،

و الأضاليل متعلقة بالأعاليل أي :

أنكم تتعللون بالأباطيل التي لا جدوى لها .

(371) يريد بالتطويل هنا تطويل الموعد و المطل فيه .

(372) المَطُولُ : الكثير المطل ، و هو تأخير أداء الدّين بلا عذر .

[448]

(373) السهم الأخْيَبُ : هو من سهام الميسر الذي لا حظّ له .

(374) الأفْوَقُ من السهام : مكسور الفوق و الفوق موضع الوتر من السهم .

(375) الناصل : العاري عن النصل ، و لا يخفى طيش السهم الذي لا فوق له و لا نصل .

(376) أساء الأثَرَةَ : أساء الاستبداد ،

و كان عليه أن يخفف منه حتى لا يزعجكم .

(377) أسأتم الجَزَعَ : أي لم ترفقوا في جزعكم ، و لم تقفوا عند الحد الأولى بكم .

(378) عاقصاً قَرْنه من « عقص الشعر » إذا ضفره و فتله و لواه ، كناية عن تغطرسه و كبره .

(379) يركب الصعب : يستهين به و يزعم أنه ذلول سهل . و الصعب : الدابة الجموح .

(380) العريكة : الطبيعة . و الخلق ، و أصل العرك دلك الجسد بالدّباغ و غيره .

(381) عَداهُ الأمرُ : صرفه ، و بدأ :

ظهر ، و المراد : ما الذي صرفك عما كان بدا و ظهر منك ؟

(382) العَنُود : الجائر من « عند يعند » كنصر ، جار عن الطريق و عدل .

(383) الكَنُود : الكفور .

(384) القارعة : الخطب يقرع من ينزل به ، أي : يصيبه .

(385) كَلاَلَةَ حَدّه : ضعف سلاحه عن القطع في أعدائه ، يقال :

كلّ السيف كلالة إذا لم يقطع ،

و المراد إعوازه من السلاح .

(386) نضيضُ وَفْرِهِ : قلّة ماله ،

فالنضيض القليل ، و الوفر : المال .

(387) المُجْلِبُ بخَيْلِهِ : من « أجلب القوم » أي جلبوا و تجمعوا من كل أوب للحرب .

(388) الرَّجِلُ : جمع راجل .

(389) « أشرط نفسه » : هيأها و أعدها للشر و الفساد في الأرض .

(390) « أوْبَقَ دِينَه » : أهلكه .

(391) الحطام : المال ، و أصله ما تكسر من اليبس .

(392) ينتهزه : يغتنمه أو يختلسه .

(393) المِقْنَب : طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين .

(384) فَرَعَ المنبر بالفاء : علاه .

(395) طَامَنَ : خفض .

(396) الذريعة : الوسيلة .

(397) ضُؤولة النفس بالضم : حقارتها .

(398) مَرَاح : مصدر ميمي من راح :

إذا ذهب في العشي .

(399) مَغْدَى : مصدر ميمي من غدا إذا ذهب في الصباح .

(400) النّادّ : المنفرد الهارب من الجماعة إلى الوحدة .

(401) المقموع : المقهور .

[449]

(402) المكْعُوم : من « كعم البعير » شدّ فاه لئلا يأكل أو يعضّ .

(403) ثَكْلان : حزين .

(404) أخمله : أسقط ذكره حتى لم يعد له بين الناس نباهة .

(405) التّقيّة : اتقاء الظلم بإخفاء المال .

(406) الأُجاج : الملح .

(407) ضامزة : ساكنة .

(408) قَرِحَة : بفتح فكسر مجروحة .

(409) ملّوا : أي أنهم أكثروا من وعظ الناس حتّى سئموا ذلك إذ لم يكن لهم في النفوس تأثير .

(410) الحُثالة بالضم : القشارة و ما لا خير فيه ، و أصله ما يسقط من كل ذي قشر .

(411) القَرَظ محركة . ورق السلم أو ثمر السنط يدبغ به .

(412) الجَلَم بالتحريك : مقراض يجزّ به الصوف ، و قراضته : ما يسقط منه عند القرض و الجزّ .

(413) أشْغَفَ بها : أشد تعلقا بها .

(424) الرّغام بالفتح : التّراب ، و قيل :

هو الرمل المختلط بالتراب .

(415) الخِرّيت بوزن سكّيت : الحاذق في الدلالة ، و فعله كفرح .

(416) يَخْصِفُ نَعْلَهُ : يخرزها .

(417) بَوّأهُمْ مَحَلّتَهم : أنزلهم منزلتهم .

(418) القناة : العود و الرمح ، و المراد به القوة و الغلبة و الدولة . و في قوله (استقامت قناتهم) تمثيل لاستقامة أحوالهم .

(420) السَاقَةُ : مؤخّر الجيش السائق لمقدّمة .

(421) وَلّتْ بحذافيرها : بجملتها و أسرها .

(422) نَقَبَ : بمعنى ثقب و في قوله (لأنقبنّ الباطل) تمثيل لحال الحق مع الباطل كأن الباطل شيء اشتمل على الحق فستره ، و صار الحق في طيّه ، فلا بد من كشف الباطل و إظهار الحق .

(423) المَحضُ : اللبن الخالص بلا رغوة .

(424) أُفّ لكم : كلمة تضجّر و استقذار و مهانة .

(425) دوَرَان الأعين : اضطرابها من الجزع .

(426) الغَمْرَة : الواحدة من الغمر و هو السّتر ، و غمرة الموت الشدة التي ينتهي إليها المحتضر .

(427) يُرْتَجُ : بمعنى يغلق تقول : رتج الباب أي أغلقه .

(428) الحَوار بالفتح و ربما كسر :

المخاطبة و مراجعة الكلام .

(429) تَعْمَهُون : مضارع عمه ، أي تتحيّرون و تتردّدون .

(430) المَألُوسة : المخلوطة بمس الجنون .

(431) سَجِيس بفتح فكسر كلمة تقال بمعنى أبدا ، و سجيس : أصله من « سجس الماء » بمعنى تغيّر و تكدّر و كان أصل الاستعمال : « ما دامت الليالي بظلامها » .

(432) يُمال بكم : يمال على العدو بعزكم و قوتكم .

[450]

(433) الزّافرة من البناء : ركنه ، و من الرجل عشيرته و أنصاره .

(434) السّعْر بالفتح مصدر سعر النار من باب نفع : أوقدها ، و بالضم جمع ساعر ، و هو ما أثبتناه . و المراد « لبئس موقدو الحرب أنتم » .

(435) امْتَعَضَ : غضب .

(436) حَمِسَ كفرح اشتد و صلب في دينه فهو حمس .

(437) الوَغى : الحرب ، و أصله الصوت و الجلبة .

(438) اسْتَحَرّ : بلغ في النفوس غاية حدّته .

(439) انفرجتم انفراج الرأس : أي كما ينفلق الرأس فلا يلتئم .

(440) يَعْرُقُ لَحْمَهُ : يأكل حتى لا يبقى منه شيء على العظم .

(441) فَرَاه يفريه : مزّقه يمزقه .

(442) ما ضُمت عليه الجوانح : هو القلب و ما يتبعه من الأوعية الدموية ،

و الجوانح : الضلوع تحت الترائب ،

و الترائب : ما يلي التّرقوتين من عظم الصدر .

(443) المَشْرَفِيّة : هي السيوف التي تنسب إلى مشارف ، و هي قرى من أرض العرب تدنو إلى الريف ، و لا يقال في النسبة إليها مشارفي ، لأن الجمع ينسب إلى واحدة .

(444) فَرَاشُ الهامِ : العظام الرقيقة التي تلي القحف .

(445) تَطِيحُ السواعِدُ : تسقط ، و فعله كباع و قال .

(446) الفَيْء : الخراج و ما يحويه بيت المال .

(447) الخَطْبُ الفادح : الثقيل ، من فدحه الدّين كقطع إذا أثقله و عاله و بهظه (448) الحَدَث بالتحريك : الحادث ،

و المراد هنا ما وقع من أمر الحكمين كما هو مشهور في التاريخ .

(449) نَخَلْتُ لكم مخزونَ رأيي :

أخلصته ، من نخلت الدقيق بالمنخل .

(450) قصير هو مولى جذيمة المعروف بالأبرش ، و المثل مشهور في كتب الأمثال .

(451) « ضَنّ الزّنْدُ بقَدْحِهِ » هذه كناية أنه لم يعد له رأي صالح لشدة ما لقي من خلافهم .

(452) « أخو هوازن » هو دريد بن الصّمّة .

(453) مُنْعَرَج اللّوى : اسم مكان ،

و أصل اللّوى من الرمل : الجدد بعد الرّملة : و منعرجه : منعطفه يمنة و يسرة .

(454) النّهْرَوان : اسم لأسفل نهر بين لخافيق ، و طرفاه على مقربة من الكوفة في طرف صحراء حروراء .

و كان الذين خطّؤوه في التحكيم قد نقضوا بيعته ، و جهروا بعداوته ،

و صاروا له حربا ، و اجتمع معظمهم عند ذلك الموضع ، و هؤلاء يلقبون بالحروريّة لما تقدم أن الأرض التي اجتمعوا عليها كانت تسمى حروراء

[451]

و كان رئيس هذه الفئة الضالة :

حرقوص بن زهير السعدي ،

و يلقب بذي الثّديّة (تصغير ثدية) خرج إليهم أمير المؤمنين يعظهم في الرجوع عن مقالتهم و العودة إلى بيعتهم ، فأجابوا النصيحة برمي السهام و قتال أصحابه كرّم الله وجهه فأمر بقتالهم . و تقدم القتال بهذا الانذار الذي تراه . و قيل : إنه عليه السلام خاطب بها الخوارج الذين قتلهم بالنهروان .

(455) صَرْعَى : جمع صريع ، أي طريح (456) الأهْضام : جمع هضم ، و هو المطمئن من الوادي .

(457) الغائط : ما سفل من الأرض ،

و المراد هنا المنخفضات .

(458) طَوّحَتْ بكم الدار : قذفتكم في متاهة و مضلّة .

(459) احْتَبَلَكُمُ المِقْدَارُ : احتبلكم :

أوقعكم في حبالته ، و المقدار :

القدر الإلهي .

(460) أخِفَّاءُ الهامِ : ضعاف العقل الهام الرأس ، و خفتها كناية عن الطيش و قلة العقل .

(461) سُفَهَاء الأحلامِ : السفهاء :

الحمقى ، و الأحلام : العقول .

(462) البُجْر بالضم : الشر و الأمر العظيم و الداهية .

(463) فَشِلُوا : خاروا و جبنوا ، و ليس معناها أخفقوا كما نستعملها الآن .

(464) تَقَبّعُوا : اختبآوا ، و أصله تقبّع القنفذ إذا أدخل رأسه في جلده .

(465) تَعْتَعُوا : ترددوا في كلامهم من عيّ أو حصر .

(466) الفَوْت : السبق .

(467) طِرْتُ بعِنَانِها : العنان للفرس معروف ، و طار به : سبق به .

(468) اسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِها : الرهان :

الجعل الذي وقع التراهن عليه .

و استبددت به : انفردت به .

(469) لم يكن فِيّ مَهْمَزٌ و لا مَغْمَزٌ : لم يكن فيّ عيب أعاب به ، و هو من الهمز : الوقيعة . و الغمر : الطعن .

(470) سَمْتُ الهُدَى : طريقته .

(471) مُنِيتُ : بليت .

(472) تُحْمِشُكُم : تغضبكم على أعدائكم .

(473) المُسْتَصرِخ : المستنصر (المستجلب من ينصره بصوته) .

(474) مُتَغَوّثاً : أي قائلا « وا غوثاه » .

(475) جَرْجَرْتُمْ : الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته عند عسفه .

(476) الأَسَرّ : المصاب بداء السّرر ، و هو مرض في كركرة البعير ، أي زوره ، ينشأ من الدّبرة و القرحة .

(477) النّضْوِ : المهزول من الإبل ،

و الأدبر : المدبور ، أي : المجروح المصاب بالدّبرة بالتحريك و هي العقر و الجرح من القتب و نحوه .

[452]

(478) التَّوْأَمُ : الذي يولد مع الآخر في حمل واحد .

(479) الجُنّة بالضم : الوقاية ، و أصلها ما استترت به من درع و نحوه .

(480) أوقى منه : أشدّ وقاية و حفظا .

(481) الكَيْس بالفتح : الفطنة و الذكاء .

(482) الحُوّلُ القُلّب بضم الأول و تشديد الثاني من اللفظين هو : البصير بتحويل الثاني من اللفظين هو : البصير بتحويل الأمور و تقليبها .

(483) الحَرِيجَة : التحرج و التحرز من الآثام .

(484) طُولُ الأمَلِ : هو استفساح الأجل ، و التسويف بالعمل .

(485) الحَذّاء بالتشديد : الماضية السريعة .

(486) الصُبابة بالضم : البقية من الماء و اللبن في الإناء .

(487) اصْطَبّها صَابّهُا : كقولك : أبقاها مبقيها ، أو تركها تاركها .

(488) جَذّاء بالجيم أي : مقطوع خيرها و درّها .

(489) الأناة : التثبّتُ و التأني .

(490) أرْوِدُوا : ارفقوا ، أصله من أرود في السير إروادا ، إذا سار برفق .

(491) الإعْداد : التهيئة .

(492) وَ لَقَدْ ضرَبْتُ أنفَ هذا الأمْرِ و عَيْنَهُ : مثل تقوله العرب في الاستقصاء في البحث و التأمل و الفكر .

(493) أوْجَدَ الناسَ مَقالا : جعلهم واجدين له .

(494) خاسَ به : خان و غدر .

(495) قَبّحَهُ الله : أي نحّاه عن الخير .

(496) بَكّتَهُ : قَرّعَهُ وز عَنّفَهُ .

(495) مَيْسُورُه : ما تَيَسرَ له .

(498) الوُفور : مصدر وفر المال ، أي تم .

(499) مَقْنُوط : ميؤوس ، من القنوط و هو اليأس .

(500) مُسْتَنْكف : الاستنكاف :

الاستكبار .

(501) مُنيَ لها الفَنَاءُ ببناء الفعل للمجهول أي : قُدّرَ لها .

(502) الجلاء : الخروج من الأوطان .

(503) التَبَسَتْ بِقَلْبِ الناظِرِ : اختلطت به محبة .

(505) البَلاغ : ما يتبلّغ به ، أي :

يقتات به مدة الحياة .

(506) الكَفاف : ما يكفّك أي :

يمنعك عن سؤال غيرك ، و هو مقدار القوت .

(506) الوَعْثَاءَ : المشقة ، و أصله المكان المتعب لكثرة رمله و غوص الأرجل فيه .

(507) المُنْقَلَب : مصدر بمعنى الرجوع .

(508) الأديم : الجلد المدبوغ .

(509) العُكاظِيّ : نسبة إلى عكاظ كغراب و هي سوق كانت تقيمها العرب في صحراء بيت نخلة و الطائف يجتمعون إليه ليتعاكظوا أي يتفاخروا .

(510) النّوَازِل : الشدائد .

[453]

(511) وَقَبَ : دخل .

(512) غَسَقَ : اشتدت ظلمته .

(513) خَفَقَ النجم : غاب .

(514) المُقَدِّمَة بكسر الدال صدر الجيش ، و مقدّمة الانسان بفتح الدال : صدره .

(515) المِلْطاط : حافة الوادي و شفيره و ساحل البحر .

(516) الشّرْذِمة : النفر القليلون .

(517) الأكناف : الجوانب و « موطّنين الأكناف » أي : جعلوها وطنا .

(518) الأمْداد : جمع مدد ، و هو ما يمدّ به الجيش لتقويته .

(519) بَطَنَ الخفيّات : علمها من باطنها .

(520) الأعْلام : جمع علم بالتحريك و هو المنار يهتدى به ، ثم عمّ في كل ما دل على شيء ، و أعلام الظهور :

الأدلة الظاهرة .

(521) المُرْتادِين : الطالبين للحقيقة .

(522) الضِغْث بالكسر قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب باليابس .

(523) الشريعة : مورد الشاربة من النهر .

(524) اسْتَطْعَمُوكُمُ القِتَال : طلبوا منكم أن تطعموهم القتال ، كما يقال « فلان يستطعمني الحديث » أي : يستدعيه مني .

(525) اللُّمَةُ بالتخفيف الجماعة القليلة .

(526) عَمّسَ عَلَيْهِمِ الخَبَرَ : أبهمه عليهم و جعله مظلما .

(527) الأغراض : جمع غرض ، و هو الهدف (528) تَنَكّرَ مَعْرُوفُها : خفي وجهها .

(529) حَذّاء : ماضية ، سريعة ، و قد سبق تفسيرها ، و في رواية « جذاء » بالجيم أي مقطوعة الدّرّ و الخير .

(530) تَحْفِزُهم : تدفعهم و تسوقهم .

(531) تَحْدُو : بالواو بعد الدال :

تسوقهم بالموت إلى الهلاك .

(532) أمَرّ الشيء : صار مرّا .

(533) كدِر كدَراً كفرح فرحا و كدر بالضم ، كظرف ، كدورة :

تعكّر و تغير لونه و اختلط بما لا يستساغ هو معه .

(534) السَمَلَة محركة بقية الماء في الحوض .

و الإداوة : المطهرة . و هي إناء الماء الذي يتطهّر به .

(535) المَقْلَة بالفتح : حصاة يضعها المسافرون في إناء ، ثم يصبون الماء فيه ليغمرها ، فيتناول كل منهم مقدار ما غمره . يفعلون ذلك إذا قل الماء ، و أرادوا قسمته بالسوية .

(536) التمزّز : الامتصاص قليلا قليلا ،

و الصّديان : العطشان .

(537) لم يَنْقَعْ : لم يرو .

(538) أزْمِعُوا الرحيلَ : أي اعزموا عليه ،

يقال : أزمع الأمر ، و لا يقال أزمع عليه .

(539) المقدور : المكتوب .

[454]

(540) الوُلّه العِجَال : الولّه : جمع والهة و هي كلّ أنثى فقدت ولدها ،

و أصل الوله ذهاب العقل ، و العجال من النّوق جمع عجول : و هي التي فقدت ولدها .

(541) هَدِيلُ الحمام : صوته في بكائه لفقد إلفه .

(542) جَأرْتُمْ : رفعتم أصواتكم ،

و الجؤار : الصوت المرتفع .

(543) المَتَبَتّل : المنقطع للعبادة .

(544) انماثت انمياثا : ذابت ذوبانا .

(545) الأضحية : الشاة الّتي طلب الشارع ذبحها بعد شروق الشمس من عيد الأضحى .

(546) اسْتِشراف أُذُنِها : تفقدّها حتى لا تكون مجدوعة أو مشقوقة .

(547) عَضْباء القَرْن) مكسورته .

(548) تَجُرّ رِجْلَها إلى المَنْسَك : أي عرجاء ، و المنسك : المذبح .

(549) تَدَاكّوا : تزاحموا عليه ليبايعوه رغبة فيه .

(550) الهِيم : العطاش من الإبل .

(551) يوم وِرْدِها : يوم شربها الماء .

(552) المَثَاني : جمع المثناة بفتح الميم و كسرها : حبل من صوف أو شعر يعقل به البعير .

(553) تَعْشُو إلى ضوْئي : تستدل عليه ببصر ضعيف .

(554) تَبُوء بآثامها : ترجع .

(555) اللّقَم بالتحريك و بوزن صرد أيضا : معظم الطريق أو جادّته .

(556) مَضَض الألم : لذعته و برحاؤه .

(557) التّصاول : أن يحمل كل واحد من النّدّين على صاحبه .

(558) يتخالَسان أنْفُسَهُما : كل منهما يطلب اختلاس روح الآخر .

(559) الكَبْت : الإذلال .

(560) جِران البعير بالكسر : مقدّم عنقه من مذبحه إلى منحره ، و إلقاء الجران : كناية عن التمكّن .

(561) الاحتلاب : استخراج ما في الضّرع من اللبن .

(562) سيَظْهَرُ عليكُم : سيغلب .

(563) رَحْبُ البُلْعُوم : واسعه .

(564) مُنْدَحِقُ البَطْن : عظيم البطن بارزه ، كأنه لعظمه مندلق من بدنه يكاد يبين عنه و أصل « اندحق » بمعنى انزلق .

(565) الحاصِبُ : ريح شديدة تحمل التراب و الحصى ، و الجملة دعاء عليهم بالهلاك .

(566) الآثِر : الذي يأثر الحديث ، أي يرويه و يحكيه . و المراد : لا بقي منكم مخبر يروي أثرا . و هذا اللفظ (آثر) أقرب إلى السياق هنا من (آبر) و (آبز) . و قد اختاره الشريف الرضي و وجده أصح الوجوه .

[455]

(567) فأوبُوا شرّ مَآبٍ : انقلبوا شرّ منقلب بضلالتكم في زعمكم .

(568) الأعقاب : جمع عقب بكسر القاف و هو مؤخر القدم .

(566) الأثَرة : الاستبداد بفوائد الملك .

(570) قَرارات النساء : كناية عن الأرحام (571) « كُلّما نَجَمَ منهم قَرْنٌ قُطعَ » :

كلما ظهر أو طلع منهم رئيس قتل .

(572) الغَيْلة : القتل على غرّة بغير شعور من المقتول كيف يأتيه القاتل .

(573) الجُنّة بالضم : الوقاية و الملجأ و الحصن ، و قد سبقت .

(574) طاش السهم عن الهدف من باب باع أي : جاوره و لم يصبه .

(575) الكَلْمُ بالفتح : الجرح .

(576) سابغاً : ممتدا ساترا للأرض .

(577) قَلَصَ : انقبض .

(578) « بَادِرُوا آجالَكُم بأعمالِكمْ »

أي : سابقوها و عاجلوها بها .

(579) ابتاعوا : اشتروا ما يبقى من النعيم الأبدي ، بما يفنى من لذة الحياة الدنيا و شهواتها المنقضية .

(580) الترحّل : الانتقال ، و المراد هنا لازمه ، و هو : إعداد الزاد الذي لا بد منه للراحل .

(581) جُدّ بكم : أي حثثتم و أزعجتم إلى الرحيل .

(582) أظَلَكم : قرب منكم من كأنّ له ظلا قد ألقاه عليكم .

(583) سُدىً : مهملين .

(584) يحدوه : يسوقه ، و الجديدان الليل و النهار .

(585) حَرِيّ : جدير .

(586) الأَوْبَة : الرجعة .

(587) « ما تَحْرُزُون به أنفسَكُمْ » أي :

تحفظونها به .

(588) يُسَوّفها : يؤجّلها ، و يؤخرها .

(589) لا تُبْطِرُهُ النعمة : لا تطغيه ، و لا تسدل على بصيرته حجاب الغفلة عما هو صائر إليه .

(590) يَصَمّ بفتح الصاد مضارع « صمّ » من باب علم إذا أصيب بالصميم و فقد السمع ، و ما عظم من الأصوات حتى فات المألوف الذي يستطيع احتماله يحدث فيها الصمم بصدعه لها .

(591) النِّد بكسر النون : النظير و المثل ،

و لا يكون إلا مخالفا ، و جمعه أنداد مثل : حمل و أحمال .

(592) المُثَاوِر : المواثب و المحارب .

(593) الشريك المكاثر : المفاخر بالكثرة ،

هذا إذا قرىء بالثاء المثلثة ، و يروى « المكابر » بالباء الموحدة أي :

المفاخر بالكبر و العظمة .

(594) الضّدّ المُنافِر : الذي يحاكي ضده في الرفعة و النسب فيغلبه .

(595) مَرْبُوبُون : أي مملوكون .

(596) داخِرون : أذلاّء من دخر .

[456]

(597) « لم يَنْأ عنها » : أي : لم ينفصل انفصال الجسم .

(598) بائن : منفصل .

(599) لم يؤدْه : لم يثقله ، آده الأمر يؤوده : أثقله و أتعبه .

(600) ذرأ : خلق .

(601) وَلَجَتْ عليه : دخلت .

(602) مُبْرَم : محتوم ، و أصله من « أبرم الحبل » جعله طاقين ، ثم فتله .

و بهذا أحكمه .

(603) اسْتَشْعِرُوا الخَشْيَةَ : اجعلوها من شعاركم . و الشعار هو ما يلي البدن من الثياب .

(604) تَجَلْببَ : لبس الجلباب ،

و هو ما تغطي به المرأة ثيابها من فوق .

(605) النواجذ : جمع ناجذ ، و هو أقصى الأضراس . و لكل إنسان أربعة نواجذ و هي بعد الأرحاء . و يسمى الناجذ ضرس العقل . و إذا عضضت على ناجذك تصلّبت أعصابك و عضلاتك المتصلة بدماغك .

(606) أنْبَى للسيوف : أبعد عنها .

(607) الهام : جمع هامة : و هي الرأس .

(608) اللأمَة : الدّرع . و إكمالها أن يزاد عليها البيضة و نحوها . و قد يراد من اللأمة آلات الحرب و الدفاع و إكمالها على هذا استيفاؤها .

(609) قَلْقِلُوا السيوف : حرّكوها في أغمادها .

(610) الأغْماد جمع غمد : و هو بيت السيف .

(611) الخَزَر : محركة ، و سكّنها مراعاة للسجعة الثانية : النظر من أحد الشقّين ، و هو علامة الغضب .

(612) الشّزْر بفتح الشين : الطعن في الجوانب يمينا و شمالا .

(613) نافحوا بالظّبا : نافحوا : كافحوا و ضاربوا ، و الظّبا بالضم : جمع ظبة ، و هي طرف السيف و حدّه .

(614) صِلُوا السّيُوفَ بالخُطَا : صلوا من الوصل أي : اجعلوا سيوفكم متصلة بخطا أعدائكم ، جمع خطوة .

(615) الفَرّ : الفرار .

(616) « عارٌ في الأعْقاب » : هنا الأولاد ،

لأنهم يعيّرون بفرار آبائهم .

(617) السُجُح بضمتين : السهل .

(618) الرِّوَاق المُطَنّب : الرواق ككتاب و غراب الفسطاط ، و المطنّب :

المشدود بالأطناب جمع طنب بضمتين و هو حبل يشدّ به سرادق البيت .

(619) الثَبَجَ بالتحريك : الوسط .

(620) كِسْرُه بالكسر شقّه الأسفل ،

كناية عن الجوانب التي يفر إليها المنهزمون .

(621) الصَّمَدْ : القصد أي فاثبتوا على قصدكم .

(622) « لن يَتِرَكُم أعمالكم » : لن ينقصكم شيئا من جزائها .

(623) سقيفة بني ساعدة : اجتمع فيها الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم لاختيار خليفة له .

(624) العَرْصَة : كل بقعة واسعة بين الدّور . و المراد ما جعل لهم مجالا للمغالبة . و أراد بالعرصة عرصة مصر ، و كان محمد قد فر من عدوّه ظنّا منه أنه ينجو بنفسه ، فأدركوه و قتلوه .

(625) البِكار ككتاب جمع بكر :

الفتيّ من الإبل . العمدة . بفتح فكسر : التي انفضح داخل سنامها من الركوب ، و ظاهره سليم .

(626) الثياب المُتداعية : الخلقة المتخرّقة .

و مداراتها : استعمالها بالرفق التام .

(627) حيصَتْ : خيطت .

(628) تَهَتّكَتْ : تخرّقت .

(629) المَنْسر كمجلس و منبر : القطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكثير .

و أطلّ : أشرف .

(630) إنْجَحَرَ : دخل الجحر .

(631) الوِجار بالكسر : جحر الضّبع و غيرها .

(632) الأفْوَق من السهام : ما كسر فوقه ، أي موضع الوتر منه .

و الناصل : العاري من النصل ،

و السهم إذا كان مكسور الفوق عاريا عن النصل لم يؤثّر في الرمية .

(633) الباحات : الساحات .

(634) أوَدَكم بالتحريك : اعوجاجكم .

(635) أضْرَعَ الله خُدُودَكم : أذلّ الله وجوهكم .

(636) و أتْعَسَ جُدُودَكم : أي : حط من حظوظكم . و التّعَس : الانحطاط و الهلاك و العثار .

(637) السُّحْرة بالضم السّحر الأعلى من آخر الليل .

(638) مَلَكَتْني عَيْني : غلبني النوم .

(639) سنح لي رسول الله : مرّ بي كما تسنح الظباء و الطير .

(640) أمْلَصَت : أسقطت ، و ألقت ولدها ميتا .

(641) قَيّمها : زوجها .

(642) تأيّمُها : خلوّها من الأزواج .

(643) ويْلُ امّهِ : كلمة استعظام تقال في مقام المدح و إن كان أصل وضعها لضده ، و مثل ذلك معروف في لسانهم يقولون للرجل يعظمونه و يقرظونه « لا أبا لك » في الحديث « فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

(644) « داحي المدحوات » أي : باسط المبسوطات و أراد منها الأرضين .

(645) داعم المَسْمُوكات : مقيمها و حافظها ، و المسموكات : المرفوعات و هي السماوات و أصلها سمك بمعنى رفع .

(646) جابِل القُلوب : خالقها .

[458]

(647) الفِطْرة : أول حالات المخلوق التي يكون عليها في بدء وجوده ،

و هي للانسان : حالته خاليا من الآراء و الأهواء و الديانات و العقائد .

(648) الشّرَائِف : جمع شريفة .

(649) النّوَامي : الزوائد .

(650) الخاتمُ لما سَبَقَ : أي لما تقدّمه من النبوّات .

(651) الفاتح لما انْغَلَقَ : كانت أبواب القلوب قد أغلقت بإقفال الضلال عن طوارق الهداية فافتتحها صلى الله عليه و آله و سلم بآيات نبوّته .

(652) جَيْشات الأباطيل : جمع باطل على غير قياس : كما أن الأضاليل جمع ضلال على غير قياس ، و جيشاتها :

جمع جيشة بفتح فسكون من جاشت القدر إذ ارتفع غليانها .

(653) الصّوْلات : جمع صولة ، و هي السطوة ، و الدامغ من دمغه إذا شجّه حتى بلغت الشجّة دماغه .

(654) فاضْطَلَع أي : نهض بها قويا و الضّلاعة : القوة .

(655) المُسْتَوْفِز : المسارع المستعجل .

(657) الناكِل : الناكص و المتأخّر ، أي غير جبان .

(657) القُدُم بضمتين : المشي إلى الحرب ، و يقال : مضى قدما ،

أي سار و لم يعرّج .

(658) الواهي : الضعيف .

(659) واعياً لِوَحْيك : أي حافظا و فاهما ،

وعيت الحديث ، إذا حفظته و فهمته .

(660) أوْرَى قَبَسَ القابِس : يقال :

ورى الزّند كوعى و وري كولي يري وريا فهو وار : خرجت ناره ، و أوريته و ورّيته و استوريته و القبس : شعلة من النار ، و القابس الذي يطلب النار .

(661) الخابِط : الذي يسير ليلا على غير جادّة واضحة ، فإضاءة الطريق له جعلها مضيئة ظاهرة .

(662) الخوْضات : جمع خوضة ، و هي المرّة من الخوض .

(663) الأعْلام : جمع علم بالتحريك و هو ما يستدل به على الطريق كالمنار و نحوه .

(664) العِلْم المخزون : ما اختصّ الله به من شاء من عباده ، و لم يبح لغير أهل الحظوة به أن يطلعوا عليه ،

و ذلك مما لا يتعلق بالأحكام الشرعية .

(665) شهيدك : شاهدك على الناس ،

كما قال الله تعالى : فكيف إذا جئنا من كل أُمّة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيداً .

(666) بَعِيثك بالحق ، أي : مبعوثك ، فهو فعيل بمعنى مفعول كجريح و طريح .

(667) افْسَحْ له : وسّع له ما شئت أن توسع « في ظلك » أي : إحسانك و برّك ، فيكون الظل مجازا .

[459]

(668) مُضَاعَفات الخير : أطواره و درجاته (669) قَرار النّعْمَةِ : مستقرّها حيث تدوم و لا تفنى .

(670) مُنى الشّهَوَات : منى جمع منية بالضم و هي ما يتمناه الانسان لنفسه ، و الشهوات ما يشتهيه .

(671) رَخَاء الدّعَة : الرخاء : من قولهم « رجل رخيّ البال » أي : واسع الحال . و الدّعة : سكون النفس و اطمئنانها .

(672) تُحَف الكَرامة : التحف : جمع تحفة ، و هي ما يكرم به الإنسان من البرّ و اللطف .

(673) استشفعهما إليه : سألهما أن يشفعا له عنده . و ليس من الجيد قولهم :

استشفعت به .

(674) كفّ « يهوديّة » أي : غادرة ماكرة .

(675) السُّبّة بالضم : الإست ، و هما مما يحرص الإنسان على إخفائه ،

و كني به عن الغدر الخفي .

(676) الأكْبُش : جمع كبش ، و هو من القوم رئيسهم .

(677) زُخْرُفُه و زِبْرِجه : أصل الزخرف :

الذهب و كذلك الزبرج بكسرتين بينهما سكون ثم أطلق على كل مموّه مزوّر ، و أغلب ما يقال الزّبرج على الزينة من وشي أو جوهر .

(678) قَرْفي : قرفه قرفا بالفتح :

عابه . و الاسم منه القرف بسكون الراء .

(679) حَجِيج المارقين : خصيمهم ،

و المارقون : الخارجون من الدين .

(680) الناكثون المرتابون : الناقضون للعهد الذين لا يقين لهم .

(681) الأمْثال : يراد بها هنا متشابهات الأعمال و الحوادث : تعرض على القرآن فما وافقه فهو الحق المشروع ،

و ما خالفه فهو الباطل الممنوع ، و هو كرم الله وجهه قد جرى على حكم كتاب الله في أعماله ، فليس للغامز عليه أن يشير إليه بمطعن ، ما دام ملتزما لأحكام الكتاب .

(682) الحُكْم هنا : الحكمة ، قال الله تعالى : و آتيناه الحُكْمَ صبيّاً .

(683) وَعَى : حفظ و فهم المراد .

(684) دنا : قرب من الرشاد الذي دعا اليه .

(685) الحُجْزَة بالضم معقد الإزار ،

و المراد الاقتداء و التمسك ، يقال :

أخذ فلان بحجزة فلان ، إذا اعتصم به و لجأ إليه .

(686) اكتَسَبَ مَذْخوراً : كسب بالعمل الجليل ثوابا يذخره و يعدّه لوقت حاجته .

(687) كابَرَ هواه : غالبه . و يروى « كاثر » بالمثلثة أي : غالبه بكثرة أفكاره الصائبة فغلبه .

(688) الغرّاء : النيّرة الواضحة .

(689) المَحَجّة : جادّة الطريق و معظمه

[460]

(690) المَهَل هنا : مدة الحياة مع العافية ،

فإنه أمهل فيها دون أن يؤخذ بالموت أو تحلّ به بائقة العذاب .

(691) هو على القلب ، المراد من هذه الرواية مقلوبها و عكسها .

(692) الحُزّة بالضم : القطعة ، و فسر صاحب القاموس « الوذمة » بمجموع المعى و الكرش .

(693) وَأَيْتُ : وعدت . وأى كوعى وعد و ضمن .

(694) رَمَزَات الألحاظ : الإشارة بها ،

و الألحاظ جمع لحظ ، و هو باطن العين . أما اللحاظ و هو مؤخّر العين فلا نعرف له جمعا إلا « لحظ » بضمتين .

(695) سَقَطات الألفاظ : لغوها .

(696) شَهَوَات الجَنَان : القلب ،

و اللب . و شهواته : ما يكون من ميل منه إلى غير الفضيلة .

(697) هَفَوَات اللّسان : زلاّته .

(698) حاقَ به الضرّ : أحاط به .

(699) الكاهن : من يدّعي كشف الغيب .

(700) التورّع : الكف عن الشبهات خوف الوقوع في المحرّمات ، يقال :

ورع الرجل من باب علم و قطع و كرم و حسب و رعا ، مثل وعد ،

و ورعا بفتحتين كطلب و وروعا أي جانب الإثم .

(701) عَزَبَ عنكم من باب ضرب و دخل عزوبا بضمتين كدخول أي : بعد عنكم .

(702) أعْذَرَ : بمعنى أنصف ، و أصله مما همزته للسلب . فأعذرت فلانا سلبت عذره أي : ما جعلت له عذرا يبديه لو خالف ما نصحته به .

(703) مُسْفِرَة : كاشفة عن نتائجها الصحيحة .

(704) بارِزَة العُذْر : ظاهرته .

(705) العناء : التعب .

(706) ساعاها : جاراها سعيا .

(707) واتَتْهُ : طاوعته .

(708) عَلاَ بحَوْلِهِ : عزّ و ارتفع عن جميع ما سواه ، لقوته المستعلية بسلطة الإيجاد على كل قوّة .

(709) « دَنا بِطَوْلِهِ » أي : إنه مع علوّه ،

سبحانه و ارتفاعه في عظمته دنا و قرب من خلقه بطوله أي : عطائه و إحسانه (710) الأزْل بالفتح : الضيق و الشدة .

(711) سوابِغ النّعَم : كواملها من سبغ الظلّ : إذا عمّ و شمل .

(712) أوّلاً بادياً : أي سابقا كلّ شيء من الوجود ، ظاهرا بذاته مظهرا لغيره .

(713) إنهاء عُذْرِه : إبلاغه ، و العذر هنا كناية عن الحجج العقلية و النقلية التي أقيمت ببعثة النبي .

(714) النُّذُر : جمع نذير : الأخبار الإلهية المنذرة بالعقاب على سوء الأعمال .

(715) ضرَبَ الأمثال : جاء بها في الكلام ،

لإيضاح الحجج ، و تقريرها في الأذهان .

(716) وَقّتَ الآجالَ : جعلها في أوقات محدودة لا متقدم عنها و لا متأخر .

(717) الرّياش : ما ظهر من اللباس .

(718) أرْفَغَ لكم المعاش ، أي : أوسع ،

يقال : رفغ عيشه بالضم رفاغة ، أي : اتّسع .

(719) أحاطكم بالإحصاء : أي جعل إحصاء أعمالكم و العلم بها عملا كالسّور لا تنفذون منه و لا تتعدّونه .

(720) أرصد لكم الجزاء : أعدّه لكم فلا محيص عنه .

(721) الرِّفَد : جمع رفدة ككسرة .

و هي العطية .

(722) الرّوَافِغ : الواسعة .

(723) الحجج البَوَالغ : الظاهرة البيّنة .

(724) « وَظّفَ لكم مُدَداً » : أي قدّر لكم ، و المدد جمع مدّة ، أي :

عين لكم أزمنة تحيون فيها .

(725) « في قرارِ خِبرة » أي : في دار ابتلاء و اختبار ، و هي دار الدنيا .

(726) دَنِقٌ كفرح : كدر .

(727) وَدِغٌ : كثير الطين و الوحل و المشرع : مورد الشاربة للشرب .

(728) يُونِقُ : يعجب .

(729) يُوبِقُ : يهلك .

(730) حائِل : اسم فاعل من « حال » إذا تحوّل و انتقل .

(731) « وَ ضَوْءٌ آفِلٌ » : غائب لا يلبث أن يظهر حتى يغيب .

(732) السّنَاد بالكسر ما يستند إليه ،

أو دعامة يسند بها السقف .

(733) اطمأنّ ناكرُها : ناكرها : اسم فاعل من « نكر الشيء » من باب علم أي : جهله فأنكره .

(734) قَمَصَ الفرس و غيره يقمص من بابي ضرب و نصر قمصا و قماصا .

أي : استنّ و هو أن يرفع يديه و يطرحهما معا .

(735) « قَنَصَتْ بأحْبُلِها » : اصطادت بشباكها و حبالها .

(736) أقْصَدَت : قتلت مكانها من غير تأخير .

(737) أعْلَقَتْ به : ربطت بعنقه .

(738) أوهاق المنيّة : جمع وهق بالتحريك أو بفتح فسكون . كما يقال نهر و نهر ، أي حبال الموت .

(739) ضَنْك المضْجَع : ضيق المرقد ،

و المراد القبر .

(740) مُعاينة المحلّ : مشاهدة مكانه من النعيم و الجحيم .

(741) ثواب العَمَل : جزآؤه الأعمّ من شقاء و سعادة .

(742) الخلَفُ : المتأخرون و السّلف :

المتقدمون . بعقب : بباء الجر

[462]

و سكون القاف بمعنى بعد . و أصله جرى الفرس بعد جريه ، يقال :

لهذا الفرس عقب حسن .

(743) « لا تُقْلِعُ المَنِيّةُ اخْتِراماً » :

أي لا تكفّ المنية عن اختر امها ،

أي : استئصالها للأحياء .

(744) « لا يرعوي الباقون » أي : لا يرجعون و لا يكفّون .

(745) الاجترام : افتعال من الجرم ، أي اقتراف السيئات .

(746) « يَحْتَذونَ مِثالاً » أي : يشاكلون بأعمالهم صور أعمال من سبقهم ،

و يقتدون بهم .

(747) « يَمْضُون أرْسالاً » : جمع رسل بالتحريك و هو القطيع من الإبل و الغنم و الخيل .

(748) صَيّور الأمر كتنّور مصيره و ما يؤول إليه .

(749) « أزِفَ النّشُور » : قرب البعث .

(750) الضرائح : جمع ضريح ، و هو الشّقّ وسط القبر .

(751) الأوْجِرة : جمع وجار ككتاب و سحاب و هو الحجر .

(752) مُهْطِعين : أي مسرعين إلى معاده ،

سبحانه ، الذي وعد أن يعيدهم فيه .

(753) « رعيلاً صُموتاً » : الرّعيل : القطعة من الخيل ، شبههم في تلاحق بعضهم ببعض برعيل الخيل أي : الجملة القليلة منها لأن الإسراع لا يدع أحدا منهم ينفرد عن الآخر .

(754) « يَنْفُذُهُمُ البَصرُ » : يجاوزهم ،

أي : يأتي عليهم و يحيط بهم ،

و المراد : لا يعزب واحد منهم عن بصر الله .

(755) لَبُوسُ الاسْتِكانَةِ : اللّبوس بالفتح : ما يلبس ، و الاستكانة :

الخضوع .

(756) ضَرَعَ بالتحريك : الوهن ،

و الضعف ، و الخشوع .

(757) « هَوَتِ الأفْئِدَة » : خلت من المسرّة و الأمل من النجاة .

(758) كاظِمة : ساكنة كاتمة لما يزعجها من الفزع .

(759) مُهَيْنِمة : أي متخافية ، و الهينمة الكلام الخفي .

(760) ألْجَمَ العَرَقُ : كثر حتى امتلأت به الأفواه لغزارته فمنعها من النطق ،

و كان كاللّجام .

(761) الشّفَق محركة : الخوف .

(762) أُرْعِدَت : عرتها الرعدة .

(763) زَبْرَة الدّاعي : صوته و صيحته ،

و لا يقال « زبرة » إلا إذا كان فيها زجر و انتهار ، فانها واحدة الزبر أي الكلام الشديد .

(764) فَصْل الخِطاب : بتّ الحكومة بين الله و بين عباده في الموقف .

(765) « مُقايَضَة الجزاء » : المقايضة :

المعاوضة ، أي : مبادلة الجزاء الخير بالخير ، و الشر بالشر .

[463]

(766) النّكال : العذاب (767) « مربوبون » : مملوكون ، و الاقتسار الغلبة و القهر .

(768) أصل الاحتضار : حضور الملائكة لقبض الروح .

(769) الأجداث ، جمع جدث بفتحتين و هو القبر ، و اجتدث الرجل :

اتخذ جدثا ، و يقال : جدف بالفاء و « مضمّنون الأجداث » مجعولون في ضمنها (770) الرّفات : الحطام ، و يقال رفته كنصر و ضرب أي كسره و دقّه أي : فته بيده كما يفتّ المدر و العظم البالي (771) مَدِينون أي : مجزيّون ،

و الدّين : الجزاء ، قال تعالى :

مالك يوم الدّين .

(772) مُمَيّزُون حِساباً : كلّ يحاسب على عمله منفصلا عمن سواه : و لا تَزِرُ وازرة وِزْرَ أُخرى .

(773) المنهج : الطريقة الواضحة التي دلت عليها الشريعة المطهرة .

(774) وَ عُمّرُوا مَهَلَ المُسْتَعْتِب

المستعتب : المسترضي أي :

أوتوا من العمر مهلة من ينال الرضى لو أحسن العمل .

(775) سُدَفَ الرّيَب : السّدَف : جمع سدفة بالفتح و هي الظلمة ، و الرّيب :

جمع ريبة . و هي الشبهة و إبهام الأمر .

(776) « خُلّوا المضمار الجِياد » : خلّوا :

تركوا في مجال يتسابقون فيه إلى الخيرات . و الجياد من الخيل :

كرامها ، و المضمار : المكان الذي تضمّر فيه الخيل ، و المدة التي تضمر فيها أيضا .

(777) رَوِيّة الارْتِياد : إعمال الفكر في الأمر ليأتي على أسلم وجوهه ،

و الارتياد هنا : طلب ما يراد .

(778) و أناة المُقْتَبِس المُرْتاد : الأناة :

الانتظار و التؤدة ، و المقتبس :

المرتاد ، أي : الذي أخذ بيده مصباحا ليرتاد في ضوئه شيئا غاب عنه .

(779) المضطرَب : مدة الاضطراب .

أي : الحركة في العمل .

(780) صائبة : غير عادلة عن الصواب .

(781) اقترف : اكتسب ، و مثله « قرف يقرف لعياله » أي : كسب يكسب و في التنزيل : وَ لْيَقْتَرِفُوا ما هم مُقْتَرِفُون .

(782) وَجِلَ : خاف .

(783) بادر : سارع .

(784) « عُبّرَ فاعْتَبَرَ » : عبر مبني للمجهول مشدد الباء أي عرضت عليه العبر مرارا كثيرة ، فاعتبر ،

أي اتعظ .

(785) ازدجر : أي : امتنع عن الشيء و انتهى .

[464]

(786) أناب إلى الله : رجع إليه .

(787) احتذى : شاكل بين علمه و عمل مقتداه : أي : أحسن القدوة .

(788) أفاد الذخيرة : استفادها و اقتناها ،

و هو من الأضداد .

(789) اسْتَظْهَرَ زاداً : حمل زادا حمّله ظهر راحلته إلى الآخرة ، و الكلام تمثيل .

(790) وَجْهُ السبيل : المقصد الذي يركب السبيل لأجله .

(791) تَنَجّزُ الوَعْدِ : طلب وفائه على عجل .

(792) تعي ما عناها : تحفظ ما أهمّها .

(793) تجلو : تكشف .

(794) العَشَا : مقصور ، مصدر من عشي فهو عش إذا أبصر نهارا و لم يبصر ليلا .

(795) الأشْلاء : جمع شلو و هو العضو .

(796) الأحْناء : جمع حنو بالكسر و هو كل ما اعوجّ من البدن ،

و ملاءمة الأعضاء لها : تناسبها معها .

(797) الأرْفاق جمع رفق بالكسر المنفعة ، أو ما يستعان به عليها .

(798) رائدة : طالبة .

(799) مُجَلِّلات على صيغة اسم الفاعل من « جلّله » بمعنى غطّاه ، أي :

غامرات نعمه . يقولون : سحاب مجلّل ، أي يطبق الأرض .

(800) حواجز : موانع .

(801) الخلاق : النصيب الوافر من الخير .

(802) الخَنَاق بالفتح حبل يخنق به .

(803) أرْهَقَتْهُمُ : أعجلتهم .

(804) شَذّبَهُمْ عنها : قطّعهم و مزّقهم من تشذيب الشجرة و هو تقشيرها .

(805) تَخَرّمُ الأجل : استئصاله و اقتطاعه (806) لم يَمْهَدُوا في سلامةِ الأبْدان :

أي لم يمهدوا لأنفسهم بإصلاحها .

(807) أُنُف بضمتين يقال : أمر أنف ،

أي مستأنف لم يسبق به قدر .

(808) البَضَاضَة : رخص الجلد و رقته و امتلاؤه .

(809) الغَضَارة : النعمة و السعة و الخصب .

(810) الزّيال : مصدر زايلة مزايلة و زيالا : أي فارقه .

(811) الأزُوف : الدنوّ و القرب .

(812) العَلَز : قلق و خفة و هلع يصيب المريض و المحتضر .

(813) المَضَض : بلوغ الحزن من القلب .

(814) الجَرَض : الريق .

(815) النّوَاحِب : جمع ناحبة و هي الرافعة صوتها بالبكاء .

(816) غُودِرَ : ترك و بقي .

(817) رَهيناً : حبيسا .

(818) « هَتَكَتِ الهَوَامّ جِلْدَتَه » :

جذبت جلدته فقطعتها ، و الهوامّ :

الحيّات و كل ذي سم يقتل .

(819) النّواهِك : جمع ناهكة و هي ما ينهك البدن : أي يبليه .

[465]

(820) عَفَت : درست (821) الحدَثانُ : مصدر يدل على الاضطراب بمعنى ما يحدث . و قد طبعت سهوا بجرّ النون ، فتصحح برفعها .

و المعالم جمع معلم ، و هو ما يستدل به .

(822) الشّحِبَةُ بفتح الشين أي :

الهالكة .

(823) البَضّة هنا الواحدة من البضّ ، و هو :

مصدر بضّ الماء إذا ترشّح قليلا قليلا ، أي بعد امتلائها حتى كأن الماء يترشح منها .

(824) نَخِرة : بالية .

(825) الأعْباء : الأثقال ، جمع عبء ،

أي : حمل .

(826) و لا تُسْتَعْتَبُ : مبني للمفعول أي : لا يطلب منها تقديم العتبى ،

أي : التوبة عن العمل القبيح ، أو مبني للفاعل ، أي : لا يمكنها أن تطلب الرضى و الإقالة من خطئها السيّىء .

(827) زَلَلِها : خطئها و أصله انزلاق القدم .

(828) القِدّة بكسر فتشديد : الطريقة .

(829) « تَطَأونَ جادّتَهُم » : تسيرون على سبيلهم بلا انحراف عنهم في شيء .

(830) « كأنّ المَعْنيّ » أي : المقصود بالتكاليف الشرعية .

(831) مجازكم : مصدر ميمي من جاز يجوز ، أي قطع المكان و اجتازه .

(832) مَزالِقِ دَحْضِه : الدّحْض : هو انقلاب الرّجل بغتة فيسقط المارّ ،

و المزالق مواضع الزّلل و الانزلاق .

(833) التارات : النّوب و الدّفعات .

(834) أنْصَبَ الخوْفُ بَدَنَهُ : أتعبه .

(835) أسْهَرَ التّهَجّدُ غِرارَ نومه الغرار بالكسر : القليل من النوم و غيره و « أسهره التهجد » أي : أزال قيام الليل نومه القليل ، فأذهبه بالمرة .

(836) الهَواجر : جمع هاجرة ، و هي نصف النهار عند اشتداد الحر .

(837) ظَلَفَ الزّهْدُ شَهَوَاتِه ، أي :

منعها .

(838) « أوْجَفَ الذّكْرُ بِلسانه » : أي أسرع ، كأن الذكر لشدة تحريكه اللسان موجف به كما توجف الناقة براكبها .

(839) تَنَكّبَ الشيء : مال عنه .

(840) المخَالِج : الأمور المختلجة الجاذبة .

(841) الوَضَح محركة : الجادّة .

(842) أقْصَد المسالك : أقومها .

(843) لم تَفْتِلْه : لم تردّه و لم تصرفه .

(844) « لم تَعْمَ عليه » من عمي يعمي أي : لم تخف عليه الأمور المشتبهة .

(845) النّعْمى بالضم سعة العيش و نعيمه (846) العاجِلة : الدنيا ، و سميت معبرا لأنها طريق يعبر منها إلى الآخرة ، و هي الآجلة .

[466]

(847) « بَادَرَ من وَجَل » : أي : سبق إلى خير الأعمال خوفا من لقاء الأهوال .

(848) أكْمَشَ : أسرع ، و مثله انكمش ،

و كمّشته تكميشا : أعجلته ،

و المراد جدّ السير في مهلة الحياة .

(849) القُدُم بضمتين المضيّ إلى أمام ،

أي مضى متقدما .

(850) حَجِيجاً و خصيماً أي :

مقنعا لمن خالفه بأنه قد جلب الهلاك على نفسه .

(851) النّجِيّ : من تحادثه سرا .

(852) « وَعَدَ فَمَنّى » أي : صوّر الأماني كذبا .

(853) اسْتَدْرَج قرينَتَه : القرينة :

النفس التي يقارنها الشيطان بالوسوسة .

و استدرجها : أنزلها من درجة الرّشد إلى درجته من الضلالة .

(854) اسْتَغْلَق رَهينَته : جعله بحيث لا يمكن تخليصه .

(855) « أنْكَرَ ما زَيّنَ » : تبرأ الشيطان ممن أغواه .

(856) شُغُف الأسْتَار : جمع شغاف مثل سحاب و سحب و هو في الأصل غلاف القلب ، استعارة للمشيمة .

(857) دِهاقاً : متتابعا ، « دهقها » صبّها بقوة . و قد تفسر الدّهاق بالممتلئة ،

أي : ممتلئة من جراثيم الحياة .

(858) « عَلَقَةً مِحاقاً » أي : خفي فيها و محق كلّ شكل و صورة .

(859) الجَنين : الولد بعد تصويره ما دام في بطن أمه .

(860) اليافع : الغلام راهق العشرين .

(861) « استوى مثالُه » أي : بلغت قامته حدّ ما قدّر لها من النماء .

(862) « خَبَطَ سادِراً » : خبط البعير :

إذا ضرب بيديه الأرض لا يتوقّى شيئا ، و السادر : المتحيّر و الذي لا يهتم و لا يبالي ما صنع .

(863) مَتَحَ الماءَ : نزعه و هو في أعلى البئر و الماتح : الذي ينزل البئر إذا قلّ ماؤها فيملأ الدلو و الغرب : الدّلو العظيمة .

(864) الكَدْح : شدة السعي .

(865) بَدَوَاتُ رَأيِهِ : جمع بدأة و هي ما بدا من الرأي ، أي ذاهبا فيما يبدو له من رغائبه .

(866) « لا يَحْتَسِبُ رَزِيّة » أي : لا يظنها ، و لا يفكر في وقوعها .

(867) لا يخشع من التّقِيّة : أي الخوف من الله تعالى .

(868) غَريراً برائين مهملتين أي مغرورا .

(869) « عاش في هَفْوَته . . . الخ » عاش في أخطائه و خطيئاته الناشئة عن الخطأ في تقدير العواقب .

(870) لم يُفِدْ : أي : لم يستفد ثوابا و لم يكتسب .

[467]

(871) دَهِمته : غشيته .

(872) غُبّر جِماحه : بقايا تعنّته على الحق .

(873) السّنن بفتح السين الطريقة .

(874) « ظلّ سادراً » أي : حائرا .

(875) اللادِمة : الضاربة .

(876) الغَمْرة : الشدة تحيط بالعقل و الحواس ، و الكارثة القاطعة للآمال .

(877) الأنّة بفتح فتشديد الواحدة من الأنّ أي التوجّع .

(878) « جَذْبَة مُكْرِبة » أي : جذبات الأنفاس عند الاحتضار .

(879) السّوْقَة من ساق المريض نفسه عند الموت سوقا و سياقا ، و سيق على المجهول أسرع في نزع الروح .

(880) أبْلَس يبلس ، يئس ، فهو مبلس .

(881) « سَلِساً » أي : سهلا لعدم قدرته على الممانعة .

(882) الرّجِيع من الدواب : ما رجع به من سفر إلى سفر فكلّ ، و الوصب التعب .

(883) نِضو بكسر النون : مهزول .

(884) الحَفَدَة هنا : الأعوان (885) الحشَدَة : المسارعون في التعاون .

(886) مُنْقَطَع الزّوْرَة : حيث لا يزار (887) بَهْتَةُ السؤال : حيرته .

(888) العَثْرة : السّقطة .

(889) الحمِيم : في الأصل : الماء الحار .

(890) التصلية : الإحراق . و المراد هنا دخول جهنم .

(891) السّوْرة : الشدة ، و الزفير : صوت النار عند توقّدها .

(892) الفَتْرة : السكون ، أي لا يفتر العذاب حتى يستريح المعذّب من الألم .

(893) دَعَة راحة « مزيحة » تزيح ما أصابه من التعب .

(894) ناجزة : حاضرة .

(895) السّنَة بالكسر و التخفيف أوائل النوم .

(896) « أطوار المَوْتات » : كلّ نوبة من نوب العذاب ، كأنها موت لشدّتها .

و أطوار هذه الموتات : ألوانها ،

و أنواعها .

(897) « عُمّرُوا فَنَعِمُوا » : عاشوا فتنعموا .

(898) المُوَرّطة : المهلكة .

(899) مَنَاص : ملجأ و مفرّ .

(900) « مَحَار » أي : مرجع إلى الدنيا بعد فراقها .

(901) تُؤفَكُون : تقلبون ، أي تنقلبون .

(902) القِيد بكسر القاف المقدار ،

و القيد بكسر القاف و فتحها القامة ، و المراد مضجعه من القبر لأنه بمقدار قامة الانسان .

(903) متعفّراً : قد لازم العفر أي التراب .

[468]

(904) الخِناق : الجبل الذي يخنق به ،

و إهماله : عدم شدّه على العنق مدى الحياة .

(905) الفَيْنة بالفتح الحال و الساعة و الوقت .

(906) باحَةُ الدار : ساحتها .

(907) أُنُف بضمتين مستأنف . و المشيّة بتسهيل الهمزة و تشديد الياء ، أي المشيئة و الارادة .

(908) الحَوْبة : الحاجة و الأرب ،

و انفساحها : سعتها .

(909) الضّنْك : الشدة .

(910) الرّوْع : الخوف .

(911) الزّهُوق : الاضمحلال .

(912) الغائب المنتظر : الموت .

(913) النابغة : المشهورة فيما لا يليق بالنساء ، من « نبغ » إذا ظهر .

(914) الدُعابة بالضم المزاح و اللعب .

(915) تِلعابة بكسر التاء : كثير اللعب .

(916) أُعافِس : أعالج الناس و أضاربهم مزاحا ، و يقال : المعافسة : معالجة النساء بالمغازلة و الممارسة كالمعافسة .

(917) يُلْحِف : أي يلح .

(918) الإلّ بالكسر : القرابة ، و المراد من قطع الإلّ أن يقطع الرحم .

(919) السّبّة بالضم : الاست .

(920) الأتِيّة : العطيّة .

(921) رَضَخَ له رضيخة : أعطاه قليلا .

(922) تُعْقَدُ : مجاز عن استقرار حكمها ،

أي ليست له كيفية فتحكم بها .

(923) الآي : جمع آية ، و هي الدليل .

و السواطع : الظاهرة الدلالة .

(924) البوالغ : جمع البالغة غاية البيان لكشف عواقب التفريط . و النّذر :

جمع نذير . بمعنى الإنذار .

(925) المفظعات : من « أفظع الأمر » إذا اشتد .

(926) الوِرْد بالكسر الأصل فيه الماء يورد للريّ ، و المراد به الموت أو المحشر .

(927) بَئِس كسمع اشتدت حاجته .

(928) « إرْهاق الأجَل » : أن يعجل المفرّط عن تدارك ما فاته من العمل ، أي : يحول بينه و بينه .

(929) الكَظَم بالتحريك : الحلق ، أو مخرج النّفس ، و الأخذ بالكظم :

كناية عن التضييق عند مداركة الأجل .

(930) سَمّى آثاركم : بين لكم أعمالكم و حدّدها .

(931) عَمّرَ نبيّه : مدّ في أجله .

(932) مَحَابّه : مواضع حبّه ، و هي الأعمال الصالحة .

(933) « اصبروا أنفسكم » : اجعلوا لأنفسكم صبرا فيها (934) الظّلَمة : جمع ظالم .

(935) المُداهَنَة : إظهار خلاف ما في الطّويّة ، و الإدهان : مثله .

(936) المَغْبون : المخدوع .

(937) المَغْبوط : المستحق لتطلّع النفوس إليه ، و الرغبة في نيل مثل نعمته .

[469]

(938) الرياء : أن تعمل ليراك الناس ،

و قلبك غير راغب فيه .

(939) « مَنْساةٌ للإيمان » : موضع لنسيانه ، و داعية للذهول عنه .

(940) « مَحْضرَةٌ للشيطان » مكان لحضوره ، و داع له .

(941) « فانها » أي : المباغضة « الحالقة » أي الماحية لكلّ خير و بركة .

(942) استشعر : لبس الشعار ، و هو ما يلي البدن من اللباس ، و تجلبب :

لبس الجلباب و هو ما يكون فوق جميع الثياب ، و قد سبق تفسيرها .

(943) زَهَرَ مصباحُ الهدى : تلألأ و أضاء .

(944) القِرَى بالكسر ما يهيّأ للضيف ،

و هو هنا العمل الصالح يهيّئه للقاء الموت و حلول الأجل .

(945) النّهَلُ : أول الشرب ، و المراد :

أخذ حظّا لا يحتاج معه إلى العمل ،

و هو الشرب الثاني .

(946) الجَدد بالتحريك : الأرض الغليظة ، أي : الصلبة المستوية ،

و مثلها يسهل السير فيه .

(947) الغِمار : جمع غمر بالفتح و هو معظم البحر ، و المراد أنه عبر بحار المهالك إلى سواحل النجاة .

(948) عَشَوَات : جمع عشوة بالحركات الثلاث و هي الأمر الملتبس .

(949) الفَلَوَات : جمع فلاة ، و هي الصحراء الواسعة ، مجاز عن مجالات العقول في الوصول إلى الحقائق .

(950) أمّها : قصدها .

(951) « مظنّة » أي : موضع ظنّ لوجود الفائدة .

(952) « أمْكَنَهُ من زِمامِهِ » : تمثيل لانقياده إلى أحكامه ، كأنه مطية ،

و الكتاب يقوده إلى حيث شاء .

(953) ثَقَلُ المسافر محرّكة : متاعه و حشمه ، و ثقل الكتاب : ما يحمل من أوامر و نواه .

(954) « عَطَفَ الحقّ » حمل الحقّ على رغباته ، أي : لا يعرف حقّا إلا إياها .

(955) تُؤفَكُون : تقلبون و تصرفون بالبناء للمجهول .

(956) الأعلام : الدلائل على الحق من معجزات و نحوها .

(957) المنار : جمع منارة .

(958) يُتاه بكم : من التّيه بمعنى الضلال و الحيرة .

(959) تَعْمَهون : تتحيّرون .

(960) عِتْرَة الرّجل : نسله و رهطه .

(961) « رِدُوهم وُرُودَ الهيم العِطاش :

أي : هلمّوا إلى بحار علومهم مسرعين كما تسرع الهيم أي الإبل العطشى إلى الماء .

(962) الثّقَل هنا : بمعنى النفيس من كل شيء ، و في الحديث عن النبي (ص) قال : « تركت فيكم الثّقلين :

كتاب الله ، و عترتي » أي النفيسين .

(963) فَرشْتُكُمْ : بسطت لكم .

(964) مقصورة عليهم : مسخّرة لهم ،

كأنهم شدّوها بعقال كالناقة .

(965) « تمنحهم درّها » : أي لبنها .

(966) مَجّة بفتح الميم مصدر مرة من « مجّ الشراب من فيه » إذا رمى به .

(967) يَقصم : يهلك ، و حدّ القصم الكسر .

(968) جَبرَ العظمَ : طيّبه بعد الكسر حتى يعود صحيحا .

(969) الأزْل بفتح الهمزة و سكون الزاي الشدّة .

(970) العَتْب بسكون التاء يريد منه عتب الزمان ، مصدر « عتب عليه » إذا وجد عليه .

(971) و لا يَعِفّون بكسر العين و تشديد الفاء من « عففت عن الشيء » إذا كففت عنه ، أي : يستحسنون ما بدا لهم استحسانه ، و يستقبحون ما خطر لهم قبحه بدون رجوع إلى دليل بيّن ، أو شريعة واضحة ،

يثق كل منهم بخواطر نفسه ، كأنه أخذ منها بالعروة الوثقى على ما بها من جهل و نقص .

(972) الفَتْرة : ما بين زماني الرسالة .

(973) « اعتزام » من قولهم « اعتزم الفرس » إذا مرّ جامحا .

(974) « تَلَظّ » : أي تلهّب .

(975) اغْوِرار الماء : ذهابه .

(976) « متجهّمة » من « تجهمه » أي :

استقبله بوجه كريه .

(977) « ثَمَرُها الفتنة » أي : ليست لها نتيجة سوى الفتن .

(978) الجيفة : إشارة إلى أكل العرب للميتة من شدة الاضطرار .

(979) الشّعار من الثياب : ما يلي البدن .

(980) الدّثار : فوق الشّعار .

(981) « مُرْتَهَنُون » أي : محبوسون على عواقبها في الدنيا من الذل و الضعف .

(982) الأحْقَاب : جمع حقب بالضم و بضمتين قيل : ثمانون سنة ، و قيل أكثر ، و قيل : هو الدهر .

(983) أُصْفِيتم : أي : خصصتم ، مبني للمجهول .

(984) الخِطام : ككتاب : ما جعل في أنف البعير لينقاد به ، و جولان الخطام : حركته و عدم استقراره ،

لأنه غير مشدود .

(985) بِطان البعير : حزام يجعل تحت بطنه ، و متى استرخى كان الراكب على خطر السقوط .

(986) رَوِيّة : فكر ، و إمعان نظر ، و أصلها الهمز ، لقولك : رأوت في الأمر .

(987) الإرتاج : جمع رتج بالتحريك و هو الباب العظيم .

(988) الداجي : المظلم .

(989) الساجي : الساكن .

(990) الفِجاج : جمع فجّ ، و هو الطريق الواسع بين جبلين .

(991) المهاد : بزنة كتاب : الفراش .

(992) الخَلق : بمعنى المخلوق « ذو اعتماد » أي : بطش و تصرف بقصد و إرادة .

(993) مُبْتَدِع الخلق : منشئه من العدم المحض .

(994) وارثُهُ : الباقي بعده .

(995) دائبان : تثنية دائب ، و هو المجدّ المجتهد ، وصفهما بذلك لتعاقبهما على حال واحدة لا يفتران و لا يسكنان .

[471]

(996) خائنة الأعين : ما يسارق من النظر إلى ما لا يحل .

(997) النقمة : الغضب ، و يجوز نقمة و نقمة على وزن كلمة و كلمة .

(998) عَازّه : بالتشديد رام مشاركته في شيء من عزته ، غالبه .

(999) شاقّه : نازعه .

(1000) نَاوَأه : خالفه و هي مهموزة ، إلا أنها سهّلت لتشاكل « عاداه » .

(1001) مَنْ أقْرَضَهُ قضاه : جعل تقديم العمل الصالح بمنزلة القرض ،

و الثواب عليه بمنزلة قضاء الدين إظهارا لتحقق الجزاء على العمل ،

قال تعالى : مَنْ ذَا الذي يُقْرِضُ اللهَ قرضاً حسناً فيضاعفَهُ له أضعافاً كثيرة .

(1002) العُنْف : بضم فسكون : ضد الرفق ، و يقال : عنف عليه ،

و عنف به من باب كرم فيهما و أصل العنيف الذي لا رفق له بركوب الخيل ، و جمعه عنف .

و السياق هنا مصدر ساق يسوق .

(1003) مَنْ لم يُعَنْ على نفسه : مبني للمجهول أي : من لم يساعده الله على نفسه حتى يكون لها من وجدانها منبه لم ينفعه تنبيه غيره .

(1004) الأشباح : الأشخاص ، و المراد بهم ها هنا الملائكة .

(1005) يَفِرُهُ المنعُ : يزيد في ماله . و هو من وفر وفورا .

(1006) يُكْدِيه : يفقره و ينفذ خزائنه .

(1007) أناسيّ : جمع إنسان ، و إنسان البصر : هو ما يرى وسط الحدقة ممتازا عنها في لونها .

(1008) تَنَفّس المعادن : كناية عن انغلاقها عن الجواهر .

(1009) ضحك الأصداف : كناية عن انفتاحها عن الدّرّ و تشققها .

(1010) الفِلِزّ : بكسر الفاء و اللام :

الجوهر النفيس ، و اللّجين :

الفضة الخالصة ، و العقيان : ذهب ينمو في معدنه .

(1011) نُثَارة الدرّ : بالضم : منثوره .

(1012) حَصِيد المَرْجان : محصوده ، يشير إلى أن المرجان نبات .

(1013) أنفده : بمعنى أفناه ، و نفد كفرح أي فني .

(1014) يغيض : بفتح حرف المضارعة من « غاض » المتعدي يقال : غاض الماء لازما ، و غاضه الله متعديا .

و يقال : أغاضه أيضا ، و كلاهما بمعنى أنقصه و أذهب ما عنده .

(1015) يُبْخِلُهُ : بالتخفيف من « أبخلت فلانا » وجدته بخيلا .

(1016) ائْتَمّ به : أي : اتبعه فصفه كما وصفه اقتداء به .

(1017) كِل علمه : فوّض علمه .

(1018) السّدَد : جمع سدة ، و هي الرتاج .

(1019) ارتَمَتِ الأوهام : ذهبت أمام الأفكار كالطليعة لها .

(1020) مُنْقَطَعَ الشيء : ما اليه ينتهي .

(1021) المَبرّأ : المجرد .

[472]

(1022) تَوَلّهَت القلوب اليه : اشتد عشقها حتى أصابها الوله و هو الحيرة و قوي ميلها لمعرفة كنهه .

(1023) غمضت : خفيت طرق الفكر و دقت ، و بلغت في الخفاء و الدقة حدا لا يبلغه الوصف .

(1024) رَدَعَها : ردّها .

(1025) المَهَاوي : المهالك .

(1026) السّدَف : بضم ففتح جمع سدفة ، و هي القطعة من الليل المظلم .

(1027) جُبِهَت : بالبناء للمجهول ضربت جبهتها : و المراد عادت خائبة .

(1028) الجَوْر : العدول عن الطريق ،

و الاعتساف : السلوك على غير جادّة .

(1029) الرّوِيّات : جمع رويّة ، و هي الفكر .

(1030) ابتدعَ الخلقَ : أوجده من العدم المحض على غير مثال سابق .

(1031) امتَثَلَهُ : حاذاه و حاكاه .

(1032) لا مقدار سابق احتذى عليه :

قاس و طبق عليه .

(1033) المِسَاك : بكسر الميم ما يمسك الشيء كالملاك ما به يملك .

(1034) الحِقاق : جمع حقّة بضم الحاء و هو رأس العظم عند المفصل .

(1035) احتجاب المفاصل : استتارها باللحم و الجلد .

(1036) العادلون بك : الذين عدلوا بك غيرك ، أي سوّوه بك و شبّهوك به .

(1037) نَحَلُوكَ : أعطوك ، و حلية المخلوقين : صفاتهم الخاصة بهم من الجسمانية و ما يتبعها .

(1038) قَدّرُوك : قاسوك .

(1039) مُكَيّفاً : ذا كيفية مخصوصة .

(1040) مُصَرّفاً : أي تصرّفك العقول بأفهامها في حدودك .

(1041) اسْتَصْعَبَ الركوبُ : لم ينقد في السير لراكبه .

(1042) غريزة : طبيعة و مزاج ، أي ليس له مزاج كما للمخلوقات الحساسة فينبعث عنه إلى الفعل ، بل هو انفعال بما له بمقتضى ذاته ، لا بأمر عارض .

(1043) أفادها : استفادها .

(1044) الرّيْث : التثاقل عن الأمر .

(1045) الأنَاة : تؤدَة يمازجها رويّة في اختيار العمل و تركه ، و المتلكىء :

المتعلل .

(1046) أوَدها : اعوجاجها .

(1047) نَهَجَ : عيّن و رسم .

(1048) قرائنها : جمع قرينة ، و هي النفس أي وصل حبال النفوس و هي من عالم النور بالأبدان ، و هي من عالم الظلمة .

(1049) الغرائز : الطبائع .

(1050) بَدَايَا : جمع بديء ، أي مصنوع .

(1051) رَهَوَات : جمع رهوة ، أي المكان المرتفع . و يقال للمنخفض

[473]

أيضا ، فهو من الأضداد . الفرج :

جمع فرجة بضم فسكون و هي المكان الخالي .

(1052) لاحَمَ : ، أي : ألصق ، و الصّدوع جمع صدع ، و هو الشّق ، أي ما كان في الجرم الواحد منها من صدع لحمه سبحانه ، و أصلحه فسوّاه .

(1053) وَشّجَ : بالتضعيف أي شبّك ، من « وشّج محمله » إذا شبّكه بالأربطة حتى لا يسقط منه شيء . و أزواجها : أمثالها و قرائنها من الأجرام الأخرى .

(1054) يريد بالهابطين و الصاعدين الأرواح السّفليّة و العلوية .

(1055) الحزُونة : الصّعوبة .

(1056) الأشْرَاج : جمع شرج بالتحريك و هي العروة ، و هي مقبض الكوز و الدّلو و غيرهما ، و تسمى مجرّة السماء شرجا ، تشبيها بشرج العيبة ، و أشار بإضافة العرى للأشراج إلى أن كل جزء من مادتها عروة للآخر يجذبه إليه ليتماسك به ، فكل ماسك و كلّ ممسوك :

فكلّ عروة و له عروة .

(1057) صَوَامِتُ : أي لا فراغ فيها .

(1058) الرّصَد : الحرس .

(1059) الشُّهُب الثواقب : النجوم الشديدة الضياء .

(1060) النِّقَاب : جمع نقب ، و هو الخرق .

(1061) تَمُور : تضطرب في الهواء .

(1062) بِأَيْدِهِ : بقوته .

(1063) مُبْصِرَة : أي : جعل شمس هذه الأجرام السماوية مضيئة يبصر بضوئها مدة النهار كله دائما .

(1064) مَمْحُوّة : يمحى ضوؤها في بعض أطراف الليل في أوقات من الشهر ،

و في جميع الليل أياما منه .

(1065) مَنَاقِل مَجْرَاها : الأوضاع التي ينقلان فيها من مداريهما .

(1066) فَلَكَهَا : هو الجسم الذي ارتكزت فيه ، و أحاط بها ، و فيه مدارها .

(1067) نَاطَ بها : علق بها و أحاطها .

(1068) دَرَارِيّها : كواكبها و أقمارها .

(1069) أذْلال : على وزن أقفال جمع ذلّ بالكسر ، و هو محجّة الطريق .

(1070) الصّفيح : السماء .

(1071) الأجْواء : جمع جوّ .

(1072) الزّجَل : رفع الصوت .

(1073) الحَظائر : جمع حظيرة ،

و هي الموضع يحاط عليه لتأوي اليه الغنم و الإبل توقّيا من البرد و الريح ، و هو مجاز ها هنا عن المقامات المقدسة للأرواح الطاهرة .

(1074) القُدُس : بضمّتين أو بضم فسكون : الطهر .

(1075) السّتُرَات : جمع سترة ، و هي ما يستتر به .

[474]

(1076) السُّرَادِقَات : جمع سرادق ، و هو ما يمدّ على صحن البيت فيغطيه .

(1077) الرّجيج : الزلزلة و الاضطراب .

(1078) تَسْتَكُّ منه : تصمّ منه الآذان لشدته .

(1079) سُبُحات نور : طبقات نور ،

و أصل السّبُحات الأنوار نفسها .

(1080) خاسئة : مدفوعة مطرودة عن الترامي اليها .

(1081) الإخبات : الخضوع ، و الخشوع .

(1082) ذُلُل : جمع ذلول : خلاف الصّعب .

(1083) مَناراً : جمع منارة .

(1084) الأعْلام : ما يقام للاهتداء به على أفواه الطرق و مرتفعات الأرض و الكلام تمثيل لما أنار به مداركهم حتى انكشف لهم سر توحيده .

(1085) مُوصِرات الآثام : مثقلاتها (1086) ارْتَحَلَهُ : وضع عليه الرّحل .

ليركبه .

(1087) العُقَب : جمع عقبة و هي النّوبة .

(1088) النّوازع : جمع نازعة و هي النجم .

(1089) مَعَاقِد : جمع معقد : محلّ العقد ، بمعنى الاعتقاد .

(1090) الإحَن : جمع إحنة ، و هي الحقد و الضغينة .

(1091) لاَقَ : لصق .

(1092) تَقْتَرع : بالقاف المثناة من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة .

(1093) الرّيْن : بفتح الراء الدّنس ،

و ما يطبع على القلب من حجب الجهالة .

(1094) الدّلَح : بضم الدال ، جمع دالح ،

و هو : الثقيل بالماء من السحاب .

(1095) القَتْرة هنا : الخفاء و البطون ،

و منها قالوا : أخذه على قترة ،

أي من حيث لا يدري .

(1096) الأيْهم : بالياء المثنّاة الذي لا يهتدى فيه . و منه « فلاة يهماء » .

(1097) مَخَارق : جمع مخرق : أي موضع الخرق .

(1098) ريح هَفّافة : طيّبة ساكنة .

(1099) استفرغتهم : جعلتهم فارغين من الاشتغال بغيرها .

(1100) الوَلَه : شدة الشوق .

(1101) الرّوِيّة : التي تروي و تطفىء العطش .

(1102) السّوَيْداء : حبّة القلب و محلّ الروح الحيواني منه .

(1103) الوَشِيجة : أصلها عرق الشجرة أراد منها ها هنا بواعث الخوف من الله .

(1104) لم يُنْفِذْ : لم يغن (1105) ربَق : جمع ربقة بالكسر ،

و الفتح و هي : العروة من عرى الرّبق بكسر الراء : و هو حبل فيه عدة عرى تربط فيه البهم .

(1106) الاستكانة : ميل للسكون من شدة الخوف ، ثم استعملت في الخضوع .

(1107) الدّؤوب : من دأب في العمل :

بالغ في مداومته حتى أجهده .

(1108) لم تَغِضْ : لم تنقص .

(1109) أسَلَةَ اللسان : طرفه .

(1110) الهمس : الخفي من الصوت ،

و الجؤار : رفع الصوت بالتضرع .

(1111) المَقَاوِم : جمع مقام ، و المراد الصفوف .

(1112) لا تَعْدُو على عزيمة : لا تسطو عليها .

(1113) انْتَضَلَتِ الإبل : رمت بأيديها في السير مسرعة . و خدائع الشهوات للنفس ما تزيّنه لها ، أي : لم تسلك خدائع الشهوات طريقا في هممهم .

(1114) فاقَتهم : حاجتهم .

(1115) يَمّمُوه : قصدوه بالرغبة و الرجاء عند ما انقطع الخلق سواهم إلى المخلوقين .

(1116) الاستهتار : التولّع .

(1117) مواد : جمع مادّة ، أصلها من « مدّ البحر » إذا زاد ، و كل ما أعنت به غيرك فهو مادّة .

(1118) الشفقة هنا : الخوف .

(1119) يَنُوا : من ونى يني إذا تأنّى .

(1120) وشيك السعي : مقاربه و هيّنه .

(1121) الشفقات : تارات الخوف و أطواره و الوجل : الخوف أيضا .

(1122) تشعبتهم : فرقتهم صروف الريب :

جمع ريبة ، و هي ما لا تكون النفس على ثقة من موافقته للحق .

(1123) الأخْياف : جمع خيف بالفتح و هو في الأصل : ما انحدر عن سفح الجبل ، و المراد هنا سواقط الهمم .

(1124) الونَى : مصدر وني كتعب أي : تأنى .

(1125) الإهاب : جلد الحيوان .

(1126) حافد : خفيف ، سريع .

(1127) كبس النهرَ و البئرَ ، أي : طمهما بالتراب ، و على هذا كان حق التعبير « كبس بها مور أمواج » .

لكنه أقام الآلة مقام المفعول لأنها المقصود بالعمل .

(1128) المور : التحرك الشديد .

(1129) المستفحلة : الهائجة التي يصعب التغلب عليها .

(1130) زاخرة : ممتلئة .

(1131) أواذيّ : جمع آذي : و هو أعلى الموج .

(1132) اصطفقت الأشجار : اهتزت بالريح ، و الأثباج : جمع ثبج بالتحريك و هو في الأصل ما بين الكاهل و الظهر ، استعارة لأعالي الموج ، التي يقذف بعضها بعضا .

(1133) الكَلْكَل : في الأصل الصدر ،

استعارة لما لاقي الماء من الأرض .

(1134) مستخذياً : منكسرا ، مسترخيا .

(1135) من « تمعّكت الدابة » : تمرغت في التراب .

(1136) اصطخاب : افتعال من الصخب بمعنى ارتفاع الصوت .

[476]

(1137) ساجياً : ساكنا .

(1138) الحَكَمَة محركة ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه ،

و فيها العذاران .

(1139) مَدْحُوّة : مبسوطة .

(1340) البَأوُ : الكبر ، و الزهو .

(1141) الغُلَوَاء بضم الغين و فتح اللام :

النشاط و تجاوز الحد .

(1142) كَعَمَ البعيرَ كمنع شدّ فاه لئلا يعض أو يأكل ، و ما يشد به كعام ككتاب .

(1143) الكِظّة بالكسر ما يعرض من امتلاء البطن بالطعام ، و يراد بها هنا ما يشاهد في جري الماء من ثقل الاندفاع .

(1144) النّزَق و النّزَقان : الخفة و الطيش .

و النزقات : الدفعات منه .

(1145) لَبَدَ : قام و وثب .

(1146) الزّيَفَان : التبختر في المشية .

(1147) أكنافها : نواحيها .

(1148) البُذّخ : بمعنى الشّمّخ ، جمع شامخ و باذخ ، أي : عال و رفيع .

(1149) عَرانين : جمع عرنين بالكسر و هو ما صلب من عظم الأنف ،

و المراد أعالي الجبال .

(1150) السّهوب : جمع سهب بالفتح أي : الفلاة .

(1151) البِيد : جمع بيداء ، و هي الأرض الفلاة .

(1152) الأخاديد : جمع أخدود ، و هي الحفر المستطيلة في الأرض ،

و المراد منها مجاري الأنهار .

(1153) الجَلامِيد : جمع جلمود ، و هو الحجر الصّلد .

(1154) الشّنَاخيب : جمع شنخوب ،

و هو رأس الجبل ، و الشمّ : الرفيعة .

(1155) صَيَاخيدها : جمع صيخود ،

و هو الصخرة الشديدة .

(1156) المَيَدان بالتحريك : الاضطراب .

(1157) أدِيمها : سطحها .

(1158) التغلغل : المبالغة في الدخول .

(1159) مُتَسَرِّبة أي : داخلة .

(1160) الجَوْبات : جمع جوبة ، بمعنى الحفرة ، و الخياشيم : جمع خيشوم ، و هو منفذ الأنف إلى الرأس .

(1161) ركوب الجبال أعناقَ السهول :

استعلاؤها عليها ، و أعناقها :

سطوحها .

(1162) جراثيمها : المراد هنا ما سفل عن السطوح من الطبقات الترابية .

(1163) مرافق البيت : ما يستعان به فيه ،

و ما يحتاج إليه في التعيش .

(1164) الأرض الجُرُز بضمتين التي تمر عليها مياه العيون فتنبت .

(1165) روابيها : مرتفعاتها .

(1166) ذريعة : وسيلة .

(1167) المَوَات من الأرض : ما لا يزرع .

[477]

(1168) لُمَع : جمع لمعة بضم اللام و هي في الأصل القطعة من النبات مالت لليبس ، استعارها لقطع السحاب للمشابهة في لونها و ذهابها إلى الاضمحلال ، لو لا تأليف اللّه لها مع غيرها .

(1169) القَزَع : جمع قزعة محركة و هي : القطعة من الغيم .

(1170) تمخّضت : تحركت تحركا شديدا كما يتحرك اللبن في السّقاء بالمخض .

(1171) جمع كفّة بضم الكاف : و هي الحاشية و الطرف لكل شيء ،

أي : جوانبه .

(1172) نامت النار : همدت ، و الوميض اللمعان .

(1173) الكَنَهْوَر كسفرجل :

القطع العظيمة من السحاب ، أو المتراكم منه . و الرّباب كسحاب الأبيض المتلاصق منه . أي : لم يهمد لمعان البرق في ركام هذا الغمام .

(1174) سَحّاً : متلاحقا متواصلا .

(1175) أسَفّ الطائر : دنا من الأرض ،

و الهيدب كجعفر : السّحاب المتدلي ، أو ذيله .

(1176) تَمْريه من « مرى الناقة » أي : مسح على ضرعها ليحلب لبنها .

(1177) الدّرِرَ كعلل جمع درّة بالكسر و هي اللبن .

(1178) الأهاضيب : جمع أهضاب ،

و هو جمع هضبة كضربة و هي : المطرة .

(1179) شآبيب جمع شؤبوب : و هو ما ينزل من المطر بشدة ، و كأنما ينصبّ من جانب لا من أعلى .

(1180) البَرْك بالفتح في الأصل : ما يلي الأرض من جلد صدر البعير كالبركة . و بوانيها : تثنية بوان على وزن فعال بكسر الفاء : و هو عمود الخيمة ،

و الجمع بون بالضم .

(1181) و بَعَاع عطف على « برك » و البعاع بالفتح : ثقل السحاب من الماء ، و ألقى السحاب بعاعه :

أمطر كلّ ما فيه .

(1182) العِبْءُ : الحمل .

(1183) الهوامد من الأرض : ما لم يكن بها نبات .

(1184) زُعْر بالضم جمع أزعر ، و هو الموضع القليل النبات . و الأنثى زعراء .

(1185) بَهَجَ كمنع : سرّ و أفرح .

(1186) تَزْدَهي : تعجب .

(1187) رَيْط : جمع ريطة بالفتح و هي كل ثوب رقيق ليّن .

(1188) أزاهير : جمع أزهار الذي هو جمع زهرة بمعنى النبات .

(1189) سُمِطَ : من « سمط الشيء » أي : علّق عليه السّموط ، و هي الخيوط تنظم فيها القلادة .

[478]

(1190) الأنوار : جمع نور بفتح النون و هو الزهر بالمعنى المعروف .

(1191) البلاغ : ما يتبلّغ به من القوت .

(1192) جِبِلّته : خلقته .

(1193) المقطع : النهاية التي ليس وراءها غاية .

(1194) العَقَابيل : الشدائد ، جمع عقبولة بضم العين و أصل العقابيل قروح صغار تخرج بالشفة من آثار المرض ، و الفاقة : الفقر .

(1195) الفُرَج : جمع فرجة ، و هي التّفصّي من الهم .

(1196) أتراح : جمع ترح بالتحريك و هو : الغم و الهلاك .

(1197) أسبابها : حبالها .

(1198) خالجاً : جاذبا لأشطانها جمع شطن كسبب و هو : الحبل الطويل ، شبه به الأعمار الطويلة .

(1199) المرائر : جمع مريرة ، و هو الحبل يفتل على أكثر من طاق ، أو الشديد الفتل ، و الأقران : جمع قرن بالتحريك و هو الحبل يجمع به بعيران .

(1200) التّخَافُت : المكالمة السرّيّة .

(1201) رَجْم الظنون : ما يخطر على القلب أنه وقع أو يصح أن يقع بلا برهان .

(1202) العُقَد : جمع عقدة ، و هو ما يرتبط القلب بتصديقه ، لا يصدق نقيضه ، و لا يتوهمه ،

و العزيمات : جمع عزيمة ، و هو ما يوجب البرهان الشرعيّ أو العقليّ تصديقه و العمل به .

(1203) مَسَارق : جمع مسرق : مكان مسارقة النظر أو زمانها ، أو البواعث عليها ، أو من « فلان يسارق فلانا النظر » أي : ينتظر منه غفلة فينظر إليه ، و الإيماض :

اللمعان ، و هو أحق أن ينسب إلى العيون لا إلى الجفون .

(1204) ضَمِنَتْه : حوته ، و الأكنان :

جمع كنّ بالكسر و هو كل ما يستتر فيه .

(1205) غَيَابات الغُيوب : أعماقها .

(1206) استِرَاق الكلام : استماعه خفية .

(1207) المَصَائخ : جمع مصاخ ، و هو مكان الإصاخة ، و هو ثقبة الأذن .

(1208) الذّرّ : صغار النمل ، و مصائفها :

محل إقامتها في الصيف .

(1209) مَشاتيها : محل إقامتها في الشتاء .

(1210) رَجْع الحنين : ترديده .

(1211) المُولَهات : الحزينات .

(1212) الهمس : أخفى ما يكون من صوت القدم على الأرض .

(1213) مُنْفَسَح الثمرة : مكان نمائها .

(1214) الولائج : جمع وليجة ، بمعنى البطانة الداخلية .

(1215) الغُلُف : جمع غلاف ، و الأكمام جمع كمّ بالكسر و هو غطاء النّوار و وعاء الطّلع .

[479]

(1216) مُنْقَمَع الوحوش : موضع انقماعها أي : اختفائها .

(1217) الغِيران : جمع غار .

(1218) سُوق : جمع ساق ، و هو أسفل الشجرة تقوم عليه فروعها .

(1219) الألْحِيَة : جمع لحاء ، و هو قشر الشجرة .

(1220) الأفنان : الغصون .

(1221) الأمْشاج : النّطف ، جمع مشيج مثل يتيم و أيتام و أصله مأخوذ من « مشج » إذا خلط ،

لأنها مختلطة من جراثيم مختلفة ،

كل منها يصلح لتكوين عضو من أعضاء البدن .

(1222) مَسَارب الأصلاب : جمع مسرب ، و هي : ما يتسرب المنيّ فيها عند نزوله أو عند تكوّنه .

(1223) سَفّت الرّيح الترابَ : ذرته أو حملته .

(1224) الأعاصير : جمع إعصار ، و هي :

ريح تثير السحاب أو تقوم على الأرض كالعمود .

(1225) تعفو : تمحو .

(1226) الكُثْبان : جمع كثيب ، و هو التلّ .

(1227) الذُّرَا : جمع ذروة ، و هي أعلى الشيء .

(1228) الشّنَاخيب : رؤوس الجبال ،

واحدها شنخوب أو شنخوبة كعصفور و عصفورة .

(1229) الدّيَاجير : جمع ديجور ،

و هو الظلمة .

(1230) أوْعَبَتْهُ : جمعته .

(1231) حَضَنَتْ عليه : ربّته فتولّد في حضنها ، كالعنبر و نحوه .

(1232) سُدْفة : ظلمة .

(1233) ذَرّ : طلع .

(1234) اعْتَقَبَتْ : تعاقبت و توالت .

(1235) الأطْبَاق : الأغطية ، و الدّياجير :

الظلمات .

(1236) سُبُحات النور : درجاته و أطواره .

(1237) هَماهِم : هموم ، مجاز من الهمهمة ، و هي : ترديد الصوت في الصدر من الهم .

(1238) قرَارتها : مقرّها .

(1239) نُقاعة الدم : ما ينقع منه في أجزاء البدن .

(1240) العارضة : هي ما يعترض العامل فيمنعه عن عمله .

(1241) اعتورَتْهُ : تداولته و تناولته .

(1242) مَثُوبة : ثواب و جزاء .

(1243) الخَلّة بالفتح : الفقر .

(1244) المنّ : الإحسان .

(1245) لا تثبت عليه العقول : لا تصبر له و لا تطيق احتماله .

(1246) أغَامَتْ : غطّيت بالغيم .

(1247) المَحَجّة : الطريق المستقيمة .

(1248) تنكّرت : تغيرت .

(1249) فَقَأتها : قلعتها ، تمثيل لتغلّبه عليها .

[480]

(1250) الغَيْهَب : الظلمة . و موجها :

شمولها و امتدادها .

(1251) الكَلَب محركة : داء معروف يصيب الكلاب ، فكل من عضّته أصيب به فجنّ و مات إن لم يبادر بالدواء .

(1252) ناعِقُها : الداعي اليها ، من نعق بغنمه صاح بها لتجتمع .

(1253) المُناخ بضم الميم محلّ البروك (1254) الكَرَائِهُ : جمع كريهة .

(1255) الحَوَازِب : جمع حازب ، و هو :

الأمر الشديد ، حزبه الأمر إذا أصابه و اشتدّ عليه .

(1256) قلّصت بتشديد اللام تمادت و استمرت .

(1257) شَبّهَتْ : اشتبه فيها الحق بالباطل .

(1258) الخُطّة بالضم : الأمر « و عمّت خطتها » : أي شمل أمرها لأنها رئاسة عامة .

(1259) النّاب : الناقة المسنّة . و الضروس السيئة الخلق تعضّ حالبها .

(1260) تَعْذِمُ : من عذم الفرس :

إذا أكل بجفاء أو عضّ .

(1261) تَزْبِنُ : تضرب .

(1262) دَرّها : لبنها ، و المراد خيرها .

(1263) شَوْهاء : قبيحة المنظر .

(1264) مَخْشِيّة : مخوفة مرعبة .

(1265) عَلَم : دليل يهتدى به .

(1266) الأديم : الجلد ، و تفريجه : سلخه .

(1267) يَسومُهم خَسْفاً : يوليهم ذلا .

(1268) مُصَبّرة : مملوءة إلى أصبارها جمع صبر بالضم و الكسر بمعنى الحرف : أي إلى رأسها .

(1269) من أحْلَس البعيرَ : إذا ألبسه الحلس بكسر الحاء و هو كساء يوضع على ظهره تحت البردعة ،

أي لا يكسوهم إلا خوفا .

(1270) الجَزُور : الناقة المجزورة .

(1271) تَنَاسَخَتْهُم : تناقلتهم .

(1272) مَنْبت : كمجلس : موضع النبات ينبت فيه .

(1273) الأرُومات : جمع أرومة : الأصل .

(1274) المَغْرِس : موضع الغرس .

(1275) صَدَعَ فلاناً : قصده لكرمه .

(1276) انتخب : اختار و اصطفى .

(1277) عتْرَته : آل بيته ، و عترة الرجل :

نسله و رهطه الأدنون .

(1278) بَسَقَتْ : ارتفعت .

(1279) القَصْد : الاستقامة .

(1280) الفَتْرَة : الزمان بين الرّسولين .

(1281) هَفْوَة : زلّة و انحراف من الناس عن العمل بما أمر الله على ألسنة الأنبياء السابقين .

(1282) يريد بالأعلام البينة مواضح الطرق المبينة .

(1283) نَهْج : واضح ، قويم .

(1284) مُسْتَعْتَب بفتح التائين طلب العتبى . أي : طلب الرضى من الله بالأعمال النافعة .

[481]

(1285) حاطِبُون : جمع حاطب ، و هو الذي يجمع الحطب ، يقال لمن يجمع الصواب و الخطأ : حاطب ليل .

(1286) استَزَلّتْهُمْ : أدّت إلى الزّلل و السقوط في المضارّ .

(1287) استَخَفّتْهُم : طيّشتهم .

(1288) الجَهْلاَء : وصف مبالغة للجهل .

(1289) المَمَاهد ، جمع ممهد كمقعد :

ما يمهد أي يبسط فيه الفراش و نحوه .

(1290) الأزِمّة ، كأئمة ، جمع زمام .

و انثناء الأزمة إليه كناية عن تحوّلها نحوه .

(1291) الضغائن : الأحقاد .

(1292) جمع ثائرة ، و هي : العداوة الواثبة بصاحبها على أخيه ليضرّه إن لم يقتله .

(1293) المِرْصاد : الطريق يرصد بها .

(1294) الشّجَا : ما يعترض في الحلق من عظم و غيره .

(1295) مَسَاغ الرِّيق : ممرّه من الحلق .

(1296) شُهُود جمع شاهد بمعنى الحاضر . و غيّاب : جمع غائب .

(1297) قالوا : إن سبأ هو أبو عرب اليمن كان له عشرة أولاد ، جعل منهم ستة يمينا له ، و أربعة شمالا تشبيها لهم باليدين ، ثم تفرّق أولئك الأولاد أشدّ التفرّق .

(1298) ظَهْر الحَنِيّة : القوس .

(1299) أعْضَلَ : استعصى و استصعب .

(1300) إخال : أظنّ .

(1301) حَمِسَ : كفرح : اشتدّ و الوغى : الحرب .

(1302) إنفراج المرأة عن قبلها يكون عند الولادة أو عند ما يشرع عليها سلاح . و فيه كناية عن العجز و الدناءة في العمل .

(1303) اللّقْط : أخذ الشيء من الأرض .

(1304) السّمْت بالفتح : طريقهم أو حالهم أو قصدهم .

(1305) لَبَدَ كنصر : أقام ، أي : إن أقاموا فأقيموا .

(1306) شُعْثاً : جمع أشعث : و هو المغبرّ الرأس . و الغبر جمع أغبر ،

و المراد أنهم كانوا متقشفين .

(1307) المُرَاوحة بين العملين : أن يعمل هذا مرة ، و هذا مرة ، و بين الرّجلين : أن يقوم على كل منهما مرة ، و بين جباههم و خدودهم أن يضعوا الخدود مرة و الجباه أخرى على الأرض خضوعا لله و سجودا .

(1308) رُكَب جمع ركبة : موصل الساق من الرّجل بالفخذ . و إنما خص ركب المعزى ليبوستها و اضطرابها من كثرة الحركة .

(1309) مادُوا : اضطربوا و ارتعدوا .

(1310) استحلال المحرّم : استباحته .

[482]

(1311) بيوت المَدَر : المبنيّة من طوب و حجر و نحوهما ، و بيوت الوبر :

الخيام .

(1312) نَبَا به سوء رَعْيِهم : أصله من نبا به المنزل إذا لم يوافقه فارتحل عنه .

(1313) السّفْر : بفتح فسكون جماعة المسافرين .

(1314) أمّوا : قصدوا .

(1315) المُجْري إلى الغاية : يريد الذي يجري فرسه إلى غاية معلومة ، أي مقدار من الجري يلزمه حتى يصل إلى غايته .

(1316) يَحْدُوه : يسوقه .

(1317) نَفَاد : فناء .

(1318) مُزْدَجَر : مصدر ميمي من ازدجر ، و معناه الارتداع و الانزجار .

(1319) بنفسه يجود : من جاد بنفسه إذا قارب أن يقضي نحبه ، كأنه يسخو بها و يسلمها إلى خالقها .

(1320) المُسَاوَرَة : المواثبة . كأنه يرى العمل القبيح لبعده عن ملاءمة الطبع الإنساني بالفطرة الإلهية ينفر من مقترفه كما ينفر الوحش ، فلا يصل إليه المغبون إلا بالوثبة عليه .

(1321) صَادِعاً : فالقا به جدران الباطل فهادمها .

(1322) مَرَقَ : خرج عن الدين .

(1323) زَهَقَ : اضمحلّ و هلك .

(1324) مَكِيث : رزين في قوله ،

لا يبادر به من غير رويّة .

(1325) بطيء القيام : لا ينبعث للعمل بالطيش ، و إنما يأخذ له عدة إتمامه .

(1326) يضُمّ نَشْرَكُم : يصل متفرّقكم .

(1327) المُقْبِل : المتوجّه إلى الأمر ،

الطالب له ، الساعي اليه .

(1328) المُدْبِر : من أدبرت حاله ،

و اعترضته الخيبة في عمله و إن كان لم يزل طالبا له .

(1329) قائمتاه : رجلاه .

(1330) خَوَى نجم : غاب .

(1331) لا يَجْرِمَنّكُمْ : لا يحملنّكم .

(1332) شِقاقي : مخالفتي و عصياني .

(1333) لا يَسْتَهْوِيَنّكُمْ : لا يجعلنّكم هائمين .

(1334) لا تَتَرَامَوْا بالأبصار : لا ينظر بعضكم إلى بعض تغامزا .

(1335) فَلَقَ الحبّةَ : شقّها .

(1336) بَرَأ النّسَمَةَ : خلق الروح .

(1337) ضِلّيل : كشرّير ، شديد الضلال مبالغ في الإضلال .

(1338) النعيق : صوت الراعي بغنمه .

(1339) فَحَصَ بِرَاياته : من « فحص القطا التراب » إذا اتخذ فيه أفحوصا بالضم و هو مجثمه أي المكان الذي يقيم فيه عند ما

[483]

يكون على الأرض ، يريد أنه نصب له رايات بحثت لها في الأرض مراكز .

(1340) كُوفان : هي الكوفة .

(1341) فَغَرَ الفَمُ : كمنع ، انفتح .

و فاغرته : هي فمه .

(1342) الشّكِيمة : الحديدة المعترضة في اللجام في فم الدّابّة ، و يعبر بقوتها عن شدة البأس و صعوبة الانقياد .

(1343) كُلُوح الأيام : عبوسها .

(1344) كُدُوح الليالي : الكدوح جمع كدح بالفتح و هو الخدش و أثر الجراحات .

(1345) يَنْعه : بفتح الياء ، و يجوز ضمها : حال نضجه .

(1346) الشّقَاشِق : جمع شقشقة ،

و هي شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج ، و صوت البعير بها عند إخراجها هدير .

(1347) بَوَارِقُهُ : سيوفه و رماحه .

(1348) القاصِف : هو ما اشتدّ صوته من الرعد و الريح و غيرهما .

(1349) العاصف : ما اشتدّ صوته من الريح ،

و المراد مزعجات الفتن .

(1350) تلتفّ القرون بالقرون : كناية عن الاشتباك بين قواد الفتنة و بين أهل الحق كما تشتبك الكباش بقرونها عند النّطاح .

(1351) يُحْصَدُ القائِمُ : ما بقي من الصلاح قائما يحصد .

(1352) يُحْطَمُ المَحْصُودُ : ما كان قد حصد يحطم و يهشم .

(1353) نقاش الحساب : الاستقصاء فيه .

(1354) أَلْجَمَهُمُ العرقُ : سال منهم حتى بلغ إلى موضع اللّجام من الدّابة ، و هو الفم .

(1355) رَجَفَتْ بهم الأرض : تحرّكت و اضطربت .

(1356) قِطَع الليل : جمع قطع بكسر القاف و هو الظلمة .

(1357) مَزْمُومة مَرْحُولة : تامة الأدوات كاملة الآلات ، كالناقة التي عليها زمامها و رحلها ، قد استعدّت لأن تركب .

(1358) يَحْفِزُهَا : يحثّها .

(1359) يَجْهَدُها : يحمل عليها في السير فوق طاقتها .

(1360) الكَلَب ، بفتح اللام ، الشر و الأذى و الشدّة في كل شيء .

(1361) السّلَب : محركة ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول و سلاحه في الحرب .

(1362) الرّهَج : بالتحريك ، و سكون الهاء الغبار .

(1363) الحَسّ : بفتح الحاء : الجلبة و الأصوات المختلطة .

(1364) الجوع الأغْبَر : كناية عن المحل و الجدب .

[484]

(1365) الصادفين : المعرضين .

(1366) الثاوي : المقيم .

(1367) المُتْرَف بفتح الراء المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع .

(1368) مَشُوب : مخلوط .

(1369) الجَلَد : الصلابة و القوة .

(1370) الوَهْن بسكون الهاء و تحريكها :

الضّعف .

(1371) الحَرْث هنا كل ما يصنع ليثمر فائدة .

(1372) وَنَى فيه : تراخى فيه .

(1373) نُوَمَة : بضم ففتح كثير النوم .

(1374) السُّرَى كالهدى السير في الليل .

(1375) المَسَاييح : جمع مسياح ،

فسّره الشريف الرضي بالذي يسيح بين الناس بالفساد و النمائم .

(1376) المَذَاييع : جمع مذياع ، فسّره الشريف الرّضي بالذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها و نوّه عنها .

(1377) البُذُر : جمع بذور ، فسّره الشّريف الرّضي بالذي يكثر سفهه و يلغو منطقه .

(1378) يبتليكم : يمتحنكم ، ليتبين الكاذب و المخلص من المريب ،

فتكون لله الحجّة على خلقه .

(1379) يَحْسِرُ الحَسِيرُ : من « حسر البعير » كضرب إذا أعيا و كلّ .

(1380) الكَسِير : المكسور ، و هو هنا الذي ضعف اعتقاده أو كلّت عزيمته فتراخى في السير على سبيل المؤمنين .

(1381) استدارت رَحاهم : كناية عن وفرة أرزاقهم ، فإن الرّحى إنما تدور على ما تطحنه من الحبّ .

و الرّحى : رحى الحرب يطحنون بها .

(1382) القَناة : الرمح . و استقامتها كناية عن صحة الأحوال و صلاحها .

(1383) لأبقُرَنّ الباطلَ : من البقر و هو الشق و المراد : لأشقّن جوف الباطل بقهر أهله ، فأنتزع الحق من أيدي المبطلين .

(1384) الشّيمة : الخلق .

(1385) الدّيمة بكسر الدال المطر ،

يدوم في سكون . و المستمطر بفتح الطاء من يطلب منه المطر .

(1386) الأخْلاف : جمع خلف بكسر الخاء و سكون اللام حلمة ضرع الناقة .

(1387) الخِطام : ككتاب ما يوضع في أنف البعير ليقاد به .

(1388) الوَضِين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يكون للرحل كالحزام للسّرج .

(1389) السّدْر : بالكسر ، شجر النّبق و المخضود : المقطوع شوكه .

(1390) شاغرة : خالية .

(1391) امتاحوا : استقوا و انزعوا الماء لريّ عطشكم من عين صافية صفت من الكدر .

(1392) رُوِّقَتْ : صفّيت .

(1393) شفا جُرُف هارٍ : شفا الشيء حرفه . و الجرف بضمتين ما تجرفه السيول . و الهاري كالهائر المتهدم أو المشرف على الانهدام .

(1394) الرّدَى : الهلاك .

(1395) يُشْكي : من أشكاه : إذا أزال شكواه .

(1396) الشّجْو : الحاجة .

(1397) السُهْمَانُ بضم السين جمع سهم : بمعنى الحظ و النصيب .

و إصدار السهمان إعادتها إلى أهلها المستحقين لها لا ينقصهم منها شيء .

(1498) التّصْويح : التجفيف . و أصله :

صوّح النّبت : إذا جفّ أعلاه .

(1399) مُسْتَثَار : اسم مفعول بمعنى المصدر . و الاستثارة طلب الثّور و هو السّطوع و الظهور .

(1400) عَلِقَهُ كعلمه تعلّق به .

(1401) الجُنّة بضم الجيم الوقاية و الصّون .

(1402) أبْلَجُ المَنَاهِجِ : أشد الطرق وضوحا و أنورها .

(1403) الوَلائج : جمع وليجة : و هي الدخيلة و المذهب .

(1404) مُشْرَف : بفتح الراء من اشرف ، و المراد به هنا المكان ترتفع عليه فتطلّع من فوقه على شيء . و منار الدين : دلائله من العمل الصالح .

(1405) الجَوَادّ : جمع جادّة : و هي الطريق الواضح .

(1406) كريم المِضْمار : أي إذا سوبق سبق .

(1407) الحَلْبَة : خيل تجمع من كل صوب للنصرة ، و الإسلام جامعها يأتي إليه الكرائم و العتاق .

(1408) السُبْقة بالضم جزاء السابقين (1409) أوْرَى : أوقد .

(1410) القَبَس بالتحريك الشّعلة من النار تقتبس من معظم النار . و القابس : آخذ النار من النار .

(1411) الحَابِس : من حبس ناقته و عقلها حيرة منه لا يدري كيف يهتدي فيقف عن السير .

و أنار له علما : أي وضع له نارا في رأس جبل ليستنقذه من حيرته .

(1412) بَعِيثك : مبعوثك .

(1413) المَقْسَم كمقعد و منبر النصيب و الحظ .

(1414) النّزُل بضمتين ما هيّىء للضيف لينزل عليه .

(1415) السّناء كسحاب الرفعة .

(1416) خزايا : جمع خزيان ، من « خزي » إذا خجل من قبيح ارتكبه .

(1417) ناكِبين : عادلين عن طريق الحق .

(1418) ناكثين : ناقضين للعهد .

(1419) الطَغام : كجراد أوغاد الناس .

[486]

(1420) لَهامِيم : جمع لهميم بكسر اللام و هو السابق الجواد من الخيل و الناس .

(1421) اليآفِيخ : جمع يأفوخ : و هو من الرأس حيث يلتقي عظم مقدّمة مع مؤخّره .

(1422) الوَحَاوِح : جمع وحوحة :

صوت معه بحح يصدر عن المتألم و المراد : حرقة الغيظ .

(1423) الأخَرَةُ : محركة آخر الأمر .

(1424) الحَسّ : بفتح الحاء القتل .

(1425) الشّجْر : كالضرب الطعن .

(1426) الهِيم : بكسر الهاء الإبل العطاش .

(1427) تُذَادُ : تمنع .

(1428) المراد « بذوي الضمائر » ذوو القلوب و الحواسّ البدائية .

(1429) السّترات : جمع سترة ، ما يستر به ، أيّا كان .

(1430) المِشْكاة : كل كوّة غير نافذة و من العادة أن يوضع فيها المصباح .

(1431) الذّؤابة : الناصية ، أو منبتها من الرأس .

(1432) البَطْحاء : ما بين أخشبي مكة ،

كانت تسكنه قبائل من قريش ،

و يقال لهم قريش البطاح .

(1433) مَوَاسِمُه : جمع ميسم بكسر الميم و هو المكواة ، يجمع على مواسم و مياسم .

(1434) انجابَتْ : من قولهم : انجابت الناقة ، إذا مدت عنقها للحلب (1435) خابطها : السائر عليها .

(1436) قامت على قُطْبها : تمثيل لانتظام أمرها و استحكام قوتها .

(1437) شُعَب : جمع شعبة : و هو الفرع .

(1438) تَكيلكم : أي تأخذكم للهلاك جملة كما يأخذ الكيّال ما يكيله من الحبّ .

(1439) تَخْبِطكم : من « خبط الشجرة » ضربها بالعصيّ ليتناثر ورقها ،

أو من خبط البعير بيده الأرض أي ضربها . و عبّر بالباع ليفيد استطالتها عليهم ، و تناولها لقريبهم و بعيدهم .

(1440) الثُفالة بالضم كالثّفل و الثافل : هو ما استقرّ تحت الشيء من كدرة . و ثفالة القدر :

ما يبقى في قعره من عكارة و المراد الأرذال و السّفلة .

(1441) النّفَاضة : ما يسقط بالنفض .

و العكم بالكسر العدل بالكسر أيضا ، و نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها . و المراد ما يبقى بعد تفريغه في خلال نسيجه فينفض لينظف .

(1442) العَرْك : شديد الدّلك . و عركه حكّه حتى عفاه . و الأديم : الجلد (1443) الحَصِيد : المحصود .

(1444) البَطِينة : السمينة .

[487]

(1445) الرّبّاني : بتشديد الباء المتألّه العارف بالله عز و جل .

(1446) هتف بكم : صاح بكم .

(1447) الرائد : من يتقدم القوم ليكشف لهم مواضع الكلأ ، و يتعرف سهولة الوصول اليها من صعوبته .

(1448) قرف الصّمْغة : قشرها . و خصّ هذا بالذكر لأن الصمغة إذا قشرت لا يبقى لها أثر .

(1449) الفَنِيق : الفحل من الإبل .

(1450) كُظُوم : إمساك و سكون .

(1451) كان الولد غيظاً : يغيظ والده لشبوبه على العقوق .

(1452) القَيْظ : شدة الحر : و المراد بكون المطر قيظا عدم فائدته .

(1453) تغيض : من « غاض الماء » إذا غار في الأرض و جفّت ينابيعه .

(1454) لا يُفْلِتُكَ : لا ينفلت منك (1455) المَهين : الحقير ، يريد النطفة .

(1456) المَنُون : الدهر . و الرّيب : صرفه .

أي لم تفرّقهم صروف الزمان .

(1457) زَرَى عليه كرمى عابه .

(1458) البلاء يكون نعمة و يكون نقمة ،

و يتعيّن الأول بإضافة الحسن اليه . أي ما عبدوك إلا شكرا لنعمتك عليهم .

(1459) المَأدُبة : بضم الدال و فتحها : ما يصنع من الطعام للمدعوّين في عرس و نحوه ، و المراد منها هنا نعيم الجنة .

(1460) أعْشاه : أعماه .

(1461) على الغِرّة : بكسر الغين بغتة و على غفلة .

(1462) وُلُوجاً : دخولا .

(1463) أغْمَضَ : لم يفرّق بين حلال و حرام ، كأنه أغمض عينيه فلا يميّز .

(1464) تَبِعاتها بفتح فكسر ما يطالبه به الناس من حقوقهم فيها ، و ما يحاسبه به الله من منع حقه منها و تخطّي حدود شرعه في جمعها .

(1465) المَهْنَأ : ما أتاك من خير بلا مشقة (1466) العِبء : الحمل و الثّقل .

(1467) غَلِقَتْ رهُونُهُ : استحقّها مرتهنها ، و أعوزته القدرة على تخليصها ، كناية عن تعذّر الخلاص .

(1468) أصْحَرَ له : من « أصحر » إذا برز في الصحراء ، أي على ما ظهر له و انكشف من أمره .

(1469) خالَطَ لسانُه سَمْعَهُ :

شارك السمع اللسان في العجز عن أداء وظيفته .

(1470) الْتِياطاً : التصاقا به .

(1471) زَوْرَته : زيارته .

(1472) أمادها : حركها على غير انتظام .

(1473) فَطَرَها : صدعها .

(1474) إخْلاقهم : من قولهم : « ثوب خلق ، و ثياب أخلاق » ، و المراد أن البلى يشملهم كما يشمل الثياب البالية .

[488]

(1475) لا تَنُوبهم الأفْزَاع : جمع فزع ،

بمعنى الخوف . تنوبهم : تنتابهم .

(1476) أشْخَصَهُ : أزعجه .

(1477) السّرْبال : القميص . و القطران معروف .

(1478) المقَطّعات : كل ثوب يقطّع كالقميص و الجبة و نحوها ، بخلاف ما لا يقطّع كالإزار و الرداء .

(1479) عبّر « بالكَلَب محرّكا عن هيجانها .

(1480) اللّجَب : الصوت المرتفع .

(1481) القَصِيف : أشدّ الصوت .

(1482) كُبُول : جمع كبل بفتح فسكون : القيد . و تفصم : تنقطع .

(1383) زَوَاها : قبضها .

(1484) الرِّيَاش : اللباس الفاخر .

(1485) مُعْذِراً : مبيّنا لله حجة تقوم مقام العذر في عقابهم إن خالفوا أمره .

(1486) مُخْتَلَف الملائكة بفتح اللام :

محل اختلافهم أي ورود واحد منهم بعد الآخر ، فيكون الثاني كأنه خلف للأول ، و هكذا .

(1487) رَحَضَه كمنعه غسله .

(1488) مَنْسَأة : مطال فيه و مزيد .

(1489) أَلْوَمُ : أشد لوما لنفسه ، لأنه لا يجد عذرا يقبل أو يرد .

(1490) الحَبْرَة بالفتح السرور و النعمة .

(1491) حائلة : متغيّرة .

(1492) نافذة : فانية .

(1493) بائدة : هالكة .

(1494) غَوّالة : مهلكة .

(1495) الهَشِيم : النبت اليابس المكسّر .

(1496) العَبْرَة بالفتح : الدمعة قبل أن تفيض .

(1497) كنى بالبطن عن الإقبال .

(1498) كنى بالظهر عن الإدبار .

(1499) الطَلّ : المطر الخفيف . و طلّته السماء : أمطرته مطرا قليلا .

(1500) الدّيمة : مطر يدوم في سكون ،

لا رعد و لا برق معه .

(1501) الرّخاء : السّعة .

(1502) هَتَنَتِ المُزْن : انصبّت .

(1503) أوْبى : صار كثير الوباء ، و الوباء هو المعروف بالريح الأصفر .

(1504) الغَضَارة : النعمة و السّعة .

(1505) الرّغَب بالتحريك الرغبة و المرغوب .

(1506) أرْهَقَتْهُ التعبَ : ألحقته به .

(1507) القَوَادِم : جمع قادمة ، الواحدة من أربع أو عشر ريشات في مقدّم جناح الطائر ، و هي القوادم ، و العشر التي تحتها هي الخوافي .

(1508) يُوبِقُهُ : يهلكه .

(1509) أُبّهَة بضم فتشديد عظمة .

(1510) النّخْوَة بفتح النون الافتخار .

(1511) دُوّل بضم الدال و فتح الواو المشددة المتحوّل .

(1512) رَنِق بفتح فكسر كدر .

[489]

(1513) أُجاج : شديد الملوحة .

(1514) الصّبِر ككتف عصارة شجر مرّ .

(1515) سِمام : جمع سم ، مثلّث السين و هو من المواد ما إذا خالط المزاج أفسده فقتل صاحبه .

(1516) رِمام : جمع رمّة بالضم : و هي القطعة البالية من الحبل .

(1517) مَوْفُورها : ما كثر منها . مصاب بالنكبة ، و هي المصيبة : أي في معرض لذلك .

(1518) مَحْرُوب : من « حربه حربا » بالتحريك إذا سلب ماله .

(1519) ظهر قاطع : راحلة تركب لقطع الطريق .

(1520) الفِدْية : الفداء .

(1521) أرْهَقَتْهُمْ : غشيتهم ،

القوادح : جمع قادح ، و هو أكال كزكام يقع في الشجر و الأسنان .

(1522) أوْهَقَتْهُمْ : جعلتهم في الوهق بفتح الهاء و هو حبل كالطّول .

و القوارع : المحن و الدّواهي .

(1523) ضَعْضَعَتْهُمْ : ذلّلتهم .

(1524) عَفّرَتْهم : كبّتهم على مناخرهم في العفر ، و هو التراب .

(1525) المَنَاسِم : جمع منسم ، و هو مقدّم خفّ البعير ، أو الخفّ نفسه .

(1526) دانَ لها : خضع .

(1527) أخلدَ لها : ركن اليها .

(1528) السّغَب بالتحريك الجوع .

(1529) الضّنْك : الضّيق .

(1530) لا يُدْعَوْنَ رُكباناً : لا يقال لهم ركبان : جمع راكب ، لأن الراكب من يكون مختارا ، و له التصرّف في مركوبه .

(1531) الأجْدَاث : القبور .

(1532) الصّفِيح : وجه كل شيء عريض ، و المراد وجه الأرض .

(1533) الأجْنان جمع جنن بالتحريك و هو القبر .

(1534) الرُفات : العظام المندقّة المحطومة .

(1535) جِيدُوا بالبناء للمجهول مطروا .

(1536) لا يُخْشى فَجْعُهم : لا تخاف منهم أن يفجعوك بضرر .

(1537) يَلِجُ : يدخل .

(1538) القُلْعة بضم القاف و سكون اللام : ليست بمستوطنة .

(1539) النُجْعة : بضم النون طلب الكلأ في موضعه ، أي ليست محطّ الرحال و لا مبلغ الآمال .

(1540) عَتِيد : حاضر .

(1541) اغْتُبِطُوا : بالبناء للمجهول ،

غبطهم غيرهم بما آتاهم الله من الرزق .

(1542) زُوّيَ : من « زوّاه » : إذا نحّاه .

(1543) عبّر باللّعْقة عن الإقرار باللسان مع ركون القلب إلى مخالفته .

(1544) البِطاء بكسر الباء جمع بطيئة .

(1545) السِّرَاع : جمع سريعة .

[490]

(1546) غير مُغَادِرٍ : غير تارك شيئا إلا أحاط به .

(1547) وَعَاها : حفظها و فهمها .

(1548) حَمَى الشيء : منعه ، أي منعتهم ارتكاب محرّماته .

(1549) الهَوَاجر : جمع هاجرة ، شدة حرّ النهار ، و قد أظمئت هذه الهواجر بالصيام .

(1550) النّصَب : التعب .

(1551) الدّهْر مُوتِرٌ قَوْسَهُ : شبّهه بمن أوتر قوسه ليرمي بها أبناءه .

(1552) تُؤسي : تداوي ، من « أسوت الجراح » . داويته .

(1553) لا يَنْقَع : لا يشتفي من العطش بالشرب .

(1554) غِيَرُها بكسر الغين و فتح الراء تقلّباتها .

(1555) ليس ذلك إلا نعيماً زَلّ : من « زلّ فلان زليلا و زلولا » إذا مرّ سريعا . و المراد : انتقل .

(1556) أضْحى : برز للشمس ، و الفيء :

الظلّ بعد الزوال ، أو مطلقا .

(1557) لا جاء يُرَدّ : الجائي يريد به الموت .

(1558) دَخِلَ : كفرح خالطه فساد الأوهام .

(1559) انصاحَتْ : جفّت أعالي بقولها و يبست من الجدب . و هذا أنسب من تفسير الرضيّ في آخر الدعاء .

(1560) هامَت : ندّت و ذهبت على وجوهها من شدة المحل .

و هذا أنسب من تفسير الهيام بالعطش كما يقول الرضي في آخر الدعاء .

(1561) مَرَابِض : جمع مربض ،

بكسر الباء ، و هو مبرك الغنم .

(1562) عَجّتْ عَجِيجَ الثّكَالى :

صاحت بأعلى صوتها .

(1563) الآنّة : الشاة .

(1564) الحانّة : الناقة .

(1565) مَوَالجها : مداخلها في المرابض .

(1566) مَخَايل : جمع مخيلة كمصيبة هي السحابة تظهر كأنّها ماطرة ثم لا تمطر . و الجود بفتح الجيم المطر .

(1567) المُبْتَئِس : الذي مسّته البأساء و الضرّاء ، و البلاغ : الكفاية .

(1568) السّوَامُ : جمع سائمة ، و هي البهيمة الراعية من الإبل و نحوها .

(1569) انْبَعَقَ المُزْن : انفرج عن المطر كأنما هو حيّ ، انشقت بطنه فنزل ما فيها .

(1570) أغْدَقَ المطرُ : كثر ماؤه .

(1571) المُونِقُ : من « آنقني » إذا أعجبني ، أو من « آنقه » إذا سرّه و أفرحه .

(1572) سَحّاً : صبّا ، و الوابل : الشديد من المطر الضخم القطر .

(1573) المَرِيعَة بفتح الميم الخصيبة .

[491]

(1574) زاكياً : ناميا .

(1575) ثامِراً : مثمرا ، آتيا بالثمر .

(1576) النّجاد جمع النجد ما ارتفع من الأرض .

(1577) الوِهاد جمع الوهدة ما انخفض من الأرض .

(1578) الجَناب : الناحية .

(1579) القاصية : البعيدة عنا من أطراف بلادنا في مقابلة جنابنا .

(1580) ضاحية الماء : التي تشرب ضحى ،

و الضّواحي : جمعها .

(1581) المُرْمِلة : بصيغة الفاعل : الفقيرة (1582) مُخْضِلة : من « أخضله » إذا بلّه .

(1583) الوَدْق : المطر .

(1584) يَحْفِز : يدفع .

(1585) البرق الخُلّب : ما يطمعك في المطر و لا مطر معه .

(1586) الجَهَام : بفتح الجيم السّحاب الذي لا مطر فيه . و العارض :

ما يعرض في الأفق من السحاب (1587) الرّباب : السحاب الأبيض .

و القزع من الرّباب فسّره الرّضي بالقطع الصغيرة المتفرقة من السحاب .

(1588) الذّهاب بكسر الذال جمع ذهبة بكسر الذال أيضا :

الأمطار القليلة أو الليّنة ، كما قال الشريف في تفسيرها .

(1589) المُسْنِتُون : المقحطون .

(1590) وانٍ : متباطىء متثاقل .

(1591) واهِن : ضعيف .

(1592) المُعَذِّر : من يعتذر و لا يثبت له عذر .

(1593) الصّعُدات بضمتين جمع صعيد بمعنى الطريق ، أي : لتركتم منازلهم و همتم في الطّرق من شدة الخوف .

(1594) الالْتِدام : ضرب النساء صدورهن أو وجوههن للنياحة .

(1595) الخالِف : من تتركه في أهلك و مالك ، إذا خرجت لسفر أو حرب .

(1596) هَمّتْهُ : حزنته و شغلته .

(1597) ميامين جمع ميمون مبارك .

(1598) مَرَاجيح : أي حلماء ، من « رجح » إذا ثقل و مال بغيره و المراد الرّزانة .

(1599) مَقَاوِيل : جمع مقوال ، من يحسن القول .

(1600) مَتَارِيك : جمع متراك المبالغ في الترك .

(1601) القُدُم بضمتين المضيّ أمام ،

أي سابقين .

(1602) الوَجِيف : ضرب من سير الخيل و الإبل . و أوجف خيله : سيّرها بهذا النوع ، و المراد السرعة .

(1603) المَحَجّة : الطريق المستقيمة .

(1604) الكرامة الباردة : من قولهم « عيش بارد » : أي هنيء .

(1605) الذّيّال : الطويل القدّ ، الطويل الذّيل ، المتبختر في مشيته .

(1606) كَرُمَ الشيء كحسن يحسن أي عزّ و نفس .

(1607) الجُنَن بضم ففتح جمع جنّة بالضم ، و هي الوقاية .

(1608) البأس : الشدة .

(1609) بطانة الرجل : خواصّه و أصحاب سرّه .

(1610) سَدّده : وفّقه للسداد .

(1611) القِدْح بكسر القاف السهم قبل أن يراش و ينصل .

(1612) الجَفِير : الكنانة توضع فيها السهام .

(1613) اسْتَحَارَ : تردّد و اضطرب .

(1614) الثِّفال بكسر الثاء جلد يبسط و يوضع الرّحا فوقه فيطحن باليد ليسقط عليه الدقيق .

(1615) حُمّ : قدّر .

(1616) قَرّبت ركابي : حزمت إبلي و أحضرتها للركوب .

(1617) شَخَصْتُ : بعدت عنكم و تخليت عن أمر الخلافة .

(1618) الغَنَاء بالفتح و المد النفع .

(1619) الهالك هنا : الذي حتّم هلاكه لتمكن الفساد من طبعه و جبلّته .

(1620) العِدَات جمع عدة بمعنى الوعد .

(1621) قاصدة : مستقيمة .

(1622) عازِبُهُ : غائبه .

(1623) عَوِزَ الشيء كفرح أي لم يوجد .

(1624) الصّدِيد : ماء الجرح الرقيق ،

و الحميم .

(1625) اللسان الصالح : الذّكر الحسن .

(1626) يريد بالعُقْدة ما حصل عليه التعاقد .

(1627) الضَلْع بفتح الضاد و تسكين اللام : الميل . و أصل المثل :

« لا تنقش الشوكة بالشوكة ، فان ضلعها معها » يضرب للرجل يخاصم آخر و يستعين عليه بمن هو من قرابته أو أهل مشربه . و نقش الشوكة :

إخراجها من العضو تدخل فيه .

(1628) الدّاء الدّوِيّ : بفتح فكسر المؤلم الشديد . و قد وصف بما هو من لفظه .

(1629) كَلّتْ : ضعفت . و النّزعة :

جمع نازع .

(1630) الأشْطَان : جمع شطن ، و هو الحبل . و الرّكِيّ : جمع ركيّة ،

و هي البئر .

(1631) اللِّقاح : جمع لقوح ، و هي الناقة . و ولهها إلى أولادها :

فزعها إليها إذا فارقتها .

(1632) لا تُبَشّرُون بالأحياء : إذا قيل لهم : نجا فلان فبقي حيا لا يفرحون ، لأن أفضل الحياة عندهم الموت في سبيل الحق .

(1633) لا يُعَزّوْن عن المَوْتى : لا يحزنون إذا قيل لهم : مات فلان ،

فان الموت عندهم حياة السعادة الأبدية .

(1634) مُرْهُ العيون : جمع أمره ،

و هو على صيغة أفعل الذي يجمع على فعل ، كأحمر و حمر ،

مأخوذ من « مرهت عينه » إذا فسدت أو ابيضّت حماليقها .

[493]

(1635) خُمْص البطون : ضوامرها .

(1636) ذَبُلَتْ شفَتُهُ : جفّت و يبست لذهاب الرّيق .

(1637) يُسَنّي : يسهّل .

(1638) فاصْدِفُوا : فأعرضوا .

(1639) نَزَغاته : وساوسه .

(1640) اعْقِلُوها : احبسوها على أنفسكم لا تتركوها فتضيع منكم .

(1641) المراد من الخَصْلة بفتح الخاء هنا الوسيلة .

(1642) لمّ شَعَثَهُ : جمع أمره .

(1643) نتدانى بها : نتقارب إلى ما بقي بيننا من علائق الارتباط .

(1644) رَبَاطَة الجأش : قوة القلب عند لقاء الأعداء .

(1645) الفَشَل : الجبن و الضعف .

(1646) فَلْيَذُبّ : فليدفع .

(1647) النّجْدَة بالفتح الشجاعة .

(1648) كَشِيش الضّباب : هو احتكاك جلودها عند ازدحامها . و الضّباب بكسر الضاد جمع ضبّ ، و هو الحيوان المعروف .

(1649) تَلَوّمَ : توقّف و تباطأ .

(1650) الدارع : لابس الدّرع .

(1651) الحاسِر : من لا درع له .

(1652) أنْبَى : صيغة أفعل التفضيل من « نبا السيف » إذا دفعته الصلابة من موقعه فلم يقطع .

(1653) الهام : جمع هامة ، و هي الرأس .

(1654) الْتَوُوا : انعطفوا و أميلوا جانبكم لتزلق الرماح و لا تنفذ فيكم أسنّتها .

(1655) أمْوَرُ : أي أشدّ فعلا للمور ،

و هو الاضطراب الموجب للانزلاق و عدم النفوذ .

(1656) الذِّمار : بكسر الذال ، ما يلزم الرجل حفظه و حمايته من ماله و عرضه .

(1657) حقائق : جمع حاقّة ، و هي النازلة الثابتة .

(1658) يَحُفّون بالرايات : أي يستديرون حولها .

(1659) يكتنفونها : يحيطون بها .

(1660) حِفَافَيْها : جانبيها .

(1661) أجْزَأ امْرِؤ قِرْنَهُ : فعل ماض في معنى الأمر ، أي :

فليكف كلّ منكم قرنه أي كفؤه ، فيقتله .

(1662) لم يَكِلْ قِرْنهُ لأخيه : لم يترك خصمه إلى أخيه فيجتمع على أخيه خصمان فيغلبانه ثم ينقلبان عليه فيهلكانه .

(1663) لَهامِيم : جمع لهميم بالكسر الجواد السابق من الإنسان و الخيل .

(1664) مَوْجِدَته : غضبه .

(1665) العَوالي : الرماح .

(1666) تُبْلى : تمتحن .

(1667) أبْسَلَهُ : أسلمه للهلكة .

[494]

(1668) دِرَاك ككتاب : متتابع متوال في أبدانهم أبوابا يمرّ فيها النسيم .

(1669) يُنْدِرها : كيهلكها : أي يسقطها .

(1670) المَنَاسر : جمع منسر كمجلس القطعة من الجيش تكون أمام الجيش الأعظم .

(1671) الكتائب : جمع كتيبة ، من المئة إلى الألف .

(1672) الحَلائِب : جمع حلبة ، الجماعة من الخيل تجتمع من كل صوب للنصرة .

(1673) دَعَقَ الطريق : كمنع وطئه في شدة و قوة . و دعق الغارة : بثّها .

(1674) أعنان الشيء : أطرافه .

(1675) المَسَارِب : المذاهب للرّعي .

(1676) دَفّتا المصحف : جانباه اللذان يكنفانه .

(1677) الأكْظام : جمع كظم محركة مخرج النفس . و الأخذ بالأكظام :

المضايقة و الاشتداد بسلب المهلة .

(1678) كَرَثَهُ كنصره و ضربه :

اشتد عليه الغمّ .

(1679) مُوزَعين : من « أوزعه » :

أي أغراه ، و أصله بمعنى ألهم .

(1680) لا يَعْدِلون به : أي لا يستبدلونه بالعدل .

(1681) نُكُب : جمع ناكب : الحائد عن الطريق .

(1682) ما أنتم بوثيقَةٍ : أي لستم عروة وثيقة يستمسك بها .

(1683) زافرة الرجل : أنصاره و أعوانه .

(1684) الحُشّاش : جمع حاشّ ، من « حشّ النار » إذا أوقدها .

و المراد : « لبئس الموقدون لنار الحرب أنتم » .

(1685) بَرْحاً بفتح الباء شرّ أو شدة .

(1686) يوم النداء : يوم الدعوة إلى الحرب .

(1687) يوم النّجاء : يوم العتاب على التقصير . و أصل النجاء : الإفضاء بالسر و التكلم مع شخص بحيث لا يسمع الآخر .

(1688) لا أطُورُ به : من « طار يطور » إذا حام حول الشيء ، أي : لا أمرّ به و لا أقاربه .

(1689) ما سَمَرَ سمير : أي مدى الدهر .

(1690) أمّ : قصد .

(1691) خَدِينٌ : صديق .

(1692) ضرَبَ به تيهَهُ : سلك به في بادية ضلالته .

(1693) الشِّعار : علامة القوم في الحرب و السفر ، و هو ما يتنادون به ليعرف بعضهم بعضا .

(1694) البُجْر : بضم الباء : الشر و الأمر العظيم .

(1695) خَتَلْتكم : خدعتكم . و التلبيس :

خلط الأمر و تشبيهه حتى لا يعرف .

(1696) الصّمْد : القصد .

[495]

(1697) الملاحم : جمع ملحمة ، و هي الوقعة العظيمة .

(1698) اللّجَب : الصياح .

(1699) اللّجُم : جمع لجام . و قعقعتها ما يسمع من صوت اضطرابها بين أسنان الخيل .

(1700) الحَمْحَمَة : صوت البرذون عند الشعير .

(1701) سِكَك : جمع سكّة : الطريق المستوي .

(1702) أجنحة الدّور : رواشنها . و قيل :

إن الجناح و الرّوشن يشتركان في إخراج الخشب من حائط الدار إلى الطريق بحيث لا يصل إلى جدار آخر يقابله ، و إلا فهو الساباط ،

و يختلفان في أن الجناح توضع له أعمدة من الطريق بخلاف الرّوشن .

(1703) الخراطيم : الميازيب تطلى بالقار .

(1704) المَجَانّ المُطَرّقة : النعال التي ألزق بها الطّراق ككتاب و هو جلد يقوّر على مقدار الترس ثم يلزق به .

(1705) السَرَق : بالتحريك شقق الحرير الأبيض .

(1706) يعْتَبِقُون الخيلَ العِتاقَ :

يحبسون كرائم الخيل و يمنعونها غيرهم .

(1707) استحرار القتل : اشتداده .

(1708) تَضْطَمّ : هو افتعال من الضمّ ،

أي و تنضمّ عليه جوانحي . و الجوانح الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر . و انضمامها عليه اشتمالها على قلب يعيها .